سلسلة مؤلفات الشهيد الثاني ١٧

انتشارات دفتر تبليغات اسلامي
حوزه علميه قم

المصنفات الأربعة

١) كشف الريبة
٢) مسكن الفؤاد
٣) التنبيهات العلية
٤) حقيقة الإيمان

للشيخ زين الدين بن علي العاملي قدس سره
المشهور بالشهيد الثاني

التحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي

سلسلة مؤلفات الشهيد الثاني/١١
آثار مركز مطالعات وتحقيقات اسلامي/١٦٣

المصنفات الأربعة

١) كشف الريبة
٢) مسكّن الفؤاد
٣) التنبيهات العليّة
٤) حقيقة الإيمان

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

للشيخ زين الدّين بن علي العاملي قدّس سرّه
المشهور بالشهيد الثاني

التحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة
قسم إحياء التراث الإسلامي

بوستان كتاب قم

انتشارات دفتر تبليغات اسلامى حوزه علميه قم/ ١٣٨٠

شهید ثانی، زین‌الدّین بن علی، ۹۱۱ ـ ۹۶۶ ق.
المصنّفات الأربعة: ۱) کشف الریبة، ۲) مسکّن الفؤاد، ۳) التنبیهات العلیة، ٤) حقیقة الإیمان / لزین الدین بن علي العاملي الشهیر بالشهید الثاني؛ التحقیق مرکز الأبحاث و الدراسات الإسلامیة، قسم إحیاء التراث الإسلامي. ـ قم: بوستان کتاب قم (انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم)، ۱۳۸۰.
٤٨٧ ص. : انوند. ـ (بوستان کتاب قم؛ ۱۰۱۳ . آثار مرکز مطالعات و تحقیقات اسلامی؛ ۱٦۳. سلسله مؤلفات شهید ثانی؛ ۱۱۱)
ISBN 964 - 371 - 018 - 1 ۲٤،۰۰۰ ریال:
فهرست‌نویسی براساس اطلاعات فیپا.
به‌شت جلد به انگلیسی:
Al-Šeyx zayn Al-Dīn b. 'Alī Al-'Āmelī.
Al-Moṣannafat Al-Arba'a [the four writings]
کتابنامه: ص. [۴۷۰] ـ ۴۸۷ همچنین به صورت زیرنویس.
متنوجات: ص. ۱۹ ـ ٩٤ کشف الریبة عن احکام الغیبة / تحقیق غلامحسین القیصري. ـ ص. ٩٥ ـ ۲۰٦ مسکّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد / تحقیق عباس المحمدي. ـ ص. ۲۰۷ ـ ۳۰٤ التنبیهات العلیّة علی وظائف الصلاة، او، أسرار الصلاة / تحقیق عباس المحمدي. ـ ص. ۳۰٥ ـ ٤۱۸ حقیقة الإیمان / تحقیق محمد حسون.
۱. اسلام ـ مجموعه‌ها. الف. دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم. مرکز مطالعات و تحقیقات اسلامی. واسد احیاء التراث الاسلامی. ب. قیصری، غلامحسین، ۱۳۳۸ ـ . مصحح. ج. محمدی، عباس، ۱۳۲۹ ـ . مصحح. د. حسون، محمد، ۱۳۳۷ ـ مصحح. هـ. بوستان کتاب قم (انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم) و. عنوان. ز. عنوان: کشف الریبة عن احکام الغیبة. ح. عنوان: مسکّن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد. ط. عنوان: التنبیهات العلیّة علی وظائف الصلاة، او، أسرار الصلاة. ی. عنوان: أسرار الصلاة. ک. عنوان: حقیقة الإیمان.
BP ٤/٦ /ع٩ش/ ٦م
۲۹۷/۰۸
ISBN: 964 - 371 - 018 - 1 / ۹٦٤ ـ ۳۷۱ ـ ۰۱۸ ـ ۱ :شابك
مسلسل انتشار: ۱۷٤٦

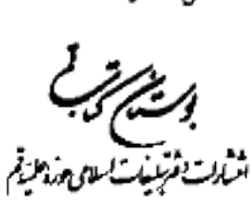

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المصنّفات الأربعة

المؤلّف: الشهید الثاني رحمه الله
المحقق: مرکز الأبحاث والدّراسات الإسلامیّة
الناشر: بوستان کتاب قم
(مرکز النشر التابع لمکتب الإعلام الإسلامي)
المطبعة: مطبعة مکتب الإعلام الإسلامي
الطبعة: الأولی / ۱٤۲۲ق، ۱۳۸۰ش
الکمیة: ۲۰۰۰
السعر: ۲٤۰۰ تومان

جمیع الحقوق محفوظة للناشر

العنوان: قم، شارع الشهداء (صفائیة)، بوستان کتاب قم (مرکز النشر التابع لمکتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمیة قم)
ص.ب ۹۱۷، الهاتف: ۷ ـ ۷۷٤۲۱٥٥ الفاکس: ۷۷٤۲۱٥٤ التوزیع: ۷۷٤۳٤۲٦، المعرض المرکزي، قم، شارع الشهداء
المعرض الفرعي: طهران، شارع «انقلاب»، شارع فلسطین الجنوبي، الزقاق الثاني علی الیسار (پشن)، الرقم ۳/۲۲، الهاتف ٦٤٦۰۷۳٥
1- http: // www.hawzah.net/M/M.htm :موقعنا علی الانترنت
2- http: // www.balagh. org
E-mail: Bustan-e-Ketab@noornet.net :البرید الکتروني

Printed in the Islamic Republic of Iran

بسم الله الرحمن الرحیم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس الموضوعات

تصدير ١٥

المصنّفات الأربعة

١) كشف الريبة عن أحكام الغيبة

مقدّمة التحقيق ٢١

صور بعض المخطوطات ٢٥

خطبة الكتاب ٢٧

المقدّمة ٢٩

تعريف الغيبة ٢٩

تحريم الغيبة وجملة من الترهيب منها ٣٠

الفصل الأوّل في أقسام الغيبة ٣٦

أخبث أنواع الغيبة ٣٨

الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجّب ٣٩

حرمة سوء الظنّ ٤٠

حكم الخواطر وحديث النفس ٤٠
طريق معرفة ما يخطر في القلب هل هو ظنّ سوء أو اختلاج وشكّ ٤١
من ثمرات سوء الظنّ التجسّس ٤٢
معنى التجسّس ٤٢

الفصل الثاني في العلاج الذي يمنع الإنسان عن الغيبة ٤٣
الطريق في علاج كفّ اللسان عن الغيبة مجملة ٤٥
الطريق في علاج كفّ اللسان عن الغيبة مفصّلة ٤٦

الفصل الثالث في الأعذار المرخّصة في الغيبة ٤٩
١ ـ التظلّم ٤٩
٢ ـ الاستعانة على تغيير المنكر ٤٩
٣ ـ الاستفتاء ٥٠
٤ ـ تحذير المسلم من الوقوع في الخطر والشرّ ٥٠
٥ ـ الجرح والتعديل للشاهد والراوي ٥١
٦ ـ أن يكون المقول فيه مستحقّاً لذلك ٥١
٧ ـ أن يكون الإنسان معروفاً باسم يُعْرب عن عيبه ٥٢
٨ ـ لو اطّلع العدد الذين يثبت بهم الحدّ أو التعزير على فاحشة جاز ذكرها عند الحاكم ٥٢
٩ ـ إذا علم اثنان من رجل معصيةً شاهداها، فأجرى أحدهما ذكرها في غيبة ذلك العاصي جاز..... ٥٢
١٠ ـ إذا سمع أحدٌ مغتاباً لآخر وهو لا يعلم استحقاق المقول عنه ٥٢

الفصل الرابع في ما يلتحق بالغيبة عند التدبّر ٥٤
١ ـ النميمة وما ورد من النهي فيها ٥٥
تعريف النميمة بالمعنى الأعمّ ٥٨
السبب الباعث على النميمة ٥٨

وظيفة من حملت إليه النميمة ستّة أُمور ٥٨
٢ ـ كلام ذي اللسانين وما ورد من النهي فيه ٦١
يتحقّق كون الإنسان ذا لسانين بأُمور أربعة ٦٣
٣ ـ الحسد وما ورد من النهي فيه ٦٤
الحسد يهيّج أربعة أشياء ٦٦
حقيقة الحسد ٦٧
مراتب الحسد ٦٩
الأسباب المثيرة للحسد ٧٠
الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب ٧٣

الفصل الخامس في كفّارة الغيبة ٧٨
ورد في كفّارة الغيبة حديثان ٧٨
الخاتمة في أحاديث تناسب المقام ٨١
الحديث الأوّل: للمؤمن على أخيه ثلاثون حقّاً ٨٢
الحديث الثاني: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ٨٣
الحديث الثالث: إنّ رجلاً زار أخاً له في قرية أُخرى ٨٣
الحديث الرابع: لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ٨٤
الحديث الخامس: من ألطف مؤمناً، أو قام له بحاجة ٨٥
الحديث السادس: لقد وصفه الله بخلق عظيم في المداعبة ٨٥
الحديث السابع: سبع حقوق واجبات ما منها حقّ إلّا ٨٥
الحديث الثامن: إذا مشى الرجل في حاجة أخيه المؤمن ٨٦
الحديث التاسع: من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه ٨٧
الحديث العاشر: بسم الرحمن الرحيم حاطك الله بصنعه ٨٧
الحديث الحادي عشر: يا خيثمة أبلغ من ترى من موالينا ٩٢
الحديث الثاني عشر: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظّموا أصحابكم ٩٢

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٢) مُسَكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد

مقدّمة التحقيق ٩٧
صور بعض المخطوطات ١٠٥

خطبة الكتاب ١٠٧
المقدّمة ١٠٩
موجبات الرضى بقضاء الله أُمور: ١٠٩
الأوّل: التوجّه إلى عدل الله وحكمته ١٠٩
الثاني: تصديق الرسل ١١٠
الثالث: التوجّه إلى أنّ منفعة الولد ليس في البقاء فقط ١١٢
الرابع: في الجزع على فوت الولد انحطاط عظيم ١١٤
الخامس: الدنيا قد طبعت على الكدر والعناء ١١٥
ما سبب الخلقة؟ ١١٦
روايات أخلاقيّة مفيدة ١١٧

الباب الأوّل في الأعواض الحاصلة من موت الأولاد ١٢٠
ذكر أخبار الباب ١٢٠
روايات وحكايات ومنامات في ثواب موت الأولاد ١٣١

الباب الثاني في الصبر وما يلحق به ١٣٥
صبر العوامّ ١٣٥
صبر الزهّاد ١٣٥
صبر العارفين ١٣٥
أوصاف الصابرين ١٣٦
أجر الصابرين ١٣٦

منزلة الصبر في الروايات ١٣٨
الصبر وأقسامه ١٤١
فصل: في ما يوجب الأجر أو الحبط عند المصيبة ١٤٢
في الاسترجاع ١٤٣
فصل: في أثر الصلاة في تهوين المصائب ١٤٤
فصل: في محاسن البلاء ١٤٦
فصل: الصبر والجزع كاشفان عن بواطن الناس ١٤٧
فصل: نبذ من أحوال السلف عند موت أبنائهم وأحبّائهم ١٤٧
فصل: في ذكر جماعة من النساء نقل العلماء صبرهنّ ١٥٦
حكاية عن أبي قدامة الشامي ١٦٢

الباب الثالث في الرضى ١٦٧
الرضى دليل الإيمان ١٦٨
مقام الراضين في القيامة ١٦٨
فصل: في مرتبة الرضى ١٧٢
فصل: في درجات الرضى ١٧٣
فصل: في جماعة نقل العلماء رضاهم بالقضاء ١٧٦
فصل: في الدعاء ووظائف الداعي ١٧٨
هل الدعاء لرفع البلاء ينافي الرضى؟ ١٧٩

الباب الرابع في البكاء ١٨٠
بكاء زين العابدين عليه السلام ١٨٠
بكاء رسول الله صلى الله عليه وآله ١٨١
موت إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله ١٨١
بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله على أُمّه وبعض أصحابه ١٨٣
بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله في شهادة جعفر بن أبي طالب عليه السلام ١٨٤

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فصل: ما يحبط الأجر عند المصيبة ١٨٦
فصل: في استحباب الاسترجاع عند المصيبة ١٨٨
فصل: في النوح ١٨٩

الخاتمة في فوائد مهمّة ١٩٢
استحباب تعزية أهل الميّت ١٩٢
ثواب من عزّى مصاباً ١٩٣
ثواب عيادة المريض ١٩٣
ثواب البكاء من خشية الله ١٩٤
فصل: فيما تعزّى بها أهل المصيبة ١٩٥
ذكر مصيبة النبيّ يهوّن المصائب ١٩٦
أشدّ الناس بلاءً أهل الخير ١٩٩
كتاب أبي عبدالله عليه السلام لجماعة من بني عمّه ٢٠٢

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٣) التنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبيّة

مقدّمة التحقيق ٢٠٩
صور بعض المخطوطات ٢١٦

خطبة الكتاب ٢١٩
المقدّمة ٢٢٢
المطلب الأوّل في تحقيق معنى القلب ٢٢٢
المطلب الثاني في إحضار القلب حال العبادة خصوصاً في الصلاة ٢٢٦
الآيات الواردة في هذا الباب ٢٢٦
الروايات الواردة في هذا الباب ٢٢٧
المطلب الثالث في بيان الدواء النافع في حضور القلب ٢٣١

الفصل الأوّل في مقدّمات الصلاة ٢٣٦
أسرار الطهارة وإزالة النجاسة ٢٣٦
أسرار ستر العورة ٢٤٠
أسرار المكان ٢٤١
أسرار الوقت ٢٤٢
أسرار استقبال القبلة ٢٤٥

الفصل الثاني في مقارنات الصلاة ٢٤٨
أسرار القيام ٢٤٨
أسرار النيّة ٢٥٠
أسرار تكبيرة الإحرام ٢٥١
دعاء التوجّه ٢٥٢
أسرار القراءة ٢٥٣
في ترجمة سورة الحمد وأسرارها ٢٥٥
فيما يتعلّق بقراءة القرآن ٢٥٧
أسرار الركوع ٢٥٨
أسرار السجود ٢٥٩
أسرار التشهّد ٢٦٠
أسرار التسليم ٢٦٢
تتمّة الفصل ٢٦٣
في التعقيب ٢٦٣
في آداب قراءة القرآن وكيفيّته ٢٦٥
في سجدة الشكر ٢٧١

الفصل الثالث في منافيات الصلاة ٢٧٢
ذمّ الرياء والعجب ٢٧٣

وجوه الرياء ٢٧٦
وأمّا العجب ٢٨٣

الخاتمة وفيها بحثان: ٢٨٥
البحث الأوّل في جبر الخلل الواقع في الصلاة ٢٨٥
الدواء العملي للخلل ٢٩٠
البحث الثاني في خصوصيّات باقي الصلوات ٢٩٦
الأُولى: صلاة الجمعة ٢٩٦
الثانية: صلاة العيد ٣٠٠
الثالثة: صلاة الآيات ٣٠١
الرابعة: صلاة الطواف ٣٠١
الخامسة: صلاة الجنازة ٣٠٢
السادسة: صلاة النذر ٣٠٣

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٤) حقيقة الإيمان

مقدّمة التحقيق ٣٠٧
صور بعض المخطوطات ٣١٢

خطبة الكتاب ٣١٥
المقدّمة ٣١٦
تعريف الإيمان لغة ٣١٦
تعريف الإيمان شرعاً ٣١٩

المقالة الأُولى ٣٢٣
بيان الآراء والمذاهب الواردة في حقيقة الإيمان ٣٢٣
اعتبار اليقين في المعارف ٣٢٦

هل الإيمان هو نفس المعرفة أم غيرها؟ ٣٤٣
مذهب الكراميّة في حقيقة الإيمان والجواب عنه ٣٤٦
مذهب المعتزلة في حقيقة الإيمان والجواب عنه ٣٤٨
مذهب القائلين بأنّ الإيمان فعل الواجبات وترك المحظورات ٣٤٩
مذهب القائلين بأنّ الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان ٣٥١
مذهب القائلين بأنّ الإيمان هو التصديق مع الإقرار باللسان ٣٥٣

المقالة الثانية وفيها أبحاث: ٣٦٠
البحث الأوّل: حقيقة الإيمان هل تقبل الزيادة أم لا؟ ٣٦٠
التوسعة في حقيقة الإيمان ٣٦٦
البحث الثاني: بيان حقيقة الكفر ٣٦٨
البحث الثالث: المؤمن إذا اتّصف بالإيمان الحقيقي هل يمكن أن يكفر أم لا؟ ٣٧١

المقالة الثالثة وفيها مباحث: ٣٧٦
المبحث الأوّل: بيان حقيقة الإسلام ٣٧٦
هل الطاعات معتبرة في حقيقة الإيمان؟ ٣٨٥
كلام الإمام علي عليه السلام في معنى الإسلام ٣٨٦
المبحث الثاني: جواب إلزام يرد على القائلين من الإماميّة بعموم الإسلام مع القول بأنّ الكفر هو عدم الإيمان عمّن من شأنه أن يكون مؤمناً ٣٨٩
المبحث الثالث: حال الإنسان في زمان مهلة النظر والبحث، هل هو كافر أو مؤمن؟ ٣٩١

الخاتمة وفيها مباحث مهمّة: ٣٩٣
المبحث الأوّل: تعيين زمان التكليف بالمعارف الإلهيّة ٣٩٣
تحقيق حول مراتب الإدراك ٣٩٦
المبحث الثاني: بيان معنى الدليل الذي يكفي في حصول المعرفة المحقّقة للإيمان ٣٩٨
المبحث الثالث: بيان المعارف التي يحصل بها الإيمان، وهي خمسة: ٤٠٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الأوّل: معرفة اللّه تعالى ٤٠٠
الثاني: التصديق بعدله ٤٠٣
الثالث: التصديق بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ٤٠٣
الرابع: التصديق بإمامة الاثني عشر (صلوات الله عليهم أجمعين) ٤٠٤
الخامس: المعاد الجسماني ٤١٣
شبهة الآكل والمأكول ٤١٦
الفهارس الفنّيّة ٤١٩
١ ـ فهرس الآيات الكريمة ٤٢١
٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة ٤٣٥
٣ ـ فهرس الأشعار ٤٥٦
٤ ـ فهرس أسماء المعصومين عليهم السلام ٤٥٧
٥ ـ فهرس الأعلام الواردة في المتن ٤٥٩
٦ ـ فهرس الكتب الواردة في المتن ٤٦٧
٧ ـ فهرس مصادر التحقيق ٤٧٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدللّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيّدنا ومولانا أبي القاسم محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

وبعد، بين أيديكم أربعةٌ من مصنّفات الشهيد السعيد، نادرة الخلف وصفوة السلف، الشهيد الثاني (تغمّده اللهُ بغفرانه وأسكَنَه فراديسَ جنانه) استُشْهِدَ عام ٩٦٥. وهي:

١) كشف الريبة عن أحكام الغيبة. حقّقه الشيخ غلامحسين القيصري.

٢) مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأُولاد. حقّقه الشيخ عبّاس المحمّدي.

٣) التنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبية. حقّقه الشيخ عبّاس المحمّدي.

٤) حقيقة الإيمان. حقّقه الشيخ محمّد الحسّون.

وساعد المحقّقون في تحقيق هذه المصنّفات الأربعة ومراجعتها وتخريجها ومقابلتها وإعداد الفهارس، الإخوة الفضلاء: الأستاد أسعد الطيّب، الشيخ علي أوسط الناطقي، السيّد حسين بني‌هاشمي، الشيخ محسن النوروزي، لطيف فرادي، إسماعيل بيك المندلاوي، حسان فرادي، السيّد خليل العابديني، الشيخ رحمة الله كريم‌زاده و رمضان‌علي القرباني.

وأدرجناها في مجلّد واحد لتقارب موضوعها وتسهيل تناولها وما إلى ذلك وأدرجنا رقماً مسلسلاً لها في أعلى الصفحات، ورقماً مستقلاً لكلّ مصنّفٍ في أسفل الصفحات. وعملنا الفهارس الفنيّة لهذه المصنّفات في آخر المجلّد.

وهذا المجلّد هو واحد من سلسلة مصنّفات ومؤلّفات الشهيد الثاني ﷺ.

وقد قلنا فيما سبق إنّ قسم إحياء التراث الإسلامي في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة ـ باقتراح الشيخ رضا المختاري وإرشاداته ـ تصدّى لإحياء و نشر آثار الشهيد الثاني ما عدا مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام والروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة وحاشية الروضة البهيّة، وسَتُنْشر قريباً باقي آثاره بإذن الله تعالى.

وفي الختام نحمد الله تعالى لتوفيقه إيّانا ونشكر جميع من ساعدنا في ذلك وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

قسم إحياء التراث الإسلامي
مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة
١٠ ذي الحجّة ١٤٢١ = ١٣٧٩/١٢/١٦ش

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المصنّفات الأربعة

١) كشف الريبة

٢) مسكّن الفؤاد

٣) التنبيهات العليّة

٤) حقيقة الإيمان

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

للشيخ زين الدين بن علي العاملي
المشهور بالشهيد الثاني

مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة
قسم إحياء التراث الإسلامي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١)

كشف الريبة عن أحكام الغيبة

تحقيق

غلامحسين القيصري

في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدّمة التحقيق

المؤلّف في سطور

ولد العالم الجليل والفقيه النبيل الشيخ زين‌الدين بن عليّ بن أحمد العاملي الشامي المعروف بالشهيد الثاني (قدّس الله نفسه الزكيّة) في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر شوّال سنة ٩١١، واستشهد مقتولاً في شهر رجب سنة ٩٦٥.

قال الشيخ يوسف البحراني في كيفيّة شهادته ومقتله:

> وجدت في بعض الكتب المعتمدة في حكاية قتله (رحمه الله تعالى) ما صورته: قبض [على] شيخنا الشهيد الثاني (طاب ثراه) بمكّة المشرّفة في خامس شهر ربيع الأوّل سنة خمس وستّين وتسعمائة، كان القبض عليه بالمسجد الحرام بعد فراغه من صلاة العصر وأخرجوه إلى بعض دور مكّة، وبقي محبوساً هناك شهراً وعشرة أيّام، ثمّ ساروا به على طريق البحر إلى قسطنطنية وقتلوه بها في تلك السنة، وبقي مطروحاً ثلاثة أيّام، ثمّ ألقوا جسده الشريف في البحر. قدّس الله روحه كما شرّف خاتمته[1].

تتلمذ الشهيد على والده عليّ بن أحمد والشيخ عليّ بن عبدالعالي الميسي والمحقّق الفيلسوف شمس‌الدين محمّد بن مكّي وغيرهم من علماء عصره من الخاصّة والعامّة.

وتتلمذ عليه جمع من العلماء منهم الشيخ عزّالدين حسين بن عبدالصمد والد الشيخ البهائي، والسيّد علي العاملي والد صاحب المدارك، وبهاءالدين محمّد بن عليّ بن الحسن

---

١. لؤلؤة البحرين: ٣٤. وعنه في روضات الجنّات ٣: ٣٨٣؛ ومنية المريد: ١٥٠ مقدّمة التحقيق.

العودي الجزّيني وهو من خواصّ تلاميذه.

وللشهيد الثاني تأليفات قيّمة في موضوعات مختلفة تكشف عن تبحّره في علوم مختلفة. قام مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة بتحقيق و إحياء آثاره إلّا الروضة البهيّة وحاشيتها ومسالك الأفهام، وطبع حتّى الآن أكثرها.

ومن أراد المزيد في ترجمة الشهيد الثاني ﷺ ليراجع مقدّمة التحقيق لغاية المراد ١: ٢٩٥ـ٣١٩؛ ومنية المريد: ٩ ـ ٧٧؛ وروضات الجنّات ٣: ٣٨٣؛ ولؤلؤةالبحرين: ٢٨ ـ ٣٦؛ وبغية المريد في الكشف عن أحوال الشيخ زين‌الدين الشهيد المطبوع ضمن الدرّ المنثور ٢: ١٤٩ـ١٩٨.

الكتاب الذي بين يديك

هو من أهمّ الكتب في موضوعه، وحيد في نوعه، كان مرجعاً للفقهاء والمحدّثين وغيرهم واعتمدوا عليه. وهو من أهمّ مصادر العلّامة المجلسي في بحار الأنوار، ج ٧٢، كتاب العشرة، باب الغيبة، والشيخ العلّامة الأنصاري في المكاسب المحرّمة.

طبعات الكتاب

١ـ طبع في عام ١٣٠٥ طبعة حجريّة بطهران بمعيّة كشف الفوائد وتفسير سورة الأعلى لملّا صدرا.

٢ـ طبع في عام ١٣١٢ طبعة حجريّة بطهران.

٣ـ طبع في عام ١٣١٣ طبعة حجريّة بطهران ضمن مجموعة الإفادات.

٤ـ طبع في عام ١٣٢٠ طبعة حجريّة بطهران بمعيّة محاسبة النفس.

٥ـ طبع في عام ١٣٨٢ طبعة حجريّة بالنجف الأشرف[1].

٦ و٧ـ سيأتي التعريف بها في بيان ما اعتمدنا عليه في تحقيق الكتاب.

---

١. فهرست كتابهاى عربى چاپى (مشار): ٧٤٠.

عملنا في الكتاب

الأوّل: اعتمدنا في تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ:

أ: مخطوطة مكتبة النصيري الخاصّة. وهي بخطّ المؤلّف الشهيد(قدّس الله نفسه الزكيّة) وهذه هي نسخة الأصل في تحقيق الكتاب.

جاء في آخرها:

أفردها من مواضع متعدّدة، وأماكن متبدّدة العبد الفقير إلى الله تعالى زين‌الدين بن عليّ بن أحمد بن تقيّ‌الدين صالح بن مشرف العاملي (تجاوز الله تعالى عن سيّئاته، ووفّقه لمرضاته) وفرغ من تسويدها يوم الخميس ثالث عشرين شهر صفر ختم بالخير سنة تسع وأربعين وتسعمائة من الهجرة الطاهرة، حامداً مصلّياً مسلّماً. وفرغ من هذه النسخة ١٠ ربيع الأوّل سنة ٩٤٨.

ب: مخطوطة مكتبة النصيري الخاصّة أيضاً.

جاء في آخرها:

قد فرغ من تسويدها يوم الخميس السادس من شهر شوّال سنة ألف وثمان على يد أقلّ عباد الله وأحوجهم إلى رحمة ربّه الغنيّ محمّد بن فتح‌الله بن المصطفى(عفي عنهما) بقرية آشتيان من قرى دار السلطنة قزوين.

ج: النسخة المطبوعة ضمن مجموعة تحتوي على عشر رسائل من رسائل الشهيد الثاني. طبعت على الحجر، من منشورات مكتبة بصيرتي.

واستفدنا أيضاً من النسخة المطبوعة بتحقيق السيّد علي الخراساني الكاظمي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٨ وفيها أخطاء نشير إلى بعضها:

١. كشف الريبة: ٤٧: «ويترشّح للرصاصة». والصحيح: «ويترشّح للرياسة».

٢. كشف الريبة: ٥٠: «بآكل لحم أخيه». والصحيح: «بآكل لحم الميتة».

٣. كشف الريبة: ٦٨: «ولا يلوث». والصحيح: «ولا يلوثنّ».

٤. كشف الريبة: ٨٨ أسقط كلاماً وهو: «ومنها أن يعدّ كلّ واحد منهما بأن ينصره ويساعده».

وغير ذلك من الأخطاء الموجودة في هذه الطبعة.

الثاني: بذلنا وسعنا لتخريج الأحاديث والروايات والآراء من مصادرها الأصليّة والإرجاع إليها. ثمّ إن لم نجد المصدر الأصلي أو لم يكن موجوداً أرجعناه إلى المصادر التي نقلت عنه مع رعاية تقدّمه على الشهيد الثاني.

نسأل الله أن يوفّقنا لطاعته والبعد عن المعاصي خصوصاً الغيبة والحسد والنميمة.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

قم المقدّسة ـ غلامحسين القيصري

١١ ذي القعدة ١٤٢١ = ١٣٧٩/١١/١٧

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة مكتبة النصيري الخاصة

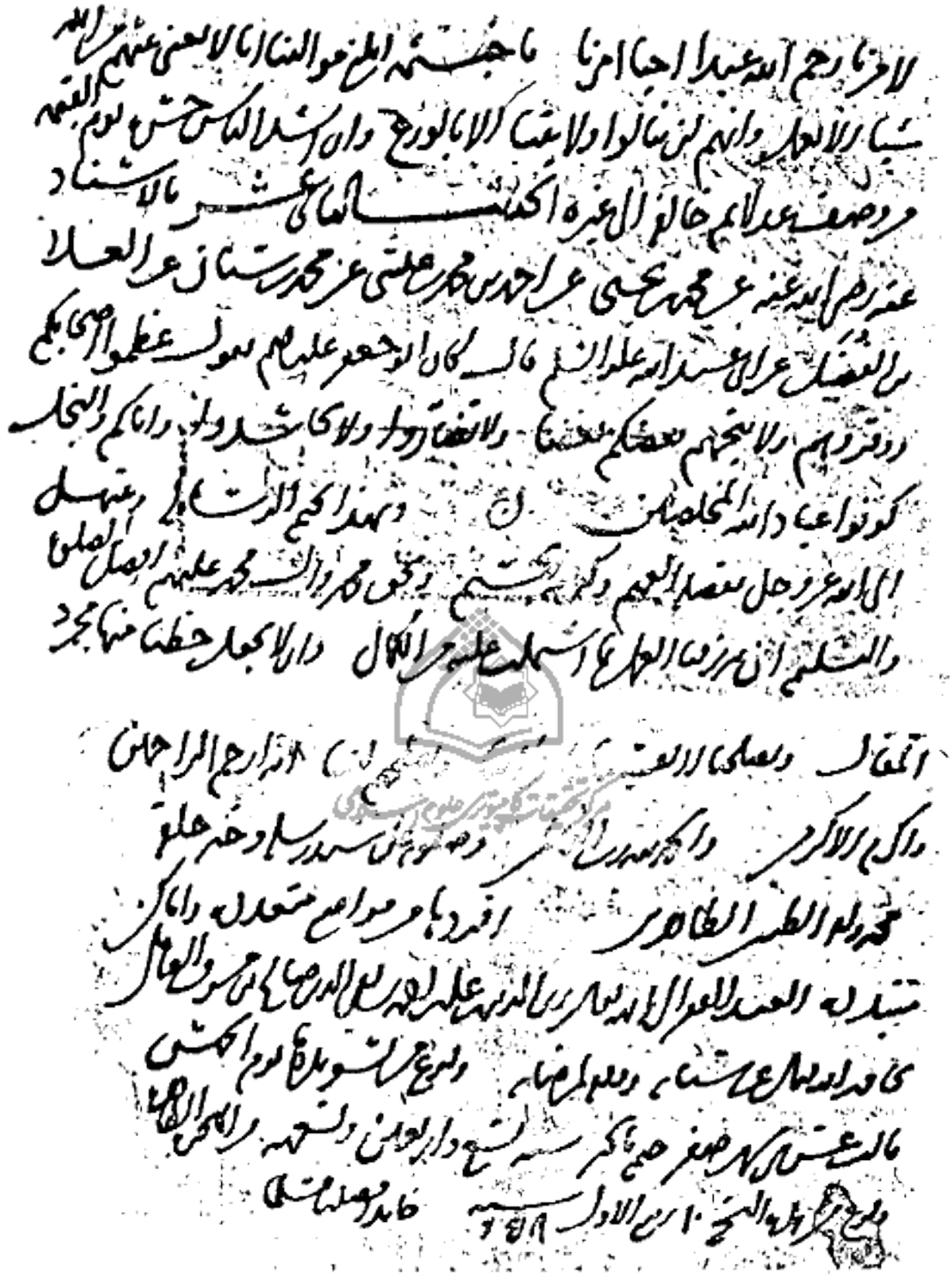

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة النصيري الخاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي طهّر ألسنة أوليائه عن اللغو والغيبة والنميمة، وزكّى نفوسهم عن الأخلاق الدنيئة والشِيَم[1] الذميمة، والصلاة على نبيّه محمّد المصطفى المبعوث بالشريعة الحنيفة[2] والملّة القويمة، وعلى عترته الطاهرة التي هي على منهاجه مقيمة، وبسنّته عليمة، وعن رذائل الأخلاق معصومة، وبمكارمها موسومة.

وبعد، فلمّا رأيت أكثر أهل هذا العصر ممّن يتّسم[3] بالعلم، ويتّصف بالفضل، وينسب إلى العدالة، ويترشّح للرئاسة، يحافظون على أداء الصلوات، والدؤوب[4] في الصيام وكثير من العبادات والقُربات، ويجتنبون جملةً من المحرّمات كالزنا وشرب الخمر ونحوهما من القبائح الظاهرات. ثمّ هم ـ مع ذلك ـ يصرفون كثيراً من أوقاتهم، ويتفكّهون في مجالسهم ومحاوراتهم، ويغذون نفوسهم بتناول أعراض إخوانهم من المؤمنين، ونُظرائهم من المسلمين، ولا يعدّونه من السيّئات، ولا يحذرون معه من مؤاخذة جبّار السماوات.

والسبب المقدم لهم على ذلك دون غيره من المعاصي الواضحات: إمّا الغفلة عن تحريمه

---

١. الشيمة: هي الغريزة والطبيعة والجبلّة، وهي التي خلق الإنسان عليها، والجمع الشِيَم. المصباح المنير ١: ٣٢٩، «ش ى م».

٢. الحنيف كأمير: الصحيح الميل إلى الإسلام، الثابت عليه. وقال الراغب: المائل إلى الاستقامة. تاج العروس ٢٣: ١٧٠، «ح ن ف».

٣. اتّسم الرجل: إذا جعل لنفسه سمةً يعرف بها. لسان العرب ١٢: ٦٣٥، «و س م».

٤. الدأب: الجدّ والتعب والشأن والملازمة للشيء. والدؤوب الملازمة. لسان العرب ١: ٣٦٨ ـ ٣٦٩، «د أ ب».

وما ورد فيه من الوعيد، والمناقشة في الآيات والروايات، وهذا هو السبب الأقلّ لأهل الغَفَلات. وإمّا لأنّ مثل ذلك من المعاصي لا يخلّ عرفاً بمراتبهم ومنازلهم من الرئاسات؛ لخفاء هذا النوع من المنكر على من يرومون المنزلة عنده من أهل الجهالات. ولو وسوس إليهم الشيطان أن اشرَبوا الخمر وازنوا بالمحصنات ما أطاعوه؛ لظهور فُحشه عند العامّة، وسقوط محلّهم به لديهم، بل عند متعاطي الرذائل الفاضحات.

ولو راجعوا عقولهم، واستضاؤوا بأنوار بصائرهم لوجدوا بين المعصيتين فرقاً بعيداً وتفاوتاً شديداً، بل لا نسبة بين المعاصي المستلزمة للإخلال بحقّ الله سبحانه على الخصوص، وبين ما يتعلّق مع ذلك بحقّ العبيد خصوصاً أعراضَهم، فإنّها أجلّ من أموالهم وأشرف. ومتى شرف الشيء عظم الذنبُ في انتهاكه، مع ما يستلزمه من الفساد الكلّي، كما ستقف عليه إن شاء الله.

أحببتُ[1] أن أضع في هذه الرسالة جملة من الكلام على الغيبة، وما ورد فيها من النهي في الكتاب والسنّة والأثر، ودلالة العقل عليه. وسمّيتها كشف الريبة عن أحكام الغيبة. وأتبعتها بما يليق بها من النميمة، وبعض أحكام الحسد. وختمتها بالحثّ على التواصل والتحابب والمراحمة. ورتّبتها على مقدّمةٍ وفصولٍ وخاتمةٍ:

١. جواب «لمّا» في قوله: «وبعد فلمّا رأيتُ أكثر...».

أمّا المقَدِّمة

ففي تعريفها وجملةٍ من الترهيب منها

فنقول: «الغِيبة» ـ بكسر الغين المعجمة، وسكون الياء المثّناة التحتانيّة، وفتح الباء الموحّدة ـ اسم لقولك: «اغتاب فلان فلاناً»، إذا أوقع فيه في غيبته، والمصدر: «الاغتياب»، يقال: «اغتابه اغتياباً»، والاسم: «الغيبة»[1].

هذا بحسب المعنى اللغوي، وأمّا بحسب الاصطلاح فلها تعريفان:

أحدهما: المشهور، وهو: ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره نسبته إليه ممّا يعدّ نقصاناً في العرف بقصد الانتقاص والذمّ.

واحترز بالقيد الأخير ـ وهو قصد الانتقاص ـ عن ذكر العيب للطبيب مثلاً، أو لاستدعاء الرحمة من السلطان في حقّ الزَمِن والأعمى مثلاً بذكر نقصانهما. ويمكن الغناء عنه بقيد كراهية نسبته إليه.

والثاني: التنبيه على ما يكره نسبته إليه. إلى آخره، وهو أعمّ من الأوّل؛ لشمول مورده اللسان والإشارة والحكاية وغيرها، وهو أولى؛ لما سيأتي من عدم قصر الغِيبة على اللسان.

وقد جاء على المشهور، قول النبي صلى الله عليه وآله:

هل تدرون ما الغيبة؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن

---

١. لسان العرب ١: ٦٥٦؛ تاج العروس ٣: ٥٠٠، «غ ى ب».

كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ[١].

وذكر عنده ﷺ رجل فقالوا: ما أعجزَه، فقال ﷺ:

اغتبتم صاحبكم فقالوا: يا رسول الله، قلنا ما فيه، قال: إن قلتم ما ليس فيه فقد بَهَتُّمُوه[٢].

وتحريم الغيبة في الجملة إجماعيّ، بل هي كبيرةٌ موبقةٌ؛ للتصريح بالتوعّد عليها بالخصوص في الكتاب والسنّة، وقد نصّ الله تعالى على ذمّها في كتابه وشبّه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٣].

وقال النبيّ ﷺ:

كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه[٤].

والغيبة تناول العِرض. وقد جمع ﷺ بينه وبين الدم والمال.

وقال:

لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، وكونوا عباد الله إخواناً[٥].

وعن جابر وأبي سعيد الخدري قالا: قال ﷺ:

إيّاكم والغيبة، فإنّ الغيبة أشدّ من الزنا، إنّ الرجل قد يزني فيتوب، فيتوب الله عليه، وإنّ صاحب الغيبة لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبه[٦].

وفي خبر معاذ الطويل المشهور عن النبيّ ﷺ:

أنّ الحفظة تصعد بعمل العبد وله نور كشعاع الشمس، حتّى إذا بلغ السماء الدنيا، والحفظة تستكثر عمله وتزكّيه، فإذا انتهى إلى الباب قال الملك الموكّل بالباب: اضربوا بهذا العمل

---

١. تنبيه الخواطر ١: ١١٨ باب الغيبة؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٤؛ ورواه باختلاف يسيرٍ في اللفظ في صحيح مسلم ٤: ٢٠٠١ / ٢٥٨٩؛ وسنن أبي داود ٤: ٢٦٩ / ٤٨٧٤.

٢. مجمع الزوائد ٨: ٩٤؛ المعجم الكبير ٢٠: ٣٩ / ٥٧؛ الدرّ المنثور ٧: ٥٧٥ ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٤.

٣. الحجرات (٤٩): ١٢.

٤. تنبيه الخواطر ١: ١١٥ باب الغيبة؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٦٨ / ٢٥٦٤؛ سنن أبي داود ٤: ٢٦٨ / ٤٨٨٢؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٨ / ٣٩٣٣؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤١.

٥. تنبيه الخواطر ١: ١١٥؛ إرشاد القلوب ١: ٢٢٩ باب ٣٤؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤١.

٦. تنبيه الخواطر ١: ١١٥؛ باب الغيبة؛ إرشاد القلوب ١: ٢٢٩ باب ٣٤؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤١.

وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة، أمرني ربّي أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني إلى ربّي[١].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

مررت ليلة أُسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت: يا جبرئيل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس، ويقعون في أعراضهم[٢].

وقال البراء: خَطَبَنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها، فقال:

يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنّه من تتبّع عورة أخيه تتّبع الله عورته، ومن تتّبع الله عورته يفضحه في جوف بيته[٣].

وقال سليم بن جابر: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علّمني خيراً ينفعني الله به، قال:

لا تحقّرنّ من المعروف شيئاً، ولو أن تصبّ من دلوك في إناء المستقي، وأن تلقى لأخاك بِبِشْرٍ حَسَن، وإذا أدبر فلا تغتابه[٤].

وعن أنس قال: خَطَبَنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظّم شأنه، فقال:

إنّ الدرهم يصيبه الرجلُ من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستّ وثلاثين زَنْيَةً يزنيها الرجل، وإنّ أربى الربا عِرضُ الرجل المسلم[٥].

وقال جابر: كنّا مع رسول الله ﷺ فأتى على قبرين يعذّب صاحبهما، فقال:

«إنّهما لا يعذّبان في كبيرة: أمّا أحدهما فكان يغتاب الناس، وأمّا الآخر فكان لا يتنزّه من بوله». ودعا بجريدةٍ رَطْبَةٍ أو جريدتين فكسرهما، ثمّ أمر بكلّ كسرة فغُرست على قبرٍ، وقال ﷺ: «أمّا أنّه سيهوّن من عذابهما ما كانتا رَطْبتين. أو: ما لم ييبسا»[٦].

وقال أنس:

---

١. فلاح السائل: ١٢٣؛ عدّة الداعي: ٢٢٨؛ الترغيب والترهيب ١: ٧٤ / ٣٢. بتفاوتٍ في الألفاظ في كلّ المصادر.

٢. تنبيه الخواطر ١: ١١٥؛ باب الغيبة؛ إرشاد القلوب ١: ٢٢٩ باب ٣٤؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤١.

٣. شعب الإيمان ٧: ٥٢١ / ١١١٩٦؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٢؛ ورواه بسندٍ آخر واختلاف في الألفاظ في الكافي ٢: ٣٥٤ / ٢، باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم؛ والمحاسن ١: ١٨٩ / ٣١٥، باب ٤٣؛ وسنن أبي داود ٤: ٢٧٠ / ٤٨٨٠؛ ومرسلاً في الاختصاص: ٢٢٥.

٤. تنبيه الخواطر ١: ١٥٥، باب الغيبة؛ كنز العمّال ٦: ٤٤٠ / ١٦٤٤٥؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤١ ـ ١٤٢.

٥. تنبيه الخواطر ١: ١١٦، باب الغيبة؛ الترغيب والترهيب ٣: ٥٠٣ / ٤؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٢.

٦. تنبيه الخواطر ١: ١١٦ باب الغيبة؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٢.

أمر رسول‌الله ﷺ الناس بصوم يوم وقال: «لا يفطرنّ أحد حتّى آذن له»، فصام الناس حتّى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول‌الله ظللت صائماً فأذن لي لأفطر فيأذن له، والرجل والرجل حتّى جاء رجل فقال: يا رسول‌الله، فتاتان من أهلك ظلّتا صائمتين وإنّهما تستحيان أن تأتياك، فأذن لهما أن تفطرا، فأعرض عنه ، ثمّ عاوده فأعرض عنه، ثمّ عاوده فأعرض عنه، ثمّ عاوده، فقال: «إنّهما لم تصوما، وكيف صام من ظلّ هذا اليوم يأكل لحوم الناس؟! اذهب فمُرهما، إن كانتا صائمتين أن تستقيئا»، فرجع إليهما، فأخبرهما فاستقاءتا، فقاءت كلّ واحدة منهما علقة من دمٍ، فرجع إلى النبيّ ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: «والذي نفس محمّدٍ بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار»[١].

وفي رواية:

أنّه لمّا أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال: يا رسول، إنّهما والله لقد ماتتا، أو كادتا أن تموتا، فقال ﷺ: «ائتوني بهما»، فجاءتا، فدعا بعُسٍّ[٢] أو قدح فقال لإحداهما: «قيئي»، فقاءت من قيح ودم صديد حتّى ملأت القدح، وقال للأُخرى: «قيئي»، فقاءت كذلك، فقال: «إنّ هاتين صامتا عمّا أحلّ الله لهما، وأفطرتا على ما حرّم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأُخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس»[٣].

وروي مرفوعاً:

من أكل لحم أخيه في الدنيا قرّب إليه لحمُه في الآخرة فقيل له: كلْه ميّتاً كما أكلتَه حيّاً، فيأكله ويَضِجُّ ويكلَح[٤ و ٥].

ولمّا رجم رسول الله ﷺ الرجل في الزنا، قال رجل لصاحبه: هذا أقعص[٦] كما يقعص الكلب، فمرّ النبيّ ﷺ معهما بجيفة، فقال: «انهشا منها»، فقالا: يا رسول الله، ننهش جيفة؟ فقال ﷺ: «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»[٧].

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٤٢؛ الدرّ المنثور ٧: ٥٧٤ ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ الترغيب والترهيب ٣: ١٥/٥٠٧.

٢. العُس: القدح الكبير. المعجم الوسيط: ٦٠٠، «ع س س».

٣. إحياء علوم الدين ٣: ١٤٢؛ الدرّ المنثور ٧: ٥٧٢ ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩).

٤. الكُلوح والكُلاح، بدوّ الأسنان عند العبُوس. لسان العرب ٢: ٥٧٤، «ك ل ح».

٥. تنبيه الخواطر ١: ١١٦، باب الغيبة؛ الدرّ المنثور ٧: ٥٧٢ ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٣؛ الترغيب و الترهيب ٣: ٥٠٨ـ٥٠٩ / ١٧.

٦. القَعص: أن يضرب الإنسان فيموت مكانه. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٨٨، «ق ع ص».

٧. تنبيه الخواطر ١: ١١٦، باب الغيبة؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٢ـ١٤٣.

وقال الصادق عليه السلام:

الغيبة حرام على كلّ مسلم، وإنّها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[١].

وروى الصدوق بإسناده إلى الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسقون من الحميم في الجحيم، ينادون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء الأربعة يؤذوننا على ما بنا من الأذى؟! فرجل معلّق عليه تابوت من جمر، ورجل تجري أمعاؤه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه.

فيقال لصاحب التابوت: مابال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟! فيقول: إنّ الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، لم يجد لها نفسه أداءاً ولا وفاءاً.

ثمّ يقال للذي تجري أمعاؤه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟! فيقول: إنّ الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده.

ثمّ يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟! فيقول: إنّ الأبعد كان يحاكي، ينظر إلى كلّ كلمةٍ خبيثةٍ فيسندها ويحاكي بها.

ثمّ يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟! فيقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة، ويمشي بالنّميمة[٢].

وبإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله:

من مشى في غيبة أخيه، وكشف عورته كانت أوّل خطوة خطاها وضعها في جهنّم، وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق[٣].

ومن اغتاب مسلماً بطل صومه، ونقض وضؤوه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحلّ لما حرّم الله[٤].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

١. مصباح الشريعة: ٣٠٩، باب الغيبة.

٢. أمالي الصدوق: ٤٦٥ / ٢٠ المجلس ٨٥؛ عقاب الأعمال: ٢٩٥، عقاب من مات وفي عنقه أموال الناس و...؛ الترغيب والترهيب ٣: ٥٠٧ـ٥٠٨ / ١٥.

٣. عقاب الأعمال: ٣٤٠، باب يجمع عقوبات الأعمال.

٤. عقاب الأعمال: ٣٣٥، باب يجمع عقوبات الأعمال.

الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه[١].

قال: وقال رسول الله ﷺ:

الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ما لم يحدث، قيل: يا رسول الله، وما يحدث؟ قال: الاغتياب[٢].

وروى ابن أبي عمير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

من قال في مؤمن ما رأته عيناه، وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

وعن المفضّل بن عمر قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام:

من روى على مؤمن رواية يريد بها شَيْنه، وهدم مروّته؛ ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان[٤].

وأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى بن عمران:

أنّ المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنّة، وإن لم يتب فهو أوّل من يدخل النار[٥].

و روي:

أنّ عيسى عليه السلام مرّ والحواريون على جيفةِ كلبٍ، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا! فقال عليه السلام: ما أشدّ بياض أسنانه![٦].

كأنّه ينهاهم عن غيبة الكلب، وينبّههم على أنّه لا يذكر من خلق الله إلّا أحسنه.

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[٧]. الهمزة: الطعّان في الناس، واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس[٨].

---

١. الكافي ٢: ٣٥٦ـ٣٥٧ / ١، باب الغيبة والبهت.

٢. الكافي ٢: ٣٥٧ ذيل الحديث ١، باب الغيبة والبهت؛ أمالي الصدوق: ٣٤٢ / ١١، المجلس ٦٥.

٣. الكافي ٢: ٣٥٧ / ٢، باب الغيبة والبهت؛ أمالي الصدوق: ٢٧٦ / ١٦، المجلس ٥٤، والآية في النور (٢٤): ١٩.

٤. الكافي ٢: ٣٥٨ / ١، باب الرواية على المؤمن؛ أمالي الصدوق: ٣٩٣ / ١٧، المجلس ٧٣؛ عقاب الأعمال: ٢٨٧ / ١، عقاب من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه.

٥. مصباح الشريعة: ٣٠٩، باب الغيبة؛ تنبيه الخواطر ١: ١١٦؛ باب الغيبة؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٢.

٦. تنبيه الخواطر ١: ١١٧، باب الغيبة؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٣.

٧. الهمزة (١٠٤): ١.

٨. تنبيه الخواطر ١: ١١٦، باب الغيبة؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٣؛ الدرّ المنثور ٨: ٦٢٤ ذيل الآية ١ من الهمزة (١٠٤).

وقال الحسن: «والله، الغيبة أسرع في دين المرء من الآكلة في جسده»[١].

وقال بعضهم: أدركنا السلف لا يرون العبادة في الصوم، ولا في الصلاة، ولكن في الكفّ عن أعراض الناس[٢].

واعلم أنّ السبب الموجب للتشديد في أمر الغيبة، وجعلها أكبر من كثير من المعاصي الكبيرة، هو اشتمالها على المفاسد الكلّيّة المنافية لغرض الحكيم سبحانه، بخلاف باقي المعاصي فإنّها مستلزمة لمفاسد جزئيّة.

بيان ذلك: أنّ المقاصد المهمّة للشارع اجتماع النفوس على همّ واحد وطريقة واحدة، وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر والنواهي، ولا يتمّ ذلك إلّا بالتعاون والتعاضد بين أبناء النوع الإنساني، وذلك يتوقّف على اجتماع هممهم، وتصافي بواطنهم، واجتماعهم على الألفة والمحبّة حتّى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه، ولن يتمّ ذلك إلّا بنفي الضغائن والأحقاد والحسد ونحوه. وكانت الغيبة من كلّ منهم لأخيه مثيرةً لِبضغْنه، ومستدعية منه بمثلها في حقّه، لا جرم كانت ضد المقصود الكلّي للشارع، فكانت مفسدة كلّيّة؛ فلذلك أكثر الله و رسولهُ من النهي عنها، والوعيد عليها، وبالله التوفيق.

وحيث أتينا على ما يحتاج إليه في المقدّمة، فلنشرع في الفصول:

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٤٣.

٢. إحياء علوم الدين ٣: ١٤٣؛ و قريب منه في تنبيه الخواطر ١: ١١٦، باب الغيبة.

الفصل الأوّل

في أقسامها

لمّا عرفت أنّ المراد منها ذكر أخيك بما يكرهه لو بلغه، أو الإعلام به، أو التنبيه عليه؛ كان ذلك شاملاً لما يتعلّق بنقصان في بدنه، أو نَسَبه، أو خُلقه، أو فعله، أو قوله، أو دينه، أو دنياه حتّى في ثوبه وداره ودابّته. وقد أشار الصادق عليه السلام إلى ذلك بقوله:

وجوه الغيبة تقع بذكر عيب في الخَلق، والفعل، والمعاملة، والمذهب، والجهل، وأشباهه[1].

فالبدن، كذكرك فيه العَمَش[2]، والحَوَل، والعور، والقَرَع، والقصر، والطول، والسواد، والصُفرة، وجميع ما يتصوّر أن يوصف به ما يكرهه.

وأمّا النسب، فأن تقول: أبوه فاسق، أو خبيث، أو خسيس، أو إسكاف، أو تاجر، أو حائك، أو جاهل، أو نحو ذلك ممّا يكرهه كيف كان.

وأمّا الخُلق، بأن تقول: إنّه سيّء الخُلق، بخيل، متكبّر، مراءٍ، شديد الغضب، جبان، ضعيف القلب، ونحو ذلك.

وأمّا في أفعاله المتعلّقة بالدين، كقولك: سارق، كذّاب، شارب الخمر، خائن، ظالم،

---

١. مصباح الشريعة: ٣٠٩ باب الغيبة. لفظ الحديث في المصدر هكذا: «ووجوه الغيبة تقع بذكر عيبٍ في الخَلْق والخُلق، والفعل و...».

٢. عَمِشَتِ العين عَمَشاً، من باب تَعِبَ: سال دمعها في أكثر الأوقات مع ضعف البصر. فالرجل أعمش، والأُنثى عمشاء. المصباح المنير ٢: ٤٢٩، «ع م ش».

متهاون بالصلاة، لا يحسن الركوع والسجود، لا يحترز من النجاسات، ليس بارّاً بوالديه، لا يحرس نفسه من الغيبة والتعرّض لأعراض الناس.

وأمّا فعله المتعلّق بالدنيا، كقولك: قليل الأدب، متهاون بالناس، لا يرى لأحدٍ عليه حقّاً، كثير الكلام، كثير الأكل، نؤوم، يجلس في غير موضعه، ونحو ذلك.

وأمّا في ثوبه، كقولك: إنّه واسع الكُمّ، طويل الذيل، وَسِخ الثياب، ونحو ذلك.

واعلم أنّ ذلك لا يقصر على اللسان، بل التلفّظ به إنّما حرّم؛ لأنّ فيه تفهيم الغير نقصان أخيك، وتعريفه بما يكرهه، فالتعريضُ به كالتصريح، والفعل فيه كالقول والإشارة والرمز والإيماء والغمز[١] واللمز[٢] والكِتْبة والحركة، وكلّ ما يُفهِم المقصود داخل في الغِيبة، مساوٍ للّسان في المعنى الذي حرّم التلفّظ به لأجله.

ومن ذلك ما روي عن عائشة، أنّها قالت: دخلت علينا امرأة فلمّا ولّت أومأتُ بيدي، أي قصيرة، فقال ﷺ: «اغتبتها»[٣].

ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو كما يمشي، فهو غيبة بل أشدّ من الغيبة؛ لأنّه أعظم في التصوير والتفهيم، وكذلك الغِيبة بالكتاب، فإنّ الكتاب ـ كما قيل ـ أحد اللسانين.

ومن ذلك ذكر المصنّف شخصاً معيّناً، وتهجين كلامه في الكتاب، إلّا أن يقترن به شيءٌ من الأعذار المُحوِجة إلى ذكره كمسائل الاجتهاد التي لا يتمّ الغرض من الفتوى وإقامة الدليل على المطلوب إلّا بتزييف كلام الغير، ونحو ذلك. ويجب الاقتصار على ما تندفع به الحاجة في ذلك.

وليس منه قوله: «قال قوم كذا» ما لم يصرّح بشخص معيّن.

ومنها: أن يقول الإنسان: «بعض من مرّ بنا اليوم» أو «بعض من رأيناه حاله كذا» إذا كان المخاطب يفهم منه شخصاً معيّناً؛ لأنّ المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم، فأمّا إذا لم يفهم عنه

---

١. الغمز: الإشارة بالعين والحاجب والجفن. لسان العرب ٥: ٣٨٨، «غ م ز».

٢. اللمز: العيب في الوجه. وقال الفرّاء: الهَمْزُ واللَّمْزُ والمَـزْزُ واللَّـقسُ والنَـقْس: العـيب. وأصـله الإشـارة بـالعين ونحوها، كالرأس والشفة مع كلام خفيّ. تاج العروس ١٥: ٣٢١، «ل م ز».

٣. تنبيه الخواطر ١: ١١٨، باب الغيبة؛ الدرّ المنثور ٧: ٥٧٥ ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩).

جاز. كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً، قال: «ما بال أقوامٍ يفعلون كذا و كذا!»[١] ولا يعيّن.

ومن أخبث أنواع الغيبة غيبة المتّسمين بالفهم والعلم المرائين، فإنّهم يُفْهِمون المقصود على صُنع أهل الصلاح والتّقوى؛ ليُظهروا من أنفسهم التعفّف عن الغيبة، ويفهمون المقصودَ، ولا يدرون ـ لجهلهم ـ أنّهم جمعوا بين فاحشتين: الرياء، والغيبة.

وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان، فيقول: «الحمد للّه الذي لم يبتلنا بحبّ الرئاسة، أو بحبّ الدنيا، أو بالتكيّف بالكيفيّة الفلانيّة»، أو يقول: «نعوذ بالله من قلّة الحياء، أو سوء التوفيق، أو نسأل الله أن يعصمنا من كذا»، بل مجرّد الحمد على شيء إذا علم منه اتّصاف المحدّث عنه بما ينافيه ونحو ذلك؛ فإنّه يغتابه بلفظ الدعاء، وسِمَةِ أهل الصلاح، وإنّما قصده أن يذكر عيبه بضرب من الكلام المشتمل على الغيبة والرياء، ودعوى الخلاص من الرذائل، وهو عنوان الوقوع فيها، بل في أفحشها.

ومن ذلك أنّه قد يقدّم مدحَ من يريد غيبته، فيقول: «ما أحسن أحوال فلان! ما كان يقصر في العبادات، ولكن قد اعتراه فتور، وابتلي بما يبتلى به كُلّنا، وهو قلّة الصبر»، فيذكر نفسه بالذمّ، ومقصوده أن يذمّ غيره وأن يمدح نفسه بالتشبّه بالصالحين في ذمّ أنفسهم، فيكون مغتاباً، مرائياً، مزكّياً نفسه، فيجمع بين ثلاث فواحش، وهو يظنّ بجهله أنّه من الصالحين المتعفّفين عن الغيبة.

هكذا يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعلم أو العمل من غير أن يتقنوا الطريق، فيتعبهم، ويحبط بمكائده عملهم، ويضحك عليهم، ويسخر بهم.

ومن ذلك أن يذكر ذاكر عيب إنسان، فلا ينتبه له بعض الحاضرين، فيقول: «سبحان الله ما أعجب هذا!» حتّى يصغي الغافل إلى المغتاب، ويعلم ما يقول، فيذكر الله سبحانه، ويستعمل اسمه آلة في تحقيق خبثه و باطله، وهو يمنّ على الله بذكره جهلاً وغروراً.

ومن ذلك أن يقول: «جرى من فلان كذا»، أو «ابتلي بكذا»، بل يقول: «جرى لصاحبنا ـ أو صديقنا ـ كذا تاب الله علينا و عليه»، يظهر الدعاء له، و التألّم والصداقة والصحبة، والله

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٤٥؛ و قريب منه في سنن أبي داود ٤: ٢٥٠ / ٤٧٨٨.

مطّلع على خبث سريرته وفساد ضميره، وهو بجهله لا يدري أنّه قد تعرّض لمقتٍ أعظم ممّا يتعرّض له الجُهّال إذا جاهروا بالغيبة.

ومن أقسامها الخفيّة الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجّب، فإنّه إنّما يُظهر التعجّب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيزيد فيها، فكأنّه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق، فيقول: «عجبت ممّا ذكرته، ما كنت أعلم بذلك إلى الآن، ما كنت أعرف من فلان ذلك»، يريد بذلك تصديق المغتاب واستدعاء الزيادة منه باللطف، والتصديق بها غيبة، بل الإصغاء إليها، بل السكوت عند سماعها.

قال رسول الله ﷺ: «المستمع أحد المغتابين»[1]. وقال عليّ عليه السلام: «السامع للغيبة أحد المغتابين»[2]. ومراده عليه السلام، السامع على قصد الرضى والإيثار لا على وجه الاتّفاق، أو مع القدرة على الإنكار ولم يفعل.

ووجه كون المستمع والسامع على ذلك الوجه مغتابين، مشاركتهما للمغتاب في الرضى، وتكيّف ذهنهما بالتصورات المذمومة التي لا تنبغي، وإن اختلفا في أنّ أحدهما قائل والآخر قابل، لكن كلّ واحد منهما صاحب آلة. أمّا أحدهما، فذو لسان يعبّر عن نفس قد تنجّست بتصور الكذب والحرام والعزم عليه، وأمّا الآخر فذو سمع تقبل عنه النفس تلك الآثار عن إيثارٍ وسوء اختيار تتألّفها وتعتادها، فيتمكّن من جوهرها سموم عقارب الباطل، ومن ذلك قيل: «السامع شريك القائل»[3].

وقد تقدّم في الخبر السالف ما يدلّ عليه حيث قال للرجلين اللذين قال أحدهما: أقعص الرجل كما يقعص الكلب: «انهشا من هذه الجيفة»[4]. فجمع بينهما، مع أنّ أحدهما قائل والآخر سامع، فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلّا بأن يُنكر بلسانه، فإن خاف فبقلبه. وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه. ولو قال بلسانه: «اسكت» وهو

---

١. تنبيه الخواطر ١: ١١٩، باب الغيبة؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٦.

٢. شرح غرر الحكم ٢: ١٢ / ١٦٠٧.

٣. في إحياء علوم الدين ٣: ١٤٥ ـ ١٤٦؛ تنبيه الخواطر ١: ١١٩، باب الغيبة: «والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب».

٤. تقدّم في ص ٣٢.

يشتهي ذلك بقلبه فذلك نفاق وفاحشة أخرى زائدة لا يخرجه عن الإثم ما لم يكرهه بقلبه.

وقد روي عن النبيّ ﷺ، أنّه قال:

من أُذلّ عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره، أذلّه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق[١].

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:

من ردّ عن عِرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله تعالى أن يردّ عن عِرضه يوم القيامة[٢].

وقال أيضاً:

من ذبّ عن عِرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله أن يعتقه من النار[٣].

وروى الصدوق بإسناده إلى رسول الله ﷺ أنّه قال:

من تطوّل على أخيه في غيبة سمعها عنه في مجلس فردّها عنه ردّ الله عنه ألف باب من الشرّ في الدنيا والآخرة، وإن هو لم يردّها وهو قادر على ردّها كان عليه كوِزر من اغتابه سبعين مرّة[٤].

وبإسناده إلى الباقر عليه السلام أنّه قال:

من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه خفضه الله في الدنيا والآخرة[٥].

واعلم أنّه كما يحرم على الإنسان سوء القول في المؤمن، وأن يحدّث غيره بلسانه بمساوئ الغير، كذلك يحرم عليه سوء الظن، وأن يحدّث نفسه بذلك. والمراد بسوء الظنّ المحرّم: عقد القلب، وحكمه عليه بالسوء من غير يقين به.

وأمّا الخواطر وحديث النفس فهو معفوّ عنه، كما أنّ الشكّ أيضاً معفوّ عنه. قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٦]، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً، إلّا إذا

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٤٦.

٢. تنبيه الخواطر ١: ١١٩، باب الغيبة؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٦.

٣. تنبيه الخواطر ١: ١١٩، باب الغيبة، إحياء علوم الدين ٣: ١٤٦، الترغيب والترهيب ٣: ٥١٦ ـ ٥١٧ / ٣٦.

٤. الفقيه ٤: ٨ ـ ٩ / ١؛ أمالي الصدوق: ١/٣٥٠، المجلس ٦٦.

٥. ثواب الأعمال: ١٧٧ ـ ١٧٨ / ٢؛ عقاب الأعمال: ٢٩٩ / ١.

٦. الحجرات (٤٩): ١٢.

انكشف لك بعَيانٍ لا يحتمل التأويل، وما لم تعلمه ثمّ وقع في قلبك فالشيطان يُلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه، فإنّه أفسق الفسّاق، وقد قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ﴾[1]، فلا يجوز تصديق إبليس.

ومن هنا جاء في الشرع: أنّ من علمت في فيه رائحة الخمر لا يجوز أن تحكم عليه بشربها، ولا تحدّه عليه؛ لإمكان أن يكون تمضمض به ومجّه، أو حمل عليه قهراً، وذلك أمر ممكن، فلا يجوز إساءة الظنّ بالمسلم، وقد قال [النبيّ] صلى الله عليه وآله:

إنّ الله تعالى حرّم من المسلم دمه، وماله، وأن يظنّ به ظنّ السوء[2].

فلا يستباح ظنّ السوء إلّا بما يستباح به الدم والمال، وهو تيقّن مشاهدة، أو بيّنة عادلة، أو ما جرى مجراهما من الأمور المفيدة لليقين، أو الثبوت الشرعي.

وعن أبي عبدالله عليه السلام:

إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه، كما ينماث الملح في الماء[3].

وعنه عليه السلام:

من اتّهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما[4].

وعنه عليه السلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً[5].

وطريق معرفة ما يخطر في القلب من ذلك ـ هل هو ظنّ سوء، أو اختلاج وشكّ ـ أن تختبر نفسك، فإن كانت قد تغيّرت، ونفر قلبك عنه نفوراً واستثقله، وفتر عن مراعاته، وتفقّده، وإكرامه، والاهتمام بحاله، والاغتمام بسببه غير ما كان أوّلاً، فهو أمارة عقد الظنّ. وقد قال صلى الله عليه وآله:

---

١. الحجرات (٤٩): ٦.

٢. إحياء علوم الدين ٣: ١٥١؛ تنبيه الخواطر ١: ٥٢، باب الظنّ.

٣. الكافي ٢: ٣٦١ / ١، باب التهمة وسوء الظنّ.

٤. الكافي ٢: ٣٦١ / ٢، باب التهمة وسوء الظنّ.

٥. الكافي ٢: ٣٦٢ / ٣، باب التهمة وسوء الظنّ.

ثلاثة في المؤمن وله منهنّ مخرج، فمخرجه من سوء الظنّ أن لا يحقّقه[١].

أي لا يحقّق في نفسه بعقد ولا فعل، لا في القلب ولا في الجوارح، أمّا في القلب فبتغيّره إلى النفرة والكراهة، وفي الجوارح بالعلم بموجبه.

والذي ينبغي فعله عند خطور خاطر سوء على مؤمن، أن يزيد في مراعاته ويدعو له بالخير؛ فإنّ ذلك يقنط الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك بعد ذلك خاطر سوء خيفةً من اشتغالك بالدعاء والمراعاة، وهو ضدّ مقصوده.

ومهما عرفت هفوة من مؤمن فانصحه في السرّ، ولا يخدعنّك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه. وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطّلاعك على نقصه؛ لينظر إليك بعين التعظيم، وتنظر إليه بعين الاستصغار، وترتفع عنه بدالّة[٢] الوعظ، بل يكن قصدك تخليصه من الإثم، وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان، وينبغي أن تخطر بقلبك أنّ تركه ذلك من غير نصيحتك أحبّ إليك من تركه بالنصيحة، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ، وأجر الغمّ بمصيبته، وأجر الإعانة له على دينه.

ومن ثمرات سوء الظن التجسّس، فإنّ القلب لا يقنع بالظنّ ويطلب التحقيق، فيشتغل بالتجسّس، وهو أيضاً منهيّ عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[٣]، وقد نهى الله سبحانه في هذه الآية الواحدة عن الغيبة وسوء الظنّ والتجسّس.

ومعنى التجسّس: أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله تعالى، فتتوصّل إلى الاطّلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستوراً عنك كان أسلم لقلبك ولدينك، فتدبّر ذلك راشداً، وبالله التوفيق.

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٢.

٢. يقال هي تَدِلُّ أي تجترئ عليه. لسان العرب ١١: ٢٤٧.

٣. الحجرات (٤٩): ١٢.

الفصل الثاني

في العلاج الذي يمنع الإنسان عن الغيبَة

اعلم أنّ مساوئ الأخلاق كلّها، إنّما تعالج بمعجون العلم والعمل، وإنّما علاج كلّ علّة بمضادّ سببها؛ فلنبحث عن سبب الغيبة أوّلاً، ثمّ نذكر علاج كفّ اللسان عنها على وجه يناسب تلك الأسباب، فنقول:

جملة ما ذكروه من الأسباب الباعثة على الغيبة عشرة أشياء، قد نبّه الصادق عليه السلام عليها إجمالاً بقوله:

أصل الغيبة يتنوّع بعشرة أنواع: شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتصديق خبر بلا كشفه، وتهمة، وسوء ظنّ، وحسد، وسُخرية، وتعجّب، وتبرّم، وتزيّن[1].

ونحن نشير إليها مفصّلة:

الأوّل: تشفّي الغيظ، وذلك إذا جرى سببٌ غضب به عليه، فإذا هاج غضبه تشفّى بذكر مساوئه، وسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن دين وازع[2]. وقد يمتنع من تشفّي الغيظ عند الغضب، فيتحقّق الغضب في الباطن، ويصير حقداً ثابتاً، ويكون سبباً دائماً لذكر المساوئ، فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة.

الثاني: موافقة الأقران، ومجاملة الرفقاء، ومساعدتهم على الكلام، فإنّهم إذا كانوا

---

١. مصباح الشريعة: ٣٠٩ ـ ٣١٠، في المصدر: «ومساءة قوم» بدل «ومساعدة قوم».

٢. وزع الإنسانَ وغيره: كفّه ومنعه وحبسه وزجره ونهاه. المعجم الوسيط: ١٠٢٨، «وزع».

يتفكّهون بذكر الأعراض، فيرى أنّه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه، فيساعدهم، ويرى ذلك من حسن المعاشرة، ويظنّ أنّه مجاملة في الصحبة. وقد يغضب رفقاؤه، فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السرّاء والضرّاء، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوئ.

الثالث: أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده، ويطول لسانه فيه، ويقبّح حاله عند محتشم، أو يشهد عليه بشهادة، فيبادر قبل ذلك ويطعن فيه؛ ليسقط أثر شهادته وفعله. أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقاً؛ ليكذب عليه بعده، فيروّج كذبه بالصدق الأوّل، ويستشهد به، ويقول: «ما من عادتي الكذب، فإنّي أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت».

الرابع: أن يُنسبَ إلى شيء فيريد أن يتبرّأ منه، فيذكر الذي فعله، وكان من حقّه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله، ولا ينسب غيره إليه، أو يذكر غيره بأنّه كان مشاركاً له في الفعل؛ ليمهّد بذلك عذر نفسه في فعله.

الخامس: إرادة التصنّع والمباهاة، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: «فلان جاهل، وفهمه ركيك، وكلامه ضعيف»، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه، ويريهم أنّه أفضل منه، أو يحذر أن يعظّم مثل تعظيمه، فيقدح فيه لذلك.

السادس: الحسد، وهو أنّه ربما يحسد من يثني الناس عليه، يحبّونه ويكرمونه، فيريد زوال تلك النعمة عنه، ولا يجد سبيلاً إليه إلّا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتّى يكفّوا عن إكرامه والثناء عليه؛ لأنّه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه و إكرامهم له، وهذا هو الحسد، وهو عين الغضب والحقد. والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق.

السابع: اللعب والهزل والمطايبة، وتزجية الوقت بالضحك، فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجّب والتعجيب.

الثامن: السخرية والاستهزاء استحقاراً له، فإنّ ذلك قد يجري في الحضور، فيجري أيضاً في الغيبة. ومنشؤه التكبّر، واستصغار المستهزأ به.

التاسع: وهو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواصّ وأهل الحذر من مزالّ اللسان، وهو

أن يغتمّ بسبب ما يُبتَلَى به أحد، فيقول: «يا مسكين فلان قد غمّني أمره، وما ابتُلِي به»، ويذكر سبب الغمّ. فيكون صادقاً في اغتمامه، ويلهيه الغمّ عن الحذر عن ذكر اسمه، فيذكره بما يكرهه، فيصير به مغتاباً، فيكون غمّه ورحمته خيراً، ولكنّه ساقه إلى شرّ من حيث لا يدري. والترحّم والتغمّم ممكن من دون ذكر اسمه ونسبته إلى ما يكره، فيهيّجه الشيطان على ذكر اسمه؛ ليبطل به ثواب اغتمامه وترحّمه.

العاشر: الغضب للّه تعالى، فإنّه قد يغضب على منكر قارفه إنسان، فيظهر غضبه ويذكر اسمه على غير وجه النهي عن المنكر، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه على ذلك الوجه خاصّة. وهذا ممّا يقع فيه الخواصّ أيضاً، فإنّهم يظنّون أنّ الغضب إذا كان للّه تعالى كان عذراً كيف كان، وليس كذلك.

إذا عرفت هذه الوجوه التي هي أسباب الغيبة، فاعلم أنّ الطريق في علاج كفّ اللسان عن الغيبة يقع على وجهين: **أحدهما**: على الجملة، والآخر: على التفصيل.

أمّا على الجملة: فهو أن يعلم تعرّضه لسخط الله تعالى بغيبته، كما قد سمعته في الأخبار المتقدّمة. وأن يعلم أنّها تحبط حسناته، فإنّها تنقل في القيامة حسناته إلى من اغتابه، بدلاً عما أخذ من عِرضه، فإن لم يكن له حسنات نقل إليه من سيّئاته، وهو مع ذلك متعرّض لمقت الله تعالى، ومشبّه عنده بآكل الميتة. وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

ما النار في اليَبْس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد[1].

وروي أنّ رجلاً قال لبعض الفضلاء: «بلغني أنّك تغتابني»، فقال: «ما بلغ من قدرك عندي أن أُحكِّمك في حسناتي»[2].

فمهما آمن العبد بما وردت به الأخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة، خوفاً من ذلك.

وينفعه أيضاً أن يتدبّر في نفسه، فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه، وذكر قوله ﷺ:

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس[3].

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٤٨.

٢. إحياء علوم الدين ٣: ١٤٨.

٣. تنبيه الخواطر ١: ١٢٠ باب الغيبة؛ إرشاد القلوب ١: ٢٣٠، الباب ٣٤؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٨؛ وعن عليّ عليه السلام في نهج البلاغة: ٣٤٠، الخطبة ١٧٦.

ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك نفسه ويذمّ غيره، بل ينبغي أن يعلم أنّ عجز غيره عن نفسه في التنزّه عن ذلك العيب، كعجزه إن كان ذلك عيباً يتعلّق بفعله واختياره، وإن كان أمراً خلقياً فالذمّ له ذمّ للخالق، فإنّ من ذمّ صنعة فقد ذمّ الصانع.قال رجل لبعض الحكماء: «يا قبيح الوجه»، فقال: «ما كان خلق وجهي إليّ فأُحسّنه»[١].

وإن لم يجد عيباً في نفسه فليشكر الله، ولا يلوثنّ نفسه بأعظم العيوب، فإنّ ثَلْبَ الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب، فيصير حينئذٍ ذا عيوب، بل لو أنصف من نفسه لعلم أنّ ظنّه بنفسه أنّه بريء من كلّ عيب جهل بنفسه، وهو من أعظم العيوب.

وينفعه أن يعلم أنّ تألّم غيره بغيبته كتألّمه بغيبة غيره له، فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه، فهذه معالجات جُمليّة.

فأمّا التفصيل: فهو أن ينظر إلى السبب الباعث له على الغيبة ويعالجه، فإنّ علاج العلّة بقطع سببها. وقد عرفت الأسباب الباعثة:

أما الغضب: فتعالجه بأن تقول: إن أمضيت غضبي عليه لعلّ الله يمضي غضبه عليّ بسبب الغيبة؛ إذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره. وقال ﷺ:

إنّ لجهنّم باباً لا يدخلها إلّا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى[٢].

وقال ﷺ:

من اتقى ربّه كَلَّ لسانه، ولم يشف غيظه[٣].

وقال ﷺ:

من كظم غيظاً، وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتّى يخيّره الله في أيّ الحور شاء.[٤]

وفي بعض كتب الله تعالى:

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٤٨.

٢. تنبيه الخواطر ١: ١٢١، باب الغيبة؛ إرشاد القلوب ١: ٢٣٠، الباب ٣٤؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٩.

٣. تنبيه الخواطر ١: ١٢١، باب الغيبة؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٩.

٤. تنبيه الخواطر ١: ١٢١، باب الغيبة؛ سنن الترمذي ٤: ٣٧٢ / ٢٠٢١؛ سنن أبي داود ٤: ٢٤٨ / ٤٧٧٧؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٤٠٠ / ٤١٨٦؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٩.

يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق[١].

وأما الموافقة: فبأن تعلم أنّ الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضى المخلوقين، فكيف ترضى لنفسك أن توقّر غيرك وتحقّر مولاك، فتترك رضاه لرضاهم، إلّا أن يكون غضبك للّه تعالى؟ وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء، بل ينبغي أن تغضب للّه أيضاً على رفقائك إذ ذكروه بالسوء، فإنّهم عصوا ربّك بأفحش الذنوب، وهو الغيبة.

وأمّا تنزيه النفس بنسبة الخيانة إلى الغير حيث يُستغنى عن ذكر الغير، فتعالجه بأن تعرف أنّ التعرّض لمقت الخالق أشدّ من التعرّض لمقت الخلق، وأنت بالغيبة متعرّض لسخط الله تعالى يقيناً، ولا تدري أنّك تتخلّص من سخط الناس أم لا، فتخلّص نفسك في الدنيا بالتوهّم، وتهلك في الآخرة، أو تخسر حسناتك بالحقيقة، وتحصّل ذمّ الله نقداً، وتنتظر دفع ذمّ الخلق نسيئةً، وهذا غاية الجهل والخذلان.

وأما عذرك، كقولك: «إنّي إن أكلت الحرام ففلان يأكل، وإن فعلت كذا ففلان يفعل، وإن قصّرت في كذا من الطاعة ففلان مقصّر» ونحو ذلك، فهذا جهل؛ لأنّك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به، فإنّ من خالف أمر الله لا يُقتدى به، كائناً من كان. ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه، ولو وافقته سفه عقلك. فما ذكرته غيبة وزيادة معصيةٍ أضفتها إلى ما اعتذرت عنه، وسجّلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك، وكنت كالشاة تنظر إلى العنز تردّي نفسها من الجبل، فهي أيضاً تردّي نفسها، ولو كان لها لسان وصرحتْ بالعذر، وقالت: «العنز أكيس مني، وقد أهلك نفسه فكذلك أفعل» لكنت تضحك من جهلها، وحالك مثل حالها، ثمّ لا تتعجّب ولا تضحك من نفسك.

وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك، فينبغي أن تعلم أنّك بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله تعالى، وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر. وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثَلْب الناس، فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما

---

١. تنبيه الخواطر ١: ١٢١، باب الغيبة؛ إرشاد القلوب ١: ٢٣١، الباب ٣٤؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٤٩.

عند المخلوق وهماً، ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً.

وأمّا الغيبة للحسد، فهو جمع بين عذابين؛ لأنّك حسدته على نعمة الدنيا، وكنت معذّباً بالحسد، فما قنعت بذلك حتّى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسراً في الدنيا، فجعلت نفسك خاسرة في الآخرة؛ لتجمع بين النكالين، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك، وأهديت إليه حسنتك، فإذن أنت صديقه، وعدوّ نفسك؛ إذ لا تضرّه غيبتك، و تضرّك وتنفعه؛ إذ تنقل إليه حسنتك أو تنقل إليك سيّئته ولا ينفعك، فقد جمعت إلى خبث الحسد جهد الحماقة. وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك، فقد قيل:

وإذا أَراد اللـهُ نَشْـرَ فَـضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتاحَ لها لِسانَ حَسُودِ[1]

وأمّا الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة، فلو تفكّرت في حسرتك وحياتك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيّئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك، ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منه، فأنت سخرت به عند نفر قليل، وعرّضت نفسك لأن يأخذ بيدك في القيامة على ملإ من الناس، ويسوقك تحت سيّئاته كما يساق الحمار إلى النار، مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك، ومسروراً بنصرة الله تعالى إيّاه وتسليطه على الانتقام.

وأمّا الرحمة له على إثمة فهو حسن، ولكن حسدك إبليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك، فيكون جبراً لإثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً، وتنقلب أنت مستحقّاً لأن تكون مرحوماً؛ إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك.

وكذلك الغضب للّه تعالى لا يوجب الغيبة، فإنّما حبّب الشيطان إليك الغيبة؛ ليحبط أجر غضبك، وتصير معرضاً لغضب الله تعالى بالغيبة.

وبالجملة: فعلاج جميع ذلك المعرفة، والتحقّق بهذه الأُمور التي هي من أبواب الإيمان، فمن قوّى إيمانه بجميع ذلك انكفّ عن الغيبة لا محالة.

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٠.

الفصل الثالث

في الأعذار المرخّصة في الغيبة

اعلم أنّ المرخّص في ذكر مساءة الغير، هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصّل إليه إلّا به، فيدفع ذلك إثم الغيبة. وقد حصروها في عشرة:

الأوّل: التظلّم، فإنّ من ذكر قاضياً بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً، فأمّا المظلوم من جهة القاضي، فله أن يتظلّم إلى من يرجو منه إزالة ظلمه، وينسب القاضي إلى الظلم؛ إذ لا يمكنه استيفاء حقّه إلّا به. وقد قال ﷺ:

لصاحب الحقّ مقال[1].

وقال ﷺ:

مطْل الغنيّ ظلم[2].

وقال ﷺ:

مَطْل الواجد يُحلّ عِرضَه وعقوبتَه[3].

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى منهج الصلاح. ومرجع الأمر في

---

١. صحيح البخاري ٢: ٢١٨٣؛ سنن الترمذي ٣: ٦٠٨ / ١٣١٧؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٢.

٢. الفقيه ٤: ٢٧٢ ـ ٢٧٣ / ٨٢٨؛ صحيح البخاري ٢: ٧٩٩ / ٢١٦٦ و ٢١٦٧ و ٨٤٥ / ٢٢٧٠؛ سنن ابن ماجة ٢: ٨٠٣ / ٢٤٠٣ و ٢٤٠٤؛ سنن الترمذي ٣: ٦٠٠ ـ ٦٠١ / ١٣٠٨ و ١٣٠٩ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٢.

٣. أمالي الطوسي: ٥٢٠ / ١١٤٦، المجلس ١٨؛ صحيح البخاري ٢: ذيل الحديث ٢٢٧٠؛ سنن ابن ماجة ٢: ٨١١ / ٢٤٢٧؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٢. في جميع المصادر: «ليّ الواجد» بدل «مطْل الواجد».

هذا إلى القصد الصحيح، فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء، كما تقول للمفتي: «قد ظلمني أبي أو أخي، فكيف طريقي في الخلاص؟». والأسلم هنا التعريض بأن يقول: «ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه؟». وقد روي أنّ هنداً قالت للنبيّ ﷺ: إنّ أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي، أفآخذ من غير علمه؟ فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[1]. فذكرت الشحّ والظلم لها وولدها، ولم يزجرها رسول الله ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء.

الرابع: تحذير المسلم من الوقوع في الخطر والشرّ، ونُصْح المستشير، فإذا رأيت متفقّهاً يتلبّس بما ليس من أهله فلك أن تُنبّه الناس على نقصه، وقصوره عمّا يؤهّل نفسه له، وتُنبّههم على الخطر اللاحق لهم بالانقياد إليه.

وكذلك إذا رأيت رجلاً يتردّد إلى فاسق يخفي أمره، وخفتَ عليه من الوقوع بسبب الصحبة فيما لا يوافق الشرع، فلك أن تُنبّهه على فسقه مهما كان الباعث لك الخوف على إفشاء البدعة، وسراية الفسق، وذلك موضع الغرور، والخديعة من الشيطان؛ إذ قد يكون الباعث لك على ذلك هو الحسد له على تلك المنزلة، فيلْبس عليك الشيطان ذلك بإظهار الشّفقة على الخلق.

وكذلك إذا رأيت رجلاً يشتري مملوكاً، وقد عرفت المملوك بعيوب منقصة فلك أن تذكرها للمشتري، فإنّ في سكوتك ضرراً للمشتري، وفي ذكرك ضرراً للعبد، لكن المشتري أولى بالمراعاة. ولتقتصر على العيب المنوط به ذلك الأمر، فلا تذكر في عيب التزويج ما يخلّ بالشركة أو المضاربة أو السفر مثلاً، بل تذكر في كلّ أمر ما يتعلّق بذلك الأمر ولا تجاوزه قاصداً نُصْح المستشير لا الوقيعة. ولو عُلم أنّه يترك التزويج بمجرد قوله: «لا يصلح لك» فهو الواجب، فإن علم أنّه لا ينزجر إلّا بالتصريح بعيبه فله أن يصرّح به. قال النبيّ ﷺ:

أترعون عن ذكر الفاجر حتّى يعرفه الناس؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس[2].

---

١. صحيح البخاري ٢: ٧٦٩ ـ ٧٧٠ / ٢٠٩٧، و ٦: ٢٦٢٦ / ٦٧٥٨؛ سنن ابن ماجة ٢: ٧٦٩ / ٢٢٩٣؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٢.

٢. كنز العمال ٣: ٥٩٥ / ٨٠٧٠؛ الدرّ المنثور ٧: ٥٧٧ ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٣.

وقال ﷺ لفاطمة بنت قيس لمّا شاورته في خُطّابها:

أمّا معاوية فرجل صُعْلُوك[١] لا مال له، وأمّا أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه[٢].

الخامس: الجرح والتعديل للشاهد والراوي، ومن ثَمَّ وضع العلماء كتب الرجال، وقسّموهم إلى الثّقات والمجروحين، وذكروا أسباب الجرح غالباً. ويشترط إخلاص النصيحة في ذلك كما مرّ، بأن يقصد في ذلك حفظ أموال المسلمين، وضبط السنّة، وحمايتها عن الكذب، ولا يكون حامله العداوة والتعصّب، وليس له إلّا ذكر ما يخلّ بالشهادة والرواية منه، ولا يتعرّض لغير ذلك، مثل كونه ابن ملاعنة، أو شبهة، اللّهمّ إلّا أن يكون متظاهراً بالمعصية، كما سيأتي.

السادس: أن يكون المقول فيه مستحقّاً لذلك؛ لتظاهره بسببه كالفاسق المتظاهر بفسقه، بحيث لا يستنكف من أن يذكر بذلك الفعل الذي يرتكبه، فيذكر بما هو فيه، لا بغيره. قال رسول الله ﷺ:

من ألقى جِلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له[٣].

وظاهر الخبر جواز غيبته وإن استنكف من ذكر ذلك الذنب.

وفي جواز اغتياب مطلق الفاسق، احتمال ناشئ من قوله ﷺ:

لا غيبة لفاسق[٤].

وردّ بمنع أصل الحديث[٥]، أو بحمله على فاسق خاصّ، أو على النهيّ وإن كان بصورة الخبر[٦]. وهذا هو الأجود، إلّا أن يتعلّق بذلك غرض دينيّ، ومقصد صحيح يعود على

---

١. الصُعْلُوك: الفقير. المعجم الوسيط: ٥١٥، «ص ع ل ك».

٢. صحيح مسلم ٢: ١١١٤ / ١٤٨٠، باب ٦ من كتاب الطلاق؛ سنن الترمذي ٣: ٤٤٠ ـ ٤٤١ / ١١٣٤؛ كنز العمّال ٣: ٤١١ / ٧١٩٤.

٣. مستدرك الوسائل ٩: ١٢٩ ذيل الحديث ٣ باب ٣٤ من أبواب أحكام العشرة، نقلاً عن لبّ اللباب للقطب الراوندي؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٣؛ الدرّ المنثور ٧: ٥٧٧ ذيل الآية ١٢ من الحجرات (٤٩)؛ كنز العمّال ٣: ٥٩٥ / ٨٠٧٢ و ٨٧١ / ٨٩٨١؛ و رواه الشيخ المفيد عن الرضا عليه السلام في الاختصاص: ٢٤٢.

٤. شرح غرر الحكم ١: ٢٥١ / ١٠١٣؛ كنز العمّال ٣: ٥٩٥ / ٨٠٧١، بتفاوت يسير في اللفظ؛ وقريب منه في أمالي الصدوق: ٤٢ / ٧، المجلس ١٠.

٥. شعب الإيمان ٧: ١٠٩، باب في الستر على أصحاب الفروق؛ تهذيب الفروق ـ المطبوع في هامش الفروق ـ ٤: ٢٣١.

٦. الحامل على النهي هو الشهيد الأوّل في القواعد والفوائد ٢: ١٤٨.

المغتاب، بأن يرجو ارتداعه عن معصيته بذلك، فيلحق بباب النهي عن المنكر.

السابع: أن يكون الإنسان معروفاً باسم يُغْرب عن عيبه، كالأعرج والأعمش، فلا إثم على من يقول ذلك، وقد فعل العلماء ذلك؛ لضرورة التعريف؛ ولأنّه صار بحيث لا يكـره صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهوراً به.

والحقّ أنّ ما ذكره العلماء المعتمدون من ذلك يجوز التعويل فيه على حكايتهم. وأمّـا ذكره عن الأحياء فمشروط بعلم رضى المنسوب إليه به؛ لعموم النهي، وحينئذٍ يخرج عن كونه غيبة. وكيف كان، فلو وجد عنه معدلاً، وأمكنه التعريف بعبارة أُخرى فهو أولى.

الثامن: لو اطّلع العدد الذين يثبت بهم الحدّ أو التعزير على فاحشة جاز ذكـرها عـند الحاكم بصورة الشّهادة في حضرة الفاعل و غيبته، ولا يجوز التعرّض إليها في غير ذلك إلّا أن يتّجه فيه أحد الوجوه الأُخرى.

التاسع: قيل: إذا علم اثنان من رجل معصيةً شاهداها، فأجرى أحدهما ذكرها في غيبة ذلك العاصي جاز؛ لأنّه لا يؤثّر عند السامع شيئاً وإن كان الأولى تنزيه النّفس واللسان عن ذلك لغير غرض من الأغراض المذكورة، خصوصاً مـع احـتمال نسـيان المـقول له لتـلك المعصية، أو خوف اشتهارها عنهما[1].

العاشر: إذا سمع أَحَدٌ مغتاباً لآخر وهو لا يعلم استحقاق المقول عنه للغيبة ولا عدمه، قيل: لا يجب نهي القائل؛ لإمكان استحقاق المقول عنه، فيحمل فعل القائل على الصحّة ما لم يعلم فساده؛ لأنّ ردعه يستلزم انتهاك حرمته، وهو أحد المحرّمين. والأولى التنبيه على ذلك إلى أن يتحقّق المخرج منه؛ لعموم الأدلّة، وترك الاسـتفصال فـيها، وهـو دليـل إرادة العموم، حذراً من الإغراء بالجهل؛ ولأنّ ذلك لو تمّ لتمشّى فيمن يعلم عدم استحقاق المقول عنه بالنسبة إلى السامع؛ لاحتمال اطّلاع القائل على ما يوجب تسويغ مقاله، وهـو يـهدم قاعدة النهيّ عن الغيبة، وهذا الفرد مستثنى من جهة سماع الغيبة، وقد تـقدّم أنّـه إحـدى الغيبتين.

---

١. الفروق ٤: ٢٠٨؛ ونسبه الشهيد الأوّل إلى قائلٍ في القواعد والفوائد ٢: ١٥١ ـ ١٥٢.

و بالجملة: فالتحرّز عنها من دون وجه راجح في فعلها فضلاً عن الإباحة أولى؛ لتتّسم النّفس بالأخلاق الفاضلة. ويؤيّده إطلاق النهيّ فيما تقدم كقوله ﷺ:

هل تدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره[1].

وأمّا مع رجحانها كردّ المبتدعة، وإخزاء الفسقة، والتّنفير منهم، والتّحذير من اتّباعهم، فذلك يوصف بالوجوب مع إمكانه فضلاً عن غيره. والمعتمد في ذلك كلّه على المقاصد، فلا يغفل المستيقظ عن ملاحظة مقصده وإصلاحه، والله الموفّق.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. تقدّم تخريجه في ص ٣٠، الهامش (١).

الفصل الرابع

فيما يلتحق بالغيبة عند التدبّر

وله اسم خاصّ، وقد تعلّق به نهيّ خاصّ.

لمّا عرفت أنّ الغيبة تطلق على ذكر ما يسوء الغير ذكره ويكرهه ولا يؤثره، وعلى التّنبيه عليه بكتابة وإشارة وغيرهما، وعلى حديث النفس به وعقد القلب عليه وإن لم يذكره. دخل في هذا التعريف أفراد أُخر من المواضع المحرّمة على الخصوص، وهي أُمورٌ:

أحدها: النميمة، وهي نقل قول الغير إلى المقول فيه كما تقول: «فلان تكلّم فيك بكذا وكذا» سواء كان نقل ذلك بالقول، أم بالكتابة، أم بالإشارة والرمز؛ وكان ذلك النقل كثيراً مّا يكون متعلّقه نقصاناً، أو عيباً في المحكيّ عنه موجباً لكراهته، أو إعراضه عنه، كان ذلك راجعاً إلى الغيبة أيضاً، فجمع بين معصية الغيبة والنميمة. فلا جرم حسن في هذه الرسالة التنبيه على النميمة، وما ورد فيها من النهي على الخصوص، فإنّها إحدى المعاصي الكبائر كما ستسمعه.

وثانيها: كلام ذي اللسانين الذي يتردّد بين المتخاصمين ونحوهما، ويُكلّم كلّ واحد منهما بكلام يُوافقه، فإنّ ذلك مع ما ورد فيه من النهيّ الخاصّ، يرجع إلى الغيبة بوجهٍ مّا، وإلى النميمة بوجه آخر، بل هو شرّ أقسام النميمة كما سيأتي من قول النبيّ ﷺ:

تجدون شرّ عباد الله يوم القيامة، من يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء، وهؤلاء بحديث هؤلاء[١].

فإنّه كلام يكرهه كلّ واحد منهما لو بلغه. فإنّ الإنسان لا يحبّ من يكلّم خصمه بما يرضيه، ولا من يؤثر معه ما يبغيه، بل هو معدود من جملة الأعداء، فتتعلّق الكراهة لذلك الكلام بكلّ منهما. فلنتكلّم فيه أيضاً على وجه الإيجاز، ونذكر ما ورد فيه من النهي.

وثالثها: الحسد، وهو كراهة النعمة على الغير، ومحبّة زوالها عن المنعَم عليه، وهو مع كونه أيضاً من المحرّمات الخاصّة والمعاصي الكبيرة، يرجع إلى الغيبة القلبية بوجه؛ لأنّه حكم على القلب بشيء يتعلّق بالغير، يكرهه لو سمعه أشدّ كراهة وأبلغها، فيجمع بين معصيتين الحسد والغيبة.

فلنذكر جملة من الكلام فيه، وما ورد فيه من النهي، بل هو أولى الثلاثة بالذكر؛ لكثرة وقوعه في هذا العصر، وابتلاء الخواصّ به، بل هو داؤهم ليس لهم عنه مناص، وأولى ما يهتمّ العاقل به دواء المرض الحاضر.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فيقع الكلام هنا في **مقامات ثلاثة**:

[المقام] الأوّل: النميمة

قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٢]، وقال: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[٣]، قال بعض العلماء: «دلّت هذه الآية على أنّ من لم يكتم الحديث، ومشى بالنميمة ولد زنا؛ لأنّ الزنيم هو الدعيّ»[٤].

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٨؛ وقريب منه في صحيح البخاري ٥: ٢٢٥١ / ٥٧١١، و ٦: ٢٦٢٦ / ٦٧٥٧؛ وسنن أبي داود ٤: ٢٦٨ / ٤٨٧٢؛ وسنن الترمذي ٤: ٣٧٤ / ٢٠٢٥.

٢. القلم (٦٨): ١١.

٣. القلم (٦٨): ١٣.

٤. القائل هو عبدالله بن المبارك، حكى عنه هذا القول الغزالي في إحياء علوم الدين ٣: ١٥٤.

وقال الله تعالى: ﴿وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾[١]، قيل: هو النمّام[٢].

وقال تعالى عن امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيئاً وَقيلَ ادْخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلينَ﴾[٣]، قيل: «كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان، وامرأة نوح تخبر بأنّه مجنون»[٤].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

لا يدخل الجنّة نمّام[٥].

وفي حديث آخر:

لا يدخل الجنة قتّات والقتّات: هو النمّام[٦].

وقال صلى الله عليه وآله:

أحبّكم إلى الله تعالى أحسنكم أخلاقاً، الموطّؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون؛ وإنّ أبغضكم إلى الله تعالى المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الإخوان، الملتمسون للبرآء العثرات[٧].

وقال صلى الله عليه وآله:

ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا بلى، قال: المشّاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبّة، الباغون للبُرَآء العيب[٨].

وقال أبوذر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

من أشاد[٩] على مسلم بكلمة؛ ليشينه بها بغير حقّ شانه الله تعالى في النّار يوم القيامة[١٠].

---

١. الهمزة (١٠٤): ١.

٢. القائل هو ابن عبّاس كما في تفسير الفخر الرازي ١٦: ٩٣ ذيل الآية ١ من الهمزة (١٠٤)؛ وراجع إحياء علوم الدين ٣: ١٥٤.

٣. التحريم (٦٦): ١٠.

٤. القائل هو ابن عباس كما في مجمع البيان ٥: ٣١٩ ذيل الآية ١٠ من التحريم (٦٦)؛ وراجع إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥.

٥. الترغيب والترهيب ٣: ٤٥٩؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٥ / ٨٣٥٧؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥.

٦. أمالي الصدوق: ٣٣٠ / ٥، المجلس ٦٣؛ أمالي الطوسي: ٥٣٧ / ١١٦٢، المجلس ١٩؛ سنن أبي داود ٤: ٢٦٨ / ٤٨٧١؛ صحيح البخاري ٥: ٢٢٥٠ / ٥٧٠٩؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥.

٧. كنز العمّال ٣: ١٥ / ٥٢١٥؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥.

٨. الكافي ٢: ٣٦٩ / ١، باب النميمة؛ الفقيه ٤: ٢٧١ / ٨٢٧؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥.

٩. يقال: أشاده وأشاد به: إذا أشاعه ورفع ذكره. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٥١٧، «ش ى د».

١٠. شعب الإيمان ٧: ١٠٧ / ٩٦٥٨؛ كنز العمّال ٣: ٥٨٧ / ٨٠٣١، و ٥٩٤ / ٨٠٦٦ و ٨٠٦٧؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥.

وقال أبو الدرداء: قال رسول الله ﷺ:

أيّما رجل أشاع على رجل كلمة، وهو منها بريء؛ ليشينه بها في الدنيا كان حقّاً على الله عزّوجل أن يذيبه بها يوم القيامة في النار[١].

وعنه ﷺ:

إنّ الله تعالى لمّا خلق الجنّة قال لها: تكلّمي، قالت: سعد من دخلني، قال الجبّار جلّ جلاله: وعزّتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من النّاس: لا يسكن فيك مدمن خمر، ولا مصرّ على الزنا، ولا قتّات ـ وهو النمّام ـ ولا ديّوث، ولا الشرطيّ، ولا المخنّث، ولا قاطع الرحم، ولا الذي يقول: عليّ عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثمّ لم يف به[٢].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال:

الجنّة محرّمة على القتّاتين المشّائين بالنميمة[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: شراركم المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة، المبتغون للبُرَآء المعايب[٤].

وروي:

أنّ موسى عليه السلام، استسقى لبني إسرائيل حين أصابهم قحط، فأوحى الله تعالى إليه: إنّي لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّام قد أصرّ على النميمة، فقال موسى عليه السلام: مَنْ هو يا ربّ حتّى نُخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى، أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاماً؟! فتابوا بأجمعهم، فسُقوا[٥].

وروي:

أنّ رجلاً اتّبع حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلمّا قدم عليه قال: إنّي جئتك للّذي آتاك الله تعالى من العلم، أخبرني عن السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وما أوسع منها، وعن الحجارة وما أقسى منها، وعن النار وما أحرّ منها، وعن الزمهرير وما

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥.
٢. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥؛ وقريب منه في الفقيه ٤: ٢٥٧ / ٨٢١.
٣. الكافي ٢: ٣٦٩ / ٢ باب النميمة.
٤. الكافي ٢: ٣٦٩ / ٣ باب النميمة.
٥. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥.

أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أذلّ منه؟ فقال الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السماوات، والحقّ أوسع من الأرضين، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحرّ من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمّام إذا بان أمره أذلّ من اليتيم[1].

واعلم أنّ النميمة تطلق في الأكثر على من ينمّ قول الغير إلى المقول فيه، كما يقول: «فلان كان يتكلّم فيك بكذا وكذا»، وليست مخصوصة به، بل تطلق على ما هو أعمّ من القول كما مرّ في الغيبة.

وحدّها بالمعنى الأعمّ: كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أم المنقول إليه أم كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أم بالكتبة أم الرمز أم الإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أم من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه أم لم يكن، بل حقيقة النميمة: إفشاء السرّ وهتك السّتر عمّا يكره كشفه، بل كلّما رآه الإنسان من أحوال الإنسان؛ فينبغي أن يسكت عنه إلّا ما في حكايته فائدة لمسلم، أو دفع لمعصية، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحقّ المشهود عليه، فأمّا إذا رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره نميمة وإفشاء للسرّ، فإن كان ما ينمّ به نقصاناً أو عيباً في المحكيّ عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة.

والسبب الباعث على النميمة: إمّا إرادة السوء بالمحكيّ عنه، أو إظهار الحبّ للمحكيّ له، أو التفرّج بالحديث، أو الخوض في الفضول.

وكلّ من حملت إليه النميمة، وقيل له: «إنّ فلاناً قال فيك كذا وكذا» أو «فعل فيك كذا وكذا» أو «هو يدبّر في إفساد أمرك» أو «في ممالأة عدوّك» أو «تقبيح حالك» أو ما يجري مجراه، فعليه ستّة أُمور:

الأوّل: أن لا يصدّقه؛ لأنّ النمّام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال الله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهَالَةٍ﴾[2].

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٥ ـ ١٥٦.

٢. الحجرات (٤٩): ٦.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، ويَنصحُه ويُقبِّح له فعله. قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١].

الثالث: أن يُبغضه في الله تعالى، فإنّه بَغيض عند الله، ويجب بغض من يُبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظنّ بأخيك السوء بمجرد قوله؛ لقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظنّ﴾[٢]، بل تَثبت حتّى يتحقّق الحال.

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسّس والبحث ليتحقّق؛ لقوله تعالى: ﴿ولا تجسّسوا﴾.

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمّام عنه، فلا تحكي نميمته فتقول: «فلان قد حكى لي كذا وكذا»، فتكون به نمّاماً ومغتاباً، وتكون قد أتيت بما عنه نهيت.

وقد روي عن عليّ عليه السلام:

أنّ رجلاً أتاه يسعى إليه برجل فقال: يا هذا، نحن نسأل عمّا قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نُقيلك أقلناك قال: أقلني يا أمير المؤمنين[٣].

وقد تبعه في ذلك عمر بن عبد العزيز، فقد روي أنّه دخل إليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئاً، فقال عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[٤]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٥]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً[٦].

وقد روي:

---

١. لقمان (٣١): ١٧.

٢. الحجرات (٤٩): ١٢.

٣. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٧؛ ونحوه في الاختصاص: ١٤٢.

٤. الحجرات (٤٩): ٦.

٥. القلم (٦٨): ١١.

٦. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٦.

أنّ حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه، وأخبره بخبر عن غيره، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وجئتني بثلاث جنايات: بغّضت إليّ أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتّهمت نفسك الأمينة[١].

وروي:

أنّ بعض الخلفاء[٢] قال لرجل: بلغني أنّك قلت فيّ كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت، فقال: إنّ الذي أخبرني صادق، فقال الزهري وكان جالساً: لا يكون النمّام صادقاً، فقال: صدقت، اذهب بسلامة[٣].

وقال الحسن: «من نمّ إليك نمّ عليك»، وهذه إشارة إلى أنّ النمّام ينبغي أن يُبغَض، ولا يوثق بصداقته، وكيف لا يبغض وهو لا ينفكّ من الكذب والغيبة والغَدر والخيانة والغلّ والحسد والنّفاق والإفساد بين النّاس والخديعة، وهو ممّن قد سعى في قطع ما أمر الله تعالى به أن يوصل، قال الله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[٥]، والنمّام منهم.

وقال ﷺ:

إنّ من شرار النّاس من اتّقاه النّاس لشرّه[٦].

والنمام منهم.

وقال ﷺ:

لا يدخل الجنّة قاطع[٧].

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٦.

٢. هو سليمان بن عبد الملك.

٣. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٦.

٤. البقرة (٢): ٢٧.

٥. الشورى (٤٢): ٤٢.

٦. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٦ ـ ١٥٧؛ وقريب منه في الكافي ٢: ٣٢٦ ـ ٣٢٧ / ١ و ٢ و ٤، باب من يتّقى شرّه؛ والفقيه ٤: ٢٥٥ / ٨٢١.

٧. صحيح البخاري ٥: ٢٢٣١ / ٥٦٣٨؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٨١ / ٢٥٥٦، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب ٦؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٧.

قيل: قاطع بين النّاس، وهو النمّام، وقيل: قاطع الرحم[١].

وقال لقمان الحكيم لابنه:

يا بنيّ، أوصيك بخِلال إن تمسّكت بهنّ لم تزل سيّداً: أبسط خُلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللّئيم، واحفظ إخوانك، وَصِل أقاربك، وآمنهم من قبول ساع أو سماع باغ يريد إفسادك ويروم خداعك، وليكن إخوانك مَنْ إذا فارقتهم وفارقوك لم تغتبهم ولم يغتابوك[٢].

وقال بعضهم: «لو صحّ ما نقله النمّام إليك لكان هو المجترئ بالشّتم عليك، والمنقول عنه أولى؛ لأنّه لم يقابلك بشتمك»[٣].

وبالجملة: فشرّ النمّام عظيم، ينبغي أن يتوقّى.

قيل: «باع بعضهم عبداً وقال للمشتري: ما فيه عيب إلّا النّميمة، قال: رضيت، فاشتراه فمكث الغلام أيّاماً. ثمّ قال لزوجة مولاه: إنّ زوجكِ لا يحبّكِ، وهو يريدأن يتسرّى عليكِ، فخذي الموسى واحلقي من قفاه شعيرات حتى أسحر عليها فيحبّكِ. ثمّ قال للزّوج: إنّ امرأتك اتّخذت خليلا، وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتّى تعرف، فتناوم فجاءت بالموسى، فظنّ أنّها تقتله، فقام وقتلها، فجاء أهل المرأة وقتلوا الرجل، فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر»[٤].

المقام الثاني: كلام ذي اللسانين

الذي يتردّد بين اثنين، سيّما المتعاديين ويكلّم كلّ واحد منهما مايوافقه، وقلّما يخلو عنه من يشاهد متعاديين، وذلك عين النفاق، وهو من المعاصي الكبائر المتوعّد عليه بخصوصه.

وروى عمّار بن ياسر عن النبيّ ﷺ:

من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نارٍ يوم القيامة[٥].

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٧.

٢. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٧ ـ ١٥٨.

٣. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٨.

٤. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٨.

٥. الخصال ١: ٣٨ / ١٨؛ سنن أبي داود ٤: ٢٦٨ / ٤٨٧٣؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٨.

وعنه ﷺ:

تجدون من شرّ عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هـؤلاء بـحديث هـؤلاء، وهؤلاء بحديث هؤلاء[١].

وفي حديث آخر:

الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه[٢].

وقيل مكتوب في التوراة:

بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين، يهلك الله يوم القيامة كلّ شـفتين مختلفتين[٣].

وقال ﷺ:

أبغض خليقة الله إليه يوم القيامة، الكذّابون، والمستكبرون، والذين يكـثرون البـغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تخلّقوا لهم، والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطّاء، وإذا دُعوا إلى الشّيطان وأمره كانوا سرّاعاً[٤].

وروى الصدوق بإسناده إلى عليّ عليه السلام قال:

قال رسول الله ﷺ: يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر مـن قُدّامه، يلتهبان ناراً حتّى يلهبان جسده، ثمّ يقال له: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة[٥].

وبالإسناد إلى الباقر عليه السلام قال:

بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أُعطي حَسَده وإن ابتلي خَذَله[٦].

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٨.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢٢٥١ / ٥٧١١؛ سنن أبي داود ٤: ٢٦٨ / ٤٨٧٢؛ سنن الترمذي ٤: ٣٧٤ / ٢٠٢٥؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٨.

٣. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٨.

٤. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٨.

٥. الخصال ١: ٣٧ ـ ٣٨ / ١٦؛ عقاب الأعمال: ٣١٩ / ٢.

٦. أمالي الصدوق: ٢٧٧ / ١٨، المجلس ٥٤؛ معاني الأخبار: ١٨٥ / ١؛ الخصال ١: ٣٨ / ٢٠؛ ورواه أيضاً الكليني في الكافي ٢: ٣٤٣ / ٢، باب ذي اللسانين.

وبإسناده عنه قال:

بئس العبد عبد هُمَزَة لُمَزَة، يقبل بوجه، ويُدْبر بآخر[١].

وبالإسناد قال:

قال الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى، ليكن لسانك في السرّ والعلانية لساناً واحداً، وكذلك قلبك، إنّي أُحذّرك نفسك وكفى بك خبيراً؛ لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا سَيْفان في غِمْد واحد، ولا قلبان في صدر واحد، وكذلك الأذهان[٢].

واعلم أنّ الإنسان يتحقّق كونه ذا لسانين بأُمور:

منها: أن ينقل كلام كلّ واحد إلى الآخر وهو مع ذلك نميمة و زيادة؛ فإنّ النّميمة تتحقّق بالنقل من أحد الجانبين فقط.

ومنها: أن يُحسِّن لكلّ واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه وإن لم ينقل بينهما كلاماً.

ومنها: أن يَعد كلّ واحد منهما بأن ينصره ويساعده.

ومنها: أنْ يُثْني على كلّ واحد منهما في معاداته، وأولى منه أن يُثْني عليه في وجهه، وإذا خرج من عنده ذمّه. والذي ينبغي، أن يسكت أو يُثني على المحقّ منهما في حضوره وغيبته وبين يدي عدوّه.

ولا يتحقّق اللّسانان بالدخول على المتعاديين، ومجاملة كلّ واحد منهما مع صدقه في المجاملة، فإنّ الواحد قد يصادق متعاديين، ولكن صداقة ضعيفة لا تصل إلى حد الأُخوّة؛ إذ لو تحقّقت الصداقة لاقتضت معاداة العدوّ كما هو المشهور من أنّ:

الأصدقاء ثلاثة: الصديق، وصديق الصديق، وعدوّ العدوّ. والأعداء ثلاثة: العدوّ، وعدوّ الصديق، وصديق العدوّ[٣].

فإن قيل: كثيراً مّا يتّفق اختلاف اللسانين مع الأُمراء وأعداء الدين، فهل يكون ذلك داخلاً في النهي والنفاق، كما ورد من أنّه سئل بعض الصحابة: إنّا ندخل على أُمرائنا فنقول

---

١. عقاب الأعمال: ٣١٩ / ٤.

٢. عقاب الأعمال: ٣١٩ / ٥؛ ورواه أيضاً الكليني في الكافي ٢: ٣٤٣ / ٣، باب ذي اللسانين.

٣. اقتباس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام المرويّ في نهج البلاغة: ٧١٨، الحكمة ٢٩٥.

القول فإذا خرجنا قلنا غيره[١].

قلنا: إن كان القائل مستغنياً عن الدخول على الأمير، وعن مخالطة العدوّ الديني، واختار الاجتماع معه والصحبة له اختياراً؛ طلباً للجاه والمال زيادة على القدر الضروري فهو ذو لسانين ومنافق كما ذكره الصحابيّ، وعليه يحمل الخبر؛ وقد قال النبيّ ﷺ:

حبّ الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل[٢].

وإن كان محتاجاً إلى ذلك اتّقاء ضرورة فهو معذور لا حرج عليه فيه، فإنّ اتّقاء الشرّ جائز، قال أبو الدرداء: «إنّا لنكشر[٣] في وجوه أقوام وإنّ قلوبنا لتبغضهم»[٤].

وروي أنّه مرّ رجل على النبيّ فقال ﷺ:

بئس رجل العشيرة، فلمّا دخل عليه أقبل عليه، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ شرّ الناس الذي يكره اتّقاءَ شرّه[٥].

المقام الثالث: الحسد

وهو من أعضل الأدواء وأكبر المعاصي، وأشرّها وأفسدها للقلب، وهي أوّل خطيئة وقعت في الأرض؛ لمّا حسد إبليس آدم فحمله على المعصية، فكانت البليّة من ذلك إلى الأبد، وقد أمر الله تعالى نبيّه بالاستعاذة من شرّه، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٦] بعد أن استعاذ من الشيطان والساحر، وأنزله منزلتهما، والأخبار النبويّة فيه لا تحصى كثرةً.

قال رسول الله ﷺ:

---

١. قال الغزالي في إحياء علوم الدين ٣: ١٥٩: «قيل لابن عمر: إنّا ندخل على أُمرائنا فنقول القول، فإذا خرجنا قلنا غيره، فقال: كنّا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ».

٢. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٩.

٣. أي تَبْسِمُ في وجوههم. لسان العرب ٥: ١٤٢، «ك ش ر».

٤. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٩.

٥. صحيح البخاري ٥: ٢٢٤٤ / ٥٦٨٥؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٩؛ وقريب منه في الكافي ٢: ٣٢٦ / ١، باب من يتّقى شرّه.

٦. الفلق (١١٣): ٥.

الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[١].

وقال ﷺ:

ستّة يدخلون النار قبل الحساب بستّة: الأُمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين[٢] بالكبر، والتجّار بالخيانة، وأهل الرستاق[٣] بالجهالة، والعلماء بالحسد[٤].

وقال ﷺ:

دبّ إليكم داء الأُمم قبلكم، الحسد والبغضاء، والبغضة: هي الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين، والّذي نفس محمّد بيده، لا تدخلون الجنّة حتّى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتّى تحابوا، ألا أنبّئكم بما يثبّت ذلك [لكم] أفشوا السّلام[٥].

وفي خبر معاذ عنه ﷺ:

أنّ الحفظة تصعد بعمل العبد يزفّ كما تزفّ العروس إلى أهلها، حتّى إذا انتهوا إلى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحجّ، وله ضوء كضوء الشمس، فيقول الملك: أنا الملك صاحب الحسد، إنّه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ويسخط ما رضي الله، أمرني ربيّ أن لا أدَعَ عمله يتجاوزني إلى غيري[٦].

وقال الصادق عليه السلام:

الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم عليه السلام الاجتباءَ والهدى، والرّفع إلى محلّ حقائق العهد والاصطفاء، فكن محسوداً

---

١. تنبيه الخواطر ١: ١٢٦، باب ما جاء في الحسد؛ سنن أبي داود ٤: ٢٧٦ / ٤٩٠٣؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٤٠٨ / ٤٢١٠؛ وفي رواياتنا بلفظ: «الحسد يأكل الإيمان ...» كما في الكافي ٢: ٢٠٦ / ١و٢، باب الحسد؛ ونهج البلاغة: ١٣٨ ذيل الخطبة ٨٦.

٢. الدهقان ـ بالكسر والضم ـ: القويّ على التصرّف مع حِدّة، والتاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم، معرّبٌ. جمعه دهاقنة ودهاقين. القاموس المحيط ٤: ٢٢٦، «د هـ ق ن».

٣. الرستاق: الرُزداق. الرُزداق بالضم: السواد والقُرى، معرّب رُستا. القاموس المحيط ٣: ٢٤٣، «ر س ت ق» و «ر ز د ق».

٤. تنبيه الخواطر ١: ١٢٧، باب ما جاء في الحسد؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٨٨؛ وقريب منه عن أمير المؤمنين عليه السلام في الخصال ١: ٣٢٥ / ١٤.

٥. تنبيه الخواطر ١: ١٢٧، باب ما جاء في الحسد؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٨٧؛ سنن الترمذي ٤: ٦٦٤ / ٢٥١٠؛ كنز العمال ٣: ٤٦٢ / ٧٤٤٣.

٦. لم أعثر على الحديث بهذا اللفظ ولكن قريب منه في فلاح السائل: ١٢٣؛ وعدّة الداعي: ٢٢٨ـ٢٢٩؛ والترغيب والترهيب ١: ٧٥.

ولا تكن حاسداً؛ فإنّ ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم، فماذا ينفع الحسد الحاسد؟ وماذا يضرّ المحسود الحسد؟ والحسد أصله من عمل[١] القلب، وجحود فضل الله، وهما جناحان للكفر، بالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد، وهلك مَهْلكاً لا ينجو منه أبداً، ولا توبة للحاسد؛ لأنّه مستمرّ عليه، معتقد به، مطبوع فيه، يبدو بلا معارض به ولا سبب؛ والطبع لا يتغيّر عن الأصل وإن عولج[٢].

وكفى بالحسد داءاً إبلاغه العلماء النار كما ورد في الحديث السابق.

واعلم أنّ الحسد يهيّج أربعة[٣] أشياء:

أحدها: إفساد الطاعات، قال رسول الله ﷺ:

إنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[٤].

والثاني: فعل المعاصي والشرور، وقد قال بعض الفضلاء:

للحاسد ثلاث علامات: يتملّق إذا شهد، ويغتاب إذا غاب، ويشمت بالمصيبة[٥]. وحسبك أنّ الله أمر بالاستعاذة من شرّه، وقرنه بالشيطانِ والساحرِ النافثِ في العقد[٦]، كما تقدّم.

والثالث: التعب والغمّ من غير فائدة، بل مع كلّ وِزْرٍ ومعصيةٍ. قال بعضهم:

لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد: نفس دائم، وعقل هائم، وغمّ لازم[٧].

والرابع: الحِرمان والخِذلان، فلا يكاد يظفر بمراد، ولا ينصر على عدوّ، وقد قيل: الحاسد غير منصورٍ، وكيف يظفر بمراده، ومراده زوال نعم الله تعالى عن عباده؟ وكيف ينصر على أعدائه، وهم عباد الله الذين نظر الله إليهم، وأسبغ نِعَمه عليهم، سيّما إذا كانت النعمة نعمة العلم؟

---

١. كذا في المخطوطتين وفي المصدر: «من عمى القلب».

٢. مصباح الشريعة: ٣٢١ باب الحسد.

٣. في نسخة الأصل التي بخطّ المؤلّف وغيرها من النسخ التي بأيدينا: «خمسة» ولكن الصحيح ما أثبتناه، يدلّ عليه ما سيذكره المؤلّف رحمه الله من التقسيم.

٤. تقدّم تخريجه في ص ٦٥، الهامش (١).

٥. الخصال ١: ١٢١ / ١١٣. وبعض الفضلاء هو لقمان، قال هذه الكلمات لابنه.

٦. الفلق (١١٣): ٥.

٧. رواه عن عليّ عليه السلام في كنز الفوائد ـ للكراجكي ـ ١: ١٣٦؛ وعن خليل بن أحمد في شعب الإيمان ٥: ٢٧٣ / ٦٦٣٥.

والكلام في الحسد طويل؛ لاعتناء علماء القلوب به، وبحثهم عنه، وقوّة دائه في قلوب الخاصّة والعامّة، ولنقتصر هنا على البحث في مواضعَ:

الأوّل: في حقيقة الحسد، وحكمه، ومراتبه، وأقسامه

فحقيقته انبعاث القوّة الشهويّة الى تمنّي مال الغير، أو الحالة التي هو عليها وزوالها عن ذلك الغير، وهو مستلزم لحركة القوّة الغضبيّة، ولثبات الغضب ودوامه وزيادته بحسب زيادة حال المحسود التي يتعلّق بها الحسد؛ ولذلك قال علي عليه السلام:

الحاسد مغتاظ على مَنْ لا ذنب له[1].

وهو نوع من أنواع الظلم والجور. وقال علي عليه السلام أيضاً:

لا راحة مع حسد[2].

ووجهه قد ظهر من حقيقته؛ فإنّ شهوة الحاسد وفكره في كيفيّة حصول الحالة المحسود فيها، وفي كيفيّة زوالها عمّن هي له، المستلزمة لحركة آلات البدن في ذلك، مستلزم لعدم الراحة.

وقد اتّفق العقلاء على أنّ الحسد، مع أنّه رذيلة عظيمة للنفس، فهو من الأسباب العظيمة لخراب العالم؛ إذ كان الحاسد كثيراً ما تكون حركاته وسعيه في هلاك أرباب الفضائل، وأهل الشرف والأموال الذين تقوم بوجودهم عمارة الأرض؛ إذ لا يتعلّق الحسد بغيرهم من أهل الخسّة والفقر، ثمّ لا يقصّر في سعيه ذلك دون أن تزول تلك الحالة المحسود بها عن المحسود، أو يهلك هو في تلك الحركات الحسيّة الفعليّة والقوليّة؛ ولذلك قيل: «حاسد النعمة لا يرضيه إلّا زوالها»[3]. و ما دام الباعث للقوّة الغضبيّة قائماً، فهي قائمة متحرّكة ومحرّكة.

وكثيراً ما تؤثّر السعاية بين يدي الأمراء والمتسلّطين؛ لعلم الساعي بقدرتهم على تنفيذ

---

١. كنز الفوائد ـ للكراجكي ـ ١: ١٣٦؛ ورواه عنه في البحار ٧٠: ٢٥٦ / ٢٩.

٢. كنز الفوائد ـ للكراجكي ـ ١: ١٣٧؛ شرح غرر الحكم ٦: ٣٤٦ / ١، بتفاوت يسير في المصدرين.

٣. كنز الفوائد ـ للكراجكي ـ ١: ١٣٧؛ إرشاد القلوب ١: ٢٥٦؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٨٩.

أغراضه؛ ولقرب طِباعهم إلى قبول قوله من الغير؛ لمشاركتهم في الطباع وغلبة القوّة الشهويّة والغضبيّة فيهم، ولكن كثيراً ما تؤثّر حركة الحاسد في إزالة نعمة المحسود لمحة من لمحات الله تعالى للمحسود بعين العناية فيحرسه وتزيد نعمته، فلا يتوجّه للحاسد عليه سبيل، ﴿إِنَّما السَّبيلُ عَلَى الَّذينَ يَظْلِمُوْنَ النّاسَ وَيَبْغُونَ في الأَرْضِ بِغَيْرِ الحقِّ﴾[1]، فيصير تعبه سبباً لخراب الأرض، فيفسد الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد[2].

وإذ قد عرفت أنّه لا حسد إلّا على نعمة، فإذا أنعم الله تعالى على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان:

إحداهما: أن تكره تلك النعمة، وتحبّ زوالها، وهذه الحالة تسمّى حسداً.

والثانية: أن لا تحبّ زوالها، ولا تكره وجودها ودوامها، ولكنّك تشتهي لنفسك مثلها، وهذا يسمى غبطة، وقد يخصّ باسم المنافسة. قال الله تعالى: ﴿وَفي ذٰلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ﴾[3]، وقد تسمّى المنافسة حسداً، والحسد منافسة كقول الفضل وقثم ابني العباس لعلي عليه السلام حين أشار عليهما بأن لا يذهبا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ولا يسألانه الولاية على الصدقة، وقد كانا أرادا ذلك: «ماذا منك إلّا نفاسة، والله لقد زوّجك ابنته فما نَفَسْنا ذلك عليك»[4].

وكقوله النبي صلى الله عليه وآله:

> لا حسد إلّا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً، فسلّطه على هلكته في الحقّ، ورجل آتاه الله علماً، فهو يعمل به ويعلّمه الناس[5].

والمحرّم من الحالتين هو الحالة الأُولى، وهي المخصوصة بالذّم، قال صلى الله عليه وآله:

> المُؤمن يغبط، والمنافق يحسد[6].

---

١. الشورى (٤٢): ٤٢.

٢. اقتباس من الآية ٢٠٥ من البقرة (٢).

٣. المطفّفين (٨٣): ٢٦.

٤. إحياء علوم الدين ٣: ١٩٠؛ صحيح مسلم ٢: ٧٥٢ / ١٠٧٢.

٥. إحياء علوم الدين ٣: ١٩١؛ وقريب منه في صحيح البخاري ٤: ١٩١٩ / ٤٧٣٧ و ٤٧٣٨؛ سنن الترمذي ٤: ٣٣٠ / ١٩٣٦؛ مسند أحمد ٣: ٢٥٤ ـ ٢٥٥ / ٩٨٥٧.

٦. إحياء علوم الدين ٣: ١٨٩؛ ورواه الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام في الكافي ٢: ٣٠٧ / ٧، باب الحسد بلفظ: «إنّ المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط».

اللّهمّ إلّا أن تكون النعمة قد أصابها فاجر يستعين بها على إيذاء الخلق، وتهييج الفتنة، وفساد الدين ونحو ذلك، فلا تضرّ الكراهة لها ومحبّة زوالها إذا لم يكن ذلك من حيث إنّها نعمة، بل من حيث إنّها آلة الفساد.

ويدلّ على عدم تحريم الحالة الثانية الآية المتقدّمة، والحديث.

وقد قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1]. والمسابقة إنّما تكون عند خوف الفوت كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما، ويجزع كلّ واحد منهما أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها.

بل قد تكون المنافسة واجبة إذا كان المنافَس فيه واجباً؛ إذ لو لم يجب مثله لكان راضياً بالمعصية المحرّمة. وقد تكون مندوبة كالمنافسة في الفضائل المندوبة من إنفاق الأموال ومكارم الأخلاق. وقد يوصف بالإباحة إذا كان مباحاً.

وبالجملة: فهي تابعة للفعل المنافس فيه. ولكن في المنافسة دقيقة وخطر غامض، يجب على طالب الخلاص التحرّز منه، وهو أنّه إذا أيس عن أن ينال مثل تلك النعمة، وهو يكره تخلّفه ونقصانه، فلا محالة يجب زوال النقصان، وإنّما يزول بأحد أمرين: أن ينال مثله، أو أن تزول نعمة المنافس، فإذا انسدّ أحد الطريقين عن الساعي يكاد القلب أن يشتهي الطريق الأُخرى؛ إذ بزوال النعمة يزول التخلّف المرغوب عنه، فيمتحن نفسه: فإن كان بحيث إذا أُلقي الأمر إليه وردّ إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً، وإن كانت التقوى تمنعه عن إزالة ذلك عُفي عمّا يجده في طبعه من ارتياح إلى زوال النعمة متى كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله.

وإذ قد عرفت حقيقة الحسد، فاعلم أنّ له مراتب أربع:

الأُولى: أن يُحبّ زوال النعمة عنه وإن كانت لا تنتقل إليه، وهذا غاية الخُبث، وأعظم أفراد الحسد.

الثانية: أن يحبّ زوال النعمة إليه؛ لرغبته في تلك النعمة بحيث يكون مطلوبه تلك النعمة، لا مجرّد زوالها عن صاحبها.

---

١. الحديد (٥٧): ٢١.

الثالثة: أن لا يشتهي عينها، بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحبّ زوالها؛ كي لا يظهر التفاوت بينهما.

وهذه الثلاثة محرّمة، وهي مرتّبة في القوّة ترتّبها في اللفظ.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم يحصل فلا يحبّ زوالها منه، وهذا هو المحمود المخصوص باسم الغبطة، بل المندوب إليه في الدين، وتسميته حسداً تجوّز.

الثاني: في الأسباب المثيرة للحسد

وهي كثيرة جدّاً إلّا أنّها ترجع إلى سبعة: العداوة، والتعزّز، والتكبّر، والتعجّب، والخوف من فوت المقاصد، وحبّ الرئاسة، وخُبث النفس وبُخلها.

فإنّه إنّما يكره النعمة عليه: إمّا لأنّه عدوّه فلا يريد له الخير، وهذا لا يختصّ بالأمثال.

وإمّا لأنّه يخاف أن يتكبّر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كِبره وعظمته؛ لعزّة نفسه، وهو المراد بالتعزّز.

وإمّا أن يكون في طبعه أن يتكبّر على المحسود، ويمتنع ذلك عليه بنعمته، وهو المراد بالتكبّر.

وإمّا أن تكون النعمة عظميةً والمنصب كبيراً، فيتعجّب من فوز مثله بمثل تلك النعمة، وهو التعجّب.

وإمّا أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته، بأن يتوصّل به إلى مزاحمته في أغراضه.

وإمّا أن يكون لحبّ الرئاسة التي تبنى على الاختصاص بنعمةٍ لا تساوي فيها.

وإمّا أن لا يكون بسببٍ من هذه الأسباب، بل بخُبث النفس وشحّها بالخير لعباد الله تعالى.

وقد أشار الله سبحانه إلى السبب الأوّل بقوله: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾[1]، وإلى الثانية بقوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[2]، أي كان

---

١. آل عمران (٣): ١١٨.

٢. الزخرف (٤٣): ٣١.

لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتّبعه إذا كان عظيماً، وكانوا قد قالوا: كيف يتقدّم علينا غلام يتيم؟ وكيف يطأطئ له رؤساؤنا؟ وإلى الرابعة بقوله: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[١]، ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾[٢]، ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾[٣]، فتعجّبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشرٌ مثلهم، فحسدوهم وقالوا متعجّبين: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾[٤]، فقال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾[٥].

وأعظم الأسباب فساداً الخامس والسادس؛ لتعلّقهما غالباً بعلماء السوء ونظرائهم، ومناط الخامس يرجع إلى متزاحمين على مطلوب واحد، فإنّ كلاًّ منهما يحسد صاحبه في كلّ نعمةٍ يكون عوناً له في الانفراد بمقصوده.

ومن هذا الباب تحاسد الضرّات في التزاحم على مقاصد الزوجيّة، والإخوة في التزاحم على نيل المنزلة المطلوبة بها عند الأب، والتلامذة لأُستاذ واحد في نيل المنزلة عنده، والعالِمين المتزاحمين على طائفة من المتفقّه محصورين؛ إذ يطلب كلّ واحد منزلة في قلبهم للتوصّل بهم إلى أغراضه.

ومرجع السادس إلى محبّة الانفراد بالرئاسة، والاختصاص بالثناء، والفرح بما يمدح به من أنّه واحد الدهر ولا نظير له، فإنّه متى سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك، وأحبّ موته أو زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة.

وهذا زيادة على ما في قلوب آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس؛ للتوصّل إلى مقاصدَ سوى الرئاسة، وقد كان علماء اليهود يعرفون رسالة رسول الله ﷺ، وينكرونها ولا يؤمنون به مخافة أن تبطل رئاستهم، وأن يصيروا تابعين بعد أن كانوا متبوعين مهما نسخ علمهم.

وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد، فيعظم فيه داء

---

١. يس (٣٦): ١٥.
٢. المؤمنون (٢٣): ٤٧.
٣. المؤمنون (٢٣): ٣٤.
٤. الإسراء (١٧): ٩٣.
٥. الأعراف (٧): ٦٣.

الحسد، ويتمكّن في قلبه ويَقوى قوّة لا يقدر معه على الإخفاء والمجاملة، بل ينهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة، ولا يكاد يزول إلّا بالموت، وقلّ أن يتّفق للحاسد سبب واحد من هذه الأسباب بل أكثر.

وأصل العداوة والحسد التزاحم على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين؛ فلذلك ترى الحسد يكثر بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العمّ والأقارب، ويقلّ في غيرهم، إلّا مع الاجتماع في أحد الأغراض المقرّرة.

نعم من اشتدّ حِرصه على الجاه، وأحبّ الصِيتَ في جميع أطراف العالم بما هو فيه، فإنّه يحسد كلّ من هو في العالم وإن بَعُد ممّن يساهمه في الخصلة التي يفاخر بها. ومنشأ جميع ذلك حبّ الدنيا، فإنّ الدنيا هي التي تضيق عن المتزاحمين، أمّا الآخرة فلا ضيق فيها، وإنّما مَثَلُها مثل العلم، فإنّ من عرف الله تعالى وملائكته وأنبياءه وملكوت أرضه وسمائه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً؛ لأنّ المعرفة لا تضيق على العارفين، بل المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم، ويفرح بمعرفته ويلتذّ به، ولا تنقص لذّة واحدة بسبب غيره، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأُنس وثمرة الإفادة والاستفادة. فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة؛ لأنّ مقصدهم بحر واسع لا ضيق فيه، وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق أيضاً فيه، بل يزيد الأُنس بكثرتهم.

نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا؛ لأنّ المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الآخر، وكذلك الجاه إذ معناه ملك القلوب، ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص منه لا محالة، فيكون ذلك سبباً للمحاسدة.

وأمّا العلم فلا نهاية له، ولا يتصوّر استيعابه، فمن بذل جهده في تحصيله، وأشغل نفسه في الفكر في جلال الله وعظمته صار ذلك ألذّ عنده من كلّ نعيم، ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق؛ لأنّ غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم تنقص لذّته، بل زادت لذّته بمؤانسته، بل مثل العالِمين بالحقيقة والمتمسّكين بالطريقة كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ

مُتَقَابِلِينَ﴾[1]، فهذا حالهم في الدنيا، فماذا تظنّ عند انكشاف الغطاء، ومشاهدة المحبوب في العقبى؟! فلا محاسدة في الجنّة أيضاً، إذ لا مضايقة فيها ولا مزاحمة. فعليك أيّها الأخ ـ وفّقنا الله وإيّاك ـ إن كنت بصيراً، وعلى نفسك مُشفقاً، أن تطلب نعيماً لا زحمة فيه، ولذّة لا مكدّر لها، والله وليّ التوفيق.

الثالث: في إشارةٍ وجيزةٍ إلى الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم أنّ الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب، ولا تداوى أمراض القلب إلّا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعلم يقيناً أنّ الحسد ضررٌ عليك في الدنيا والدين، ولا ضرر به على المحسود في الدنيا ولا في الدين، بل ينتفع به فيهما، ومهما عرفت هذا عن بصيرة، ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لا محالة.

أمّا كونه ضرراً عليك في الدين، فهو أنّك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى، وكرهت نعمته التي قسّمها لعباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفيّ حكمته، واستنكرت ذلك واستبشعته. وهذه جناية على حدقة التوحيد، وقذى في عين الإيمان، وناهيك بهما جناية على الدين! وقد انضاف إليه أنّك غششت رجلاً من المؤمنين، وتركت نصيحته، وفارقت أولياء الله تعالى و أنبياءَهُ في حبّهم الخير لعباد الله تعالى، و شاركت إبليس وسائر الكفّار في محبّتهم للمؤمنين البلاء وزوال النَعم، وهذه خبائث في القلب، تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب، وتمحوها كما يمحو الليل النهار.

وأمّا كونه ضرراً في الدنيا عليك، فهو أنّك تتألّم بحسدك وتتعذّب به، ولا تزال في كَمَدٍ وغَمٍّ؛ إذ أعداؤك لا يخليهُم الله تعالى عن نِعم يُفيضها عليهم، فلا تزال تتعذّب بكلّ نعمة تراها، وتتألّم بكلّ بليّة تنصرف عنهم، فتبقى مغموماً محروماً متشعّب القلب ضيّق النّفس كما تشتهيه لأعدائك وكما تشتهي أعداؤك لك، فقد كنت تريد المحنة لعدوّك، فتنجزّت في الحال محنتك وغمّك نقداً، ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك.ولو لم تكن تؤمن بالبعث

---

١. الحجر (١٥): ٤٧.

والحساب لكان مقتضى الفطنة ـ إن كنت عاقلاً ـ أن تَحذَر من الحسد؛ لما فيه من ألم القلب ومساءته وعدم النفع، فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة؟! فما أعجب من العاقل أن يتعرّض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله، بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه، فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة!.

وأمّا أنّه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح؛ لأنّ النعمة لا تزول عنه بحسدك، بل ما قدّره الله تعالى له من إقبالٍ ونعمةٍ فلابّد وأن تدوم إلى أجلٍ قدّره الله تعالى، فلا حيلة في دفعه. وإن كانت النعمة قد حصلت لسعيه من علمٍ أو عملٍ فلا حيلة في دفعه أيضاً، بل ينبغي أن تلوم أنت نفسك، حيث سعى وقعدتَ، وشمّر وكسلتَ، وسَهِر ونمْتَ، وكان حالك كما قيل:

هلّا سَعوا سَعْيَ الكرام فَأَدْرَكُوا ... أو سَـلَّمُوا لِـمَواقِـعِ الأَقـدارِ

ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضررٌ في الدنيا، ولا كان عليه إثم في الآخرة. ولعلّك تقول: «ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي»، وهذا غاية الجهل، فإنّه بلاءٌ تشتهيه أوّلاً لنفسك، فإنّك لا تخلو أيضاً من عدوٍّ يحسدك، فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق للّه عليك نعمة، ولا على الخلق نعمة حتّى نعمة الإيمان؛ لأنّ الكفّار يحسدون المؤمنين عليه، قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾[1].

وإن اشتهيت أن تزول نِعَم الغير عنه بحسدك، ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة؛ فإنّ كلّ واحد من حَمْقى الحُسّاد أيضاً يشتهي أن يخصّ بهذه الخاصيّة، ولَسْتَ بأولى من غيرك، فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل نعمته عليك بحسد غيرك من النِعم التي يجب عليك شكرها، وأنت بجهلك تكرَهُها.

وأمّا أنّ المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح.

أما منفعته في الدين، فهو أنّه مظلوم من جهتك، لا سيّما إذا أخرجك الحسد إلى القول

---

١. آل عمران (٣): ٦٩.

والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مَساوئه، فهي هدايا تُهديها إليه، فإنّك تُهدي إليه حسناتك حتّى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما خرجت في الدنيا عن النعمة، فكأنّك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل. نعم كان عليك نعمة إذ وفّقك للحسنات فنقلتها إليه، فأضفت له نعمة إلى نعمة، وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة.

وأمّا منفعته في الدنيا، فهو أنّ أهمّ أغراض الخلق مساءَة الأعداء وغمّهم وشقاوتهم وكونهم معذّبين مغمومين، ولا عذاب أعظم ممّا أنت فيه من ألم الحسد، وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة، وأن تكون في غمّ وحسرة بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم، وقد قال علي عليه السلام:

لا راحة للحسود[1].

وقال عليه السلام:

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له[2].

وقد عرفت من تضاعيف هذه المباحث وجه الكلمتين؛ ومن أجل ذلك ينبغي أن لا يشتهي أعداؤك موتك، بل يشتهي أن تطول حياتك في عذاب الحسد؛ لتنظر إلى نعمة الله تعالى عليهم، وينقطع قلبك حسداً؛ ولذلك قيل:

لا ماتَ أَعْداؤُكَ بَل خُلِّدوا		حَتّى يَرَوا منك الّذي يُكْمِدُ
لا زِلْتَ مَحْسُوداً على نِعْمَةٍ		فَإِنّما الكامِلُ مَن يُحْسَدُ[3]

ففرح عدوّك بغمّك، وحسدك أعظم من فرحته بنعمته. فإذا تأمّلت هذا عرفت أنّك عدوّ نفسك، وصديق عدوّك؛ إذ تعاطيت ما تضرّرت به في الدنيا والآخرة، وانتفع به عدوّك في الدنيا والآخرة، وصرت شقيّاً عند الخلق والخالق، مذموماً في الحال والمآل. ثمّ لم تقتصر على تحصيل مراد عدوّك حتّى أدخلتَ أعظم السرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك؛ لأنّك لم تحبّ ما أحبّه أهل الخير لأنفسهم فتكون معهم؛ لأنّ «المرء مع من أحبّ»، فأحبّك إبليس لذلك فكنت معه.

---

١. تقدّم تخريجه في ص ٦٧، الهامش (٢).
٢. تقدّم تخريجه في ص ٦٧، الهامش (١).
٣. إحياء علوم الدين ٣: ١٩٧.

وقد تظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ بأنّ: «المرء مع من أحبّ»[١]، و: «أنّك إن لم تكن عالماً ولا متعلّماً فكن محبّاً»[٢] فقد فاتك بحسدك ثواب الحبّ واللحاق بهم، وعساك تحاسد رجلاً من أهل العلم، وتحبّ أن يخطىء في دين الله، وينكشف خطاؤه ليفتضح، وتحبّ أن يعرض له ما يمنعه عن العلم والتعليم، وأيّ إثم يزيد على هذا؟ فليتك إذا فاتك اللحاق بهم، ثمّ اغتممت به فاتك الإثم وعذاب الآخرة، وقد جاء في الحديث:

إنّ أهل الجنّة ثلاثة: المحسن، والمحبّ له، والكافّ عنه[٣].

أي مَنْ يكفّ عن الأذى والحسد والبغض.

فانظر كيف أبعدَك إبليس عن المداخل الثلاثة، فقد نفذ عليك حسد إبليس وما نفذ حسدك على عدوّك، بل على نفسك، فلو كُوشِفْتَ بحالك في يقظةٍ أو منامٍ لرأيت نفسك أيّها الحاسد في صورة من يرمي عدوّه بحجارة؛ ليصيب بها مقتله فلا يصيبه، بل يرجع حجره على حدقته اليمنى فيعميها، فيزداد غضبه فيعود ثانياً إلى الرمي أشدّ من الأوّل، فيرجع على عينه الأخرى فيعميها، فيزداد غضبه فيعود ثالثةً فيرجع على رأسه فيشجّه، وعدوّه سالم على كلّ حال، وأعداؤه حوله يفرحون بما أصابه ويضحكون منه.

فهذه حال الحسود، لا بل حاله أقبح؛ لأنّ الحجر المفوّت للعين إنّما يفوت ما لو بقي لفات بالموت لا محالة، بخلاف الإثم الحاصل للحاسد، فإنّه لا يفوت بالموت، بل يسوقه إلى غضب الله تعالى وإلى النار؛ فلأنْ تَذْهَب عينه في الدنيا خيرٌ من أن تبقى له عين يدخل بها النار، فيقلعها لهيب النار.

فانظر كيف انتقام الله تعالى من الحاسد، إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فأزالها عن نفسه، إذ السلامة من الإثم نعمةٌ، ومن الغمّ نعمةٌ أُخرى، وقد زالتا منه، تصديقاً لقوله تعالى:

---

١. أمالي الطوسي: ٦٢١ / ١٢٨١؛ صحيح البخاري ٥: ٢٢٨٣ / ٥٨١٦ ـ ٥٨١٩؛ صحيح مسلم ٤: ٢٠٣٤ / ٢٦٣٩ ـ ٢٦٤١؛ سنن الترمذي: ٥٩٥ ـ ٥٩٦ / ٢٣٨٦ ـ ٢٣٨٧؛ سنن الدارمي ٢: ٣٢١ ـ ٣٢٢، باب المرء مع من أحبّ؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٩٨.

٢. كنز العمّال ١٠: ٢٨٦٦٢/١٣٣، و ٢٨٧٣٠/١٤٣؛ وعن أبي عبدالله عليه السلام في الكافي ١: ٤/٣٤، باب أصناف الناس.

٣. إحياء علوم الدين ٣: ١٩٨.

﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾[1] وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوّه، قلّما شمت شامت بمساءة أحد إلّا وابُتلي بمثلها.

فهذه هي الأدوية العلميّة، فمهما تفكّر الإنسان فيها بذهنٍ صافٍ وقلبٍ حاضرٍ انطفأ من قلبه نار الحسد، وعلم أنّه مهلك نفسه، ومفرّح عدوّه، ومُسخِط ربّه، ومُنَغِّص عيشه.

وأمّا الدواء العملي: فبعد أن يتدّبر ما تقدّم، ينبغي أن يكلّف نفسه نقيض ما يَبعثه الحسد عليه، فيمدح المحسود عند بعثه على القدح، ويتواضع له عند بعثه على التكبّر، ويزيد في الإنعام إن بعثه على كفّه، فينتج من هذه المقدّمات تمام الموافقة، وتنقطع مادّة الحسد، ويستريح القلب من ألمه وغمّه.

فهذه أدوية نافعة جدّاً، إلّا أنّها مُرّة جدّاً، لكن النفع في الدواء المرّ، ومن لم يصبر على مرارة الدواء لم يظفر بحلاوة الشِفاء، والباعث على هذه الخصال الحميدة الرغبة في ثواب الله، والخوف من عقابه. وفّقنا الله وإيّاكم لاستعماله بمحمّد وآله.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١. فاطر (٣٥): ٤٣.

الفصل الخامس

في كفّارة الغيبة

اعلم أنّ الواجب على المغتاب أن يندم؛ ويتوب ويتأسّف على ما فعله؛ ليخرج من حقّ الله تعالى، ثمّ يستحلّ المغتاب؛ ليحلّه فيخرج عن مظلمته. وينبغي أن يستحلّه وهو حزين متأسّفٌ نادمٌ على فعله، إذ المرائي قد يستحلّ ليظهر من نفسه الورع، وفي الباطن لا يكون نادماً، فيكون قد قارف معصية أُخرى.

وقد ورد في كفّارتها حديثان: **أحدهما**: قوله ﷺ:

كفّارة من اغتبته أن تستغفر له[1].

والثاني: قوله ﷺ:

من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليتحلّلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيّئات صاحبه، فتزيد على سيّئاته[2].

ويمكن أن يكون طريق الجمع، حمل الاستغفار له على من لم تبلغ غيبته المغتاب، فينبغي له الاقتصار على الدعاء له والاستغفار؛ لأنّ في محالّته إثارة للفتنة وجلباً للضّغائن،

---

١. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٣؛ وقريب منه في الكافي ٢: ٣٥٧ / ٤، باب الغيبة والبهت؛ أمالي الطوسي: ١٩٢ / ٣٢٥.

٢. صحيح البخاري ٢: ٨٦٥ / ٢٣١٧، و ٥: ٢٣٩٤ / ٦١٦٩؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٣ ـ ١٥٤.

وفي حكمه من لم يقدر على الوصول إليه بموت أو غيبة.

وحَمْلَ المحالّة على من يمكن التوصّل إليه مع بلوغه الغيبة.

ويستحبّ للمعتذر إليه قبول العذر والمحالّة استحباباً مؤكّداً قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾[1] الآية، فقال رسول‌الله ﷺ:

يا جَبرئيل، ما هذا العفو؟ فقال: إنّ الله يأمرك أن تعفو عمّن ظلمك، وتَصِلَ مَنْ قطعك، وتعطي من حرمك[2].

وفي خبر آخر:

إذا جثى الأُمم بين يدي الله تعالى يوم القيامة نودوا: ليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلّا من عفى في الدنيا[3].

وروي عن بعضهم، أنّ رجلاً قال له: إنّ فلاناً قد اغتابك، فبعث إليه طبقاً من الرطب، وقال: بلغني أنّك قد أهديت إليّ حسناتك، فأردتُ أن أكافئك عليها، فاعذرني فإنيّ لا أقدر أن أكافئك على التمام[4].

وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودّد، ويلازم ذلك حتّى يطيب قلبه، فإن لم يطب كان اعتذاره وتودّده حسنة محسوبة له، وقد تقابل سيّئة الغيبة في القيامة.

ولا فرق بين غيبة الصغير والكبير، والحيّ والميّت، والذكر والأُنثى، وليكن الاستغفار والدّعاء له على حسب ما يليق بحاله، فيدعو للصغير بالهداية، وللميّت بالرحمة والمغفرة، ونحو ذلك.

ولا يسقط الحقّ بإباحة الإنسان عرضه للناس؛ لأنّه عفو عمّا لم يجب. وقد صرّح الفقهاء بأنّه لو أباح قذف نفسه لم يسقط حقّه من حدّه[5].

---

١. الأعراف (٧): ١٩٩.

٢. التبيان ٥: ٦٣؛ مجمع البيان ٢: ٥١٢ ذيل الآية ١٩٩ من الأعراف (٧)؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٤.

٣. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٤.

٤. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٤.

٥. إحياء علوم الدين ٣: ١٥٤.

وما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، كان إذا خرج من بيته قال: اللّهم إنّي تصدّقت بعرضي على الناس[١].

معناه: أنّي لا أطلب مظلمته يوم القيامة، ولا أخاصم عليها، لا أنّ غيبته صارت بذلك حلالاً.

وتجب النيّة كباقي الكفّارات. والله الموفّق.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١. سنن أبي داود ٤: ٢٧٢ / ٤٨٨٦؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٥٤.

وأمّا الخاتمة

فاعلم ـ وفّقك الله وإيّانا ـ أنّ الغرض الكلّي للحقّ من الخلق، والمقصد الأوّل مِنْ بِعثة الأنبياء والرّسل بالكتب الإلهيّة، والنواميس الشرعيّة إنّما هو جذب الخلق إلى الواحد الحقّ، ومعالجة نفوسهم من داءِ الجهل، والتفاتها إلى دار القرار، ورفضها لهذه الدار، وحمايتها عن أن ترد موارد الهلاك، إذ كانت من ذلك على خطر، وتشويقها إلى ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر، ثمّ ما يلزم ذلك المقصود من تدبير أحوال المعاش البدني، وسائر أسباب البقاء للنوع الإنساني، وكان ذلك موقوفاً على الاجتماع والتعاون، والتعاضد بالتعلّم والتعليم، وتذكير العارف للغافل بالعهد القديم، واستعانة كلّ واحد بالآخر في تحصيل نفعه؛ إذ كان الإنسان مدنيّاً بطبعه، لا يستقلّ وحده بتحصيل معاشه، ولا يقدر على استنباط جميع أغراضه من مآكله ورياشه، فلا جرم توقّف غرض الحكيم جلّ جلاله على الاجتماع وتآلف القلوب والموادّة حالتي المحاضر والغيوب؛ فلذلك تظافرت الأخبار والآثار في الحثّ على المودّة، والنهيّ عن المباينة والمحادّة، وأكثر على عباده بعضهم لبعض الحقوق، وحذّرهم من الكُفران والعُقوق، ووعدهم على التّآلف والتّعاطف جزيل الثواب، وأوعدهم على ترك ذلك مزيد النكال والعقاب، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى في ضمن ما نُورده من الأخبار عن النبيّ وآله الأخيار الأطهار.

ولنذكر ممّا يناسب هذه الرسالة اثني عشر حديثاً إيثاراً للاختصار، ومن أراد الغاية

من ذلك فليطالعه من الكتب المصنّفة فيه، ككتاب الإخوان للصدوق ابن بابويه ـ رضوان الله عليه ـ و كتاب الإيمان، وكتاب العشرة، وغيرهما من كتب الكافي للكليني ـ قدّس الله سرّه ـ فإنّ فيها بلاغاً وافياً لأهل الاعتبار، ودواءً شافياً لأُولي الأبصار.

الحديث الأوّل: أخبرنا شيخنا السعيد المبرور نور الدين عليّ بن عبدالعالي الميسي ـ قدّس الله سرّه ونوّر قبره ـ إجازةً عن شيخه المرحوم المغفور شمس الدين محمّد بن المؤذّن الجزّيني، عن الشيخ ضياء الدين عليّ ولد الإمام العلّامة المحقّق السعيد أبي عبدالله الشهيد محمّد بن مكي، عن والده المذكور، عن السيّد عميد الدين عبدالمطّلب، والشيخ فخرالدين ولد الشيخ الإمام الفاضل العلّامة محيي المذهب جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر، عن والده المذكور، عن جدّه السعيد سديدالدين يوسف بن علي بن المطهر، عن الشيخ المحقّق نجم الدين جعفر بن الحسن بن سعيد، كلاهما عن السيد محيي الدين أبي حامد محمّد بن عبدالله بن عليّ بن زهرة الحلبي، عن الشريف الفقيه عزّ الدين أبي الحرث محمّد بن الحسن الحسيني البغدادي، عن الشيخ قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن عليّ بن المحسن الحلبي، عن الشيخ الفقيه أبي الفتح محمّد بن عليّ الكراجكي، قال: حدّثنيّ أبو عبدالله الحسين بن محمّد الصيرفي البغدادي، قال: حدّثني القاضي أبو بكر محمّد بن عمر الجعابي، قال: حدّثنا أبو محمّد القاسم بن محمّد بن جعفر من ولد عمرو بن علي عليه السلام، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال:

قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: للمؤمن على أخيه ثلاثون حقّاً، لا براءة له منها إلّا بأداءٍ أو العفو: يغفر زلّته، ويرحم غربته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويردّ غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى ذمّته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديّته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفّع مسألته، ويسمّت عطسته، ويرشد ضالّته، ويردّ سلامه، ويطيّب كلامه، ويبرّ إنعامه، ويصدّق أقسامه، ويواليه ولا يعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً، فأمّا نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه، وأمّا نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقّه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه ويكره له من الشرّ مايكره لنفسه ـ ثمّ قال عليه السلام: ـ سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله

يقول: إنّ أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له وعليه[١].

الحديث الثاني: بالإسناد المتقدّم إلى السيّد محيي الدين بن زهرة، قال: أخبرني أبوالحسن أحمد بن وهب بن سليمان بقراءتي عليه في شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، قال: أخبرنا القاضي فخرالدين أبوالرضا سعيد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري، يوم الجمعة سابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وخمسمائة بالموصل، قال: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو بكر وجيه طاهر الشحّامي بقراءتي عليه يوم الأربعاء خامس شهر رمضان سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ الزكيّ أبو حامد أحمد بن الحسن الأزهري، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمّد الحسن بن أحمد بن محمّد بن الحسن بن عليّ بن مخلّد المخلّدي العدل قراءة عليه فأقرّ به، قال: أخبرنا أبو العباس محمّد بن إسحاق بن إبراهيم الثقفي السرّاج فيما قرأته عليه سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة فأقرّ به وقال: نعم، قال: حدّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدّثنا الليث عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ قال:

> المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يشتمه، مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرّج الله عنه بها كربة من كُرَبِ يوم القيامة، ومن سَتَرَ مُسلماً ستره الله يوم القيامة[٢].

الحديث الثالث: وبالإسناد المتقدّم إلى السيد محيي الدين، قال: أخبرنا القاضي شيخ الإسلام أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بقراءتي عليه في الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وستمائة، قال: أخبرنا القاضي الإمام فخر الدين أبوالرضا سعيد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري، سماعاً عليه في جمادى الآخرة سنة أربع و سبعين و خمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبوالفتح محمّد بن عبد الرحمن الخطيب الكشميهني بقراءتي عليه يوم السبت سابع عشر شوّال سنة إحدى و أربعين و خمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ أبوالقاسم هبة الله بن عبدالوارث بن عليّ بن أحمد الشيرازي، كتبه لي بخطّه في شهر

---

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٤٥ ـ ٤٦ / ٥؛ وحكاه عن كنز الكراجكي في البحار ٧١: ٢٣٦ / ٣٦.

٢. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٧٠ ـ ٧١ / ٢٦؛ و نحوه في سنن أبي داود ٤: ٢٧٣ / ٤٨٩٣؛ و سنن الترمذي ٤: ٣٤ ـ ٣٥ / ١٤٢٦.

ربيع الأوّل سنة ستّ وثمانين وأربعمائة، قال: أخبرنا أبونصر أحمد بن عبدالباقي بن الحسن بن طوق المعدّل، قال: أخبرنا أبوالقاسم نصر بن أحمد بن محمّد الفقيه، قال: أخبرني أبويعلي أحمد بن عليّ بن المثنّى الموصلي التميميّ، قال هبة الله: وأخبرنا أبوالقاسم عبد العزيز بن عليّ بن أحمد السكريّ، قال: أخبرنا أبوطاهر محمّد بن عبدالرحمن بن العباس المخلّص، قال: حدّثنا أبوالقاسم عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز البغوي، قال: حدّثني عبد الأعلى بن حمّاد التونسي، قال: حدّثنا حمّاد بن سَلَمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:

إنّ رجلاً زار أخاً له في قرية أُخرى، فأرصد الله على مدرجته[1] ملكاً، فلمّا أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أردت أخاً لي في قرية كذا وكذا، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، إلّا أنّي أُحبّه في الله عزّ وجلّ، قال: إنّي رسول الله إليك، إنّ الله تعالى قد أحبّك كما أحببته فيه[2].

الحديث الرابع: وبالإسناد المتقدّم إلى القاضي فخر الدين الشهرزوري، قال: أخبرنا الشيخ الحافظ ثقة الدين أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمّد الشحامي، قراءةً عليه وأنا أسمع يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شوّال سنة خمس وعشرين و خمسمائة ببغداد، قال: أخبرنا الشيخ أبو نصر عبد الرحمن بن عليّ بن موسى، قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمّد بن موسى بن الصلت القريني ببغداد، قال: حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي إملاءاً، قال: حدّثني أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، عن مالك بن أنس، عن أبي شهاب، عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال:

لا تَباغضوا، ولا تَحاسَدوا، ولا تَدابَروا، وكونوا عباد‌الله إخواناً، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ[3].

---

١. المَدْرَجَة: ممرّ الأشياء على الطريق وغيره. ومدرجة الطريق: معظمه وسَنَنُه.... مَدْرَج ومَدْرَجَة ودَرَج، وجمعه أدراج أي ممرّ ومذهب. لسان العرب ٢: ٢٦٧، «د ر ج».

٢. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٧١ ـ ٧٣ / ٢٧؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٩٨ / ٢٥٦٧، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب ١٢.

٣. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٨٠ / ٣٧؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٨٣ / ٢٥٥٩، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب ٧؛ سنن الترمذي ٤: ٣٢٩ / ١٩٣٥.

الحديث الخامس: وبالإسناد المتقدّم إلى الشحامي، قال: أخبرنا الشيخ أبو سعيد محمّد بن عبد العزيز الصفّار، قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمّد بن الحسين السلمي، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمّد بن محبوب، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن يحيى، قال: حدّثنا محمّد بن الأزهر، قال: حدّثنا محمّد بن عبدالله البصري، قال: حدّثنا يعلى بن ميمون، قال: حدّثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

من ألطف مؤمناً، أو قام له بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة، صَغُر ذلك أو كَبُر، كان حقّاً على الله أن يخدمه خادماً يوم القيامة[1].

الحديث السادس: وبالإسناد المتقدّم إلى السلمي، قال: أخبرنا عبد العزيز بن جعفر بن محمّد الحزاقي ببغداد، قال: حدّثنا محمّد بن هارون بن بريه، قال: حدّثنا عيسى بن مهران، قال: حدّثنا الحسن بن الحسين، قال: حدّثنا الحسين بن زيد، قال: قلت لجعفر بن محمّد عليه السلام: جعلت فداك هل كانت في النبيّ ﷺ مداعبة؟ فقال عليه السلام:

لقد وصفه الله بخُلق عظيم في المداعبة، وإنّ الله تعالى بعث أنبياءه فكانت فيهم كَزازة[2]، وبعث محمّداً ﷺ بالرأفة والرحمة، وكان من رأفته لأُمّته مداعبته لهم؛ لكيلا يبلغ بأحدٍ منهم التعظيم حتّى لا ينظر إليه ـ ثمّ قال ـ: حدّثني أبي محمّد، عن أبيه عليّ، عن أبيه الحسين، عن أبيه عليّ، قال: كان رسول الله ﷺ ليُسَرُّ الرجل من أصحابه إذا رآه مغموماً بالمداعبة، وكان ﷺ يقول: إنّ الله يبغض المعبّس في وجه إخوانه[3].

الحديث السابع: بالإسناد المتقدّم إلى شيخ المذهب ومحييه ومحقّقه جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر، عن والده السعيد سديد الدين يوسف بن المطّهر، قال: أخبرنا السيّد العلّامة النسّابة فخار بن معدّ الموسوي، عن الفقيه سديد الدين شاذان بن جبرئيل القميّ، عن عماد الدين الطبري، عن الشيخ أبي عليّ الحسن بن الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، عن والده الشيخ ـ قدّس الله روحه ـ عن الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن

---

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٨١ / ٣٨؛ كنز العمّال ٦: ٤٤٣ / ١٦٤٥٥.

٢. الكزازة والكَزاز: اليُبس والانقباض. لسان العرب ٥: ٤٠١، «ك ز ز».

٣. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٨١ ـ ٨٢ / ٣٩؛ ورواه النوري عنه في مستدرك الوسائل ٨: ٤٠٧ ـ ٤٠٨ / ١، باب ٦٦، من أبواب أحكام العشرة.

النعمان، عن الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، عن الشيخ أبي عبدالله جعفر بن قولويه، عن الشيخ أبي عبدالله محمّد بن يعقوب الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن عبدالله بن بكير، عن مُعلّى بن خنيس، عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، قال: قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال:

سبع حقوق واجبات ما منها حقّ إلّا وهو واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله و طاعته ولم يكن لِلّه فيه نصيب.

قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلّى إنّي عليك شفيق أخاف أن تضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل.

قال: قلت: لا قوّة إلّا بالله، قال: أيسر حقٍّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك.

والحقّ الثاني: أن تتجنّب سخطه، وتتّبع مرضاته، وتطيع أمره.

والحقّ الثالث: أن تُعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

والحقّ الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.

والحقّ الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى.

والحقّ السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك، فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهّد فراشه.

والحقّ السابع: أن تبرَّ قَسَمه، وتُجيب دعوته، وتعود مرضته، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنّ له حاجة تبادر إلى قضائها، ولا تلجئه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك[1].

الحديث الثامن: بالإسناد إلى محمّد بن يعقوب الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

إذا مشى الرجل في حاجة أخيه المؤمن تكتب له عشر حسنات، وتمحى عنه عشر سيّئات، وترفع له عشر درجات ـ قال: ولا أعلمه إلّا قال ـ: ويعدل عشر رقبات، وأفضل

---

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٦٤ ـ ٦٦ / ٢٠؛ الكافي ٢: ١٦٩ / ٢، باب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقّه.

من اعتكاف شهرٍ في المسجد الحرام[١].

الحديث التاسع: بالإسناد عن الكليني، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمي، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عمير، عن حسين بن نعيم، عن مسمع بن أبي سيّار، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كُرَب الآخرة، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثِمار الجنّة، ومن سقاه شربةً سقاه الله من الرحيق المختوم[٢].

الحديث العاشر: رويناه بأسانيدَ متعدّدة، أحدها بالإسناد المتقدّم في الحديث السابع إلى الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبيه محمّد بن عيسى الأشعري، عن عبدالله بن سليمان النوفلي، قال: كنت عند جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فإذا بمولى لعبدالله النجاشي قد ورد عليه، فسلّم وأوصل إليه كتابه، ففضّه و قرأه فإذا أوّل سطر فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، أطال الله بقاء سيّدي، وجعلني من كلّ سوءٍ فداه، ولا أراني فيه مكروهاً؛ فإنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

اعلم سيّدي ومولاي أنّي بليتُ بولاية الأهواز، فإن رأى سيّدي أن يحدّ لي حدّاً، أو يمثّل لي مثالاً لأستدلّ به على ما يقرّبني إلى الله جلّ وعزّ وإلى رسوله، ويلخّص في كتابه ما يرى لي العمل به، وفيما أبذله و أبتذله، وأين أضع زكاتي، وفيمن أصرفها، وبمن آنس، وإلى من أستريح، وبمن أثِق وآمن وألجأ إليه في سرّي؟ فعسى أن يخلّصني الله بهدايتك ودلالتك، فإنّك حجّة الله على خلقه، وأمينه في بلاده، لازالت نعمته عليك.

قال عبدالله بن سليمان: فأجابه أبو عبدالله عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم حاطك الله بصنعه، ولَطَف بك بمنّه، وكلأك برعايته، فإنّه وليّ ذلك. أمّا بعد: فقد جاءني رسولك بكتابك، وقرأتُه وفهمتُ جميع ما ذكرتَه وسألتَ عنه، وزعمت أنّك بليتَ بولاية الأهواز، فسرّني ذلك وساءني، وسأُخبرك بماساءني من

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٦٠ / ١٠؛ الكافي ٢: ١٩٦ ـ ١٩٧ / ١، باب السعي في حاجة المؤمن.
٢. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٦١ / ١٢؛ الكافي ٢: ١٩٩ ـ ٢٠٠ / ٣، باب تفريج كرب المؤمن.

ذلك، وما سرّني.

فأمّا سروري بولايتك، فقلت: عسى أن يغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من أولياء آل محمّد ﷺ ويعزّ بك ذليلاً، ويكسو بك عاريهم، ويقوّي بك ضعيفهم، ويطفىء بك نار المخالفين عنهم.

وأمّا الذي ساءني من ذلك، فإنّ أدنى ما أخاف عليك أن تعثر بوليّ لنا، فلا تشمّ رائحة القدس، فإنيّ مخلّص لك جميع ما سألت عنه، إن أنت عملت به ولم تجاوزه رجوت أن تسلم إن شاء الله.

أخبرني يا عبدالله، أبي، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من استشاره أخوه المؤمن فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبّه.

واعلم أنّي سأُشير عليك برأيي، إن أنت عملت به تخلّصت ممّا أنت متخوّفه. واعلم أنّ خلاصك ونجاتك من حقن الدماء، وكفّ الأذى عن أولياء الله، والرّفق بالرعيّة، والتأنّي، وحسن المعاشرة مع لين في غير ضعف، وشدّة في غير عنف، ومداراة صاحبك ومن يرد عليك من رسله، وارتق فتق رعيّتك بأن توقفهم على ما وافق الحقّ والعدل إن شاء الله. إيّاك والسعاة وأهل النمائم، فلا يلتزقنّ منهم بك أحداً، ولا يراك الله يوماً وليلة وأنت تقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، فيسخط الله عليك ويهتك سترك، واحذر مكر خوز[1] الأهواز، فإنّ أبي أخبرني، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ الإيمان لا يثبت في قلب يهودي ولا خوزي أبداً.

فأمّا من تأنس به و تستريح إليه وتلجئ أمورك إليه، فذلك الرجل الممتحن المستبصر الأمين الموافق لك على دينك. وميّز أعوانك، وجرّب الفريقين، فإن رأيت هنالك رشداً فشأنك وإيّاه.

وإيّاك أن تُعطي درهماً، أو تخلع ثوباً، أو تحمل على دابّة في غير ذات الله لشاعر أو مضحك أو ممتزح، إلّا أعطيت مثلَه في ذات الله.

ولتكن جوائزك وعطاياك وخلعك للقوّاد والرسل والأجناد وأصحاب الرسائل وأصحاب الشرط والأخماس، وما أردت أن تصرفه في وجوه البرّ والنجاح والفتوّة[2] والصدقة

---

١. خوز ـ بضمّ أوّله وتسكين ثانيه وآخره زاي ـ: بلاد خوزستان، يقال لها الخوز، وأهل تلك البلاد يقال لهم الخوز، وينسب إليه. معجم البلدان ٢: ٤٠٤.

٢. في المصدر: «الفتق» بدل «الفتوّة».

والحجّ والمشرب والكسوة التي تصلّي فيها وتصل بها، والهديّة التي تُهديها إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله ﷺ من أطيب كسبك.

يا عبدالله، اجهد أن لا تكنز ذهباً ولا فضّة، فتكون من أهل هذه الآية التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[1]، ولا تستصغرنّ من حلو أو فضل تصرفه في بطون خالية تسكن بها غضب الربّ تبارك وتعالى.

واعلم أنّي سمعت أبي يحدّث عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول لأصحابه يوماً: ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جائع، فقلنا: هلكنا يا رسول الله، فقال: من فضل طعامكم ومن فضل تمركم ورزقكم[2] وخلقكم وخرقكم تطفئون بها غضب الربّ.

وسأُنبّئك بهوان الدنيا، وهوان شرفها على من مضى من السلف والتابعين. فقد حدّثني محمّد بن عليّ بن الحسين، قال: لمّا تجهّز الحسين عليه السلام إلى الكوفة أتاه ابن عباس فناشده الله والرحم أن يكون هو المقتول بالطفّ، فقال: أنا أعرف بمصرعي منك، وما وُكدي[3] من الدنيا إلّا فراقها، ألا أُخبرك يا ابن عباس بحديث أمير المؤمنين والدنيا؟ فقال له: بلى لعمري، إنّي لأُحبّ أن تحدّثني بأمرها. فقال أبي قال عليّ ابن الحسين عليهما السلام: سمعت أبا عبدالله الحسين عليه السلام يقول: حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّي كنت بفدكٍ في بعض حيطانها، وقد صارت لفاطمة عليها السلام، قال: فإذا أنا بامرأة قد قَحمَت عليّ، وفي يديّ مسحاة و أنا أعمل بها، فلمّا نظرتُ إليها طار قلبي ممّا تداخلني من جمالها، فشبّهتها ببُثينة بنت عامر الجُمحي، وكانت من أجمل نساء قريش.

فقالت: يا ابن أبي طالب، هل لك أن تتزوّج بي، فأُغنيك عن هذه المسحاة، وأدلّك على خزائن الأرض، فيكون لك الملك ما بقيت ولعقبك من بعدك؟ فقال لها عليه السلام: من أنتِ حتّى أخطبكِ من أهلكِ؟ قال، فقالت: أنا الدنيا.

قال لها: فارجعي واطلبي زوجاً غيري، و أقبلتُ على مسحاتي وأنشأت، أقول:

لقد خاب من غرّته دنيا دَنيّة		وما هي إن غرّت قروناً بطائل
أتتنا على زيّ العزيز بُثينة		وزِينتها في مثل تلك الشمائل

---

١. التوبة (٩): ٣٤.

٢. في المصدر: «وورقكم» بدل «ورزقكم».

٣. يقال: ما زال ذلك وُكْدي ـ بضمّ الواو ـ أي فعلي ودأبي وقصدي. لسان العرب ٣: ٤٦٧، «و ك د».

فقلتُ لها غُرّي سواي فإنّني عزوف عن الدّنيا ولستُ بجاهل
وما أنا والدنيا فإنّ محمّداً أحلّ صريعاً بين تلك الجنادل
وهبها أتتني بالكنوز ودورها وأموال قارون ومُلك القبائل
أليس جميعاً للفناء مصيرنا ويُطلب من خُزّانها بالطوائل
فغُرّي سواي إنّني غير راغب بما فيك من مُلكٍ وعزٍّ ونائل
فقد قنعت نفسي بما قد رزقته فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل
فإنّي أخاف اللهَ يوم لقائه وأخشى عذاباً دائماً غير زائل

فخرج من الدنيا وليس في عنقه تبعةٌ لأحد حتّى لقي الله تعالى محموداً غير ملوم ولا مذموم، ثمّ اقتدت به الأئمّة من بعده بما قد بلغكم لم يتلطّخوا بشيء من بوائقها عليهم السلام أجمعين وأحسن مثواهم.

وقد وجهّت إليك بمكارم الدنيا والآخرة عن الصادق المصدَّق رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن أنت عملتَ بما نصحتُ لك في كتابي هذا، ثُمَّ كانت عليك من الذنوب والخطايا كمثل أوزان الجبال وأمواج البحار، رجوت الله أن يتجافى عنك جلّ وعزّ بقدرته.

يا عبدالله، إيّاك أن تُخيف مؤمناً، فإنّ أبي محمّد بن عليّ حدّثني، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام إنّه كان يقول: من نظر إلى مؤمنٍ نظرةً؛ ليخيفه بها أخافه الله يوم لا ظلَّ إلّا ظلّه، وحشره في صورة الذرّ لحمه وجسده وجميع أعضائه حتّى يورده مورده.

وحدّثني أبي، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من أغاث لهفاناً من المؤمنين أغاثه الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، وآمنه يوم الفزع الأكبر، وآمنه من سوء المنقلب. ومن قضى لأخيه المؤمن حاجةً قضى الله له حوائجَ كثيرةً إحداها الجنّة. ومن كسا أخاه المؤمن من عري كساه الله من سندس الجنّة واستبرقها وحريرها، ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على المكسوّ منه سلك. ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيّبات الجنّة. ومن سقاه من ظمإٍ سقاه الله من الرحيق المختوم ريِّه. ومن أخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلّدين، وأسكنه مع أوليائه الطاهرين. ومن حمل أخاه المؤمن من رحله حمله الله على ناقةٍ من نوق الجنّة، وباهى به الملائكة المقرّبين يوم القيامة. ومن زوّج أخاه المؤمن امرأةً يأنس بها، ويشدّ عضده، ويستريح إليها زوّجه الله من حور العين، وآنسه بمن أحبّ من الصدّيقين من أهل بيت نبيّه وإخوانه وآنسهم به. ومن أعان

أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلّة الأقدام. ومن زار أخاه المؤمن إلى منزله لا لحاجة منه إليه كتب من زوّار الله، وكان حقيقاً على الله أن يُكرم زائره.

يا عبدالله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول لأصحابه يوماً: معاشر الناس، إنّه ليس بمؤمنٍ من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، فلا تتّبعوا عثرات المؤمنين؛ فإنّه من اتّبع عثرة مؤمنٍ اتّبع الله عثراته يوم القيامة، وفضحه في جوف بيته.

وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: أخذ الله ميثاق المؤمن أن لا يُصَدِّق في مقالته، ولا ينتصف من عدوّه، وعلى أن لا يشفي غيظه إلّا بفضيحة نفسه؛ لأنّ كلّ مؤمن ملجَم، وذلك لغاية قصيرة وراحة طويلة؛ أخذ الله ميثاق المؤمن على أشياءَ، أيسرها عليه: مؤمن مثله يقول بمقالته يبغيه ويحسده، والشيطان يغويه ويعنّته، والسلطان يقفو أثره ويتّبع عثراته، وكافر بالذي هو به مؤمن يرى سفك دمه ديناً، وإباحة حريمه غنماً، فما بقاء المؤمن بعد هذا؟!

يا عبدالله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: نزل جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمّد، إنّ الله يقرأ عليك السلام و يقول: اشتققت للمؤمن اسماً من أسمائي سمّيته مؤمناً، فالمؤمن منّي وأنا منه، من استهان بمؤمنٍ فقد استقبلني بالمحاربة.

يا عبدالله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال يوماً: يا عليّ، لا تناظر رجلاً حتّى تنظر في سريرته، فإن كانت سريرته حسنة فإنّ الله عزّ وجلّ لم يكن ليخذل وليّه، وإن كانت سريرته رديئةً فقد يكفيه مساوئه، فلو جهدت أن تعمل به أكثر ممّا عمله من معاصي الله عزّ وجلّ ما قدرت عليه.

يا عبدالله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: أدنى الكفر أن يسمع الرجل عن أخيه الكلمة ليحفظها عليه يريد أن يفضحه بها، أولئك لا خلاق لهم.

يا عبدالله، وحدثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: من قال في مؤمن ما رأت عيناه، و سمعت أُذناه، ما يشينه ويهدم مروءته فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

يا عبدالله، وحدّثني أبي عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: من روى عن أخيه المؤمن

١. النور (٢٤): ١٩.

رواية يريد بها هدم مروءته وثَلبه أوبقه الله بخطيئته حتّى يأتي بمخرج ممّا قال، ولن يأتي بالمخرج منه أبداً. ومن أدخل على أخيه المؤمن سروراً فقد أدخل على أهل البيت عليهم السلام سروراً. ومن أدخل على أهل البيت سروراً فقد أدخل على رسول‌الله صلى الله عليه وآله سروراً. ومن أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله سروراً فقد سرّ الله، ومن سرّ الله فحقيق عليه أن يدخله الجنّة جنّته.

ثمّ إنّي أُوصيك بتقوى الله، وإيثار طاعته، والاعتصام بحبله؛ فإنّه من اعتصم بحبل الله فقد هدي إلى صراط مستقيم، فاتّق الله ولا تؤثر أحداً على رضاه وهواه؛ فإنّه وصيّة الله عزّ وجلّ إلى خلقه، لا يقبل منهم غيرها ولا يعظم سواها.

واعلم أنّ الخلائق لم يوكّلوا بشيء أعظم من التقوى؛ فإنّه وصيّتنا أهل البيت، فإن استطعت أن لا تنال من الدنيا شيئاً تسأل عنه غداً فافعل.

قال عبدالله بن سليمان: فلمّا وصل كتاب الصادق عليه السلام إلى النجاشي نظر فيه وقال: صدق والله الذي لا إله إلّا هو مولاي، فما عمل أحد بما في هذا الكتاب إلّا نجا، فلم يزل عبدالله يعمل به أيّام حياته[1].

الحديث الحادي عشر: بالإسناد إلى الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن عليّ بن النعمان، عن ابن مسكان، عن خيثمة، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام أودّعه، فقال:

يا خيثمة، أبلغ مَن ترى مِن موالينا السلام، وأوصِهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيّهم على فقيرهم وقويّهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميّتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم؛ فإنّ لُقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا.

يا خيثمة، أبلغ موالينا أنّا لا نغني عنهم من الله شيئاً إلّا بعمل، وأنّهم لن ينالوا ولايتنا إلّا بالورع، وأنّ أشدّ النّاس حسرةً يوم القيامة من وصف عدلاً ثُمّ خالفه إلى غيره[2].

الحديث الثاني عشر: بالإسناد عنه عليه السلام عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن العلاء بن الفضيل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظّموا أصحابكم ووقّروهم، ولا يتجهّم بعضكم بعضاً،

---

١. الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان: ٤٦ ـ ٥٥ / ٦؛ ورواه المجلسي عن كشف الريبة في البحار ٧٢: ٣٦٠ ـ ٣٦٦ / ٧٧.
٢. الكافي ٢: ١٧٥ / ٢، باب زيارة الإخوان.

ولا تَضارُّوا، ولا تَحاسَدوا، وإيّاكم والبخل، وكونوا عباد الله المخلصين[١].

وبهذا نختتم الرسالة، ونبتهل إلى الله عزّ وجلّ بفضله العميم وكرمه الجسيم، وبحقّ محمّد وآل محمّد عليهم أفضل الصلاة والتسليم، أن يرزقنا العمل بما اشتملت عليه من الكمال، وأن لا يجعل حظّنا منها مجرد المقال، ويصلحنا لأنفسنا وإخواننا، ويصلحهم لنا إنّه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

والحمد للّه ربّ العالمين، وصلاته على سيّد رسله وخير خلقه محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

أفردها من مواضع متعدّدة، وأماكن متبدّدة، العبد الفقير إلى الله تعالى، زين الدين بن عليّ بن أحمد بن تقيّ الدين صالح بن مشرف العامليّ تجاوز الله تعالى عن سيّئاته، ووفّقه لمرضاته، وفرغ من تسويدها يوم الخميس ثالث عشرين شهر صفر ختم بالخير سنة تسع وأربعين وتسعمائة من الهجرة الطاهرة، حامداً مصلّياً مسلّماً.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١. الكافي ٢: ١٢/١٧٣، باب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقّه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٢)

مُسَكّن الفؤاد
عند فقد الأحبّة والأولاد

تحقيق

عبّاس المحمّدي

في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدّمة التحقيق

أوّلاً نشير إلى ترجمة الشهيد مختصرةً

وُلِدَ العالم الفقيه، العامل بعلمه، السراج المنير، الشيخ زين‌الدين بن عليّ بن أحمد العاملي الشامي، المشتهر بالشهيد الثاني ـ قدّس الله روحه الزكيّة وأسكنه في جنانه مع أوليائه ـ في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر شوّال سنة ٩١١ واستشهد في رجب سنة ٩٦٥.

ونحن نكتفي في تعريفه ببعض مقالة تلميذه ابن العودي في حقّه:

> وكان...، شيخنا ومولانا ومرجعنا ومقتدانا، ومنقذنا من الجهالة، وهادينا ومرشدنا إلى الخيرات ومربّينا، بديع زمانه ونادرة أوانه وفريد عصره وغرّة دهره، الشيخ الفاضل، والحبر العالم العامل، والنحرير المحقّق الكامل، خلاصة الفضلاء المحقّقين، وزبدة العلماء المدقّقين، الشيخ زين الملّة والدين بن الشيخ الإمام نورالدين عليّ بن الشيخ الفاضل أحمد بن جمال‌الدين بن تقيّ‌الدين صالح ـ تلميذ العلّامة ـ بن مشرف العاملي، أفاض الله على روحه المراحم الربّانيّة وأسكنه في جنانه العليّة، وجعلنا الله من المقتدين بآثاره، والمهتدين بأنواره بمحمّد وآله عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتمّ السلام[1].

ومن يرد أن يطّلع أكثر من هذا في شأنه وشخصيّته فعليه بالمراجعة إلى كتب التراجم، وبعض مقدّمات كتبه المطبوعة مستقلّاً كالدرّ المنثور، ومنية المريد.

---

١. الدرّ المنثور ٢: ١٥٠ ـ ١٥١.

البحث في شأن الكتاب يقع في موارد:

الأوّل: ذكره والتوجّه إليه في الآثار:

قال ابن العودي ـ تلميذ الشهيدﷺ ـ في بغية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد في ذكر مصنّفاته: «ومنها: كتاب مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد»[١].

وقال العلّامة المجلسي في بحار الأنوار في عداد الكتب المأخوذة منها: «... وكتاب مسكّن الفؤاد ... للشهيد رفع الله درجته»[٢].

وقال السيّد محسن الأمين في ترجمته للشهيد الثاني:

> وألّف في كثير من هذه العلوم المؤلّفات النافعة الفائقة، ... وتفرّد بالتأليف في مواضع لم يطرقها غيره، أو طرقها ولم يستوف الكلام فيها.... والصبر على فقد الأحبّة والأولاد[٣].

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني في الذريعة:

> مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، للشيخ السعيد زين‌الدين بن عليّ بن أحمد العاملي الشهيد. مرتّباً على مقدّمة وأبواب وخاتمة. أوّل الأبواب في الأعواض عن فوت الولد، وثانيها في الصبر، وثالثها في الرضى، ورابعها في البكاء[٤].

وقال الخوانساري في شأنه: «وأنّ لكتابه هذه فوائد جمّة، وأحاديث نادرة، ولطائف عرفانيّة قلّ ما يوجد نظيرها في كتاب»[٥].

ويدلّ على شدّة توجّه الشهيد إلى هذا الكتاب أنّهﷺ اختصره بكتاب آخر و سمّاه مبرّد الأكباد مختصر مسكّن الفؤاد[٦].

الثاني: سبب تأليفه، لقد قال الشهيد نفسهﷺ في خطبته على الكتاب:

---

١. الدرّ المنثور ٢: ١٨٧.

٢. بحار الأنوار ١: ١٩.

٣. أعيان الشيعة ٧: ١٤٥.

٤. الذريعة ٢١: ٢٠، الرقم ٣٧٤٧.

٥. روضات الجنّات ٣: ٣٧٩.

٦. راجع الدرّ المنثور ٢: ١٨٩؛ روضات الجنّات ٣: ٣٧٩؛ أعيان الشيعة ٧: ١٤٥؛ الذريعة ٢٠: ٢٠٩، الرقم ٢٦١٣.

فلمّا كان الموت هو الحادث العظيم، والأمر الذي هو على تفريق الأحبّة مقيم، وكان فراق المحبوب يعدّ من أعظم المصائب، حتّى يكاد يزيغ له قلب ذي العقل والموسوم بالحدس الصائب، خصوصاً ومن أعظم الأحباب الولد الذي هو مُهجة الألباب؛ ولهذا رتّب على فراقه جزيل الثواب، ووُعِدَ أبواه شفاعته فيهما يوم المآب؛ فلذلك جمعتُ في هذه الرسالة جملةً من الآثار النبويّة، وأحوال أهل الكمالات العلّيّة، ونُبَذَةً من التنبيهات الجليّة، ما ينجلي به إن شاء الله تعالى الصدأ عن قلوب المحزونين، وتنكشف به الغمّة عن المكروبين، بل تبتهج به نفوس العارفين، ويستيقظ من اعتبره من سِنَة الغافلين، وسمّيتها مسكن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، ورتّبتها على مقدّمة وأبواب وخاتمة[1].

ولقد ابتلي الشهيد ﷺ ـ على ما في بعض المصادر التي ترجمت له ـ بموت الأولاد في مقتبل أعمارهم حتّى أنّه لا يثق ببقاء أحد منهم، ولم يبق منهم إلّا بنته أُمّ السيّد شمس‌الدين محمّد بن عليّ بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي صاحب المدارك وابنه الشيخ حسن، وقد استشهد وعمر ولده سبع سنين.

قال الخوانساري في سبب تأليفه:

ونقل في سبب تصنيفه لكتابه المسكّن كثرة ما توفّي منه من الأولاد بحيث لم يبق له منهم أحد إلّا الشيخ حسن المرحوم، وكان لا يثق بحياته أيضاً، وقد استشهد وهو صبيّ غير مراهق[2].

وقال السيّد أمين:

وكان لا يعيش له أولاد، فمات له أولاد ذكور كثيرون قبل الشيخ حسن الذي كان لا يثق بحياته أيضاً[3].

وقال المحدّث القمّي في ترجمة الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني: «ولم يكن مرجوّ البقاء بعد ما قد أُصيب والده بمصائب أولاد كثيرين من قبله»[4].

---

١. خطبة الكتاب للمصنّف في ص ١٠٧ ـ ١٠٨.
٢. روضات الجنّات ٣: ٣٧٩.
٣. أعيان الشيعة ٧: ١٤٤.
٤. الكنى والألقاب ٢: ٣٨٦.

تذنيب

وقد أورد بعض الفضلاء من المحقّقين في مقدّمته على كتاب منية المريد إشكالين على العبارات السابقة هذا لفظه:

جاء في روضات الجنّات وأعيان الشيعة، ومقدّمة الطبعة الجديدة لكتاب مسكّن الفؤاد، في بيان علّة كتابته: أنّه ابتلي بموت أولاده في مقتبل أعمارهم حتّى أصبح لا يثق ببقاء أحدٍ منهم، ولم يسلم منهم إلّا ولده الشيخ حسن الذي كان الشهيد يشكّ في بقائه... فألّف كتابه مسكّن الفؤاد.

ـ قال: ـ ويرد على هذا المقال إشكالان:

الأوّل: أنّ الشيخ حسن لم يكن الولد الوحيد الباقي للشهيد بعد أوان الطفولة، بل ـ كما مرّ ـ إنّ أُمّ صاحب المدارك أيضاً من أولاد الشهيد وقد بقيت حتّى تزوّجت وأنجبت.

الثاني: من المقطوع به أنّ تأليف مسكّن الفؤاد انتهى في سنة ٩٥٤، وأنّ صاحب المعالم قد ولد في ٩٥٩ فكيف يمكن أن يقال: بما أنّه فقد أولاده إلّا الشيخ حسن لذلك كتب هذا الكتاب؟ فتأمّل[١].

ويمكن الجواب عن الإشكال الأوّل بأنّه ربما يقولون: الولد والأولاد، ويعنون الأولاد الذكور خاصّة، خصوصاً عند بعض الأقوام.

ولو سلّمنا على أنّ الولد والأولاد يشمل الذكور والإناث أيضاً. لكن هذا الإشكال لا يرد على السيّد الأمين في أعيان الشيعة قطعاً؛ لأنّه قال: «وكان لا يعيش له أولاد، فمات له أولاد ذكور كثيرون قبل الشيخ حسن الذي كان لا يثق بحياته أيضاً»[٢] وهو كماترى قيّد موت الأولاد بأولاد الذكور لا الإناث.

وعن الثاني: بأنّ علّة تصنيفه لمسكّن الفؤاد موت الأولاد كما يقولون، وربما يستظهر من مقدّمته على الكتاب. ولا يقول أحد بأنّ سبب التأليف الشكّ وعدم الوثوق ببقاء الشيخ حسن حتّى يرد عليه أنّ تأليف الكتاب كان قبل ولادة الشيخ حسن بخمس سنين.

---

١. منية المريد: ٢١.

٢. أعيان الشيعة ٧: ١٤٤.

وبعبارة أُخرى: أنّه صنّف الكتاب بسبب موت الأولاد ـ بل قال الشيخ آقا بزرگ في الذريعة: «كتبه بعد فوت ولده محمّد في رجب سنة أربع وخمسين وتسع مائة»[1] ـ وأعطاه الله عزّ وجلّ ولداً آخر بعد خمس سنين وسمّاه بـ«حسن»، وكان الشهيد أيضاً في حال الشكّ وعدم الوثوق ببقائه كما أشار إليه المحدّث القمّي فيما تقدّم من عبارته: «ولم يكن مرجوّ البقاء بعد ما قد أُصيب والده بمصائب أولاد كثيرين من قبله».

ولعلّ الأُستاذ حين استشكاله توجّه إلى بعض هذه الوجوه؛ ولذا قال في آخر كلامه: «فتأمّل».

الثالث: تأثير الكتب المتقدّمة في كتابه هذا

تأثّر الشهيد ـ مزيداً على استفادته الحسنة بالقرآن الكريم والروايات الواردة في المجاميع الروائيّة من الخاصّة والعامّة، والكتب التي سمّاها في المتن وهي أحد عشرة كتاباً ـ كثيراً من إحياء علوم الدين لأبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي المتوفّى سنة (٥٠٥).

وأيضاً تأثّر بالكتب المشابهة لمسكّن الفؤاد ـ في التسمية والموضوع ـ من جميعها أو من بعضها نعرّفك منها ما عثرنا عليها إجمالاً:

١. التعازي والمراثي، لأبي العبّاس المبرّد، محمّد بن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير الثمالي الأزدي البصري (٢١٠ ـ ٢٨٥). طبع عام (١٣٩٦/ ١٩٧٦م) في دمشق مطبعة زيد بن ثابت.

٢. كتاب التعازي، لأبي الحسن عليّ بن محمّد المدائني النسّابة (م ٢٢٨)، طبع في النجف الأشرف مطبعة النعمان عام (١٣٩١ / ١٩٧١م).

٣. تسلية الحزين في موت البنين، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن حجلة التلمساني الحنفي، المتوفّى سنة (٧٧٦).

٤. تسلية أهل المصائب، لأبي عبدالله محمّد بن محمّد بن محمّد المنجي الحنبلي، طبع في بيروت مؤسّسة دار الكتب العلميّة عام (١٤٠٦ / ١٩٨٦م).

---

١. الذريعة ٢١: ٢٠، الرقم ٣٧٤٧.

الرابع: تأثيره في المتأخّرين عنه

تأثّر كثيرون بكتاب مسكّن الفؤاد حتّى لقد سمّوا كتبهم بأسماء مشتقّه منه، نشير إلى بعضها:

١. مسكّن القلوب عند فقد المحبوب، فارسي ـ وذكر بعض أحفاده أنّه عربي ـ لآية‌الله دلدار عليّ بن السيّد محمّد معين النصيرآبادي المتوفّى (١٢٣٥)، كتبه بعد فوت ولده السيّد محمّد مهدي سنة (١٢٣١)[١].

٢. تسلية الأحزان، لميرزا محمّدباقر الموسوي الخوانساري، (١٢٢٦ ـ ١٣١٣)، فارسي طبع في عام (١٣٣٩)، قال مؤلّفه في روضات الجنّات:

> وإنّ لكتابه هذا (مسكّن الفؤاد) فوائد جمّة... قلّ ما يوجد نظيره في كتاب إلّا أنّ ما أفرغناه في قالب التأليف من مقولة تلك الأخبار وما يتعلّق بأبواب البلاء وقصص الصابرين والصابرات وأمثال ذلك، وسمّيناه بتسلية الأحزان أفيد وأجمع وأتمّ وأنفع من ذلك الكتاب بكثير[٢].

٣. تسلية الحزين من فقد الأقارب والبنين، للشيخ صالح بن طعّان التستري البحراني، المتوفّى سنة (١٢٨١)[٣].

٤. تسلية الحزين في فقد العافية والأحباب من الأقارب والبنين، للسيّد عبدالله بن محمّدرضا الشبّر الحسيني المتوفّى (١٢٤٢)[٤].

٥. تسلية الفؤاد في فقد الأولاد، أيضاً للسيّد عبدالله بن محمّدرضا الشبّر الحسيني الحلّي الكاظمي المتوفّى (١٢٤٢)[٥].

٦. تسلية الملهوفين وتسكين المغمومين، للسيّد ميرزا أبي القاسم بن ميرزا كاظم الموسوي الزنجاني المتوفّى (١٢٩٢)[٦].

---

١. الذريعة ٢١: ٢٠، الرقم ٣٧٤٩.
٢. روضات الجنّات ٣: ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
٣. الذريعة ٤: ١٧٨، الرقم ٨٧٧.
٤. الذريعة ٤: ١٧٨، الرقم ٨٧٨.
٥. الذريعة ٤: ١٧٩، الرقم ٨٨٣.
٦. الذريعة ٤: ١٧٩، الرقم ٨٨٦.

الخامس: ترجماته

١. تسلية العباد في ترجمة مسكّن الفؤاد، ترجمه إلى الفارسيّة ميرزا إسماعيل خان دبير السلطنة، الملقّب بمجد الأُدباء المتوفّى سنة (١٣٢١). طبع على الحجر في مشهد الرضوي عام (١٣٢١)[1].

٢. اسلام در كنار داغديدگان و افسرده‌دلان، لمحمّدباقر الحجّتي، طبع في طهران عام (١٣٦٣ ش).

٣. آرام‌بخش دل داغديدگان، لحسين الجنّاتي، طبع في قم عام (١٣٦٣ ش).

٤. أرمغان شهيد، لمرحوم عبّاس المخبر، طبع في مشهد الرضوي عام (١٤٠٥).

السادس: النسخ المعتمدة

١. المخطوطة المحفوظة في مكتبة آية‌الله المرعشي العامّة، الكتاب الثالث ضمن المجموعة المرقّمة (١٤٤٥)، من ص ٥٢ ـ ٢٠٠، وقد رمزنا لها بـ«م».

٢. المطبوعة على الحجر في إيران، كتبها ابن عليّ أكبر الجيلاني في يوم الاثنين ٢٦ من صفر المظفّر سنة (١٣١٠) في طهران، وقد رمزنا لها بـ«ح».

٣. المطبوعة في قم المقدّسة سنة (١٤٠٧)، بتحقيق ونشر من مؤسّسة آل البيت عليهم السلام. الطبعة الأُولى، وقد رمزنا لها بـ«آ».

ولقد استفدنا من هذه النسخة كثيراً، ونرجو من الله السلامة والتوفيق للمحقّقين والناشرين لهذا الأثر القيّم. ولكن مع ذلك كلّه لا تخلو من الخطاء والإشكال نشير إلى بعضها:

منها: في ص ٦٠: «ولا يخشون عقاباً يتحاظون على الصبر».

والصحيح: «ولا يخشون عقاباً يتحاضّون على الصبر».

ومنها: في ص ٨٨: «وقطعت رجل بعضهم من ركبته من إكلة خرجت بها».

والصحيح: «وقطعت رجل بعضهم من ركبته من آكلة خرجت بها».

---

١. الذريعة ٤: ١٧٩، الرقم ٨٨٢، وص ١٣٥.

ومنها: في ص ٢٠، الهامش ٣، «المفاوز: البوادي».

والصحيح: «المفاوز: المهلكة والمهالك».

ومزيداً على ذلك وأمثاله: استخرجنا موارد كثيرة التي لم يستخرجوه، أو استخرجوه ولكن كانت ناقصة، أو من كتب غير أصليّة تبلغ أكثر من مائة مورد، منها أربع موارد في ص٦٣، ثلاث موارد في ص٦٦، ثلاث موارد في ص٧٢ وهكذا.

وحذفنا هوامش كثيرة من الهوامش غير اللازمة وهي في بعض الأحيان غلط أو خطأ؛ ولعلّه من عدم جودة الخطّ والنسخة مثل: ص١٧، الهامش ٣: «في نسخة «ش»: بالخدش».

السابع: منهجنا في التحقيق

١. مقابلة الكتاب مع النسخ التي مرّ وصفها، وقد اعتمدنا طريق التلفيق بين النسخ؛ لأجل إثبات أصحّ النصوص.

٢. تخريج الآيات والروايات والحكايات حتّى ما كان منها غير مصرّح في بعض الموارد، ولقد أتعبنا أنفسنا جداً لاستخراج جميعها، وقد عثرنا عليها ـ إلّا قليلاً منها ـ في المصادر المتقدّمة على الشهيد رحمه الله.

٣. شرح الألفاظ والكلمات الصعبة الواردة في الكتاب من المعاجم اللغويّة المعتبرة.

٤. تقويم متن الكتاب وضبط نصّه، مع ملاحظة جميع الاختلافات الواردة بين النسخ، وضبط أصحّها في المتن، وفي الموارد اللازمة ذكر الاختلافات في الهوامش.

٥. إعداد فهارس الفنيّة العامّة للكتاب؛ تسهيلاً للمراجعين، تشتمل الآيات والأحاديث والأعلام والكتب وغيرها.

ربّنا تقبّل منّا هذا العمل، واجعله ذخراً لنا ولوالدينا في يوم الحساب وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

قم المقدّسة ـ عبّاس المحمّدي الجلال آبادي

٩ رمضان المبارك ١٤٢١ = ١٣٧٩/٩/١٦ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قضى بالفناء والزوال على جميع عباده وانقذ امره فيهم
على وفق حكمته ومراده ووعد الصابرين على جميل ثوابه وجزيل سعاده و
اوعد الساخطين بجزيل نكاله وشديد وباله في معاده والزم قلوب
العارفين بتدبيره فيهم تفويضهم في تسليمها لفياض هذا منهم نجو كل
من دفع ما امضاه وان تمادى الجاهل في عناده فاياه سبحانه احمد
على كل حال واسئله الامداد بتوفيقه وارشاده واشهد انه
الله الا الله وحده لا شريك له شهادة استدفع بها الاهوال في ضيق
المحشر ومعاده واشهد ان محمدا صلى الله عليه واله عبده ورسوله
افضل من بشر وحذر واعظم من رضي بالقضاء وصبر وحذر به
سلطان معاده صلى الله عليه وعلى اله الاخيار واعظم الخلق بلاء
واشدهم عناء واسلمهم تسليما وارضاه صلاة دائمة واصلة الى الكمال واحمد
بانفراده وبعد فلما كان الموت هو الحادث العظيم والامر الذي
هو على نفوس الاحبة مقيم وكان فراق الحبوب بعد من اعظم المصائب حتى يكاد
بزيله قلب ذي العقل والموسوم بالخشية خصوصا وهو من اعظم الانباء
الذي هو معجز الالباب ولهذا رتب على فراقه جزيل الثواب

لما جا في الحديث انه اذا احب الله قوما واحب عبد اصاب عليه البلا
صبا فلا يخرج من غم الا وقع في غم — لما جا في الحديث ما من
جرعتين احب الى الله عز وجل ان يجرعها عبده المومن في الدنيا من جرعة
غيظ كظم عليها وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها كتمن عزم الامور
ذلك لما كانا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون
علي من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد
مستغفرا
ما بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا خص رجلا بالرحم عليه وانه
استشهد فعليكم يا عم وابن عم وبني عمومتي واخوتي بالعبر والرضا
والتسليم والتفويض الى الله تعالى عز وجل والرضا والصبر على قضايه والتمسك
بطاعته والتذلل عند امره افرغ الله علينا وعليكم الصبر وحسن لنا ولكم بالتعاده وانقذنا
واياكم من كل هلكه بجوله وقوته انه سميع قريب وصلى الله على صفوته من خلقه
محمد النبي واهل بيته هذا اخر المغربه بلغها نقلها من كتاب التتمات
والمهمات وعليها تختم الرسالة حامدا لله تعالى على نواله ومصليا على صاحب الرسالة
وعلى آله الطاهرين وبعد! فرغ منها مولفها العبد الفقير الى الله تعالى زين الدين علي بن احمد
ان شاء الله العاملي عامله الله بفضله وعفى عنهم بمنه وسط نهار الجمعة عند
شهر رجب المرجب الفرد الحرام عام اربع وستين وتسعمايه حامدا لله تعالى
مستغفرا والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صورة الصفحة الاخيرة من نسخة «م»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي قضى بالفناء والزوال على جميع عباده، وأنفذ أمره فيهم على وفق حكمته ومراده، ووعد الصابرين على قضائه جميل ثوابه وإسعاده، وأوعد الساخطين جزيل نكاله وشديد وباله في معاده، ولذّذ قلوب العارفين بتدبيره، فبهجةُ نفوسهم في تسليمها لقياده، هذا مع عجز كلّ منهم عن دفاع ما أمضاه وإن تمادى الجاهل في عناده. فإيّاه سبحانه أحمد على كلّ حال، وأسأله الإمداد بتوفيقه وإرشاده.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة أستدفع بها الأهوال في ضيق المحشر ووهاده[1]، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله أفضل من بشّر وحذّر، وأعظم من رضي بالقضاء وصبر، وخدم به سلطان معاده ﷺ وعلى آله الأخيار، وأعظم الخلق بلاءً وأشدّهم عناءً، وأسَدّهم تسليماً ورضاءً، صلاةً دائمةً واصلةً إلى كلّ واحدٍ بانفراده.

وبعد، فلمّا كان الموت هو الحادث العظيم، والأمر الذي هو على تفريق الأحبّة مقيم، وكان فراق المحبوب يعدّ من أعظم المصائب، حتّى يكاد يزيغ له قلب ذي العقل، والموسوم بالحدس الصائب خصوصاً. ومن أعظم الأحباب الولد الذي هو مُهْجَة الألباب؛

---

١. الوهد والوهدة: المكان المنخفض كأنّه حفرة، والوهد يكون اسماً للحفرة، والجمع أوهد ووهد ووهاد. لسان العرب ٣: ٤٧٠ ـ ٤٧١، «و هـ د».

ولهذا رتّب على فراقه جزيل الثواب، وَوُعِدَ أبواه شفاعته فيهما يوم المآب؛ فلذلك جمعتُ في هذه الرسالة جملةً من الآثار النبويّة، وأحوال أهل الكمالات العليّة، ونُبْذَةً من التنبيهات الجليّة، ما ينجلي به ـ إن شاء الله تعالى ـ الصدأُ عن قلوب المحزونين، وتنكشف به الغُمّة عن المكروبين، بل تبتهج به نفوس العارفين، ويستيقظ من اعتبره من سِنَة الغافلين، وسمّيتها مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، ورتّبتها على مقدّمةٍ وأبواب وخاتمةٍ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أمّا المقدّمة

فاعلم أنّه ثبت أنّ العقلَ هو الآلةُ التي بها عُرف الله سبحانه، وحصل به تصديق الرسل والتزام الشرائع، وأنّه المحرّض على طلب الفضائل، والمخوّف من الاتّصاف بالرذائل، فهو مدبّر أُمور الدارين، وسببٌ لحصول الرئاستين، ومَثَلهُ كالنور في الظلمة، فقد يقلّ عند قوم، فيكون كعين الأعشى[1]، ويزيد عند آخرين، فيكون كالنهار في وقت الضحى.

فينبغي لمن رُزق العقل أن لا يخالفه فيما يراه، ولا يُخلِد إلى متابعة غفلته وهواه، بل يجعله حاكماً له وعليه، ويراجعه فيما يرشده إليه، فيكشف له حينئذ ما يوجب الرضى بقضاء الله سبحانه وتعالى، سيّما فيما نزل به من هذاالفراق من وجوهٍ كثيرةٍ نذكر بعضها:

الأوّل: أنّك إذا نظرت إلى عدل الله وحكمته، وتمام فضله ورحمته، وكمال عنايته ببريّته، إذ أخرجهم من العدم إلى الوجود، وأسبغ عليهم جلائل النعم، وأيّدهم بالألطاف، وأمدّهم بجزيل المعونة والإسعاف. كلّ ذلك؛ ليأخذوا حظّهم من السعادة الأبديّة والكرامة السرمديّة، لا لحاجة منه إليهم، ولا لاعتمادٍ في شيءٍ من أمره عليهم؛ لأنّه الغنيّ المطلق، والجواد المحقّق.

وكلّفهم بالتكاليف الشاقّة والأعمال الثقيلة؛ ليأخذوا منه حظّاً وأملاً، وليبلوهم أيّهم أحسن عملاً. وما فعل ذلك إلّا لغاية منفعتهم، وتمام مصلحتهم. وأرسل إليهم مبشّرين

---

١. الأعشى: هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار. الصحاح ٦: ٢٤٢٧، «ع ش ا».

ومنذرين. وأنزل عليهم الكتب، وأودعها ما فيه بلاغ للعالمين.

وتحقيق هذا المرام مستوفى في باب العدل من علم الكلام.

وإذا كانت أفعاله تعالى وتقدّس كلّها لمصلحتهم، وما فيه تمام شرفهم، والموت من جملة ذلك كما نطق به الوحي الإلهي في عدّة آيات، كقوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً﴾[١]، ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِم﴾[٢]، ﴿أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[٣]، ﴿اللّه يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها﴾[٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

فلولا أنّ في ذلك غاية المصلحة، ونهاية الفائدة للعبد الضعيف الغافل عن مصلحته، التائه في حيرة جهله وغفلته، لَما فعله الله تعالى به؛ لِما قد عرفت من أنّه أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، فإن حدّثتك نفسك بخلاف ذلك، فاعلم أنّه الشرك الخفيّ، وإن أيقنته ولم تطمئنّ نفسك وتسكن روعتك فهو الحمق الجليّ.

وإنّما نشأ ذلك من الغفلة عن حكمة الله تعالى في بريّته، وحسن قضائه في خليقته، حتّى أنّ العبد ليبتهل ويدعو الله تعالى أن يرحمه، ويجيب دعاءه في أمثال ذلك، فيقول الله تعالى لملائكته: «كيف أرحمه من شيءٍ به أرحمه!»[٥]. فتدبّر رحمك الله تعالى في هذه الكلمة الإلهيّة، تكفيك في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

الثاني: أنّه إذا نظرت إلى أحوال الرُسل عليهم السلام، وصدّقتهم فيما أخبروا به من الأُمور الدنيويّة والأُخرويّة، ووعدوا به من السعادة الأبديّة، وعلمت أنّهم إنّما أتوا بما أتوا به عن الله جلّ جلاله، واعتقدت أنّ قولهم معصوم عن الخطإ، محفوظ من الغلط والهوى، وسمعت ما وعدوا به من الثواب على أيّ نوع من أنواع المصائب ـ كما ستراه وتسمعه ـ سهل عليك موقعه، وعلمت أنّ لك في ذلك غاية الفائدة، وتمام السعادة الدائمة، وأنّك قد أعددت لنفسك

---

١. آل عمران (٣): ١٤٥.
٢. آل عمران (٣): ١٥٤.
٣. النساء (٤): ٧٨.
٤. الزمر (٣٩): ٤٢.
٥. كنز الفوائد ـ للكراجكي ـ ١: ٣٧٩.

كنزاً من الكنوز مذخوراً، بل حرزاً ومعقلاً وجُنّة من العذاب الأليم والعقاب العظيم، الذي لا يطيقه بشر، ولا يقوى به أحد، مع أنّ ولدك مشاركك في هذهِ السعادة، فقد فزت أنت وهو، فلا ينبغي أن تجزع.

ومثّل لنفسك: أنّه لو دهمك أمرٌ عظيمٌ، أو وثب عليك سَبُعٌ أو حيّةٌ، أو هجمت عليك نارٌ مضرمة، وكان عندك أعزّ أولادك وأحبّهم إلى نفسك، وبحضرتك نبيٌّ من الأنبياء لا ترتاب في صدقه، وأخبرك أنّك إن افتديت بولدك سلمت أنت وولدك، وإن لم تفعل عطبت، والحال أنّك لا تعلم هل يعطب ولدك أو يسلم؟

أيشكّ عاقل أنّ الافتداء بالولد الذي يتحقّق معه سلامة الولد، ويرجى معه أيضاً سلامة الوالد، هو عين المصلحة، وأنّ عدم ذلك، والتعرّض لعَطَب الأب والولد هو عين المفسدة؟! بل ربما قدّم كثير من الناس نفسه على ولده وافتدى به، وإن تيقّن عَطَب الولد، كما اتّفق ذلك في المفاوز[1] والمخمصة.

هذا كلّه في نارٍ وعَطَبٍ ينقضي ألمه في ساعةٍ واحدةٍ، وربما ينتقل بعده إلى الراحة والجنّة، فما ظنّك بألم يبقى أبد الآباد، ويمكث سنين! وإنّ يوماً عند ربّك منها كألف سنةٍ ممّا تعدّون، ولو رآها أحدنا وأشرف عليها لودّ أن يفتدي ببنيه ﴿وَصاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصيلَتِهِ الَّتي تُؤيهِ، وَمَنْ في الأَرْضِ جَميعاً، ثُمَّ يُنْجيهِ، كَلّا إِنَّها لَظى نَزّاعَةً لِلشَّوى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلّى وَجَمَع فَأَوْعى﴾[2].

ومن هنا جاء ما ورد عن النبيّ ﷺ، أنّه قال لعثمان بن مظعون رضي الله عنه، وقد مات ولده، فاشتدّ حزنه عليه:

يابن مظعون، إنّ للجنّة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب، أفما يسرّك أن لا تأتي باباً منها إلّا وجدت ابنك إلى جنبك، آخذاً بحُجْزتِك، يستشفع لك إلى ربّك، حتّى يشفّعه الله تعالى؟[3]

---

١. المفاوز: جمع مفازة: المهلكة والمهالك. المعجم الوسيط: ٧٠٦، «ف ا ز».

٢. المعارج (٧٠): ١١ ـ ١٨.

٣. أمالي الصدوق: ١/٦٣، المجلس السادس عشر؛ الوسائل ٣: ١١/٢٤٦، الباب ٧٢ من أبواب الدفن؛ شعب الإيمان للبيهقي ٧: ٩٧٦٢/١٣٨؛ كنز العمال ٣: ٢٩٤ ـ ٦٦٢٦/٢٩٥.

وسيأتي له نظائر كثيرة إن شاء الله.

الثالث: أنّك إنّما تحبّ بقاء ولدك لينفعك في دنياك، أو في آخرتك، ولا تريد في الأغلب بقاءه لنفسه؛ فإنّ هذا هو المجبول عليه طبع الخلق. ومنفعته لك على تقدير بقائه غير معلومة، بل كثيراً ما يكون المظنون عدمها، فإنّ الزمان قد صار في آخره، والشقوة والغفلة قد شملت أكثر الخلائق، وقد عزّ السعيد وقلّ الصالح الحميد، فنفعه لك بل لنفسه على تقدير بقائه غير معلوم، وانتفاعه الآن، وسلامته من الخطر، ونفعه لك قد صار معلوماً، فلا ينبغي أن تترك الأمر المعلوم لأجل الأمر المظنون بل الموهوم. وتأمّل أكثر الخلف لأكثر السلف، هل تجد منهم نافعاً لأبويه إلّا أقلّهم، أو مستيقظاً إلّا أوحديّهم، حتّى إذا رأيت واحداً كذلك، فعدّ أُلوفاً بخلافه.

وإلحاقك ولدك الواحد بالفرد النادر دون الأغلب الكثير عين الغفلة والغباوة؛ فإنّ الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، كما ذكره سيّد الوصيّين[1]، وترجمان ربّ العالمين، صلوات الله وسلامه عليه.

مع أنّ ذلك الفرد الذي تريد مثله، إنّما هو صالح نافع بحسب الظاهر، وما الذي يدريك بباطنه وفساد نيّته وظلمه لنفسه؟ فلعلّك لو كشفت عن باطنه ظهر لك أنّه مُنطوٍ على معاصٍ وفضائح لا ترضاها لنفسك ولا لولدك، وتتمنّى أنّ ولدك لو كان على مثل حالته يموت فإنّه خير له.

هذا كلّه إذا كنت تريد أن تجعل ولدك واحداً في العالمين، ووليّاً من الصالحين، فكيف وأنت لا تريده إلّا ليرث بيتك، أو بستانك، أو دوابّك وأمثال ذلك من الأُمور الخسيسة الزائلة عمّا قريب، وتتركه يرث الفردوس الأعلى في جوار أولاد النبيّين والمرسلين، مبعوثاً مع الآمنين الفرحين، مربّىً إن كان صغيراً في حجر سارّة أُمّ النبيّين كما وردت به الأخبار عن سيّد المرسلين[2]؟ ما هذا إلّا معدود من السفه لو عقلت!

ولو كان مرادك أن تجعله من العلماء الراسخين والصلحاء المتّقين، وتورثه علمك وكتبك

---

١. خصائص الأئمة ـ للسيّد الرضي ـ: ١١٥؛ المناقب ـ للخوارزمي ـ: ٣٧٥.

٢. الفقيه ٣: ١٥٣٦/٣١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وغيرها من أسباب الخير، فاذكر أيضاً أنّ ذلك كلّه لو تمّ معك، فما وعد الله تعالى من العوض على فقده أعظم من مقصدك، كما ستسمعه إن شاء الله تعالى.

مثل ما رواه الصدوق، عن الصادق عليه السلام:

ولد واحد يقدّمه الرجل، أفضل من سبعين ولداً يبقون بعده، يدركون القائم عليه السلام[1].

واعتبر أنّه لو قيل: إنّ رجلاً فقيراً معه ولد عليه خُلْقان الثياب، قد أسكنه في خَرِبَةٍ مقفرة ذات آفات كثيرة، وفيها بيوت حيّات وعقارب وسباع ضارية، وهو معه على خطر عظيم، فاطّلع عليه رجل حكيم جليل، ذو ثروةٍ وَحشَم وخدم وقصور عالية ورتب سامية، فَرَقَّ لهذا الرجل ولولده، فأرسل إليه بعض غلمانه: إنّ سيّدي يقول لك: إنّي قد رحمتك ممّا بك في هذه الخَرِبَة، وهو خائف عليك وعلى ولدك من العاهات، وقد تفضّلت عليك بهذا القصر. ينزل به ولدك، ويوكّل به جاريةً عظيمةً من كرائم جواريه، تقوم بخدمته إلى أن تقضي أنت أغراضك التي في نفسك، ثمّ إذا قدمت، وأردت الإقامة أنزلتك معه في القصر، بل في قصر أحسن من قصره.

فقال الرجل الفقير: أنا لا أرضى بذلك، ولا يفارقني ولدي في هذه الخربة، لا لعدم وثوقي بالرجل الباذل، ولا زهداً منّي في داره وقصره، ولا لأماني على ولدي في هذه الخربة، بل طبعي اقتضى ذلك، وما أريد أن أُخالف طبعي.

أفما كنت ـ أيّها السامع لوصف هذا الرجل ـ تعدّه من أدنياء السفهاء وأخسّاء الأغبياء؟! فلا تقع في خُلقٍ لا ترضاه لغيرك، فإنّ نفسك أعزّ عليك من غيرك.

واعلم أنّ لَسْعَ الأفاعي، وأكل السباع، وغيرهما من آفات الدنيا لا نسبة لها إلى أقلّ محنةٍ من محن الآخرة المكتسبة في الدنيا، بل لا نسبة لها إلى إعراض الحقّ سبحانه، وتوبيخه ساعةً واحدةً في عرصة القيامة، أو عرضة واحدة على النار مع الخروج منها بسرعة.

فما ظنّك بتوبيخ يكون ألف عام، أو أضعافه، وبنفحةٍ من عذاب جهنّم يبقى ألمها ألف عام، ولَسْعَةٍ من حيّاتها وعقاربها يبقى ألمها أربعين خريفاً! وأيّ نسبة لأعلى قصر في دار

١. ثواب الأعمال: ٤/٢٣٣، ثواب من قدّم أولاداً....

الدنيا إلى أدنى مسكن في الجنّة! وأيّ مناسبة بين خُلقان الثياب في الدنيا إلى فاخرها إلى أعلى ما في الدنيا بالإضافة إلى سندس الجنّة واستبرقها! وهلمّ جرّاً إلى ما فيها من النعيم المقيم.

بل لو تأمّلت بعين بصيرتك في هذا المثل، وأجلْت فيه رؤيتك، علمت أنّ ذلك الكريم الكبير، بل جميع العقلاء لا يرضون من ذلك الفقير بمجرّد تسليم ولده ورضاهُ بأخذه، بل لابدّ في الحكمة من حمده عليه وشكره، وإظهار الثناء عليه بما هو أهله؛ لأنّ ذلك هو مقتضى حقّ النعمة.

الرابع: أنّ في الجزع بذلك والسخط انحطاطاً عظيماً عن مرتبة الرضى بقضاء الله تعالى، وفي فوات ذلك خطر وخيم، وفوات نيل عظيم، فقد ذمّ الله تعالى من سخط بقضائه، وقال:

من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، فليعبد ربّاً سواي[١].

وفي كلامه تعالى لموسى عليه السلام حين قال له:

دلّني على أمرٍ فيه رضاك، قال: إنّ رضاي في رضاك بقضائي[٢].

وفي القرآن الكريم: ﴿رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٣].

وأوحى الله تعالى إلى داود:

يا داود، تريد وأُريد، وإنّما يكون ما أُريد، فإن سلّمت لما أُريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلّم لما أُريد أتعبتك فيما تريد، ثمّ لا يكون إلّا ما أُريد[٤].

وقال تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾[٥].

واعلم أنّ الرضى بقضاء الله تعالى ثمرة المحبّة لله؛ إذ من أحبّ شيئاً رضي بفعله، ورضى العبد عن الله دليل على رضى الله تعالى عن العبد، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وصاحب

---

١. كنز الفوائد ـ للكراجكي ـ ١: ٣٦٠؛ جامع الأخبار: ١١٣، الفصل السبعون في البلاء؛ دعوات الراوندي: ١٦٩/٤٧١؛ إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٥، بتفاوت يسير.

٢. دعوات الراوندي: ١٦٤/٤٥٣؛ إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٥.

٣. المائدة (٥): ١١٩؛ التوبة (٩): ١٠٠؛ المجادلة (٥٨): ٢٢؛ البيّنة (٩٨): ٨.

٤. التوحيد ـ للصدوق ـ: ٤/٣٣٧، باب المشيئة والإرادة؛ إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٦.

٥. الحديد (٥٧): ٢٣.

هذه المرتبة مع رضى الله تعالى عنه الذي هو أكمل السعادات، وأجلّ الكمالات، لا يزال مستريحاً؛ لأنّه لم يوجد منه أُريد ولا أُريد، كلاهما عنده واحد، ورضوان الله أكبر، إنّ ذلك لمن عزم الأُمور.

وسيأتي لذلك بحث آخر إن شاء الله تعالى في باب الرضى.

واعلم أنّ البكاء لا ينافي الرضى، ولا يوجب السخط، وإنّما مرجع ذلك إلى القلب ـ كما ستعرفه إن شاء الله تعالى ـ ومن ثمّ بكاء الأنبياء والأئمّة عليهم السلام على أبنائهم وأحبّائهم، فإنّ ذلك أمر طبيعي للإنسان، لا حرج فيه إذا لم يقترن بالسخط، وسيأتي.

الخامس: أن ينظر صاحب المصيبة إلى أنّه في دار قد طُبعت على الكدر والعناء، وجُلبت على المصائب والبلاء، فما يقع فيهامن ذلك هو مقتضى جبلّتها وموجب طبيعتها، وإن وقع خلاف ذلك فهو على خلاف العادة لأمر آخر، خصوصاً على الأكابر والنُبَلاء من الأنبياء والأوصياء والأولياء، فقد نزل بهم من الشدائد والأهوال ما تعجز عن حمله الجبال، كما هو معلوم في المصنّفات التي لو ذكر بعضها لبلغ مجلّدات.

وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله:

أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأولياء، ثمّ الأمثل فالأمثل[1].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر[2].

وقد قيل: إنّ الدنيا ليس فيها لذّة على الحقيقة، إنّما لذّاتها راحة من مؤلم. هذا وأحسن لذّاتها وأبهى بهجاتها مباشرة النساء المترتّب عليه حصول الأبناء، كم يعقبه من قذى، أقلّه ضعف القوى وتعب الكسب والعناء. ومتى حصل محبوب كانت آلامه تربو على لذّاته، والسرور به لا يبلغ معشار حسراته، وأقلّ آفاته في الحقيقة الفراق الذي ينكث الفؤاد، ويذيب الأجساد.

---

١. الكافي ٢: ٢/٢٥٢، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ سنن ابن ماجة ٢: ٤٠٢٣/١٣٣٤؛ سنن الدارمي ٢: ٣٢٠؛ الوسائل ٣: ١/٢٦١، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.

٢. الفقيه ٤: ٨٢٤/٢٦٢؛ أمالي الطوسي: ١/٥٢٩، المجلس ١٩؛ صحيح مسلم ٤: ٢٩٥٦/٢٢٧٢؛ سنن ابن ماجة ٢: ٤١١٣/١٣٧٨.

فكلّ ماتظنّ في الدنيا أنّه شرابٌ سرابٌ. وعمارتُها وإن حسنت إلى خراب، ومالُها وإن اغترّ بها الجاهل إلى ذهابٍ. ومن خاض الماء الغمر لا يجزع من بلل، كما أنّ من دخل بين الصفّين لا يخلو من وجل، ومن العجب من يده في فم الأفاعي كيف ينكر اللَسْع، وأعجب منه من يطلب من المطبوع على الضرّ النفع!

وما أحسن قول بعض الفضلاء[١] في مرثية ابنه:

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُريدُها ... صَفواً من الأقذاءِ والأكدارِ

ومُكلِّف الأيّام ضِدَّ طباعِها ... مُتَطَلِّبٌ في الماء جَذْوَةَ نارِ

وإذا رجوتَ المستحيل فإنّما ... تبني البناءَ على شَفيرٍ هارِ[٢]

وقال بعض العارفين: ينبغي لمن نزلت به مصيبة أن يسهّلها على نفسه، ولا يغفل عن تذكّر ما يعقّبه من وجوب الفناء وَتقضّي المسارّ؟، وأنّ الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، يجمعها من لا عقل له، ويسعى لها من لا ثقة له، وفيها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، من صحّ فيها سقم، ومن سقم فيها برم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن[٣].

واعلم أنّك قد خلقت في هذه الدار لغرض خاصّ؛ لأنّ الله تعالى منزّه عن العبث. وقد قال الله تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤]، وقد جعلها مكتسباً لدار القرار، وجعل بضاعتها الأعمال الصالحة، ووقتها العمر، وهو قصير جدّاً بالنظر إلى ما يطلب من السعادة الأبديّة التي لا انقضاء لها.

فإن اشتغلت بها، واستيقظت استيقاظ الرجال، واهتممت بشأنك اهتمام الأبدال، رجوت أن تنال نصيبك منها، فلا تضيّع عمرك في الاهتمام بغير ما خلقت له، يضيع وقتك، ويذهب

---

١. هو عليّ بن محمّد بن نهد التهامي أبوالحسن الشاعر المشهور. راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٣: ٣٧٨ ـ ٣٨١/٤٧١؛ الأعلام ـ للزركلي ـ ٤: ٣٢٧.

٢. وفيات الأعيان ٣: ٣٨٠.

٣. لم نعثر على قائله، لكن بعض فقراته مأخوذ من الحديث المرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تنبيه الخواطر ١: ٧٠، باب العتاب.

٤. الذاريات (٥١): ٥٦.

عمرك بلا فائدة؛ فإنّ الغائب لا يعود، والميّت لا يرجع، وتفوتك السعادة التي خلقت لها. فيالها حسرة لا تفنى، وغبن لا يزول، إذا عاينت درجات السابقين، وأبصرت منازل المقرّبين، وأنت مقصّر من الأعمال الصالحة، خليّ من المتاجر الرابحة، فقس ذلك الألم على هذه الآلام، وادفع أصعبهما عليك وأضرّهما لك، مع أنّك تقدر على دفع سبب هذا، ولا تقدر على دفع سبب ذاك.

كما قال عليّ عليه السلام:

إن صبرت جرى عليك القضاء وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القضاء وأنت مأزور[1].

فاغتنم شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، واجعل الموت نصب عينك، واستعدّ له بصالح العمل، ودع الاشتغال بغيرك، فإنّ الموت يأتي إليك دونه.

وتأمّل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسانِ إِلّا ما سَعى * وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى﴾[2].

فقصّر أملك، وأصلح عملك، فإنّ السبب الأكبري الموجب للاهتمام بالأموال والأولاد طول الأمل.

وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه:

إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحّتك لسقمك، فإنّك لا تدري ما اسمك غداً[3].

وقال عليّ عليه السلام:

إنّ أشدّ ما أخاف عليكم خصلتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل؛ فأمّا اتّباع الهوى فإنّه يعدل عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فإنّه يورث الحبّ للدنيا[4].

---

١. نهج البلاغة: ٧١٧ ـ ٧١٨، الحكمة ٢٩١؛ الكافي ٣: ٢٦١/ ٤٠، باب النوادر؛ الوسائل ٣: ٢٧٠/ ٥، باب ٨٠ من أبواب الدفن.

٢. النجم (٥٣): ٣٩ ـ ٤٠.

٣. تنبيه الخواطر ١: ٢٧١، باب ذكر طول الأمل؛ أمالي الطوسي: ٥٢٦/ ١، المجلس ١٩؛ مكارم الأخلاق: ٤٥٩؛ إرشاد القلوب ١: ٥٣، باب الزهد في الدنيا.

٤. نهج البلاغة: ٨٠ ـ ٨١، الخطبة ٤٢. وأيضاً بهذه المضامين ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله في تنبيه الخواطر ١: ٢٧١، باب بيان ذكر طول الأمل؛ وإرشاد القلوب ١: ٥٩، باب الزهد في الدنيا.

ثمّ قال[١]:

ألا إنّ الله يعطي الدنيا لمن يحبّ ويبغض، وإذا أحبّ عبداً أعطاه الإيمان. ألا إنّ للدين أبناءً، وللدنيا أبناءً، فكونوا من أبناء الدين، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. ألا إنّ الدنيا قد ارتحلت مولّية. ألا إنّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة. ألا وإنّكم في يوم عمل ليس فيه حساب. ألا وإنّكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل[٢].

واعلم أنّ محبوباً يفارقك، وتبقى على نفسك حسرته وألمه، وفي حال إيصاله كدّك وكدحك وجدّك واجتهادك، ومع ذلك لا يخلو زمانك معه من تنغيص[٣] به أو عليه؛ لأجل أن تتسلّى عنه، وتطلب لنفسك محبوباً غيره، وتجتهد في أن يكون موصوفاً بحسن الصحبة ودوام الملازمة، وزيادة الأُنس وتمام المنفعة.

فإن ظفرت به فذلك هو الذي ينبغي أن يكون بغيتك التي تحفظها، وتهتمّ بها وتنفق وقتك عليها، وهو غاية كلّ محبّة، ومنتهى كلّ مقصد، وما ذاك إلّا الاشتغال بالله، وصرف الهمّة إليه، وتفويض ما خرج عن ذلك إليه، فإنّ ذلك دليل على حبّ الله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ﴾[٥].

وقد جعل النبيّ صلى الله عليه وآله الحبّ لله من شرط الإيمان، فقال:

لا يؤمن أحدكم حتّى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما[٦].

ولا يتحقّق الحبّ في قلب أحدكم لأحد مع كراهيّة لفعله وسخطه به، بل مع عدم رضاه على وجه الحقيقة، لا على وجه التكلّف والتعنّت.

وفي أخبار داود عليه السلام:

---

١. أي قال النبيّ صلى الله عليه وآله.

٢. تنبيه الخواطر ١: ٢٧١، باب بيان ذكر طول الأمل؛ إرشاد القلوب ١: ٥٩، باب الزهد في الدنيا. وبهذه المضامين ورد عن عليّ عليه السلام في نهج البلاغة: ٨١، الخطبة ٤٢.

٣. التنغيص: التكدير، يقال نغّص عليه العيش تنغيصاً: كدّره. مجمع البحرين ٤: ١٨٦؛ المعجم الوسيط: ٩٣٦، «ن غ ص».

٤. المائدة (٥): ٥٤.

٥. البقرة (٢): ١٦٥.

٦. إحياء علوم الدين ٤: ٢٩٤؛ سنن ابن ماجة ٢: ٤٠٣٣/١٣٣٩؛ مسند أحمد ٤: ١٣١٨٠/١٣٧. بتفاوت يسير في الأخيرين.

يا داود، أبلغ أهل أرضي: أنّي حبيب من أحبّني، وجليس من جالسني، ومؤنس لمن أنس بذكري، وصاحب لمن صاحبني، ومختار لمن اختارني، ومطيع لمن أطاعني، ما أحبّني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلّا قبلته لنفسي، وأحببته حبّاً لا يتقدّمه أحد من خلقي، من طلبني بالحقّ وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، وهلمّوا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي، وأنسوا بي أُؤانسكم، وأُسارع إلى محبّتكم[1].

وأوحى الله تعالى إلى بعض الصدّيقين:

أنّ لي عباداً من عبادي، يحبّوني وأُحبّهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، فإن أخذتَ طريقتهم أحببتك، وإن عدلتَ عنهم مَقَتُّك.

فقال: يا ربّ وما علامتهم؟

قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي [الراعي] الشفيق غنمه، ويحنّون إلى غروب الشمس كما يحنّ الطير إلى أوكارها عند الغروب، فإذا جنّهم الليل، واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت الأسِرّة، وخلا كلّ حبيب بحبيبه، نصبوا لي أقدامهم، وافترشوا لي وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملّقوني بإنعامي، فبين صارخ وباك، وبين متأوّه وشاك، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحمّلون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبّي، أوّل ما أُعطيهم ثلاثاً:

الأوّل: أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عنّي كما أُخبر عنهم.

والثاني: لو كانت السماوات والأرض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم.

والثالث: أُقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلتُ بوجهي عليه، أيعلم أحد ما أُريد أن أُعطيه؟[2]

وهاهنا نقطع الكلام في المقدّمة، ونشرع في الأبواب.

---

١. إحياء علوم الدين ٤: ٣٢٤.

٢. إحياء علوم الدين ٤: ٣٢٤.

الباب الأوّل

في بيان الأعواض الحاصلة من موت الأولاد وما يقرب من هذا المراد

اعلم أنّ الله سبحانه عدل حكيم، وأنّه غنيّ مطلق، لا يليق بكمال ذاته وجميل صفاته أن يُنزل بعبده المؤمن في دار الدنيا شيئاً من البلاء وإن قلّ، ثمّ لا يعوّضه عنه ما يزيد عليه؛ إذ لو لم يعطه شيئاً كان ظالماً، ولو عوّضه بقدره كان عابثاً، تعالى الله عنهما علوّاً كبيراً.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد تظافرت بذلك الأخبار النبويّة ومنها:

أنّ المؤمن لو يعلم ما أعدّ الله له على البلاء، لتمنّى أنّه في دار الدنيا قُرض بالمقاريض[1].

ولنقتصر منها على ما يختصّ بما نحن فيه، فقد رواه عن النبيّ ﷺ أزيد من ثلاثين صحابيّاً.

وروى الصدوق ﷺ بإسناده إلى عمرو بن عبسة السلمي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

أيّما رجل قدّم ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث، أو امرأة قدّمت ثلاثة أولاد، فهم حجاب يسترونه عن النار[2].

---

١. لم نعثر على من رواها عن النبيّ ﷺ، ولكن رواه الكليني في الكافي ٢: ١٥/٢٥٥، باب شدّة ابتلاء المؤمن عن الصادق عليه السلام؛ وهكذا روي في تنبيه الخواطر ٢: ٢٠٤؛ والوسائل ٣: ١٣/٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.

٢. ثواب الأعمال: ٢/٢٣٣، ثواب من قدّم أولاداً....

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال:

ما من مسلمَين يقدّمان عليهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث، إلّا أدخلهما الله الجنّة بفضل رحمته[١].

«الحنث» بكسر الحاء المهملة، وآخره ثاء مثلثة: الإثم والذنب[٢]، والمعنى: أنّهم لم يبلغوا السنّ الذي يكتب عليهم فيه الذنوب والآثام. قال الخليل: بلغ الغلام الحنث، أي جرى عليه القلم[٣].

وبإسناده إلى جابر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، قال:

من قدّم أولاداً يحتسبهم عند الله تعالى، حجبوه من النار بإذن الله عزّ و جلّ[٤].

وبإسناده إلى عليّ بن ميسّر، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال:

ولد واحد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين يخلفونه من بعده، كلّهم قد ركب الخيل، وقاتل في سبيل الله[٥].

وعنه عليه السلام:

ثواب المؤمن من ولده[إذا مات][٦] الجنّة، صبر أو لم يصبر[٧].

وعنه عليه السلام:

من أُصيب بمصيبةٍ جزع عليها أو لم يجزع، صبر عليها أو لم يصبر، كان ثوابه من الله الجنّة[٨].

وعنه عليه السلام:

---

١. ثواب الأعمال: ٣/٢٣٣، ثواب من قدّم أولاداً...؛ سنن النسائي ٤: ٢٤ ـ ٢٥، باب من يتوفّى له ثلاثة؛ شعب الإيمان ٣: ٣٣٤٥/٢١١، و٧: ٩٧٤٨/١٣٣.

٢. المعجم الوسيط: ٢٠١، «ح ن ث».

٣. العين ٣: ٢٠٦، «ح ن ث».

٤. الفقيه ١: ٥٧٤/١١٩؛ ثواب الأعمال: ١/٢٣٣، ثواب من قدّم أولاداً...؛ أمالي الصدوق: ٦/٤٣٤، المجلس الثمانون؛ الكافي ٣: ١٠/٢٢٠، باب المصيبة بالولد؛ الوسائل ٣: ٨/٢٤٥، الباب ٧٢ من أبواب الدفن.

٥. الكافي ٣: ١/٢١٨، باب المصيبة بالولد؛ الفقيه ١: ٥١٩/١١٢؛ الوسائل ٣: ١/٢٤٣، الباب ٧٢ من أبواب الدفن.

٦. ما بين المعقوفين أضفناه من المصادر.

٧. الكافي ٣: ٢١٩ ـ ٨/٢٢٠، باب المصيبة بالولد؛ الفقيه ١: ٥١٨/١١٢؛ الوسائل ٣: ٢٤٤ ـ ٧/٢٤٥، الباب ٧٢ من أبواب الدفن.

٨. الفقيه ١: ٥١٧/١١١.

ولدٌ واحدٌ يقدّمه الرجلُ أفضلُ من سبعين ولداً يبقون بعده، يُدرِكون القائمعليه السلام[١].

وروى الترمذي بإسناده إلى النبيّصلى الله عليه وآله، أنّه قال:

ما يزال[٢] البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله، حتّى يلقى الله عزّ وجلّ وما عليه خطيئة[٣].

وعن محمّد بن خالد السلمي، عن أبيه، عن جدّه ـ وكانت له صحبة ـ قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول:

إنّ العبد إذا سبقت له من الله تعالى منزلة ولم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثمّ صبّره على ذلك، حتّى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عزّ وجلّ[٤].

وعن ثوبان مولى رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول:

بخ بخ، خمس ما أثقلهنّ في الميزان: لا إله إلّا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفّى للمرء المسلم فيحتسبه[٥].

«بخ بخ» كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء[٦]، وتكرّر للمبالغة، وربّما شدّدت. ومعناها: تفخيم الأمر وتعظيمه. ومعنى يحتسبه، أي يجعله حسبة وكفاية عند الله عزّ وجلّ، أي يحتسب بصبره على مصيبته بموته، ورضاه بالقضاء.

وعن عبدالرحمن بن سمرة، عن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال:

إنّي رأيت البارحة عجباً ـ فذكر حديثاً طويلاً، وفيه ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قد خفّ ميزانه، فجاء أفراطه فثقّلوا ميزانه[٧].

«الفرط» بفتح الفاء والراء: هو الذي لم يدرك من الأولاد الذكور والإناث، وتتقدّم وفاته

---

١. ثواب الأعمال: ٤/٢٣٣، ثواب من قدّم أولاداً...؛ الوسائل ٣: ١٠/٢٤٥، الباب ٧٢ من أبواب الدفن.

٢. في جميع النسخ «ما نزل» بدل «ما يزال» وما أثبتناه من المصدر، وهو الموافق لغرض الشهيد.

٣. سنن الترمذي ٤: ٢٣٩٩/٦٠٢.

٤. سنن أبي داود ٣: ٣٠٩٠/١٨٣؛ الترغيب والترهيب ٤: ٢٥/٢٨٣؛ الجامع الصغير ١: ٦٦٩/٤٧؛ المعجم الأوسط ٢: ١٠٨٩/٥٢.

٥. الخصال ١: ١/٢٦٧، باب الخمسة؛ شعب الإيمان ٧: ٩٧٥٥/١٣٦؛ الجامع الصغير ١: ٣١٢٩/١٨٨؛ الدرّ المنثور ١: ٣٨٣.

٦. المعجم الوسيط: ٤٠، «ب خ».

٧. الجامع الصغير ١: ٢٦٥٢/١٥٨؛ كنز العمّال ١٥: ٩٢٦ ـ ٤٣٥٩٢/٩٢٧؛ مجمع الزوائد ٧: ١٧٩؛ المعجم الكبير ٢٥: ٢٨١ ـ ٣٩/٢٨٢.

على أبويه أو أحدهما، يقال: فرط القوم، إذا تقدّمهم، وأصله الذي يتقدّم الركب إلى المـاء، ليهيّئ لهم أسبابه[١].

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

تزوّجوا فإنّي مكاثر بكم الأُمم يوم القيامة، حتّى أنّ السقط ليظلّ مُحْبَنْطِئاً على بـاب الجنّة فيقال له: ادخل، فيقول: [لا] حتّى يدخل أبواي[٢].

«السقط» ـ مثلّث السين، والكسر أكثر ـ: هو الذي يسقط من بطن أُمّـه قـبل تـمامه[٣]، و«محبنطئاً» ـ بالهمز وتركه ـ: هو المتغضّب المستبطئ للشيء[٤].

وعن معاوية بن حيدة القشيري، عن النبيّ ﷺ، قال:

سوداء ولود خير من حسناء لا تلد، إنّي مكاثر بكم الأُمم، حتّى أنّ السقط ليظلّ محبنطئاً على باب الجنّة فيقال له: ادخل الجنّة، فيقول: أنا وأبواي؟ فيقال: أنت وأبواك[٥].

وعن عبدالملك بن عمير، عمّن حدّثه، أنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ، فقال:

يا رسول الله أتزوّج فلانة؟ فنهاه رسول الله ﷺ عنها، ثمّ أتاه ثانية فقال: يا رسول الله، أتزوّج فلانة؟ فنهاه عنها، ثمّ أتاه ثالثة فقال رسول الله ﷺ: سوداء ولود أحبّ إليّ من عاقر حسناء، ثمّ قال ﷺ: أما علمت أنّي مكاثر بكم الأُمم؟ حتّى أنّ السقط ليبقى مُحْبَنْطِئاً على باب الجنّة فيقال له: ادخل، فيقول: لا، حتّى يدخل أبواي، فيشفع فيهما فيدخلان الجنّة؟[٦].

وعن سهل بن الحنظليّة، وكان لا يولد له، وهو ممّن بايع تحت الشجرة، قال:

لئن يولد لي في الإسلام ولد ويموت سقطاً فأحتسبه، أحبّ إليّ من أن تكون لي الدنيا جميعاً وما فيها[٧].

---

١. لسان العرب ٧: ٣٦٦ ـ ٣٦٧، «ف ر ط».

٢. الفقيه ٣: ١١٤٤/٢٤٢؛ معاني الأخبار: ١/٢٩١، باب معنى المحبنطي؛ مجمع الزوائد ٣: ١٠ـ١١؛ مكارم الأخلاق: ١٩٦.

٣. المعجم الوسيط: ٤٣٥، «س ق ط».

٤. حكى هذا المعنى الصدوق عن أبي عبيدة في معاني الأخبار: ٢٩١، باب معنى المحبنطي.

٥. الجامع الصغير ٢: ٤٧٢٤/٢٩٠؛ مجمع الزوائد ٤: ٢٥٨، باب تزويج الولود؛ المعجم الكبير ١٩: ١٠٠٤/٤١٦؛ كنز العمال ١٦: ٤٤٤٢٧/٢٧٤.

٦. جامع المسانيد ٢: ٩٩ ـ ١٠٠، وفيه صدر الحديث.

٧. كنز العمال ١٦: ٤٥٥٩٩/٤٩؛ أسد الغابة ٢: ٣٦٤، باختلاف في ألفاظه.

وعن عبادة بن الصامت، أنّ رسول الله ﷺ قال:

النُفَساء يجرّها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنّة[١].

«النُفَسا» ـ بضمّ النون وفتح الفاء ـ: المرأة إذا ولدت. و«السرر» ـ بكسر السين المهملة وفتحها ـ: ما تقطعه القابلة من سرّة المولود[٢]، التي هي موضع القطع، وما بقي بعد القطع فهو السرّة، وكأنّه يريد: الولد الذي لم تقطع سرّته.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ:

من قدّم من صلبه ولداً لم يبلغ الحِنث، كان أفضل من أن يخلّف من بعده مائة، كلّهم يجاهدون في سبيل الله لا تسكن روعتهم إلى يوم القيامة.

وعن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ:

لئن أُقدّم سقطاً أحبّ إليّ من أن أُخلّف مائة فارس، كلّهم يقاتل في سبيل الله[٣].

وعن أيّوب بن موسى، أنّ النبيّ ﷺ قال للزبير:

يا زبير إنّك إن تقدّم سقطاً خير من أن تدع بعدك من ولدك مائة، كلّ منهم على فرس يجاهد في سبيل الله.

وعن النبيّ ﷺ، أنّه قال:

يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنّة، فيقولون: يا ربّ، حتّى يدخل آباؤنا وأُمّهاتنا، قال: فيأبون، فيقول الله عزّ وجلّ: ما لي أراهم محبنطئين، ادخلوا الجنّة، فيقولون: يا ربّ، آباؤنا، فيقول تعالى: ادخلوا الجنّة أنتم وآباؤكم[٤].

وعن عبيد بن عمير الليثي، قال:

إذا كان يوم القيامة، خرج ولدان المسلمين من الجنّة بأيديهم الشراب، قال: فيقول الناس لهم: اسقونا، اسقونا، فيقولون: أبوينا، أبوينا، قال: حتّى أنّ السقط محبنطئاً بباب الجنّة، فيقول: لا أدخل حتّى يدخل أبواي.

---

١. مجمع الزوائد ٥: ٢٩٩، باب فيما تحصل به الشهادة؛ شعب الإيمان ٧: ٩٧٦٤/١٣٩؛ مسند أحمد ٤: ٥٤٢ـ١٥٥٦٨/٥٤٣؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٨٧/٢٨٧.

٢. المعجم الوسيط: ٤٢٧، «س ر ر».

٣. تنبيه الخواطر ١: ٢٨٧، بيان ما ينبغي أن يقال عند موت الولد؛ إحياء علوم الدين ٤: ٤٨٩.

٤. مجمع الزوائد ٣: ١١، باب فيمن مات له واحد؛ مسند أحمد ٥: ١٦٥٢٣/٧٦.

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المؤمنين: أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، ثمّ ينادي فيهم: أن امضوا إلى الجنّة زمراً، فيقولون: ربّنا، ووالدينا معنا؟ ثمّ ينادي فيهم ثانية: أن امضوا إلى الجنّة زمراً، فيقولون: ربّنا، ووالدينا معنا؟ ثمّ ينادي فيهم ثالثة: أن امضوا إلى الجنّة زمراً، فيقولون: ربّنا، ووالدينا؟ فيقول في الرابعة: ووالديكم معكم، فيثبّ كلّ طفل إلى أبويه، فيأخذون بأيديهم، فيدخلون بهم الجنّة، فهم أعرف بآبائهم وأُمّهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم.

«الزمر» الأفواج المتفرّقة بعضها في أثر بعض، وقيل[1] في الزمر الذين اتّقوا[2]: من الطبقات المختلفة، أي الشهداء، والزهّاد، والعلماء، والفقراء، والقرّاء، والمحدّثون وغيرهم.

وعن أنس بن مالك:

إنّ رجلاً كان يجيء بصبيّ معه إلى رسول الله ﷺ، وأنّه مات، فاحتبس والده عن رسول الله ﷺ، فسأل عنه، فقالوا: مات صبيّه الذي رأيته معه، فقال ﷺ: هلاّ آذنتموني؟ فقوموا إلى أخينا نعزّيه، فلمّا دخل عليه إذن الرجل حزين وبه كآبة فعزّاه، فقال: يا رسول الله، كنت أرجوه لكبر سنّي وضعفي، فقال رسول الله ﷺ: أما يسرّك أن يكون يوم القيامة بإزائك؟ فيقال له: ادخل الجنّة، فيقول: يا ربّ وأبواي، فلا يزال يشفع حتّى يشفّعه الله عزّ وجلّ فيكم، ويدخلكم الجنّة جميعاً[3].

«احتبس» أي تخلّف عن المجيء إلى النبيّ ﷺ. و«آذنتموني» ـ بالمدّ ـ: أي أخبرتموني. و«الكآبة» ـ بالمدّ ـ: تغيّر النفس بالانكسار من شدّة الهمّ والحزن. و«الضعف» بضمّ المعجمة وفتحها. و«بإزائك» أي بحذائك.

وعن أنس أيضاً قال:

توفّي لعثمان بن مظعون ﷺ ولد، فاشتدّ حزنه عليه، حتّى اتّخذ في داره مسجداً يتعبّد فيه، فبلغ ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا عثمان، إنّ الله عزّ وجلّ لم يكتب علينا الرهبانيّة، إنّما رهبانيّة أُمّتي الجهاد في سبيل الله. يا عثمان بن مظعون، إنّ للجنّة ثمانية

---

١. انظر تفسير البيضاوي ٤: ٤٦.

٢. الزمر (٣٩): ٧٣: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً﴾.

٣. تسلية أهل المصائب: ١٢٤.

أبواب، وللنّار سبعة أبواب، أفلا يسرّك ألّا تأتي باباً منها إلّا وجدت ابنك بجنبه آخذاً بحجزتك، ليشفع لك إلى ربّه عزّ وجلّ؟ قال: فقيل: يا رسول الله ولنا في أفراطنا ما لعثمان؟ قال: نعم، لمن صبر منكم واحتسب[١].

و«الحجزة» ـ بضم الحاء المهملة والزاء ـ: موضع شدّ الإزار[٢]، ثمّ قيل للإزار: حجزة.

وعن قرّة بن إياس:

أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يختلف إليه رجل من الأنصار مع ابن له، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم: يا فلان، تحبّه؟ قال: نعم يا رسول الله، أُحبّكَ كما أُحبّه، ففقده النبيّ صلى الله عليه وآله، فسأل عنه، فقالوا: يا رسول الله، مات ابنه، فلمّا رآه قال عليه الصلاة والسلام: أما ترضى أن لا تأتي يوم القيامة باباً من أبواب الجنّة، إلّا جاء يسعى حتّى يفتحه لك؟ فقال رجل: يا رسول الله، ألَهُ وحده أم لِكُلّنا؟ قال: بل لِكُلّكمْ[٣].

وروى البيهقي:

أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا جلس تحلّق إليه نفر من أصحابه، وكان فيهم رجل له بُنَيّ صغير، يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه إلى أن هلك ذلك الصبيّ، فامتنع الرجل من تلك الحلقة أن يحضرها؛ تذكّراً له وحزناً عليه، قال: ففقده النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال مالي لا أرى فلاناً؟ قالوا: يا رسول الله بنيّه الذي رأيته هلك.. فمنعه الحزن ـ أسفاً عليه وتذكّراً له ـ أن يحضر الحلقة، فلقيه النبيّ صلى الله عليه وآله، فسأله عن ابنه، فأخبره بهلاكه فعزّاه، وقال: يا فلان، أيّما كان أحبّ إليك: أن تمتّع به عمرك، أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلّا وجدته قد سبقك إليه، يفتحه لك؟ قال: يا نبيّ الله، لا، بل يسبقني إلى باب الجنّة أحبّ إليّ، قال: فذاك لك. فقام رجل من الأنصار، فقال: يا نبيّ الله، أهذا لهذا خاصّة؟ أم من هلك له طفل من المسلمين كان له ذلك؟ قال: بل من هلك له طفل من المسلمين كان له ذلك[٤].

«الحلقة» ـ بإسكان اللّام بعد فتح الحاء ـ: كلّ شيء مستدير خالي الوسط، والجمع

---

١. أمالي الصدوق: ١/٦٣، المجلس السادس عشر؛ الوسائل ٣: ١١/٢٤٦، باب ٧٢ من أبواب الدفن؛ شعب الإيمان ٧: ٩٧٦١/١٣٧؛ كنز العمّال ٣: ٢٩٤ ـ ٦٦٢٦/٢٩٥؛ الدرّ المنثور ١: ٣٨٣.

٢. المعجم الوسيط: ١٥٨، «ح ج ز».

٣. مسند أحمد ٤: ١٥١٦٨/٤٥٨؛ سنن النسائي ٤: ٢٣، باب الإشعار؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ١: ٣٨٤؛ الدرّ المنثور ١: ٣٨٢؛ شعب الإيمان ٧: ٧٩٧٥٣/١٣٥.

٤. السنن الكبرى ٤: ٩٨ ـ ٧٠٨٩/٩٩؛ وروي في سنن النسائي ٤: ١١٨ باب في التعزية باختلاف يسير.

«حلق» بفتحتين، وحكى فتحه في الموجز[١] وهو نادر.

وعن زرارة بن أوفى أنّ رسول الله ﷺ عزّى رجلاً على ابنه، فقال:

آجرك الله، وأعظم لك الأجر فقال الرجل: يا رسول الله، أنا شيخ كبير، وكان ابني قد أجزأ عنّي، فقال له النبيّ ﷺ: أيسرّك أن يشير لك أو يتلقّاك من أبواب الجنّة بالكأس؟ قال: من لي بذلك يا رسول الله؟ فقال الله لك به، ولكلّ مسلم مات ولده في الإسلام.

«أجزأ» بمعنى كفى. و«الكأس» ـ بالهمز، وقد يترك تخفيفاً ـ هو الإناء فيه شراب، ولا يسمّى بذلك إلّا بانضمامه إليه، وقيل: هو اسم لهما على الاجتماع والانفراد، والجمع «أكؤس»، ثمّ «كؤوس»[٢].

وعن عبدالله بن قيس، عن رسول الله ﷺ:

إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك، واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنّة، وسمّوه بيت الحمد[٣].

وروي أنّ امرأة أتت النبيّ ﷺ، ومعها ابن لها مريض، فقالت:

يا رسول الله، ادع الله تعالى أن يشفي لي ابني هذا، فقال لها رسول الله ﷺ هل لك فرط؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: في الجاهليّة أم في الإسلام؟ قالت: بل في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: جُنَّةٌ حصينة، جُنَّةٌ حصينة[٤].

«الجُنّة» ـ بضمّ الجيم ـ: الوقاية، أي وقاية لك من النار، أو من جميع الأهوال.

و«حصينة» فعيل بمعنى فاعل، أي محصنة لصاحبها، وساترة له من أن يصل إليه شرّ.

وعن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

من دفن ثلاثة أولاد، وصبر عليهم، واحتسب وجبت له الجنّة، فقالت أُمّ أيمن: واثنين؟ فقال: من دفن اثنين، وصبر عليهما، واحتسبهما وجبت له الجنّة. فقالت أُمّ أيمن: وواحد،

---

١. لسان العرب ١٠: ٦١؛ وتاج العروس ٢٥: ١٨٥، «ح ل ق».

٢. انظر تاج العروس ١٦: ٤٢٣؛ والمعجم الوسيط: ٧٧١، «ك أ س».

٣. الكافي ٣: ٤/٢١٨، باب المصيبة بالولد؛ الفقيه ١: ٥٢٣/١١٢؛ الوسائل ٣: ١/٢٤٦، الباب ٧٣ من أبواب الدفن؛ الجامع الصغير ١: ٨٥٤/٥٩؛ مسند أحمد ٥: ١٩٢٢٦/٥٦٩؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٥٢/٣٨١؛ الدرّ المنثور ١: ٣٧٩.

٤. مجمع الزوائد ٣: ١٠، باب فيمن مات له واحد.

فسكت، وأمسك، فقال: يا أُمّ أيمن، من دفن واحداً، وصبر عليه، واحتسبه وجبت له الجنّة[١].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

من قدّم ثلاثة لم يبلغوا الحِنث، كانوا له حصناً حصيناً، فقال أبو ذر: قدّمت اثنين، فقال ﷺ واثنين، ثمّ قال أُبيّ بن كعب: قدّمت واحداً، فقال ﷺ: وواحداً، ولكن إنّما ذاك عند الصدمة الأُولى[٢].

وعن أبي سعيد الخدري:

أنّ النساء قلن للنبيّ ﷺ:

اجعل لنا يوماً تعظنا فيه، فوعظهنّ، وقال: أيّما امرأة مات لها ثلاثة من الولد، كانوا لها حجاباً من النار قالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان[٣].

وعن بريدة، قال:

كان رسول الله ﷺ يتعاهد الأنصار، ويعودهم، ويسأل عنهم، فبلغه أنّ امرأة مات ابن لها، فجزعت عليه، فأتاها فأمرها بتقوى الله عزّ وجلّ، والصبر، فقالت: يا رسول الله، إنّي امرأة رقوب لا ألد، ولم يكن لي ولد غيره، فقال رسول الله ﷺ: الرقوب التي يبقى لها ولدها، ثمّ قال: ما من امرئ مسلم، أو امرأة مسلمة يموت لهما ثلاثة من الولد، إلّا أدخلهما الله الجنّة، فقيل له واثنان؟ فقال: واثنان[٤].

وفي حديث آخر أنّه ﷺ قال لها:

أما تحبّين أن ترينه على باب الجنّة وهو يدعوك إلينا؟ قالت: بلى، قال: فإنّه كذلك[٥].

«الرقوب» ـ بفتح الراء ـ: هي التي لا يولد لها، أو لا يعيش ولدها[٦]، هذا بحسب اللغة، وقد خصّه النبيّ ﷺ بما ذكر.

---

١. مجمع الزوائد ٣: ١٠، باب فيمن مات له واحد؛ الدرّ المنثور ١: ٣٨٣.

٢. سنن الترمذي ٣: ١٠٦١/٣٧٥؛ سنن ابن ماجة ١: ١٦٠٦/٥١٢؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٩٤/٢٨٩؛ الدرّ المنثور ١: ٣٨١.

٣. صحيح البخاري ١: ١٠١/٥٠؛ صحيح مسلم ٤: ٢٠٢٨ ـ ٢٦٣٣/٢٠٢٩؛ مسند أحمد ٣: ١٠٩٠٣/٤٢١؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٨٢/٢٨٦؛ الترغيب والترهيب ٣: ٧٦ ـ ٦/٧٧.

٤. المستدرك ـ للحاكم ـ ١: ٣٨٤؛ مجمع الزوائد ٣: ٨؛ الدرّ المنثور ١: ٣٨٢.

٥. كنز العمّال ٣: ٨٦٧٥/٧٦٠؛ شعب الإيمان ٧: ٩٧٥٧/١٣٦.

٦. المعجم الوسيط: ٣٦٤، «ر ق ب».

وعن أبي النضر السلمي أنّ رسول الله ﷺ قال:

لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم، إلّا كانوا له حصناً من النار، فقالت امرأة: واثنان؟ فقال: واثنان[١].

وعنه ﷺ:

من قدّم من ولده ثلاثاً صابراً محتسباً، كان محجوباً من النار بإذن الله عزّ وجلّ[٢].

وفي لفظ آخر:

من قدّم شيئاً من ولده صابراً محتسباً، حجبوه بإذن الله من النار[٣].

وعن أُمّ مبشّر الأنصاريّة، عن رسول الله ﷺ، أنّه دخل عليها وهي تطبخ حبّاً، فقال:

من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحِنث، كانوا له حجاباً من النار، فقالت: يا رسول الله، واثنان؟ فقال لها: واثنان، يا أُمّ مبشّر[٤].

وفي لفظ آخر: فقالت: أو فرطان؟ قال: أو فرطان[٥].

وعن قبيصة بن برمة، قال:

كنت عند رسول الله ﷺ جالساً، إذ أتته امرأة، فقالت: يا رسول الله، ادع الله لي، فإنّه ليس يعيش لي ولد، قال: وكم مات لك؟ قالت: ثلاثة، قال: لقد احتظرت من النار بحظار شديد[٦].

«الحظار» ـ بكسر الحاء المهملة والظاء المشالة ـ: الحظيرة تعمل للإبل من شجر ليقيها البرد والريح[٧]، ومنه المحظور للمحرم، أي الممنوع من الدخول فيه، كأنّ عليه حظيرة تمنع من دخوله.

وعن أُبيّ بن كعب أنّ النبيّ ﷺ قال لامرأة:

---

١. تنبيه الخواطر ١: ٢٨٧؛ موطأ مالك ١: ٢٣٥/٣٩؛ الدرّ المنثور ١: ٣٨٢؛ التمهيد ٦: ٣٦٢.

٢. مسند أحمد ٣: ٣٨٨/١٠٧٢٢.

٣. جامع الأحاديث ٧: ٣٢٦/٢٢٧٣٤؛ مجمع الزوائد ٣: ٩؛ المعجم الأوسط ١: ٣٩٢/٦٨٨؛ كنز العمّال ٣: ٢٩١/٦٦٠٨.

٤. الترغيب والترهيب ٣: ٧٦ ـ ٧٧/٦ عن امرأة.

٥. مجمع الزوائد ٣: ٩؛ كنز العمّال ٣: ٢٩٤/٦٦٢٥.

٦. صحيح مسلم ٤: ٢٠٣٠/٢٦٣٦؛ مسند أحمد ٣: ١٤٨/٩١٥٠؛ سنن النسائي ٤: ٢٦؛ كنز العمّال ٣: ٢٨٨/٦٥٨٩.

٧. المعجم الوسيط: ١٨٣، «ح ظ ر».

هل لك فرط؟ قالت: ثلاثة، قال ﷺ: جُنّة حصينة[١].

وعنه ﷺ:

ما من مسلمين يقدّمان ثلاثة لم يبلغوا الحِنث، إلّا أدخلهما الله الجنّة بفضل رحمته، قالوا: يا رسول الله، وذو الاثنين؟ قال: وذو الاثنين، إنّ من أُمّتي مَن يدخل الجنّة بشفاعته أكثر من مضر، وإنّ من أُمّتي من يستعظم للنار حتّى يكون إحدى زواياها[٢].

رواه جماعة من أهل الحديث وصحّحوه.

وعنه ﷺ قال:

قال الله تعالى حقّت محبّتي للذين يتصادقون من أجلي، وحقّت محبّتي للذين يتناصرون من أجلي.

ثمّ قال عليه وآله السلام: ما من مؤمن ولا مؤمنة يقدّم الله تعالى له ثلاثة أولاد من صلبه لم يبلغوا الحِنث، إلّا أدخله الله الجنّة بفضل رحمته إيّاهم[٣].

وعنه ﷺ:

من دفن ثلاثة من الولد حرّم الله عليه النار[٤].

وعن صعصعة بن معاوية، قال:

لقيت أبا ذر الغفاري ﷺ بالربذة، وهو يسوق بعيراً له عليه مزادتان، وفي عنق البعير قربة، فقلت: يا أبا ذر، مالك؟ قال: عملي. قلت: حدّثني رحمك الله. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحِنث، إلّا غفر الله لهما بفضل رحمته إيّاهم[٥].

قال، قلت: فحدّثني، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد مسلم ينفق من كلّ ماله زوجين في سبيل الله، إلّا استقبلته حجبة الجنّة كلّهم يدعوه إلى ما عنده، فقلت: كيف ذلك؟ قال: إن كان رحالاً فَرَحْلَين، وإن كان بعيراً فبعيرين، وإن كان بقراً فبقرتين، حتّى عدّ أصناف المال[٦].

---

١. مجمع الزوائد ٣: ٦، ١٠؛ المصنّف ـ لابن شيبة ـ ٣: ١٤/٢٣٤.

٢. الترغيب والترهيب ٣: ١٢/٧٨؛ مسند أحمد ٥: ١٧٤٠٣/٢٤٤؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ١: ٧١؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٩٩/٢٩٠.

٣. المعجم الأوسط ١٠: ٣١ ـ ٩٠٧٦/٣٢؛ مجمع الزوائد ٣: ٦.

٤. الجامع الصغير: ٨٦٦٩/٥٢٥؛ مجمع الزوائد ٣: ٧؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٥٦/٢٨١.

٥. سنن النسائي ٤: ٢٤؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٦٧/٢٨٣.

٦. سنن النسائي ٦: ٤٨ ـ ٤٩؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ٢: ٨٦؛ الدرّ المنثور ٢: ٣٩.

ذكره جماعة.

وعن أنس بن مالك، قال: وقف رسول الله ﷺ على مجلس من بني سلمة، فقال:

يا بني سلمة، ما الرقوب فيكم؟ قالوا: الذي لا يولد له. قال: بل هو الذي لا فرط له. قال: ما المعدم فيكم؟ قالوا: الذي لا مال له. قال: بل هو الذي يقدم وليس له عند الله خير[١].

وعن ابن مسعود، قال: دخل رسول الله ﷺ على امرأة يعزّيها بابنها، فقال:

بلغني أنّك جزعت جزعاً شديداً، قالت: وما يمنعني يا رسول الله وقد تركني عجوزاً رقوباً؟ فقال لها رسول الله ﷺ: لست بالرقوب، إنّما الرقوب التي تتوفّى وليس لها فرط، ولا يستطيع الناس أن يعودوا عليها من أفراطهم؛ فتلك الرقوب.

وهذه الأحاديث كلّها مستخرجة من أُصول مسندة، تركنا إسنادها وأُصولها اختصاراً، ولأنّ الله سبحانه بفضله ورحمته قد وعد الثواب لمن عمل بما بلغه، وإن لم يكن الأمر كما بلغه. ورد ذلك أيضاً في عدّة أحاديث من طرقنا[٢] وطرق العامّة[٣].

فصل في ما يتعلّق بهذا الباب

عن زيد بن أسلم، قال: مات لداود عليه السلام ولد، فحزن عليه حزناً كثيراً، فأوحى الله إليه:

يا داود، ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: يا ربّ، كان يعدل هذا عندي ملءَ الأرض ذهباً، قال: فلك عندي يوم القيامة ملءُ الأرض ثواباً[٤].

وعن داود بن أبي هند، قال:

رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، وكأنّ الناس يدعون إلى الحساب، قال: فقرّبت إلى الميزان، ووضعت حسناتي في كفّة، وسيّئاتي في كفّة؛ فرجّحت السيّئات على الحسنات،

---

١. مجمع الزوائد ٣: ١١؛ جامع الأحاديث ٩: ١٥٢/ ٢٧٧١٠.

٢. الكافي ٢: ٨٧/ ١ ـ ٢؛ باب من بلغه ثواب من الله على عمل؛ عدّة الداعي: ٩؛ الوسائل ١: ٨٠ ـ ٨٢؛ الباب ١٨ من أبواب مقدّمة العبادات.

٣. كنز العمّال ١٥: ٧٩١/ ٤٣١٣٢ ـ ٤٣١٣٣.

٤. تنبيه الخواطر ١: ٢٨٧؛ شعب الإيمان ٧: ١٣٩/ ٩٧٦٥؛ الدرّ المنثور ٧: ١٧٠.

فبينما أنا كذلك مغموم إذ أُتيت بمنديل أبيض، أو خرقة بيضاء فوضعت مع حسناتي فرجحت، فقيل لي أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قيل: هذا سقط كان لك، قلت: فإنّه كانت لي ابنة، فقيل: بنتك ليست كذلك؛ لأنّك كنت تتمنّى موتها.

وعن أبي شوذب:

أنّ رجلاً كان له ابن لم يبلغ الحلم، فأرسل إلى قومه فقال: إنّ لي إليكم حاجة، قالوا: ما هي؟ قال: إنّي أُريد أن أدعو على ابني هذا أن يقبضه الله تعالى، وتؤمّنون على دعائي، قال: فسألوه عن سبب ذلك، فأخبرهم أنّه رأى في نومه كأنّ الناس قد جمعوا ليوم القيامة، وأصابهم عطش شديد، فإذن الولدان قد خرجوا من الجنّة معهم الأباريق، وفيهم ابن أخ له، فالتمس منه أن يسقيه فأبى، وقال: يا عمّ، إنّا لا نسقي إلّا الآباء، فأحببت أن يجعل الله ولدي هذا فرطاً لي، فدعا فأمّنوا، فلم يلبث الصبيّ حتّى مات.

أخرجه البيهقي في الشعب[١].

وعن محمّد بن خلف، قال:

كان لإبراهيم الحربي ابن له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقّنه أبوه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً فمات، فأتيته لأعزّيه، فقال لي: كنت أشتهي موته، فقلت له: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا، تقول مثل هذا في صبيّ قد أنجب، وحفظ القرآن، ولقّنته الحديث والفقه؟! قال: نعم، رأيت في النوم كأنّ القيامة قد قامت، وكأنّ صبياناً بأيديهم قلال[٢] وفيها ماء، يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً حارّاً شديد الحرّ، فقلت لأحدهم: إسقني من هذا الماء. فنظر إليّ، وقال: لست أنت أبي، قلت: فأيّ شيء أنتم؟ قالوا: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، وخلّفنا آباءنا فنستقبلهم ونسقيهم الماء؛ فلهذا تمنّيت موته[٣].

وروى الغزالي في الإحياء:

أنّ بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج برهة من دهره فيأبى، قال: فانتبه من نومه

---

١. شعب الإيمان ٧: ١٣٩ ـ ٩٧٦٦/١٤٠.

٢. «القلال: جمع القُلّة، وهي الحُبُّ العظيم»، لسان العرب ١١: ٥٦٥، «ق ل ل».

٣. تسلية أهل المصائب: ٣٢.

ذات يوم، وقال: زوّجوني، فزوّجوه، فسئل عن ذلك، فقال لعلّ الله تعالى أن يرزقني ولداً ويقبضه، فيكون لي مقدّمة في الآخرة، ثمّ قال: رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، وكأنّي في جملة الخلائق في الموقف، وبي من العطش ماكاد أن يقطع قلبي، وكذا الخلائق من شدّة العطش والكرب، فبينما نحن كذلك وإذن ولدان يتخلّلون الجمع، عليهم قناديل من نور، وبأيديهم أباريق من فضّة، وأكواب من ذهب، يسقون الواحد بعد الواحد، يتخلّلون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس، فمددت يدي إلى أحدهم، فقلت: اسقني، فقد أجهدني العطش، فقال: مالك فينا ولد، إنّما نسقي آباءنا، فقلت: ومن أنتم؟ قالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين[1].

وحكى الشيخ أبو عبدالله بن النعمان في كتاب مصباح الظلام عن بعض الثقات:

أنّ رجلاً أوصى بعض أصحابه ممّن أراد أن يحجّ أن يقرأ سلامه رسول الله ﷺ، ويدفن رقعة مختومة أعطاها له عند رأسه الشريف، ففعل ذلك، فلمّا رجع من حجّه أكرمه الرجل، وقال له: جزاك الله خيراً لقد بلّغت الرسالة، فتعجّب المبلّغ من ذلك، وقال: من أين علمت بتبليغها قبل أن أُحدّثك؟ فأنشأ يحدّثه قال: كان لي أخ مات، وترك ابناً صغيراً، فربّيته وأحسنت تربيته، ثمّ مات قبل أن يبلغ الحلم، فلمّا كان ذات ليلة، رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت، والحشر قد وقع، والناس قد اشتدّ بهم العطش من شدّة الجهد، وبيد ابن أخي ماء، فالتمست أن يسقيني، فأبى، وقال: أبي أحقّ به منك، فعظم عليّ ذلك، فانتبهت فزعاً، فلمّا أصبحت تصدّقت بجملة دنانير، وسألت الله أن يرزقني ولداً ذكراً؛ فرزقنيه، واتّفق سفرك، فكتبت لك تلك الرقعة، ومضمونها التوسّل بالنبيّ ﷺ إلى الله عزّ وجلّ في قبوله منّي، رجاء أن أجده يوم الفزع الأكبر، فلم يلبث أن حمّ ومات، وكان ذلك يوم وصولك، فعلمت أنّك بلّغت الرسالة.

وفي كتاب النوم والرؤيا لأبي الصقر الموصلي، حدّثني عليّ بن الحسين بن جعفر، حدّثني أبي، حدّثني بعض أصحابنا ممّن أثق بدينه وفهمه، قال:

أتيت المدينة ليلاً فنمت في بقيع الغرقد[2] بين أربعة قبور عندها قبر محفور، فرأيت في منامي أربعة أطفال، قد خرجوا من تلك القبور، وهم يقولون:

---

١. إحياء علوم الدين ٢: ٢٧.

٢. بقيع الغرقد ـ بالغين المعجمة ـ: هو مقبرة أهل المدينة. معجم البلدان ١: ٤٧٣.

أنعم الله بالحبيبة عيناً ... وبمسراك يا أُميمَ إلينا
عجباً ما عجبت من ضغطة القبر ومغداك يا أُميم إلينا

فقلت: إنّ لهذه الأبيات لشأناً، وأقمت حتّى طلعت الشمس، وإذن جنازة قد أقبلت فقلت: من هذه؟ فقالوا: امرأة من أهل المدينة، فقلت: اسمها أُميمة؟ قالوا: نعم، قلت: قدّمت فرطاً؟ قالوا: أربعة أولاد، فأخبرتهم بالخبر، فأخذوا يتعجّبون من هذا.

وما أحسن ما أنشد بعض الأفاضل، يقول شعراً:

عطيته إذا أعطى سروراً ... وإن سلب الذي أعطى أثابا
فأيّ النعمتين أعدّ فضلاً ... وأحمد عند عقباها إيابا
أنعمته التي كانت سروراً ... أم الأُخرى التي جلبت ثوابا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثاني

في الصبر وما يلحق به

الصبر في اللغة: حبس النفس من الفزع من المكروه والجزع عنه[1]، وإنّما يكون ذلك بمنع باطنه من الاضطراب، وأعضائه من الحركات غير المعتادة، وهو ثلاثة أنواع:

الأوّل: صبر العوام، وهو حبس النفس على وجه التجلّد، وإظهار الثبات في النائبات؛ ليكون حاله عند العقلاء وعامّة الناس مرضيّة ﴿يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحياةِ الدُّنْيا، وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ﴾[2].

الثاني: صبر الزهّاد، والعبّاد، وأهل التقوى، وأرباب الحلم؛ لتوقّع ثواب الآخرة ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[3].

الثالث: صبر العارفين، فإنّ لبعضهم التذاذاً بالمكروه؛ لتصوّرهم أنّ معبودهم خصّهم به من دون الناس، وصاروا ملحوظين بشريف نظره ﴿وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ، قالُوا إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[4].

وهذا النوع يختصّ باسم الرضى، وسيأتي في باب خاصّ.

---

١. الصحاح ٢: ٧٠٦، «ص ب ر».

٢. الروم (٣٠): ٧.

٣. الزمر (٣٩): ١٠.

٤. البقرة (٢): ١٥٥ ـ ١٥٧.

والأوّل لا ثواب عليه؛ لأنّه لم يفعله لله، وإنّما فعله لأجل الناس، بل هوفي الحقيقة رياء محض، فكلّما ورد في الرياء آتٍ فيه، ولكنّ الجزع شرّ منه؛ لأنّ النفوس البشريّة تميل إلى التخلّق بأخلاق النظراء والمعاشرين والخلطاء، فيفشو الجزع فيهم. وإذا رأوا أحوال الصابرين مالت نفوسهم إلى التخلّق بأخلاقهم، فربما صار ذلك سبباً لكمالهم، فتحصل منه فائدة في نظام النوع وإن لم تعد على هذا الصابر.

والصبر عند الإطلاق يحمل على القسم الثاني.

واعلم أنّ الله سبحانه قد وصف الصابرين بأوصاف، وذكر الصابرين في القرآن في نيّف وسبعين موضعاً، وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر، وجعلها ثمرة له، فقال عزّ من قائل: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا﴾[١].

وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَني إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

وقال: ﴿أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا﴾[٤].

وقال: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[٥].

فما من قربة إلّا وأجرها بتقدير وحساب إلّا الصبر؛ ولأجل كون الصوم من الصبر[٦]، وأنّه نصف الصبر[٧]، كان لا يتولّى أجره إلّا الله تبارك وتعالى، كما ورد في الأثر. قال الله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به»[٨]. فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات.

---

١. السجدة (٣٢): ٢٤.

٢. الأعراف (٧): ١٣٧.

٣. النحل (١٦): ٩٦.

٤. القصص (٢٨): ٥٤.

٥. الزمر (٣٩): ١٠.

٦. تفسير العياشي ١: ٤٣/ ٤٠ ـ ٤١؛ معاني الأخبار: ٩١/٤٠٩، باب نوادر المعاني.

٧. سنن ابن ماجة ١: ١٧٤٥/٥٥٥؛ الجامع الصغير: ٥٢٠٠/٣٢٠.

٨. الخصال: ٤٢/٤٥، باب الاثنين؛ معاني الأخبار: ٩١/٤٠٩، باب نوادر المعاني؛ موطأ مالك ١: ٥٨/٣١٠؛ سنن ابن ماجة ٢: ٣٨٢٣/١٢٥٦؛ صحيح البخاري ٢: ١٧٩٥/٦٧٠، ٥: ٥٥٨٣/٢٢١٥، ٦: ٧٠٥٤/٢٧٢٣، و٧١٠٠/٢٧٤١.

ووعد الصابرين بأنّه معهم، فقال: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١]. وعلّق النصرة على الصبر، فقال: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٢].

وجمع للصابرين بين أُمور لم يجمعها لغيرهم، فقال: ﴿أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٣]. فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين.

واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول.

وأمّا الأخبار فقد قال النبيّ ﷺ: «الصبر نصف الإيمان»[٤].

وقال ﷺ:

من أقلّ ما أُوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أُعطي حظّه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولئن تصبروا على مثل ما أنتم عليه، أحبّ إليّ من أن يوافيني كلّ امرئ منكم بمثل عمل جميعكم، ولكنّي أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً، وينكركم أهل السماء عند ذلك، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه، ثمّ قرأ ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ الآية[٥].

وروى جابر أنّه ﷺ سئل عن الإيمان، فقال: «الصبر كنز من كنوز الجنّة»[٦]، وسئل مرّة ما الإيمان؟ فقال: «الصبر»[٧]. وهذا نظير قوله ﷺ: «الحجّ عرفة»[٨].

وقال ﷺ: «أفضل الأعمال ما أُكرهت عليه النفوس»[٩].

---

١. الأنفال (٨): ٤٦.

٢. آل عمران (٣): ١٢٥.

٣. البقرة (٢): ١٥٧.

٤. تنبيه الخواطر ١: ٤٠؛ إرشاد القلوب ١: ٢٥٢؛ الدرّ المنثور ١: ١٦٠؛ شعب الإيمان ٧: ٩٧١٦/١٢٣؛ الترغيب والترهيب ٤: ٥/٢٧٧؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ٢: ٤٤٦؛ كنز العمّال ٣: ٦٤٩٨/٢٧١؛ الجامع الصغير: ٥١٣٠/٣١٦.

٥. إحياء علوم الدين ٤: ٦١؛ والآية في النحل (١٦): ٩٦.

٦. إحياء علوم الدين ٤: ٦١.

٧. إحياء علوم الدين ٤: ٦١؛ الدرّ المنثور ١: ١٦٠؛ مجمع الزوائد ١: ٥٩؛ كنز العمّال ١: ٢٨٧ ـ ١٣٩٢/٢٨٨ ـ ١٣٩٣.

٨. سنن ابن ماجة ٢: ٣٠١٥/١٠٠٣؛ سنن الدارمي ٢: ٥٩؛ سنن الترمذي ٣: ٨٨٩/٢٣٧؛ سنن النسائي ٥: ٢٥٦، ٢٦٤؛ مسند أحمد ٥: ٤٠١ ـ ١٨٢٩٦/٤٠٢ ـ ١٨٢٩٨؛ كنز العمّال ٥: ١٢٠٦١/٦٣، و١٢٠٦٥/٦٤.

٩. إحياء علوم الدين ٤: ٦١؛ الجواهر السنية: ٧٨.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «تخلّق بأخلاقي، وإنّ من أخلاقي الصبر»[١].

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما لمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنصار، فقال:

أمؤمنون أنتم؟ فسكتوا، فقال رجل: نعم يا رسول الله، فقال: وما علامة إيمانكم؟ قالوا: نشكر على الرخاء، ونصبر على البلاء، ونرضى بالقضاء، فقال: مؤمنون وربّ الكعبة[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «في الصبر على ما يكره خير كثير»[٣].

وقال المسيح عليه السلام:

إنّكم لا تدركون ما تحبّون، إلّا بصبركم على ما تكرهون[٤].

وقال صلى الله عليه وآله:

لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً[٥].

وقال عليّ عليه السلام:

بني الإيمان على أربع دعائم: اليقين، والصبر، والجهاد، والعدل[٦].

وقال أيضاً:

الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له[٧].

وقال عليّ عليه السلام:

عليكم بالصبر، فإنّه به يأخذ الحازم، وإليه يعود الجازع[٨].

وقال عليّ عليه السلام:

---

١. إحياء علوم الدين ٤: ٦١؛ إرشاد القلوب ١: ٢٥١ بتفاوت يسير.

٢. إحياء علوم الدين ٤: ٦١، ٦٢، ٣٤٤؛ المعجم الأوسط ١٠: ٩٤٢٣/١٩٤؛ مجمع الزوائد ١: ٥٤.

٣. إحياء علوم الدين ٤: ٦٢.

٤. إحياء علوم الدين ٤: ٦٢.

٥. إحياء علوم الدين ٤: ٦٢؛ تنبيه الخواطر ١: ٤٠؛ الجامع الصغير: ٧٤٦١/٤٥٧؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٠٤/٢٧١.

٦. نهج البلاغة: ٦٥٥، الحكمة ٣١.

٧. الكافي ٢: ٤/٨٩ ـ ٥، باب الصبر؛ إرشاد القلوب ١: ٢٥٠؛ الوسائل ٣: ١٣/٢٥٨، الباب ٧٦ من أبواب الدفن؛ نهج البلاغة: ٦٦٧؛ الحكمة ٨٢؛ إحياء علوم الدين ٤: ٦٢.

٨. التعازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ٩؛ شرح غرر الحكم ودرر الكلم ٢: ٦٣/٢٢، بتفاوت يسير.

إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور[١].

وعن الحسن بن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

إنّ في الجنّة شجرة يقال لها: شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة، فلا يرفع لهم ديوان، ولا ينصب لهم ميزان، يصبّ عليهم الأجر صبّاً، وقرأ عليه السلام: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[٢].

وعنه عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله:

ما من جرعة أحبّ إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل، أو جرعة صبر على مصيبة، وما من قطرة أحبّ إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله، أو قطرة دم أُهرقت في سبيل الله[٣].

وعنه عليه السلام: «المصائب مفاتيح الأجر»[٤].

وعن زين العابدين عليه السلام:

إذا جمع الله الأوّلين والآخرين ينادي مناد: أين الصابرون ليدخلوا الجنّة بغير حساب؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فتتلقّاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين، يا بني آدم؟! فيقولون: إلى الجنّة، فيقولون: وقبل الحساب؟! فقالوا: نعم، قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: الصابرون. قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عن معصية الله، حتّى توفّانا الله عزّ وجلّ، قالوا: أنتم كما قلتم، ادخوا الجنّة فنعم أجر العاملين[٥].

وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

قال الله عزّ وجلّ: إذا وجّهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده، ثمّ استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً، أو أنشر له ديواناً[٦].

---

١. شرح غرر الحكم ودرر الكلم ١: ٢٤٩/٥ ـ ٦؛ نهج البلاغة: ٧١٨، الحكمة ٢٩١.

٢. الدرّ المنثور ٧: ٢١٥؛ المعجم الكبير ٣: ٩٢ ـ ٩٣/٢٧٦٠؛ كنز العمّال ٣: ٦٨٢٤/٣٣٦، والآية في الزمر (٣٩): ١٠.

٣. الدرّ المنثور ٢: ٣٢٠؛ كنز العمّال ١٥: ٨٧٢ ـ ٨٧٣/٤٣٤٦٩.

٤. أعلام الدين ـ للديلمي ـ: ٢٩٧.

٥. تنبيه الخواطر ٢: ١٨٠؛ أمالي الطوسي: ١٠٢ ـ ١٠٣/١٢، المجلس الرابع، بتفاوت.

٦. الجامع الصغير: ٦٠٤٣/٣٧٦؛ كنز العمّال ٣: ٦٥٦١/٢٨٢.

وعن ابن مسعود، عنه ﷺ قال:

ثلاث من رزقهنّ فقد رزق خير الدارين: الرضى بالقضاء، والصبر على البلاء، والدعاء في الرخاء[١].

وعن ابن عبّاس ﷺ قال: كنت عند رسول الله ﷺ، فقال:

يا غلام ـ أو يا غليم ـ ألا أُعلّمك كلمات ينفعك الله بهنّ؟ فقلت: بلى، فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تَعَرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسراً[٢].

وعنه ﷺ:

يؤتى الرجل في قبره بالعذاب، فإذا أُتي من قبل رأسه دفعه تلاوة القرآن، وإذا أُتي من قبل يديه دفعه الصدقة، وإذا أُتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المسجد، والصبر حجزه، يقول: أما لو رأيت خللاً لكنت صاحبه[٣].

وفي لفظ آخر:

إذا دخل الرجل القبر قامت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن شماله، والبرّ يظلّ عليه، والصبر بناحية يقول: دونكم صاحبي، فإنّي من ورائه، يعني: إن استطعتم أن تدفعوا عنه العذاب، وإلّا فأنا أكفيكم ذلك، وأدفع عنه العذاب[٤].

وعنه ﷺ:

عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه له خير، وليس ذلك لأحد إلّا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له[٥].

وعنه ﷺ:

---

١. الدعوات ـ للراوندي ـ: ١٢١/٢٨٩.

٢. الفقيه ٤: ٢٩٦/٨٩٦؛ الدرّ المنثور ١: ١٥٩؛ كنز العمّال ١: ١٣٣ ـ ١٣٤/٦٣١.

٣. المعجم الأوسط ١٠: ١٩٩ ـ ٢٠٠/٩٤٣٤؛ الترغيب والترهيب ٤: ٣٧٣/٢٠.

٤. الكافي ٢: ٩٠ / ٨، باب الصبر؛ و ٣: ٢٤٠ / ١٣، باب المسألة في القبر ...؛ ثواب الأعمال: ٢٠٣ ـ ٢٠٤؛ مشكاة الأنوار: ٢٦، باب الصبر.

٥. صحيح مسلم ٤: ٢٢٩٥ / ٢٩٩٩؛ مسند أحمد ٥: ٤٣٦ / ١٨٤٥٥؛ كنز العمّال ١: ١٤٥ / ٧١٠؛ الدرّ المنثور ١: ٣٧٢، و ٦: ٦٩٤.

ألا أعجبكم؟! إنّ المؤمن إذا أصاب خيراً حمد الله وشكر، وإذا أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يؤجر في كلّ شيء حتّى اللقمة يرفعها إلى فيه[١].

وفي حديث آخر: «حتّى اللقمة يرفعها إلى فم امرأته»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله:

الصبر خير مركب، ما رزق الله عبداً خيراً له ولا أوسع من الصبر[٣].

وسئل صلى الله عليه وآله: هل من رجل يدخل الجنّة بغير حساب؟ قال: «نعم، كلّ رحيم صبور».

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

إنّ الحرّ حرّ على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تراكمت عليه المصائب لم تكسره، وإن أُسر وقهر واستبدل باليسر عسراً، كما كان يوسف الصدّيق الأمين عليه السلام، لم يضرر حرّيّته أن استعبِدَ وأُسِر وقُهر، ولم تضرره ظلمة الجبّ ووحشته، وما ناله أنْ مَنّ الله عليه، فجعل الجبّار العاتي له عبداً بعد أن كان ملكاً، فأرسله ورحم به أُمّته، وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا[٤].

وعن الباقر عليه السلام:

الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنّة، وجهنّم محفوفة باللذّات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار[٥].

وعن عليّ عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية. فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض. ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستّمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش. ومن

---

١. المعجم الأوسط ٧: ٧٣ ـ ٦١١٩/٧٤؛ شعب الإيمان ٤: ٤٤٨٥/١١٦، و٧: ٩٩٥٠/١٨٩؛ الجامع الصغير: ٥٣٩٠/٣٣٣؛ مجمع الزوائد ١٠: ٩٥.

٢. مجمع الزوائد ١٠: ٩٥.

٣. مسند أحمد ٣: ١١٠٤٣/٤٤٣؛ الجامع الصغير: ٧٩١١/٤٨٣؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ٢: ٤١٤.

٤. الكافي ٢: ٦/٨٩، باب الصبر؛ مشكاة الأنوار: ٢١ ـ ٢٢؛ الوسائل ٣: ٧/٢٥٧، الباب ٧٦ من أبواب الدفن.

٥. الكافي ٢: ٧/٨٩، باب الصبر؛ الوسائل ١٥: ١/٣٠٩، الباب ٤٢ من أبواب جهاد النفس.

صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش[١].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال:

قال أبو عبدالله عليه السلام: من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل أجر ألف شهيد[٢].

وعن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ: إنّي جعلت الدنيا بين عبادي قرضاً، فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكلّ واحدة عشراً إلى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك، ومن لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه شيئاً قسراً، أعطيته ثلاث خصال، لو أعطيت واحدة منهنّ ملائكتي لرضوا بها منّي.

ثمّ تلا أبو عبدالله قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ إذا أصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إنّا لِلّهِ وإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهذه واحدة من ثلاث خصال ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ إثنان ﴿وَأُولئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[٣] ثلاث.

ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: هذا لمن أُخذ منه شيئاً قسراً[٤].

فصل

وعنه صلى الله عليه وآله:

الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر[٥].

والصبر عند الصدمة الأُولى أعظم[٦].

---

١. الكافي ٢: ١٥/٩١، باب الصبر؛ الوسائل ١٥: ٢٣٧ ـ ٦/٢٣٨، الباب ١٩ من أبواب جهاد النفس؛ تنبيه الخواطر ١: ٤٠ فيه عن عليّ؛ الجامع الصغير: ٥١٣٧/٣١٧.

٢. الكافي ٢: ١٧/٩٢، باب الصبر؛ المؤمن: ٨/١٦؛ الوسائل ٣: ١/٢٥٥، الباب ٧٦ من أبواب الدفن.

٣. البقرة (٢): ١٥٦ ـ ١٥٧.

٤. الكافي ٢: ٩٢ ـ ٢١/٩٣، باب الصبر؛ الخصال ١: ١٣٥/١٣٠، باب الثلاثة؛ مشكاة الأنوار: ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

٥. الكافي ٣: ٤/٢٢٤، و٩/٢٢٥، باب الصبر والجزع والاسترجاع؛ الفقيه ٤: ٩٠٠/٢٩٨؛ الوسائل ٣: ١/٢٧٠، الباب ٨١ من أبواب الدفن.

٦. كنز العمال ٣: ٦٥٠٩/٢٧٢ ـ ٦٥١٤؛ الدرّ المنثور ١: ٣٨١.

وعظم الأجر على قدر المصيبة[١].

ومن استرجع بعد المصيبة جدّد الله له أجرها كيوم أُصيب بها[٢].

وسأل رجل النبيّ ﷺ: ما يحبط الأجر في المصيبة؟ فقال:

تصفيق الرجل بيمينه على شماله، والصبر عند الصدمة الأُولى، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فعليه السخط.

وعن أُمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، اللهمّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلّا آجره الله تعالى في مصيبته، وأخلف له خيراً منها.

قالت: فلمّا توفّي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف لي خيراً منه: رسول الله ﷺ[٣].

وفي لفظ آخر: أنّها سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ـ ما أمره الله عزّ وجلّ ـ: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، اللهمّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منه. قالت: فلمّا مات أبو سلمة رضي الله عنه، قلت: أيّ رجل خير من أبي سلمة! أوّل بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثمّ إنّي قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

قالت: أرسل رسول الله ﷺ يخاطب ابن أبي بلتعة يخطبني، فقلت له: إنّ لي بنتاً وأنا غيور، فقال: أمّا بنتها فأدعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة[٤].

وفي حديث آخر، قال: أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال: سمعت من رسول الله ﷺ وآله قولاً سررت به، قال:

لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته، ثمّ يقول: اللهمّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلّا فعل ذلك به. قالت أُمّ سلمة: فحفظت ذلك منه،فلمّا توفّي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهمّ آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منه، ثمّ رجعت إلى نفسي فقلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟! فلمّا انقضت عدّتي استأذن

---

١. كنز العمال ٣: ٦٦٣٨/٢٩٨: «عظم الأجر عند عظم المصيبة».

٢. كنز العمال ٣: ٦٦٥١/٣٠٠؛ الدرّ المنثور ١: ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

٣. صحيح مسلم ٢: ٦٣٢ ـ ٩١٨/٦٣٣؛ مسند أحمد ٧: ٢٦٠٩٥/٤٣٧.

٤. صحيح مسلم ٢: ٦٣١ ـ ٩١٨/٦٣٢؛ الترغيب والترهيب ٤: ٢/٣٣٦.

عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً[١]، فغسلت يدي من القرظ[٢] وأذنت له، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها، فخطبني إلى نفسه ﷺ.

فلمّا فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله، ما بي أن لا تكون بك الرغبة، ولكنّي امرأةٌ فيَّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى منّي شيئاً يعذّبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السنّ، وأنا ذات عيال.

فقال رسول الله ﷺ: أمّا ما ذكرت من السنّ فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأمّا ما ذكرت من العيال فإنّما عيالك عيالي، قالت: فقد سلّمت نفسي لرسول الله، فتزوّجها رسول الله ﷺ، فقالت أُمّ سلمة: فقد أبدلني الله عزّ وجلّ بأبي سلمة خيراً منه: النبيّ ﷺ[٣].

وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ:

إن للموت فزعاً، فإذا أتى أحدَكم وفاة أخيه فليقل: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون، اللهمّ اكتبه عندك من المحسنين، واجعل كتابه في علّيين، واخلف على عقبه في الآخرين، اللهمّ لا تحرمنا أجره، ولا تفتنّا بعده[٤].

وعن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

أنّ النبيّ ﷺ قال: من أصابته مصيبة فقال إذا ذكرها: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، جدّد الله عزّ وجلّ له أجرها، مثل ما كان له يوم أصابته[٥].

فصل

وعن يوسف بن عبدالله بن سلام: أنّ النبيّ ﷺ كان إذا نزل بأهله شدّة، أمرهم بالصلاة، ثمّ قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٦].

---

١. الإهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ. لسان العرب ١: ٢١٧، «أ هـ ب».

٢. القرظ: شجر يدبغ به، وقيل: هو ورق السلم يدبغ به الأدم. ومنه أديم مقروظ. لسان العرب ٧: ٤٥٤، «ق ر ظ».

٣. مسند أحمد ٤: ١٥٩٠٩/٦٠٨؛ الدرّ المنثور ١: ٣٧٩.

٤. مجمع الزوائد ٢: ٣٣١، باب الاسترجاع وما يسترجع عنده؛ المعجم الكبير ١٢: ١٢٤٦٩/٤٧؛ كنز العمّال ١٥: ٤٢٢١٧/٥٧١.

٥. جامع الأحاديث ٧: ٢١٣٤٧/١٢٥؛ المعجم الكبير ٣: ٢٨٩٥/١٣١؛ كنز العمّال ٣: ٦٦٥١/٣٠٠.

٦. الدرّ المنثور ٥: ٦١٣، والآية في طه (٢٠): ١٣٢.

وعن ابن عبّاس أنّه نُعي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر فاسترجع، ثمّ تنحّى عن الطريق فأناخ، فصلّى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثمّ قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الخاشِعِينَ﴾[١].

وعنه أيضاً أنّه كان إذا أُصيب بمصيبة قام وتوضّأ وصلّى ركعتين، وقال: اللهمّ قد فعلتُ ما أمرتَنا، فأنجز لنا ما وعدتنا[٢].

وعن عبادة بن محمّد بن عبادة بن الصامت، قال:

لمّا حضرت عبادة ﷺ الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن ـ يعني: الدار ـ ففعلوا، ثمّ قال: اجمعوا إليّ مواليّ وخدمي وجيراني ومن كان يدخل عليّ، فجمعوا.

فقال: إنّ يومي هذا لا أراه إلّا آخر يوم يأتي عليّ من الدنيا، وأوّل ليلة من ليالي الآخرة، وإنّي لا أدري لعلّه قد فرط منّي إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو ـ والذي نفس عبادة بيده ـ القصاص يوم القيامة، فأُحَرِّج[٣] على أحد منكم في نفسه منّي شيء من ذلك، إلّا اقتصّ منّي قبل أن تخرج نفسي.

قال: فقالوا: إنّك كنت لنا والداً وكنت مؤدِّباً، وما قال لخادم سوءاً قطّ. قال: أغفرتم لي ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم. قال: اللهمّ اشهد. ثمّ قال: أمّا فاحفظوا وصيّتي، أُحرِّج على إنسان منكم يبكي، فإذا خرجت نفسي فتوضّؤوا وأحسنوا الوضوء، ثمّ ليدخل إنسان منكم مسجداً فيصلّي، ثمّ يستغفر لعبادة ولنفسه، فإنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ﴾[٤]، ثمّ أسرعوا بي إلى حفرتي ولا تتّبعوني بنار، ولا تضعوا تحتي أُرجواناً[٥].

وعن جابر، عن الباقر ﷺ، قال:

أشدّ الجزع الصَراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر، ومن صبر واسترجع وحمد الله تعالى فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله عزّ وجلّ، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم،

---

١. الدرّ المنثور ١: ١٦٣، والآية في البقرة (٢): ٤٥.

٢. الدرّ المنثور ١: ١٦٣.

٣. حرّج الشيء: حرّمه، وحرّج عليه: ضيّق عليه. المعجم الوسيط: ١٦٤، «ح ر ج».

٤. البقرة (٢): ٤٥.

٥. شعب الإيمان ٧: ٩٦٨٣/١١٤؛ الدرّ المنثور ١: ١٦٣.

وأحبط الله عزّ وجلّ أجره[١].

وعن ربعي بن عبدالله، عن الصادق عليه السلام، قال:

إنّ الصبر والبلاء يستبقان إلى المؤمن، فيأتيه البلاء وهو صبور، وإنّ الجزع والبلاء يستبقان إلى الكافر، فيأتيه البلاء وهو جزوع[٢].

وعنه عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ضرب المسلم يده على فخذه عند المصيبة إحباط لأجره[٣].

وعن موسى بن بكر، عن الكاظم عليه السلام قال:

ضرب الرجل على فخذه عند المصيبة إحباط أجره[٤].

وعن إسحاق بن عمّار، عن الصادق عليه السلام:

يا إسحاق، لا تعدنّ مصيبة أُعطيت عليها الصبر، واستوجبت عليها من الله عزّ وجلّ الثواب، إنّما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها إذا لم يصبر عند نزولها[٥].

وعن أبي ميسرة قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام، فجاءه رجل وشكا إليه مصيبة، فقال:

أما إنّك إن تصبر تؤجر، وإن لا تصبر يمضي عليك قدر الله عزّ وجلّ الذي قدّر عليك وأنت مذموم[٦].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فصل

قال الصادق عليه السلام:

البلاء زين المؤمن، وكرامة لمن عقل؛ لأنّ في مباشرته، والصبر عليه، والثبات عنده، تصحيح نسبة الإيمان.

---

١. الكافي ٣: ١/٢٢٢، باب الصبر و...؛ الوسائل ٣: ٢٧١ ـ ١/٢٧٢، الباب ٨٣ من أبواب الدفن وفيه صدر الحديث؛ و ١: ٧/٢٤٨، الباب ٧٣ من أبواب الدفن وفيه ذيل الحديث.

٢. الكافي ٣: ٣/٢٢٣، باب الصبر و...؛ الفقيه ١: ٥٢٨/١١٣؛ الوسائل ٣: ٦/٢٥٦، الباب ٧٦ من أبواب الدفن.

٣. الكافي ٣: ٤/٢٢٤، باب الصبر و...؛ الوسائل ٣: ٢/٢٧٠، الباب ٨١ من أبواب الدفن.

٤. الكافي ٣: ٩/٢٢٥، باب الصبر و...؛ الوسائل ٣: ٣/٢٧١، الباب ٨١ من أبواب الدفن.

٥. الكافي ٣: ٧/٢٢٤، باب الصبر و...؛ الوسائل ٣: ٢/٢٦٩، الباب ٨٠ من أبواب الدفن.

٦. الكافي ٣: ١٠/٢٢٥، باب الصبر و...؛ الوسائل ٣: ٣/٢٦٩، الباب ٨٠ من أبواب الدفن. وفيهما «مأزور» بدل «مذموم». و«فضيل بن ميسر» بدل «أبي ميسرة».

قال النبيّ ﷺ: نحن معاشر الأنبياء أشدّ بلاء، والمؤمن الأمثل فالأمثل. ومن ذاق طعم البلاء تحت ستر حفظ الله له، تلذّذ به أكثر من تلذّذه بالنعمة، ويشتاق إليه إذا فقده؛ لأنّ تحت نيران البلاء والمحنة أنوار النعمة، وتحت أنوار النعمة نيران البلاء والمحنة، وقد ينجو منه كثير، ويهلك في النعمة كثير. وما أثنى الله تعالى على عبد من عباده من لدن آدم إلى محمّد ﷺ إلّا بعد ابتلائه، ووفاء حقّ العبوديّة فيه، فكرامات الله تعالى في الحقيقة نهايات، بداياتها البلاء، وبدايات نهاياتها البلاء. ومن خرج من شبكة البلوى جعل سراج المؤمنين، ومؤنس المقرّبين، ودليل القاصدين. ولا خير في عبد شكا من محنة تقدّمها آلاف نعمة واتبعها آلاف راحة، ومن لا يقضي حقّ الصبر على البلاء، حرم قضاء الشكر في النعماء، كذلك من لا يؤدّي حقّ الشكر في النعماء، يحرم عن قضاء الصبر في البلاء، ومن حُرِمهما فهو من المطرودين.

وقال أيّوب عليه السلام في دعائه: اللهمّ قد أتى عليّ سبعون في الرخاء، فأمهلني حتّى يأتي عليّ سبعون في البلاء.

وقال وهب: البلاء للمؤمن، كالشكال للدابة، والعقال للإبل.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ورأس الصبر البلاء وما يعقلها إلّا العالمون.

هذا الفصل كلّه من كلام الصادق عليه السلام[1].

فصل

وقال الصادق عليه السلام:

الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة. والصبر يدّعيه كلّ أحد، ولا يبين عنده إلّا المخبتون، والجزع ينكره كلّ أحد، وهو أبين على المنافقين؛ لأنّ نزول المحنة والمصيبة يخبر عن الصادق والكاذب. وتفسير الصبر: ما يستمرّ مذاقه، وما كان عن اضطراب لا يسمّى صبراً. وتفسير الجزع: اضطراب القلب، وتَحَزُّن الشخص، وتَغَيُّر اللّون، وتغيّر الحال. وكلّ نازلة خلت أوائلها عن الإخبات والإنابة والتضرّع إلى الله تعالى فصاحبها جزوع غير صابر. والصبر ما أوّله

١. مصباح الشريعة: ٥٤٣ ـ ٥٤٤، باب في البلاء.

مرّ، وآخره حلو لقوم، ولقوم مرّ أوّله وآخره، فمن دخله من أواخره فقد دخل[١]، ومن دخله من أوائله فقد خرج، ومن عرف قدر الصبر لا يصبر عمّا منه الصبر.

قال الله عزّ وجلّ ـ في قصّة موسى والخضر عليهما السلام ـ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[٢]. فمن صبر كرهاً ولم يشكُ إلى الخلق، ولم يجزع بهتك ستره، فهو من العامّ، ونصيبه ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ﴾[٣] أي: بالجنّة والمغفرة، ومن استقبل البلاء بالرحب، وصبر على سكينة ووقار فهو من الخاصّ، ونصيبه ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾[٤].

فصل
في نبذ من أحوال السلف عند موت أبنائهم وأحبّائهم

كانت العرب في الجاهليّة وهم لا يرجون ثواباً، ولا يخشون عقاباً يتحاضّون على الصبر، ويعرفون فضله، ويُعيّرون بالجزع أهله، إيثاراً للحزم، وتزيّناً بالحلم، وطلباً للمروءة، وفراراً من الاستكانة إلى حسن العزاء، حتّى كان الرجل منهم ليفتقد حميمه فلا يعرف ذاك منه، فلمّا جاء الإسلام وانتشر، وعلم ثواب الصبر واشتهر، تزايدت في ذلك لهم الرغبة وارتفعت للمبتلين الرتبة.

قال أبو الأحوص:

دخلنا على ابن مسعود، وعنده بنون له ثلاثة غلمان كأنّهم الدنانير حسناً، فجعلنا نتعجّب من حسنهم، فقال: كأنّكم تغبطوني بهم؟ قلنا: إي والله، بمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم، فرفع رأسه إلى سقف بيت قصير، قد عشش فيه الخطاف وباض، فقال:والذي نفسي بيده لئن أكون نفضت يدي من تراب قبورهم، أحبّ إليّ من أن يسقط عشّ هذا الخطاف، وينكسر بيضه. يعني: حرصاً على الثواب[٥].

---

١. العبارة مضطربة في «ح» و«م» وما أثبتناه من المصدر.
٢. الكهف (١٨): ٦٨.
٣. البقرة (٢): ١٥٥.
٤. مصباح الشريعة: ٥٥٥، باب في الصبر. والآية في البقرة (٢): ١٥٣، والأنفال (٨): ٤٦.
٥. تسلية أهل المصائب: ٣٤.

وكان عبدالله بن مسعود ﷺ يقرئ الناس القرآن في المسجد جاثياً على ركبتيه، إذ جاءت أُمّ ولده بابن له، يقال له محمّد، فقامت على باب المسجد، ثمّ أشارت له إلى أبيه، فأقبل، فأفرج له القوم حتّى جلس في حجره، ثمّ جعل يقول: مرحباً بسميّ من هو خير منه، ويقبّله حتّى كاد يزدرد ريقه. ثمّ قال:

والله لموتك وموت إخوتك أهون عليّ من عدّتكم من هذا الذباب[١]، فقيل له: لِمَ تتمنّى هذا؟ فقال: اللهمّ غفراً إنّكم تسألوني، ولا أستطيع إلّا أن أُخبركم، أُريد بذلك الخير، أمّا أنا فأُحرز أُجورهم، وأتخوّف عليهم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم زمان يغبط الرجل بخفّة الحال، كما يغبط اليوم بكثرة المال والولد[٢].

وكان أبوذر ﷺ لا يعيش له ولد، فقيل له: إنّك امرؤ لا يبقى لك ولد، فقال: «الحمد لله الذي يأخذهم من دار الفناء، ويدّخرهم في دار البقاء»[٣].

ومات لعبد الله بن عامر المازني ﷺ في الطاعون الجارف، سبعة بنين في يوم واحد، فقال: «إنّي مسلم مسلّم»[٤].

وعن عبدالرحمن بن عثمان، قال:

دخلنا على معاذ وهو قاعد عند رأس ابن له، وهو يجود بنفسه، فما ملكنا أنفسنا أن ذرفت أعيننا، وانتحب بعضنا، فزجره معاذ، وقال: مه، فوالله ليعلم الله برضاي؛ لهذا أحبّ إليّ من كلّ غزوة غزوتها مع رسول الله ﷺ، فإنّي سمعته يقول: من كان له ابن وكان عليه عزيزاً، وبه ضنيناً، ومات فصبر على مصيبته واحتسبه، أبدل الله الميّت داراً خيراً من داره، وقراراً خيراً من قراره، وأبدل المصاب الصلاة والرحمة والمغفرة والرضوان.

فما برحنا حتّى قضى والله الغلام حين أخذ المنادي لصلاة الظهر، فرحنا نريد الصلاة، فما جئنا إلّا وقد غسّله وحنّطه وكفّنه.

وجاء رجل بسريره غير منتظر لشهود الإخوان، ولا لجمع الجيران، فلمّا بلغنا ذلك

---

١. في «م»: «الذبّان» بدل «الذباب».

٢. المستدرك ـ للحاكم ـ ٤: ٤٨٦. فيه كلام النبيّ ﷺ فقط.

٣. كنز العمال ٣: ٨٦٨٢/٧٦٣.

٤. التعازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ٢١٠. وفيه «مات لصدقة بن عامر المازني...».

تلاحقنا، وقلنا: يغفر الله لك يا أبا عبدالرحمن، هلاّ انتظرتنا حتّى نفرغ من صلاتنا، ونشهد ابن أخينا.

فقال: أُمرنا أن لا ننتظر موتانا ساعةً ماتوا بليل أو نهار، قال: فنزل في القبر، ونزل معه آخر، فلمّا أراد الخروج ناولته يدي لأنتهضه من القبر، فأبى وقال: ما أدع ذلك لفضل قوّتي، ولكن أكره أن يرى الجاهل، أنّ ذلك منّي جزع، أو استرخاء عند المصيبة، ثمّ أتى مجلسه، ودعا بدهن فأدهن، ويكحل فاكتحل، وببردة فلبسها، وأكثر في يومه ذلك من التبسّم، ينوي به ما ينوي، ثمّ قال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، في الله خلف عن كلّ هالك، وعزاء من كلّ مصيبة، ودرك لكلّ ما فات[١].

وروي:

أنّ قوماً كانوا عند عليّ بن الحسين عليه السلام، فاستعجل خادماً بشواء في التنّور، فأقبل به مسرعاً، فسقط السفّود[٢] من يده على ولد عليّ بن الحسين عليه السلام، فأصاب رأسه فقتله، فوثب عليّ بن الحسين عليه السلام، فلمّا رأى ابنه ميّتاً، قال للغلام: «أنت حرّ لوجه الله تعالى، أما إنّك لم تتعمّده»، ثمّ أخذ في جهاز ابنه.

وعن الأحنف بن قيس، قال:

تعلّموا الحلم والصبر، فإنّي تعلّمته، فقيل له: ممّن؟ قال: من قيس بن عاصم، قيل: وما بلغ من حلمه؟ قال: كنّا قعوداً عنده إذ أُتي بابنه مقتولاً، وبقاتله مكبولاً، فما حلّ حبوته[٣]، ولا قطع حديثه حتّى فرغ.

ثمّ التفت إلى قاتل ابنه فقال: يا ابن أخي، ما حملك على ما فعلت؟ قال: غضبت. قال: أوكلّما غضبت أهنت نفسك، وعصيت ربّك، وأقللت عددك؟ اذهب فقد أعتقتك.

ثمّ التفت إلى بنيه فقال: يا بنيّ، اعمدوا إلى أخيكم فغسّلوه وكفّنوه، فإذا فرغتم منه فأتوني به لأصلّي عليه، فلمّا دفنوه قال لهم: إنّ أُمّه ليست منكم ـ وهي من قوم آخرين ـ فلا أراها ترضى بما صنعتم، فأعطوها ديته من مالي[٤].

---

١. التعازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ١٥٠ ـ ١٥١.

٢. السُفُّود والسَفُّود بالتشديد: حديدة ذات شعب معقّفة معروف يشوي به اللحم. لسان العرب ٣: ٢١٨، «س ف د».

٣. الحبوة [مثلّثة الحاء]: الاحتباء. يقال: حلّ فلان حبوته، ما يحتبي به من ثوب وغيره. المعجم الوسيط: ١٥٤، «ح ب أ».

٤. أسد الغابة ٤: ٢١٩ ـ ٢٢٠؛ العقد الفريد ٢: ١٣٦.

وروى الصدوق في الفقيه:

أنّه لمّا مات ذرّ بن أبي ذرّ رحمه الله وقف أبو ذرّ على قبره فمسح القبر بيده، ثمّ قال: رحمك الله يا ذرّ، والله إنّك كنت بي لبرّاً، ولقد قبضت وإنّي عنك لراض، والله ما بي فقدك وما عليَّ من غضاضة، وما لي إلى أحد سوى الله من حاجة، ولولا هول المطّلع لسرّني أن أكون مكانك، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، والله ما بكيت لك،ولكن بكيت عليك، فليت شعري ما قلت، وما قيل لك، اللهمّ إنّي قد وهبت ما افترضت عليه من حقّي، فهب له ما افترضت عليه من حقّك، فأنت أحقّ بالجود والكرم منّي[١].

وأسند الدينوري:

أنّ ذرّ بن عمر بن ذرّ لمّا مات وقف أبوه على قبره، وقال: رحمك الله يا ذرّ، ما علينا بعدك من خصاصة، وما بنا إلى أحد مع الله حاجة، وما يسرّني أنّي كنت المقدّم قبلك، ولو لا هول المطّلع لتمنّيت أن أكون مكانك، وقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعري ماذا قلت، وماذا قيل لك، ثمّ رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهمّ إنّي قد وهبت له حقّي فيما بيني وبينه، فاغفر له من الذنوب ما بينك وبينه، فأنت أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، ثمّ انصرف وقال: فارقناك، ولو أقمنا ما نفعناك[٢].

وروى المبرّد، قال:

لمّا هلك ذرّ بن عمر وقف عليه أبوه وهو مسجّى، وقال: يا بنيّ، ما علينا من موتك غضاضة، وما بنا إلى ما سوى الله من حاجة. فلمّا دفن قام على قبره، وقال: يا ذرّ، غفر الله لك، قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، لأنّا لا ندري ما قلت، ولا ما قيل لك، اللهمّ إنّي قد وهبت له ما قصّر فيه ممّا افترضت عليه من حقّي، فهب له ما قصّر فيه من حقّك، واجعل ثوابي عليه له، وزدني من فضلك، إنّي إليك من الراغبين. فسُئل عنه، فقيل: كيف كان معك؟ فقال: ما مشيت معه بليل قطّ إلّا كان أمامي، ولا بنهار قطّ إلّا كان خلفي، وما علا سطحاً قطّ وأنا تحته[٣].

وقدم على بعض الخلفاء قوم من بني عبس، فيهم رجل ضرير، فسأله عن عينيه، فقال:

---

١. الفقيه ١: ١١٧ ـ ١١٨/٥٥٨؛ وأيضاً رواها الكليني في الكافي ٣: ٤/٢٥٠، باب النوادر.

٢. عيون الأخبار ـ للدينوري ـ ٢: ٣١٣.

٣. التعازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ٦٦؛ الكامل ١: ٨١ ـ ٨٢.

بتُّ ليلة في بطن واد، ولم أعلم عبسيّاً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل، فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد، غير بعير وصبيّ مولود، وكان بعيراً صعباً فنفر، فوضعت الصبيّ واتبعت البعير، فلم أُجاوز إلّا قليلا حتّى سمعت صيحة ابني، فرجعت إليه ورأس الذئب في بطنه وهو يأكله، ولحقت البعير لأحبسه فنفحني[١] برجله على وجهي فحطّمه، وذهب بعيني فأصبحت لا مال لي، ولا أهل، ولا ولد، ولا بصر[٢].

روي أنّ عياض بن عقبة الفهري مات له ابن، فلمّا نزل في قبره قال له رجل:

والله إنّه كان لسيّد الجيش فاحتسبه[٣]. فقال: وما يمنعني، وقد كان بالأمس زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات[٤].

وقال أبو عليّ الرازي:

صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً ولا متبسّماً قطّ إلّا يوم مات ابنه عليّ، فقلت له في ذلك، فقال: إنّ الله سبحانه وتعالى أحبّ أمراً، فأحببت ما أحبّ الله عزّ وجلّ[٥].

وأُصيب عمرو بن[٦] كعب الهندي بتستر[٧]، فكتموا أباه الخبر، ثمّ بلغه فلم يجزع، وقال: الحمد لله الذي جعل من صلبي من أُصيب شهيداً[٨]، ثمّ استشهد له ابن آخر بجرجان[٩]، فلمّا بلغه الخبر، قال: الحمد لله الذي توفّى منّي شهيداً آخر[١٠].

---

١. في «م» و«ح»: «فيعجني» بدل «فنفحني»، وما أثبتناه ـ ولعلّه الصحيح ـ من المصدر. «ونفح الدابّة الشيء: ضربته بحدّ حافرها». المعجم الوسيط: ٩٣٨، «ن ف ح».

٢. أمالي الطوسي: ١٥٢/ ٢٥٠، المجلس السادس؛ التعازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ٥٤ ـ ٥٥؛ كتاب التعازي ـ للمدائني ـ: ٤٥؛ تنبيه الخواطر ٢: ١٨٢.

٣. احتسب فلان ولده: صبر على وفاته مدّخراً الأجر على صبره. المعجم الوسيط: ١٧١، «ح س ب».

٤. التعازي والمراثي للمبرّد: ٦٧ ـ ٦٨. ولكن فيه قال: «مات عقبة بن عياض بن غنم الفهري فعزّى رجل أباه». وآخر كلامه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿اَلْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنيا وَالْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾. الكهف (١٨): ٤٦.

٥. حلية الأولياء ٨: ١٠٠؛ نهاية الأرب ٥: ١٦٧.

٦. في «ح»: «عمر بن كعب الهندي» بدل «عمرو بن كعب الهندي».

٧. تستر: من مدن خوزستان، وهو تعريب شوشتر. معجم البلدان ٢: ٢٩.

٨. التعازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ٢٤٠؛ كتاب التعازي ـ للمدائني ـ: ١٨.

٩. جرجان: مدينة مشهورة عظيمة، بين طبرستان وخراسان. معجم البلدان ٢: ١١٩.

١٠. كتاب التعازي ـ للمدائني ـ: ١٨؛ التعازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ٢٤١.

وروى البيهقي:

أنّ عبدالله بن مطرف مات، فخرج أبوه مطرف على قومه في ثياب حسنة، وقد ادّهن، فغضبوا وقالوا: يموت عبدالله وتخرج في ثياب حسنة مدّهناً! قال: أفأستكين لها؟ وقد وعدني ربّي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، قال الله تعالى: ﴿الَّذينَ إذا أصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالُوا إنّا لِلّهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١].

ودعا رجل من قريش إخواناً له، فجمعهم على طعام، فضربت ابناً له دابّة لبعضهم فمات، فأخفى ذلك عن القوم، وقال لأهله:

لا أعلمن صاحت منكم صائحة، أو بكت منكم باكية، وأقبل على إخوانه حتّى فرغوا من طعامه، ثمّ أخذ في جهاز الصبيّ، فلم يفجأهم إلّا بسريره، فارتاعوا وسألوه عن أمره فأخبرهم، فتعجّبوا من صبره وكرمه.

وذكر:

أنّ رجلاً من اليمامة دفن ثلاثة رجال من ولده، ثمّ احتبى في نادي قومه يتحدّث كأنْ لم يفقد أحداً فقيل له في ذلك، فقال: ليسوا في الموت ببديع، ولا أنا في المصيبة بأوحد، ولا جدوى للجزع، فعلام تلومونني[٢]؟

وأسند أبو العبّاس، عن مسروق، عن الأوزاعي، قال:

حدّثنا بعض الحكماء، قال: خرجت وأنا أُريد الرباط[٣]، حتّى إذا كنت بعريش[٤] مصر إذا أنا بمظلّة وفيها رجل قد ذهبت عيناه، واسترسلت يداه و رجلاه، وهو يقول: لك الحمد سيّدي ومولاي، اللهمّ إنّي أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك، كفضلك على سائر خلقك، إذ فضّلتني على كثير ممّن خلقت تفضيلاً.

فقلت: والله لأسألنّه، أُعلمه أو أُلهمه إلهاماً، فدنوت منه، وسلّمت عليه، فردّ عليَّ السلام، فقلت له: رحمك الله، إنّي أسألك عن شيء، أتخبرني به أم لا؟ فقال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به، فقلت: رحمك الله، على أيّ فضيلة من فضائله تشكره؟ فقال: أوليس

---

١. شعب الإيمان ٧: ٢٤٤. والآية في البقرة (٢): ١٥٦ ـ ١٥٧.

٢. نهاية الأرب ٥: ١٦٦.

٣. الرباط: ملازمة ثغر العدوّ. القاموس المحيط ٢: ٣٦٠، «ر ب ط».

٤. العريش: مدينة كانت أوّل عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم. معجم البلدان ٤: ١١٣.

ترى ما قد صنع بي؟ قلت: بلى، فقال: والله لو أنّ الله تبارك وتعالى صبّ عليَّ ناراً تحرقني، وأمر الجبال فدمّرتني، وأمر البحار فغرقتني، وأمر الأرض فخسفت بي، ما ازددت فيه سبحانه إلّا حبّاً، ولا ازددت له إلّا شكراً، وإنّ لي إليك حاجة، أفتقضيها لي؟ قلت: نعم، قل ما تشاء، فقال: بُنيّ لي كان يتعاهدني أوقات صلاتي، ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس، فانظر هل تجده لي؟

قال: فقلت في نفسي: إنّ في قضاء حاجته لقربة إلى الله عزّ وجلّ، فقمت وخرجت في طلبه، حتّى إذا صرت بين كثبان الرمال، إذا أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، كيف آتي هذا العبد الصالح بخبر ابنه؟

قال: فأتيته، وسلّمت عليه، فردّ عليَّ السلام، فقلت: رحمك الله، إن سألتك عن شيء تخبرني به؟ فقال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به، قال: فقلت: أنت أكرم على الله عزّ وجلّ وأقرب منزلة، أو نبيّ الله أيّوب عليه السلام؟ فقال: بل نبيّ الله أكرم على الله تعالى منّي، وأعظم عند الله تعالى منزلة منّي، قال: فقلت له: إنّه ابتلاه الله تعالى فصبر، حتّى استوحش منه من كان يأنس به، وكان عرضاً لمُرّار الطريق، واعلم أنّ ابنك الذي أخبرتني به، وسألتني أن أطلبه لك، افترسه السبع، فأعظم الله أجرك فيه.

فقال: الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا، ثمّ شهق شهقة وسقط على وجهه، فجلست ساعة، ثمّ حرّكته فإذا هو ميّت، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فكيف أعمل في أمره؟ ومن يعينني على غُسله وكفنه وحفر قبره ودفنه؟

فبينما أنا كذلك إذا أنا بركب يريدون الرباط، فأشرت إليهم فأقبلوا نحوي حتّى وقفوا عليّ، وقالوا: من أنت؟ ومن هذا؟ فأخبرتهم بقصّتي، فعقلوا رواحلهم، وأعانوني حتّى غسّلناه بماء البحر، وكفّناه بأثواب كانت معهم، وتقدّمت، فصلّيت عليه مع الجماعة، ودفنّاه في مظلّته.

وجلست عند قبره آنساً به، أقرأ القرآن إلى أن مضى من الليل ساعات، فغفوت غفوة[1]، فرأيت صاحبي في أحسن صورة وأجمل زيّ، في روضة خضراء عليه ثياب خضر قائماً يتلو القرآن، فقلت له: ألست بصاحبي؟ قال: بلى، قلت: فما الذي صيّرك إلى ما أرى؟ فقال: اعلم أنّي وردت مع الصابرين على الله عزّ وجلّ في درجة لم ينالوها إلّا بالصبر على البلاء والشكر عند الرخاء، فانتبهت.

---

١. غفا، غَفْواً وغُفُوّاً: نام قليلاً. المعجم الوسيط: ٦٥٧، «غ ف ا».

وحكى الشعبي، قال:

رأيت رجلاً وقد دفن ابنه، فلمّا حثا عليه التراب وقف على قبره؛ وقال: يا بنيّ، كنت هبة ماجد، وعطيّة واجد، ووديعة مقتدر، وعارية منتصر، فاسترجعك واهبك، وقبضك مالكك، وأخذك معطيك، فأخلفني الله عليك الصبر، ولا حرمني الله بك الأجر، ثمّ قال: أنت في حلّ من قبلي، والله أولى عليك التفضّل منّي.

ولمّا مات عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز، وأخوه سهل بن عبدالعزيز، ومولاه مزاحم في أيّام متتابعة دخل عليه بعض أصحابه يعزّيه، وقال في جملة كلامه:

والله ما رأيت مثل ابنك ابناً، ولا مثل أخيك أخاً، ولا مثل مولاك مولى، فطأطأ رأسه ثمّ قال: أعد عليّ ما قلت، فأعاده عليه، فقال: لا والذي قضى عليهم، ما أحبّ أنّ شيئاً كان من ذلك لم يكن[١].

وقيل:

بينما عمر بن عبدالعزيز ذات يوم جالس إذ أتاه ابنه عبدالملك، فقال: الله الله في مظالم بني أبيك فلان وفلان، فوالله لوددت أنّ القدور قد غلت بي وبك فيما يرضي الله، وانطلق فأتبعه أبوه بصره، وقال: إنّي لأعرف خير أحواله، قالوا: وماخير أحواله؟ قال: أن يموت فأحتسبه[٢].

ولمّا دخل عليه أبوه في مرضه فقال له:

كيف تجدك؟ قال: أجدني في الموت، فاحتسبني يا أبه، فإنّ ثواب الله عزّ وجلّ خير لك منّي، فقال: والله يا بنيّ، لئن تكون في ميزاني أحبّ إليّ من أن أكون في ميزانك، فقال ابنه: لئن يكون ما تحبّ أحبّ إليّ من أن يكون ما أحبّ.

فلمّا مات وقف على قبره، وقال: رحمك الله يا بنيّ، لقد كنت سارّاً مولوداً، وبارّاً ناشئاً، وما أُحبّ أنّي دعوتك فأجبتني[٣].

ومات له ابن آخر قبل عبدالملك، فجاء فقعد عند رأسه، وكشف الثوب عن وجهه، وجعل ينظر إليه ويستدمع، فجاء ابنه عبدالملك، فقال:

---

١. حلية الأولياء ٥: ٣٣٠.

٢. انظر حلية الأولياء ٥: ٣٥٤.

٣. التعازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ٥٨؛ العقد الفريد ٥: ١٨٥. كتاب التعازي ـ للمدائني ـ: ٢٣.

يا أبه، ليشغلك ما أقبل من الموت عمّن هو في شغل عمّا حلّ لديك، فكأن قد لحقت بابنك وساويته تحت التراب بوجهك، فبكى عمر، ثمّ قال: رحمك الله يا بنيّ، فوالله إنّك لعظيم البركة، ما عَلِمْتُكَ على أنّك نافع الموعظة لمن وعظت.

فصل
في ذكر جماعة من النساء نقل العلماء صبرهنّ

روي عن أنس بن مالك، قال:

كان ابن لأبي طلحة ﷺ يشتكي، فخرج أبو طلحة فقبض الصبيّ، فلمّا رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ فقالت أُمّ سليم ـ وهي أُمّ الصبيّ ـ رضي الله عنها: هو أسكن ممّا كان، فقرّبت له العشاء فتعشّى، ثمّ أصاب منها، فلمّا فرغ قالت: وار[1] الصبيّ، فلمّا أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «أعرستم الليلة؟» فقال: نعم، فقال: «اللهمّ بارك لهما» فولدت غلاماً.

قالت: فقلت لأبي طلحة: احمله حتّى تأتي رسول الله ﷺ، وبعثت معه بتمرات، فقال: «أمعه شيء؟» قال: تمرات، فأخذها النبيّ ﷺ فمضغها، ثمّ أخذها ﷺ من فيه فجعلها في فيّ الصبيّ، ثمّ حنّكه، وسمّاه عبدالله.

قال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلّهم قد قرؤا القرآن، يعني من أولاد عبدالله المولود[2].

وفي رواية أُخرى:

مات ابن لأبي طلحة من أُمّ سليم، فقالت لأهلها: لا تحدّثوا أبا طلحة بابنه حتّى يكون أنا أُحدّثه، قال: فجاء فقرّبت إليه عشاء، فأكل وشرب، ثمّ تصنّعت له أكثر ممّا كانت تتصنّع له من قبل ذلك، فلمّا رأت أنّه قد شبع وأصاب منها، قالت يا أبا طلحة، أرأيت قوماً أعاروا عارية أهل بيت فطلبوا عاريتهم؟ ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب، ثمّ قال: تركتني حتّى إذا تلطّخت ثمّ أخبرتني بابني!![3].

---

١. في «ح» فارق الصبيّ. وما أثبتناه من «م» وهو موافق للمصادر.

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٨/١٢٣٩، و٥: ٢٠٨٢/٥١٥٣؛ صحيح مسلم ٣: ١٦٨٩ ـ ١٦٩٠/٢١٤٤

٣. صحيح مسلم ٤: ١٩٠٩/٢١٤٤.

وفي حديث آخر:

لمّا كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة، إنّ آل فلان استعاروا عارية تمتّعوا بها، فلمّا طلبت منهم شقّ عليهم ذلك، قال: ما أنصفوا، قالت: فإنّ فلاناً ـ لابنها ـ كان عارية من الله عزّوجلّ، وقبضه الله، فاسترجع، ثمّ غدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في ليلتكما».

قال: فحملت وذكر الحديث، وفيه، فولدت غلاماً، فمسح رسول الله ﷺ وجهه، وسمّاه عبدالله[1].

والحديث في عيون المجالس بزيادة غريبة في آخره، ولفظه:

عن معاوية بن قرّة، قال:

كان أبو طلحة يحبّ ابنه حبّاً شديداً، فمرض فخافت أُمّ سليم على أبي طلحة الجزع حين قرب موت الولد، فبعثته إلى النبيّ ﷺ، فلمّا خرج أبو طلحة من داره توفّي الولد، فسجّته أُمّ سليم بثوب وعزّلته في ناحية من البيت، ثمّ تقدّمت إلى أهل بيتها، وقالت لهم: لا تخبروا أبا طلحة بشيء.

ثمّ إنّها صنعت طعاماً، ثمّ مسّت شيئاً من الطيب، فجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ فقال: ما فعل ابني؟ فقالت له: هدأت نفسه، ثمّ قال: هل لنا ما نأكل؟ فقامت فقرّبت إليه الطعام، ثمّ تعرّضت له فوقع عليها، فلمّا اطمأنّ قالت له: يا أبا طلحة، أتغضب من وديعة كانت عندنا فرددناها إلى أهلها؟ فقال: سبحان الله، لا، فقالت: ابنك كان عندنا وديعة فقبضه الله تعالى، فقال أبو طلحة: فأنا أحقّ بالصبر منك.

ثمّ قام من مكانه، واغتسل، وصلّى ركعتين، ثمّ انطلق إلى النبيّ ﷺ، فأخبره بصنيعهما، فقال له رسول الله ﷺ: فبارك الله لكما في وقعتكما، ثمّ قال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أُمّتي مثل صابرة بني إسرائيل، فقيل: يا رسول الله، ما كان من خبرها؟ قال: كانت في بني إسرائيل امرأة، وكان لها زوج، ولها منه غلامان، فأمرها بطعام ليدعو عليه الناس ففعلت، واجتمع الناس في داره، فانطلق الغلامان يلعبان، فوقعا في بئر كان في الدار، فكرهت أن تنغّص على زوجها الضيافة، فأدخلتهما البيت، وسجّتهما بثوب، فلمّا فرغوا دخل زوجها، فقال أين ابناي؟ قالت: هما في البيت، وإنّها كانت قد تمسّحت

---

١. مسند أحمد ٣: ١١٦١٧/٥٤٣؛ دلائل النبوّة ٦: ١٩٨.

بشيء من الطيب، وتعرّضت للرجل حتّى وقع عليها، ثمّ قال: أين ابناي؟ قالت: هما في البيت، فناداهما أبوهما، فخرجا يسعيان، فقالت المرأة: سبحان الله! والله لقد كانا ميّتين، ولكنّ الله تعالى أحياهما ثواباً لصبري.

وقريب من هذا ما رويناه في دلائل النبوّة عن أنس بن مالك، قال:

دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض، فلم نبرح حتّى قضى، فبسطنا عليه ثوباً، وأُمّ له عجوز كبيرة عند رأسه، فقلنا لها: يا هذه، احتسبي مصيبتك على الله عزّ وجلّ، فقالت: مات ابني؟ قلنا: نعم، قالت: حقّاً تقولون؟ قلنا: نعم، قال: فمدّت يدها، وقالت: اللهمّ إنّك تعلم أنّي أسلمت لك، وهاجرت إلى رسولك ﷺ رجاءَ أن تعينني عند كلّ شدّة ورخاء، فلا تحمل عليّ هذه المصيبة اليوم، فكشف الثوب عن وجهه بيده، ثمّ ما برحنا حتّى طعمنا معه[1].

وهذا الدعاء من المرأة رحمها الله إدلال على الله، واستئناس به يقع منه للمحبّين كثيراً، فيقبل دعاءهم، وإن كان في التذكير بنحو ذلك ما يظهر منه قلّة الأدب، ولو وقع من غيرهم، ولذلك بحث طويل وشواهد من الكتاب والسنّة، يخرج ذكره عن مناسبة المقام.

ومن لطيف ما اتّفق فيه، ما روي من مناجاة «برخ الأسود» الذي أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين، وخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في سبعين ألفاً، فأوحى الله إليه:

كيف أستجيب لهم وقد أظلّت عليهم ذنوبهم، وسرائرهم خبيثة، يدعونني على غير يقين، ويأمنون مكري، ارجع إلى عبد من عبادي، يقال له: برخ، يخرج حتّى استجيب له.

فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يُعرف، فبينما موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق، فإذا بعبد أسود بين عينيه تراب من أثر السجود، في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلّم عليه، فقال: ما اسمك؟ قال: اسمي برخ، فقال: أنت طلبتنا منذ حين، اخرج استسقِ لنا، فخرج، فقال في كلامه: اللهمّ ما هذا من فعالك، وما هذا من حلمك، وما الذي بدا لك؟ أنقصت عليك عيونك، أم عاندت الرياح عن طاعتك، أم نفد ما عندك، أم اشتدّ غضبك على المذنبين، ألست كنت غفّاراً قبل خلق الخاطئين؟! خلقت الرحمة، وأمرت بالعطف، أم ترينا أنّك ممتنع، أم تخشى الفوت فتعجّل بالعقوبة؟ فما برح

---

١. دلائل النبوّة ٦: ٥٠.

برخ حتّى أفاضت وخاضت بنو إسرائيل بالقطر.

قال: فلمّا رجع برخ استقبله موسىعليه السلام فقال: كيف رأيت حين خاصمت ربّي، كيف أنصفني؟[١]

رجعنا إلى أخبار الصابرات.

وروي أنّ أسماء بنت عميس رضي الله عنها لمّا جاءها خبر ولدها ـ محمّد بن أبي بكر ـ أنّه قتل وأُحرق بالنار في جيفة حمار، قامت إلى مسجدها، فجلست فيه، وكظمت الغيظ حتّى تَشَخَّبَ ثدياها دماً[٢].

وروي عن حَمْنَة بنت جحش رضي الله عنها، أنّها قيل لها:

قتل أخوك، قالت: رحمه الله، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، قالوا: قتل زوجك، قالت: واحزناه، فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: إنّ للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء[٣].

وروي أنّ صفيّة بنت عبدالمطّلب أقبلت لتنظر إلى أخيها لأبويها حمزة بن عبدالمطلب بأُحد وقد مُثِّلَ به، فقال النبيّصلى الله عليه وآله وسلم لابنها الزبير:

«إلقَها فأرجعها لا ترى ما بأخيها» فقال لها: يا أُمّاه، إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن ترجعي، قالت: وَلِمَ، وقد بلغني أنّه قد مُثِّلَ بأخي؟ وذلك في الله عزّ وجلّ، فما أرضانا بما كان من ذلك، فلأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله.

فلمّا جاء الزبير إلى النبيّصلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بقولها، فقال له: «خَلِّ سبيلها» فأتته، ونظرت إليه، وصلّت عليه، واسترجعت، واستغفرت له[٤].

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال:

لمّا قتل حمزة رضي الله عنه يوم أُحد، أقبلت صفيّة تطلبه، لا تدري ما صنع به، قال: فلقيت عليّاً والزبير، فقال عليّعليه السلام للزبير: اذكر لأُمّك، فقال الزبير: لا، بل اذكر أنت لعمّتك، قالت: ما فعل حمزة؟ فأرياها أنّهما لا يدريان، قال: فجاءت النبيّصلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنّي أخاف على عقلها، قال: فوضع يده على صدرها، ودعا لها، فاسترجعت، وبكت، قال: ثمّ جاءصلى الله عليه وآله وسلم

---

١. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٠ ـ ٣٤١.

٢. الإصابة ٨: ٩.

٣. سنن ابن ماجة ١: ٥٠٧/١٥٩٠، المستدرك ـ للحاكم ـ ٤: ٦٢/٦١؛ السنن الكبرى ـ للبيهقي ـ ٤: ٧١٣٢/١١٠.

٤. السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ ٣: ١٠٣؛ الإصابة ٨: ١٢٩.

فقام عليه، وقد مُثِّلَ به، فقال: لولا جزع النساء لتركته حتّى يحشر من حواصل الطيور وبطون السباع[١].

واستشهد شابّ من الأنصار يقال له: خلّاد يوم بني قريضة، فجاءت أُمّه متنقّبة[٢] فقيل لها:

تتنقّبين يا أُمّ خلّاد وقد رزئت بخلّاد؟ فقالت: لئن كنت رزئت[٣] خلّاداً، فلم أرزأ حيائي[٤]، فدعا له النبيّ ﷺ وقال: إنّ له أجرين، لأنّ أهل الكتاب قتلوه[٥].

وعن أنس بن مالك، قال:

لمّا كان يوم أُحد حاص أهل المدينة حيصة، فقالوا: قتل محمّد ﷺ، حتّى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار متحزّنة، فاستُقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها، لا تدري أيّهم استقبلت أوّلاً، فلمّا مرّت على آخرهم، قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك، وأبوك، وزوجك، وابنك، قالت: ما فعل النبيّ ﷺ؟ قالوا: أمامك، فمشت حتّى جاءت إليه، فأخذت بناحية ثوبه، وجعلت تقول: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، لا أُبالي إذا سلّمت من عطب[٦].

وروى البيهقي قال:

مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أُصيب زوجها وأبوها وأخوها معه ﷺ بأُحد، فلمّا نعوا إليها، قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أُمّ فلان، وهو بحمد الله كما تحبّين، قالت: أرونيه حتّى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتّى إذا رأته قالت: كلّ مصيبة بعدك جلل[٧].

---

١. المعجم الكبير ٣: ١٤٢ ـ ٢٩٣٥/١٤٣؛ مجمع الزوائد ٦: ١١٨، باب مقتل حمزة؛ السنن الكبرى ٤: ٦٨٠٥/١٩؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ٣: ١٩٧ ـ ١٩٨.

٢. تنقّبت المرأة: شدّت النقاب على وجهها. المعجم الوسيط: ٩٤٣، «ن ق ب».

٣. رُزِئَ ولده وبولده: أُصيب به. المعجم الوسيط: ٣٤١، «ر ز ى».

٤. في «ح» و«م»: حبابه، وما أثبتناه من المصدر.

٥. كنز العمال ٣: ٨٦٧٧/٧٦١.

٦. المعجم الأوسط ٨: ٢٤٤ ـ ٧٤٩٥/٢٤٥؛ مجمع الزوائد ٦: ١١٥.

٧. دلائل النبوّة ٣: ٣٠٢. والجلل [من ألفاظ الأضداد]: الشيء الكبير العظيم، والصغير الحقير. والمراد هنا الثاني. راجع المعجم الوسيط: ١٣١، «ج ل ل».

وخرجت السمراء بنت قيس ـ أُخت أبي حزام ـ وقد أُصيب ابناها، فعزّاها النبيّ ﷺ بهما، فقالت:

كلّ مصيبة بعدك جلل، والله لهذا النقع[١] الذي أرى في وجهك أشدّ من مصابهما[٢].

وروي أنّ صلة بن أشيم كان في مغزى له، ومعه ابن له، فقال لابنه: أي بنيّ، تقدّم فقاتل حتّى أحتسبك، فحمل فقاتل فقتل، ثمّ تقدّم أبوه فقاتل فقتل، قال:

فاجتمع النساء عند أُمّه معاذة العدويّة زوجة صلة، فقالت لهنّ: مرحباً بكنّ إن كنتنّ جئتنّ لتهنئتي، وإن كنتنّ جئتنّ لغير ذلك فارجعن[٣].

وروي أنّ عجوزاً من بني بكر بن كلاب كان يتحدّث قومها عن عقلها وسدادها، فأخبر بعض من حضرها، وقد مات ابن لها، وكان واحدَها، وقد طالت علّته، وأحسنت تمريضه، فلمّا مات قعدت بفنائها، وحضرها قومها، فأقبلت على شيخ منهم فقالت:

يا فلان، ما حقّ من أُسبغت عليه النعمة، وأُلبس العافية، واعتدلت به النظرة، أن لا يعجز عن التوثّق لنفسه قبل حلّ عقدته والحلول بعقوته[٤]، ينزل الموت بداره، فيحول بينه وبين نفسه، ثمّ أنشأت تقول شعراً:

هو ابني وأُنسي أجره لي وعَزّني ... على نفسه ربٌّ إليه ولاؤها

فإن أحتسب أُوجَر وإن أبكه أكن ... كباكية لم يغنِ شيئاً بكاؤها

فقال لها الشيخ: إنّنا لم نزل نسمع أنّ الجزع إنّما هو للنساء، فلا يجزعَنّ أحد بعدك، ولقد كرم صبرك، وما أشبهت النساء، فقالت له: إنّه ما ميّز امرؤ بين جزع وصبر، إلّا وجد بينهما منهجين بعيدي التفاوت في حالتيهما:

أمّا الصبر: فحسن العلانية، محمود العاقبة.

وأمّا الجزع: فغير معرض شيئاً مع إثمه.

ولو كانا في صورة رجلين لكان الصبر أولاهما بالغلبة، وبحسن الصورة، وكرم الطبيعة في عاجل الدين وآجله في الثواب، وكفى بما وعد الله عزّ وجلّ لمن ألهمه إيّاه.

---

١. النقع: الغبار. الصحاح ٣: ١٢٥٢، «ن ق ع».

٢. المغازي ـ للواقدي ـ ١: ٢٩٢.

٣. حلية الأولياء ٢: ٢٣٩؛ تسلية أهل المصائب: ٣٤.

٤. العقوة: الساحة وما حول الدار. الصحاح ٦: ٢٤٣٣، «ع ق ا».

وعن جويريّة بن أسماء:

أنّ ثلاثة إخوة شهدوا تستر، واستشهدوا، وبلغ ذلك أُمّهم، فقالت: مقبلين أم مدبرين؟ فقيل لها: بل مقبلين، فقالت: الحمد لله، نالوا والله الفوز، وحاطوا الذمار، بنفسي هم وأبي وأُمّي، وما تأوهت، ولا دمعت لها عين[١].

وعن أبي قدامة الشامي قال:

كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، ودعوت الناس للغزاة، ورغبتهم في الجهاد، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثمّ تفرّق الناس وركبت فرسي، وسرت إلى منزلي، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تنادي يا أبا قدامة، فمضيت ولم أجب، فقالت: ما هكذا كان الصالحون، فوقفت، فجاءت ودفعت إليّ رقعة وخرقة مشدودة، وانصرفت باكية، فنظرت في الرقعة وإذا فيها مكتوب: أنت دعوتنا إلى الجهاد، ورغّبتنا في الثواب، ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما فيّ، وهما ضفيرتاي، وأرسلتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك لعلّ الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله، فيغفر لي، فلمّا كان صبيحة القتال، فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل حاسراً، فتقدّمت إليه وقلت: يا غلام، أنت فتى غِرٌّ[٢] راجل، ولا آمن أن تجول الخيل فتطؤك بأرجلها، فارجع عن موضعك هذا فقال: أتأمرني بالرجوع، وقد قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبارَ﴾[٣]. وقرأ الآية إلى آخرها.

فحملته على هجين كان معي، فقال: يا أبا قدامة، أقرضني ثلاثة أسهم، فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يلحّ عليّ حتّى قلت:بشرط إن منّ الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك، قال: نعم، فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع سهماً في قوسه ورمى به، فقتل روميّاً، ثمّ رمى بالآخر فقتل روميّاً، ثمّ رمى بالآخر، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة سلام مودّع، فجاءه سهم فوقع بين عينيه، فوضع رأسه على قربوس سرجه، فتقدّمت إليه، وقلت: لا تنسها، فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة، إذا دخلت المدينة فأتِ والدتي، وسلّم خُرجي[٤]

---

١. التعازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ٤٦؛ كتاب التعازي ـ للمدائني ـ: ١٧.

٢. المؤمن غِرٌّ كريم: أي ليس بذي نُكر، فهو ينخدع لانقياده ولينه، يقال: فتىً غِرٌّ وفتاةٌ غِرٌّ. النهاية ٣: ٣٥٤، «غ ر ر».

٣. الأنفال (٨): ١٥.

٤. الخُرج: وعاءٌ من شعر أو جلد، ذو عِدلين يوضع على ظهر الدابّة؛ لوضع الأمتعة فيه. المعجم الوسيط: ٢٢٥، «خ ر ج».

إليها وأخبرها، فهي التي أعتطك شعرها لتقيّد به فرسك، فسلّم عليها، فهي العام الأوّل أُصيبت بوالدي، وفي هذا العامّ بي، ثمّ مات، فحفرت له ودفنته.

فلمّا هممت بالانصراف عن قبره قذفته الأرض، فألقته على ظهرها، فقال أصحابه: غلام غِرّ، ولعلّه خرج بغير إذن أُمّه، فقلت: إنّ الأرض لتقبل من هو شرّ من هذا، فقمت وصلّيت ركعتين، ودعوت الله، فسمعت صوتاً يقول: يا أبا قدامة، اترك وليّ الله، فما برحت حتّى نزلت عليه طيور فأكلته.

فلمّا أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته، فلمّا قرعت الباب خرجت أُخته إليّ، فلمّا رأتني عادت إلى أُمّها، وقالت: يا أُمّاه، هذا أبو قدامة، وليس معه أخي، وقد أُصبنا في العامّ الأوّل بأبي، وفي هذا العام بأخي، فخرجت أُمّه، فقالت أمعزّياً أم مهنّئاً؟ فقلت: ما معنى هذا؟ قالت: إن كان ابني مات فعزّني، وإن كان استشهد فهنّئني، فقلت: لا، بل قد مات شهيداً، فقالت: له علامة، فهل رأيتها؟ فقلت:نعم، لم تقبله الأرض، ونزلت الطيور، فأكلت لحمه وتركت عظامه، فدفنتها، فقالت: الحمد لله.

فسلّمت إليها الخُرج، ففتحته وأخرجت منه مِسْحاً[1] وغُلّا من حديد، قالت: إنّه كان إذا جنّه الليل لبس هذا المِسح، وغَلّ نفسه بالغُلّ وناجى مولاه، وقال في مناجاته: إلهي احشرني من حواصل الطيور، فاستجاب الله سبحانه دعاءه، رحمه الله.

وروى البيهقي عن أبي العبّاس السرّاج قال:

مات لبعضهم ابن، فدخلت على أُمّه فقلت لها: اتّقي الله واصبري، فقالت: مصيبتي به أعظم من أن أفسدها بالجزع[2].

وقال أبان بن تغلب رحمه الله:

دخلت على امرأة، وقد نزل بابنها الموت، فقامت إليه فغمّضته وسجّته، ثمّ قالت: يا بنيّ، ما الجزع في ما لا يزول؟ وإنّما البكاء في ما ينزل بك غداً. يا بنيّ تذوق ما ذاق أبوك، وستذوقه من بعدك أُمّك، وإنّ أعظم الراحة لهذا الجسد النوم، والنوم أخو الموت، فما عليك إن كنت نائماً على فراشك، أو على غيره، وإنّ غداً السؤال والجنّة والنار، فإن كنت من أهل الجنّة فما ضرّك الموت، وإن كنت من أهل النار فما تنفعك الحياة، ولو كنت أطول الناس عمراً، والله يا بنيّ، لولا أنّ الموت أشرف الأشياء لابن آدم لما أمات الله

١. المِسح: الكساء من الشعر. المعجم الوسيط: ٨٦٨، «م س ح».
٢. شعب الإيمان ٧: ١٠١٩٨/٢٥٠.

نبيّه ﷺ، وأبقى عدوّه إبليس لعنه الله.

وعن المبرّد قال:

أتيت امرأة أُعزّيها عن ابنها، فجعلت تثني عليه، فقالت: كان والله، ماله لغير بطنه، وأمره لغير عرسه، وكان رحب الذراع بالتي لا تشينه، فإن كانت الفحشاء ضاق به ذرعاً، فقلت لها: وهل لك منه خلف؟ وأنا أعني الولد، فقالت: نعم بحمد الله كثير طيّب ثواب الله عزّ وجلّ عليه، ونعم العوض في الدنيا والآخرة.

وعنه:

أنّه خرج إلى اليمن فنزل على امرأة لها مال كثير ورقيق وولد وحال حسنة، فأقام عندها مدّة، فلمّا أراد الرحيل، قال: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم، كلّما نزلت هذه البلاد فانزل عليّ. وإنّه غاب أعواماً، ثمّ نزل عليها، فوجدها قد ذهب مالها ورقيقها، ومات ولدها، وباعت منزلها، وهي مسرورة ضاحكة، فقال لها: أتضحكين مع ما قد نزل بك؟ فقالت: يا عبدالله كنت في حال النعمة في أحزان كثيرة، فعلمت أنّها من قلّة الشكر، فأنا اليوم في هذه الحالة أضحك شكراً لله تعالى على ما أعطاني من الصبر[1].

وعن مسلم بن يسار، قال:

قدمت البحرين فأضافتني امرأة لها بنون ورقيق ومال ويسار، وكنت أراها محزونة، فغبت عنها مدّة طويلة، ثمّ أتيتها فلم أرَ ببابها إنساً، فاستأذنت عليها، فإذا هي ضاحكة مسرورة، فقلت لها: ما شأنك؟ قالت: إنّك لمّا غبت عنّا لم نرسل شيئاً في البحر إلّا غرق، ولا شيئاً في البرّ إلّا عطب، وذهب الرقيق، ومات البنون، فقلت لها: يرحمك الله، رأيتك محزونة في ذلك اليوم، ومسرورة في هذا اليوم، فقالت: نعم، إنّي لمّا كنت فيما كنت فيه من سعة الدنيا، خشيت أن يكون الله تعالى قد عجّل لي حسناتي في الدنيا، فلمّا ذهب مالي وولدي ورقيقي رجوت أن يكون الله تعالى قد ذخر لي عنده شيئاً[2].

وعن بعضهم قال:

خرجت أنا وصديق لي إلى البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدنا نحوها فسلّمنا، فإذا بامرأة تردّ علينا السلام، وقالت: من أنتم؟ قلنا: ضالّون،

---

١. التعازي والمراثي: ٢٦١؛ كتاب التعازي ـ للمدائني ـ: ٧١ ـ ٧٢.

٢. حلية الأولياء ٢: ٢٩٥ ـ ٢٩٦، بتفاوت في العبارة.

فأتيناكم فاستأنسنا بكم، فقالت: يا هؤلاء، ولّوا وجوهكم عنّي، حتّى أقضي من حقّكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فألقت لنا مِسْحاً وقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني.

ثمّ جعلت ترفع طرف الخيمة، وتردّها إلى أن رفعته مرّة فقالت: أسأل الله بركة المقبل، أمّا البعير فبعير ابني، وأمّا الراكب فليس هو به، قال: فوقف الراكب عليها، وقال: يا أُمّ عقيل، عظّم الله أجرك في عقيل ولدك، فقالت: ويحك مات!؟ قال: نعم، قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في بئر، فقالت: انزل واقبض ذمام القوم، ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه، وقرب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل، ونتعجّب من صبرها. فلمّا فرغنا خرجت إلينا وقالت: يا قوم، هل فيكم من يحسن من كتاب الله شيئاً؟ فقلت: نعم، قالت: فاقرأ عليَّ آيات أتعزّى بها عن ولدي، فقلت: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1]. قالت: بالله، إنّها في كتاب الله هكذا؟ قلت: والله، إنّها لفي كتاب الله هكذا، فقالت: السلام عليكم، ثمّ صفت قدميها وصلّت ركعات، ثمّ قالت: اللهمّ إنّي قد فعلت ما أمرتني به، فأنجز لي ما وعدتني به، ولو بقي أحدٌ لأحدٍ ـ قال: فقلت في نفسي تقول: لبقي ابني لحاجتي إليه، فقالت ـ لبقي محمّد ﷺ لأُمّته.

فخرجت وأنا أقول: ما رأيت أكمل منها ولا أجزل، ذكرت ربّها بأكمل خصاله وأجمل جلاله، ثمّ إنّها لمّا علمت أنّ الموت لا مدفع له، ولا محيص عنه، وأنّ الجزع لا يجدي نفعاً، والبكاء لا يردّ هالكاً، رجعت إلى الصبر الجميل، واحتسبت ابنها عند الله تعالى ذخيرة نافعة ليوم الفقر والفاقة[2].

ونحوه ما أخرجه ابن أبي الدنيا، قال:

كان رجل يجلس إليّ، فبلغني أنّه شاكٍ[3] فأتيته أعوده، فإذا هو قد نزل به الموت، وإذا أُمّ له عجوز كبيرة عنده، فجعلت تنظر حتّى غُمِّض وعُصِّب وسُجِّي، ثمّ قالت: رحمك الله، أي بُنيّ، فقد كنت بنا باراً، وعلينا شفيقاً، فرزقني الله عليك الصبر، فقد كنت تطيل القيام، وتكثر الصيام، لا حرمك الله تعالى ما أمّلت فيه من رحمته، وأحسن فيك العزاء، ثمّ نظرت إليّ وقالت: أيّها العائد قد رأيت واعظاً ونحن معك.

---

١. البقرة (٢): ١٥٥ ـ ١٥٧.

٢. تسلية أهل المصائب: ١٤٢.

٣. «شكا: تألّم ممّا به من مرض ونحوه». المعجم الوسيط: ٤٩٢، «ش ك ا».

وروى البيهقي عن ذي النون المصري، قال:

كنت في الطواف، وإذا أنا بجاريتين قد أقبلتا، وأنشأت إحداهما تقول:

صَبَرْتُ وكان الصَّبْرُ خَيْرَ مَغَبَّةٍ ... وهل جَزَعٌ مِنّي لِيُجْدِي فَأَجْزَعُ

صَبَرْتُ على ما لو تَحَمَّلَ بَعْضَهُ ... جِبالٌ بِرَضْوَى أَصْبَحَتْ تَتَصَدَّعُ

مَلَكْتُ دُمُوعَ العَيْنِ ثُمّ رَدَدْتُها ... إلى ناظِرِي فَالعَيْنُ في القَلْبِ تَدْمَعُ

فقلت: ممّاذا يا جارية؟ فقالت: من مصيبة نالتني، لم تصب أحداً قطّ. قلت: وما هي؟ قالت: كان لي شبلان يلعبان أمامي، وكان أبوهما ضحّى بكبشين، فقال أحدهما لأخيه: يا أخي، أُريك كيف ضحّى أبونا بكبشه؟ فقام وأخذ الآخر شفرة فنحره، وهرب القاتل فدخل أبوهما، فقلت: إنّ ابنك قتل أخاه وهرب، فخرج في طلبه فوجده قد افترسه السبع، فرجع الأب فمات في الطريق ظمأً وجوعاً[1].

وروى بعضهم هذه الرواية، وزاد فيها:

قال: رأيت امرأة حسناء، ليس بها شيء من الحزن، وقالت: والله، ما أعلم أحداً أُصيب بما أُصبت به، وأوردت القصّة، فقلت لها: كيف أنت والجزع؟ فقالت: لو رأيت فيه دركاً ما اخترت عليه شيئاً، ولودام لي لدمت له.

وحكى بعضهم، قال:

أُصيبت امرأة بابن لها فصبرت، فقيل لها في ذلك، فقالت: آثرت طاعة الله تعالى على طاعة الشيطان.

---

١. شعب الإيمان ٧: ٢٥٠ ـ ١٠٢٠١/٢٥١.

الباب الثالث

في الرضى

قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى مَا فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾[1] ﴿رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[2].

اعلم أنّ الرضى ثمرة المحبّة للّه، من أحبّ شيئاً أحبّ فعله، والمحبّة ثمرة المعرفة، فإنّ من أحبّ شخصاً إنسانيّاً لاشتماله على بعض صفات الكمال أو نعوت الجمال، يزداد حبّه له، كلّما زاد به معرفة ولو تصوّراً.

فمن نظر بعين بصيرته إلى جلال الله تعالى وكماله ـ الذي يطول شرح تفصيل بعضه، ويخرج عن مقصود الرسالة ـ أحبّه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ﴾[3] ومتى أحبّه استحسن كلّ أثر صادر عنه، وهو يقتضي الرضى.

فالرضى ثمرة من ثمرات المحبّة، بل كلّ كمال فهو ثمرتها، فإنّها لمّا كانت فرع المعرفة استلزم تصوّر رحمته رجاءه، وتصوّر هيبته الخشية له، ومع عدم الوصول إلى المطلوب الشوق، ومع الوصول الأُنس، ومع إفراط الأُنس الانبساط، ومع مطالعة عنايته التوكّل، ومع استحسان ما يصدر عنه الرضى، ومع تصوّر قصور نفسه في جنب كماله، وكمال إحاطة

---

١. الحديد (٥٧): ٢٣.

٢. المائدة (٥): ١١٩؛ التوبة (٩): ١٠٠؛ المجادلة (٥٨): ٢٢؛ البيّنة (٩٨): ٨.

٣. البقرة (٢): ١٦٥.

محبوبه به، وقدرته عليه التسليم إليه، ويتشعّب من التسليم مقامات عظيمة، يعرفها من عرفها، وينتهي الأمر به إلى غاية كلّ كمال.

واعلم أنّ الرضى فضيلة عظيمة للإنسان، بل جماع أمر الفضائل يرجع إليها، وقد نبّه الله تعالى على فضله، وجعله مقروناً برضى الله تعالى وعلامة له، فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[١] ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢] وهو نهاية الإحسان، وغاية الامتنان.

وجعله النبيّ ﷺ: دليلاً على الإيمان، حين سأل طائفة من أصحابه:

ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون، فقال: ما علامة إيمانكم؟ قالوا: نصبر على البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضى بمواقع القضاء، فقال: مؤمنون وربّ الكعبة[٣].

وقال النبيّ ﷺ:

إذا أحبّ الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، فإن رضي اصطفاه[٤].

وقال ﷺ:

إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أُمّتي أجنحة، فيطيرون من قبورهم إلى الجنان، يسرحون فيها، ويتنعّمون كيف يشاؤون، فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فيقولون: هل جزتم الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فيقولون: هل رأيتم جهنّم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: مِن أُمّة مَن أنتم؟ فيقولون: من أُمّة محمّد ﷺ، فيقولون: نشدناكم الله، حدّثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا؟ فيقولون: خصلتان كانتا فينا، فبلّغنا تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنّا إذا خلونا نستحي أن نعصيه، ونرضى باليسير ممّا قسم لنا، فتقول الملائكة: حقّ لكم هذا[٥].

وقال ﷺ:

---

١. المائدة (٥): ١١٩؛ التوبة (٩) ١٠٠؛ المجادلة (٥٨): ٢٢؛ البيّنة (٩٨): ٨.

٢. التوبة (٩): ٧٢.

٣. إحياء علوم الدين ٤: ٦١ ـ ٦٢، ٣٤٤؛ المعجم الأوسط ١٠: ٩٤٢٣/١٩٤؛ مجمع الزوائد ١: ٥٤.

٤. إحياء علوم الدين ٤: ٣٢٩، ٣٤٤.

٥. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

أعطوا الله الرضى من قلوبكم، تظفروا بثواب الله تعالى يوم ففركم وإلّا فلا[١].

وفي أخبار موسى عليه السلام أنّهم قالوا:

سل لنا ربّك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنّا، فأوحى الله تعالى إليه: «قل لهم: يرضون عنّي، حتّى أرضى عنهم»[٢].

ونظيره ما روي عن نبيّنا صلى الله عليه وآله: أنّه قال:

من أحبّ أن يعلم ما له عند الله عزّ وجلّ، فلينظر ما لله عزّ وجلّ عنده، فإنّ الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه[٣].

وفي أخبار داود عليه السلام:

ما لأوليائي والهمّ بالدنيا، إنّ الهمّ يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم. يا داود، إنّ محبّتي من أوليائي أن يكونوا روحانيّين لا يغتمّون[٤].

وروي أنّ موسى عليه السلام قال:

يا ربّ، دلّني على أمر فيه رضاك عنّي أعمله، فأوحى الله تعالى إليه أنّ رضاي في كرهك، وأنت ما تصبر على ما تكره. قال: يا ربّ، دلّني عليه، قال: فإنّ رضاي في رضاك بقضائي[٥].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وفي مناجاة موسى عليه السلام:

أي ربّ، أيّ خلقك أحبّ إليك؟ قال: من إذا أخذت حبيبه سالمني، قال: فأيّ خلق أنت عليه ساخط؟ قال: من يستخيرني في الأمر، فإذا قضيت له سخط قضائي[٦].

وروي ما هو أشدّ منه، وذاك أنّ الله تعالى قال:

أنا الله، لا إله إلّا أنا، من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي، فليتّخذ ربّاً سوائي[٧].

---

١. إحياء علوم الدين ٤: ١٩٩، ٣٤٥؛ وبهذا المعنى أيضاً روى الكليني في الكافي ٢: ١٤/٢٦٣، باب فضل فقراء المسلمين.

٢. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٥.

٣. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٥؛ المعجم الأوسط ٣: ٢٤٣ ـ ٢٥٢٢/٢٤٤؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ١: ٤٩٤ ـ ٤٩٥؛ وبهذا المعنى أيضاً روى ابن فهد الحلّي في عدّة الداعي: ١٦٧.

٤. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٥.

٥. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٥؛ الدعوات ـ للراوندي ـ: ٤٥٣/١٦٤.

٦. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٥

٧. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٥؛ الدعوات ـ للراوندي ـ: ٤٧١/١٦٩؛ الجامع الصغير: ٦٠٠٩/٣٧٣.

ويروى أنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام:

يا داود، تريد وأُريد، وإنّما يكون ما أُريد، فإن سلّمت لما أُريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلّم لما أُريد أتعبتك فيما تريد، ولا يكون إلّا ما أُريد[١].

وعن ابن عبّاس:

أوّل من يدعى إلى الجنّة يوم القيامة، الذين يحمدون الله تعالى على كلّ حال[٢].

وعن ابن مسعود:

لئن ألحَسَنَّ جمرة أحرقت ما أحرقت، وأبقت ما أبقت، أحبّ إليّ من أن أقول لشيء كان: ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن: ليته كان[٣].

وعن أبي الدرداء:

ذروة الإيمان الصبر للحكم، والرضى بالقدر[٤].

وقال صلى الله عليه وآله:

إنّ الله تعالى بحكمته وجلاله جعل الروح والفرج في الرضى واليقين، وجعل الغمّ والحزن في الشكّ والسخط[٥].

وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام:

الزهد عشرة أجزاء: أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضى[٦].

وقال الصادق عليه السلام:

صفة الرضى أن ترضى المحبوب والمكروه، والرضى شعاع نور المعرفة، والراضي فانٍ عن جميع اختياره، والراضي حقيقة هو المرضيّ عنه، والرضى اسم يجتمع فيه معاني

---

١. التوحيد ـ للصدوق ـ: ٤/٣٣٧، باب المشيئة والإرادة؛ إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٦.

٢. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٦؛ مجمع الزوائد ١٠: ٩٥؛ المعجم الأوسط ٤: ٣٠٥٧/٤٤؛ الترغيب والترهيب ٢: ٤٨/٤٣٧.

٣. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٦.

٤. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٦.

٥. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٧؛ المعجم الكبير ١٠: ٢١٥ ـ ١٠٥١٤/٢١٦؛ الجامع الصغير: ٢٤٩٣/١٥٠؛ وبهذا المعنى أيضاً روى البرقي في المحاسن ١: ٨٠ ـ ٤٧/٨١.

٦. الكافي ٢: ١٠/٦٢، باب الرضى بالقضاء، وص ٤/١٢٨، باب ذمّ الدنيا والزهد فيها؛ الوسائل ٣: ١٣/٢٥٣، الباب ٧٥ من أبواب الدفن.

العبوديّة، وتفسير الرضى سرور القلب. سمعت أبي محمّد الباقر عليه السلام يقول: تعلّق القلب بالموجود شرك، وبالمفقود كفر، وهما خارجان عن سنّة الرضى. والعجب ممّن يدّعي العبوديّة للّه كيف ينازعه في مقدوراته؟! حاشا الراضين العارفين عن ذلك[١].

وروي أنّ جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه ابتلي في آخر عمره بضعف الهرم والعجز، فزاره محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، فسأله عن حاله، فقال: أنا في حالة أُحبّ فيها الشيخوخة على الشباب، والمرض على الصحّة، والموت على الحياة. فقال الباقر عليه السلام:

أمّا أنا يا جابر، فإن جعلني الله شيخاً أُحبّ الشيخوخة، وإن جعلني شابّاً أُحبّ الشبوبة، وإن أمرضني أُحبّ المرض، وإن شفاني أُحبّ الشفاء والصحّة، وإن أماتني أُحبّ الموت، وإن أبقاني أُحبّ البقاء.

فلمّا سمع جابر هذا الكلام منه قبّل وجهه، وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه قال: «ستدرك لي ولداً اسمه اسمي، يبقر العلم بقراً كما يبقر الثور الأرض»؛ ولذلك سمّي باقر علم الأوّلين والآخرين، أي شاقّه.

وروى الكليني بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام، أنّه قال:

رأس طاعة الله الصبر والرضى عن الله فيما أحبّ العبد أو كره، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ وكره، إلّا كان خيراً له فيما أحبّ أو كره[٢].

وبإسناده عنه عليه السلام قال:

أعلم الناس بالله تعالى أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ[٣].

وبإسناده عنه عليه السلام قال:

قال الله تعالى: عبدي المؤمن لا أُصرّفه في شيء إلّا جعلته خيراً له، فليرضَ بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، أكتبه يا محمّد من الصدّيقين عندي[٤].

وعنه عليه السلام قال:

في ما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى بن عمران ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ

---

١. مصباح الشريعة: ٥٣٩، باب في الرضى.

٢. الكافي ٢: ١/٦٠، باب الرضى بالقضاء، الوسائل ٣: ١٢/٢٥٣، الباب ٧٥ من أبواب الدفن.

٣. الكافي ٢: ٢/٦٠، باب الرضى بالقضاء؛ الوسائل ٣: ٣/٢٥١، الباب ٧٥ من أبواب الدفن.

٤. الكافي ٢: ٦/٦١، باب الرضى بالقضاء؛ الوسائل ٣: ٢٥٠ ـ ٢/٢٥١، الباب ٧٥ من أبواب الدفن.

من عبدي المؤمن، فإنّي إنّما أبتليه لما هو خير له، وأُعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصدّيقين عندي، إذا عمل برضائي، وأطاع أمري[١].

وقيل للصادق عليه السلام: بأيّ شيء يعلم المؤمن بأنّه مؤمن؟ قال: «بالتسليم للّه، والرضى فيما ورد عليه من سرور أو سخط»[٢].

وروي في الإسرائيليّات:

أنّ عابداً عبدالله تعالى دهراً طويلاً، فرأى في المنام: فلانة رفيقتك في الجنّة، فسأل عنها، واستضافها ثلاثاً لينظر إلى عملها، فكان يبيت قائماً، وتبيت نائمة، ويظلّ صائماً، وتظلّ مفطرة، فقال لها: أما لك عمل غير ما رأيت؟ فقال: ما هو والله غير ما رأيت، ولا أعرف غيره فلم يزل يقول: تذكّري، حتّى قالت: خصيلة واحدة هي، إن كنت في شدّة لم أتمنّ أن أكون في رخاء، وإن كنت في مرض لم أتمنّ أن أكون في صحّة، وإن كنت في الشمس لم أتمنّ أن أكون في الظلّ، فوضع العابد يديه على رأسه، وقال: أهذه خصيلة؟ هذه والله، خصلة عظيمة يعجز عنها العباد[٣].

فصل: [في مرتبة الرضى]

مرتبة الرضى عالية جدّاً على مرتبة الصبر، بل نسبة الصبر إلى الرضى عند أهل الحقيقة نسبة المعصية إلى الطاعة، فإنّ المحبّة تقتضي اللذّة بالبلاء؛ لأنّه يجد في البلاء نفسَهُ على ذكر من محبوبه، فيزيد قربه وأُنسه. والصبر يقتضي كراهة البلاء واستصعابه حتّى يوجب الصبر عليه، والكراهة تنافي الأُنس، فتبيّن بذلك أنّ الصبر والمحبّة متنافيان.

وأيضاً، فإنّ الصبر إظهار التجلّد، وهو في مذهب المحبّة من أشدّ المنكرات نكراً، وأظهر علامات العداوة طرّاً، كما قيل:

---

١. الكافي ٢: ٦١ ـ ٧/٦٢، باب الرضى بالقضاء؛ الأمالي ـ للمفيد ـ: ٢/٩٣، المجلس الحادي عشر؛ الأمالي ـ للطوسي ـ: ١٣/٢٣٨، المجلس التاسع؛ الوسائل ٣: ٩/٢٥٢، الباب ٧٥ من أبواب الدفن.

٢. الكافي ٢: ٦٢ ـ ١٢/٦٣، باب الرضى بالقضاء؛ الوسائل ٣: ٧/٢٥٢، الباب ٧٥ من أبواب الدفن.

٣. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٦.

ويحسن إظهارُ التجلّدِ للعِدى ويقبح إلّا العجز عند الأحبّةِ[١]

ومن هنا قال أهل الحقيقة: الصبر من أصعب المنازل على العامّة، وأوحشها في طريق المحبّة، وأنكرها في طريق التوحيد[٢].

وإنّما كان أصعب عند العامّة، لأنّ العامّي لم يتدرّب بالرياضة، ولم يتحنّك بالصبر على البلاء، ولم يتعوّد بقمع النفس، ولم يكن من أهل المحبّة حتّى يتلذّذ بالبلاء، فإذا امتحنه الحقّ سبحانه بالبلاء وهو في مقام النفس، لم يحتمل البلاء وغلبهُ الجزع، وصَعُب عليه حبس النفس عن إظهاره لعدم طمأنينتها.

وإنّما كان أوحش المنازل في طريق المحبّة؛ لأنّ المحبّة تقتضي الأُنس بالمحبوب، والالتذاذ بالبلاء؛ لشهود المبتلى فيه وإيثار مراد المحبوب، والصبر يقتضي كراهة البلاء كما مرّ، فيتنافيان.

وإنّما كان أنكر في مقام التوحيد؛ لأنّ الصابر يدّعي قوّة الثبات، ودعوى الثبات والتجلّد من رعونات[٣] النفس، والتوحيد يقتضي فناء النفس، فيكون أنكر؛ لأنّ إثبات النفس في طريق التوحيد من أقبح المنكرات، بل الرضى مع عظم قدره وعلوّ أمره عند أهل التحقيق في التوحيد من أوائل مسالكه؛ لأنّ سلوكهم في الفناء في التوحيد بذواتهم، والرضى هو فناء الإرادة في إرادة الحقّ تعالى، والوقوف الصادق مع مراد الله تعالى، وفناء الصفة قبل فناء الذات.

وقد تبيّن لك بذلك، ما بين الصبر والرضى من المراتب البعيدة والمسالك الشديدة.

فصل: [في درجات الرضى]

للرضى ثلاث درجات، مترتّبة في القوّة ترتّبها في اللفظ:

الدرجة الأُولى: أن ينظر إلى موقع البلاء،والفعل الذي يقتضي الرضى، ويدرك موقعه،

---

١. القائل هو ابن الفارض في ديوان ابن الفارض: ٥٠.

٢. القائل هو خواجه عبدالله أنصاري في منازل السائرين: ١٩٦.

٣. الرعونة ـ عند الصوفيّة ـ: الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها. المعجم الوسيط: ٣٥٥، «رع ن».

ويحسّ بألمه، ولكن يكون راضياً به، بل راغباً فيه، مريداً له بعقله، وإن كان كارهاً له بطبعه، طلباً لثواب الله تعالى عليه، ومزيداً لزلفى لديه، والفوز بالجنّة التي عرضها السماوات والأرض، وقد أُعدّت للمتّقين.

وهذا القسم من الرضى هو رضى المتّقين.

ومثاله، مثال من يلتمس الفصد والحجامة من الطبيب العالم بتفاصيل أمراضه وما فيه إصلاحه، فإنّه يدرك ألم ذلك الفعل، إلّا أنّه راض به، وراغب فيه، ومتقلّد من الفَصّاد[1] منّةً عظيمة بفعله.

ومثله من يسافر في طلب الربح، فإنّه يدرك مشقّة السفر، ولكن حبّه لثمرة سفره طَيَّب عنده مشقّة السفر، وجعله راضياً به، ومهما أصابته بليّة من الله تعالى، وكان له يقين بأنّ ثوابه الذي ادّخر له فوق مافاته رضي به، ورغب فيه، وأحبّه، وشكر الله تعالى عليه.

الدرجة الثانية: أن يدرك الألم كذلك، ولكنّه أحبّه؛ لكونه مراد محبوبه ورضاه، فإنّ من غلب عليه الحبّ كان جميع مراده، وهواه ما فيه رضى محبوبه، وذلك موجود في الشاهد بالنسبة إلى حبّ الخلق بعضهم بعضاً، قد تواصفه المتواصفون في نظمهم ونثرهم، ولا معنى له إلّا ملاحظة حال الصورة الظاهرة بالبصر.

وما هذا الجمال إلّا جلد على لحم، ودم مشحون بالأقذار والأخباث، بدايته من نطفة مذرة، ونهايته جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة.

والناظر لهذا الجمال الخسيس هو العين الخسيسة التي تغلط في ما ترى كثيراً، فترى الصغير كبيراً، والكبير صغيراً، والبعيد قريباً، والقبيح جميلاً.

فإذا تصوّر الإنسان استيلاء هذا الحبّ، فمن أين يستحيل ذلك في حبّ الجمال الأزلي الأبدي، الذي لا ينتهي كماله المدرك بعين البصيرة، التي لا يعتريها الغلط، ولا يزيلها الموت، بل يبقى بعد الموت حيّاً عند الله، فرحاً مسروراً برزق الله، مستفيداً بالموت مزيد تنبّه واستكشاف؟! وهذا أمر واضح من حيث الاعتبار، وتشهد له جملة من الآثار، وردت من

---

١. فَصَدَ العِرق فصداً وفصاداً: شقّه، ويقال فَصَدَ المريض: أخرج مقداراً من دم وريده بقصد العلاج، وفَصَّدَ مبالغة في فَصَدَ. المعجم الوسيط: ٦٩٠، «ف ص د».

أحوال المحبّين وأقوالهم، يأتي بعضها إن شاء الله تعالى، وهذه مرتبة المقرّبين.

الدرجة الثالثة: أن يبطل إحساسه بالألم، حتّى يجري عليه المؤلم ولا يحسّ، وتصيبه جراحة، ولا يدرك ألمه.

ومثاله، الرجل المحارب، فإنّه في حال غضبه أو حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحسّ بها، حتّى إذا رأى الدم استدلّ به على الجراحة، بل الذي يعدو في شغل مريب قد تصيبه شوكة في قدمه، ولا يحسّ بألمه لشغل قلبه، بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالّة يتألّم بها، فإن كان قلبه مشغولاً بمهمّ من مهمّاته، يفرغ الحجّام أو الحالق، وهو لا يشعر به.

وكلّ ذلك؛ لأنّ القلب إذا صار مستغرقاً بأمر من الأُمور لم يدرك ما عداه.

ونظائر ذلك في هموم أهل الدنيا، واشتغالهم بها، وإكبابهم عليها، حتّى لا يتألّمون ولا يحسّون بالجوع والعطش والتعب؛ لذلك كثير مُشاهَد عياناً، فكذلك العاشق المستغرق الهمّ بمشاهدة محبوبه، قد يصيبه ما كان يتألّم به، أو يغتمّ لولا عشقه، ثمّ لا يدرك غمّه وألمه؛ لفرط استيلاء الحبّ على قلبه، هذا إذا أصابه من غير حبيبه، فكيف إذا أصابه من حبيبه.

وشغل القلب بالحبّ والعشق من أعظم الشواغل، وإذا تصوّر هذا في ألم يسير بسبب حبّ خفيف، تصوّر في الألم العظيم بالحبّ العظيم، فإنّ الحبّ أيضاً يتصوّر تضاعفه في القوّة، كما يتصوّر تضاعف الألم، وكما يقوى حبّ الصور الجميلة المدركة بحاسّة البصر، فكذا يقوى حبّ الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة الربوبيّة، وجلالها لا يقاس بها جلال، فمن انكشف له شيء منه فقد يبهره، بحيث يدهش ويغشى عليه، فلا يحسّ بما يجري عليه.

كما روي عن امرأة أنّها عثرت فانقطع ظفرها، فضحكت، فقيل لها: أما تجدين الوجع؟ فقالت: إنّ لذّة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه[1].

---

١. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٧.

وكان بعضهم يعالج غيره من علّة فنزلت به، فلم يعالج نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: ضرب الحبيب لا يوجع[١].

فصل

في ذكر جماعة من السلف، نقل العلماء رضاهم بالقضاء مضافاً إلى ما تقدّم

اعلم أنّ أكثر ما أوردناه في باب الصبر عن جماعة الأكابر تضمّن الرضى بالقضاء، بخصوص موت الولد ونحوه، ولنذكر هنا أُموراً عامّة:

لمّا اشتدّ البلاء على أيّوب عليه السلام قالت امرأته: ألا تدعو ربّك فيكشف ما بك؟ فقال لها:

يا امرأة، إنّي عشت في الملك والرخاء سبعين سنة، فأنا أُريد أن أعيش مثلها في البلاء؛ لعلّي كنت أدّيت شكر ما أنعم الله عليّ، وأولى بي الصبر على ما أبلى[٢].

وروي أنّ يونس عليه السلام قال لجبرئيل عليه السلام:

دلّني على أعبد أهل الأرض، فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه، وذهب ببصره وسمعه، وهو يقول:

إلهي! متّعتني بهما ما شئت، وسلبتني ما شئت، وأبقيت لي فيك الأمل، يا بَرُّ يا وصول[٣].

وروي أنّ عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى، أبرص، مقعد، مضروب الجنبين بالفالج، وقد تناثر لحمه من الجذام، وهو يقول:

الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه.

فقال له عيسى عليه السلام: يا هذا، وأيّ شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك؟

فقال: يا روح الله، أنا خير ممّن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته.

فقال له: صدقت، هات يدك فناوله يده، فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة، قد أذهب الله عنه ما كان به، فصحب عيسى عليه السلام، وتعبّد معه[٤].

وقال بعضهم:

---

١. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٧.

٢. إرشاد القلوب ١: ٢٥١؛ تنبيه الخواطر ١: ٤٠، باب الصبر وحفظ النفس، بتفاوت في الألفاظ.

٣. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٨.

٤. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٩.

قصدت عبّادان[١] في بدايتي، فإذا أنا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع، والنمل يأكل لحمه، فرفعت رأسه، ووضعته في حجري وأنا أُردّد الكلام، فلمّا أفاق قال: من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربّي؟ فوحقّه لو قطّعني إرباً إرباً، ما ازددت له إلّا حبّاً[٢].

وقطعت رجل بعضهم من ركبته من آكلة خرجت بها، فقال:

الحمد لله الذي أخذ منّي واحدة، وترك ثلاثاً، وعزّتك لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت، ثمّ لم يدع وِرده تلك الليلة[٣].

وقال بعضهم:

نلت من كلّ مقام حالاً إلّا الرضى بالقضاء، فمالي منه إلّا مشامّ الريح، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلّهم الجنّة وأدخلني النار كنت بذلك راضياً[٤].

وقيل لبعض العارفين:

نلت غاية الرضى عنه، فقال: أمّا الغاية فلا، ولكن مقام من الرضى قد نلته، لو جعلني الله جسراً على جهنّم، تعبر الخلائق عليّ إلى الجنّة، ثمّ ملأ بي جهنّم لأحببت ذلك من حكمه، ورضيت به من قسمه[٥].

وهذا كلام من علم أنّ الحبّ قد استغرق همّه، حتّى منع الإحساس بألم النار، واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه، لكنّه بعيد من الأحوال الضعيفة في هذا الزمان، ولا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم حال الأقوياء، ويظنّ أنّ ماهو عاجز عنه يعجز عنه غيره من الأولياء.

وكان عمران بن حصين[٦] ﷺ استسقى بطنه، فبقي ملقّى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له في سريره موضع لقضاء حاجته، فدخل عليه أخوه العلاء فجعل يبكي

---

١. عبّادان: بلد قرب البصرة. معجم البلدان ٤: ٧٤.

٢. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٨.

٣. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٩.

٤. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٩.

٥. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

٦. في «م» و«ح»: «عمر بن حصين» بدل «عمران بن حصين». وما أثبتناه من المصدر ولعلّه هو الصحيح لمزيد التوضيح راجع الإصابة ٤: ٥٨٤/٦٠٢٤.

لما يرى من حاله، فقال:

لِمَ تبكي؟ قال: لأنّي أراك على هذه الحالة العظيمة، قال: لا تبك، فإنّ ما أحبّه لي الله تعالى أُحبّه، ثمّ قال: أُحدّثك شيئاً لعلّ الله ينفعك به، واكتم عليّ حتّى أموت، إنّ الملائكة لتزورني فآنس بها، وتسلّم عليّ فأسمع تسليمها، فأعلم بذلك أنّ هذا البلاء ليس بعقوبة؛ إذ هو سبب لهذه النعمة الجسيمة، فمن شاهد هذا في بلائه، كيف لا يكون راضياً به[١].

وقال بعضهم:

دخلنا على سويد بن شعبة، فرأينا ثوباً ملقّى، فما ظننّا أنّ تحته شيئاً حتّى كشف، فقالت امرأته: أهلك فداؤك، أما نطعمك، أما نسقيك؟ فقال: طالت الضجعة[٢]، ودبرت الحراقيف[٣]، وأصبحت نضواً[٤]، لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً منذ كذا فذكر أيّاماً وما يسرّني أنّي نقصت من هذا قلامة ظفر[٥].

وروي عن بعضهم، وكان قاسى المرض ستّين سنة، فلمّا اشتدّ عليه حاله دخل عليه بنوه، فقالوا:

أتريد أن تموت، حتّى تستريح ممّا أنت فيه؟ قال: لا، قالوا: فما تريد؟ قال: ما لي إرادة، إنّما أنا عبد، وللسيّد الإرادة في عبده، والحكم في أمره.

وقيل:

اشتدّ المرض بفتح الموصلي، وأصابه مع مرضه الفقر والجهد، فقال: إلهي وسيّدي، ابتليتني بالمرض والفقر، فهذا فعالك بالأنبياء والمرسلين، فكيف لي أن أُؤدّي شكر ما أنعمت به عليّ؟[٦]

فصل: [في الدعاء ووظائف الداعي]

اعلم أنّ الدعاء يدفع البلاء، وزوال المرض وحفظ الولد لا ينافي الرضى بالقضاء، فقد

---

١. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٩.

٢. ضَجَعَ: وضع جنبه على الأرض. المعجم الوسيط: ٥٣٤، «ض ج ع». وهو هنا كناية عن طول المرض.

٣. الحرقفة: عظم الحجبة، وهي رأس الورك، والجمع الحراقف. لسان العرب ٩: ٤٦، «ح ر ق ف».

٤. النِضو بالكسر: المهزول. لسان العرب ١٥: ٣٣٠، «ن ض و».

٥. إحياء علوم الدين ٤: ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

٦. راجع حلية الأولياء ٨: ٢٩٢/٤١٥.

تعبَّدنا الله سبحانه بالدعاء، وندبنا إليه وحثّنا عليه، وجعل تركه استكباراً، وفعله عبادة، ووعد بالإجابة، ودعا الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأمروا به، وما نقل عنهم خارج عن حدّ الحصر، وقد أثنى الله تعالى على الداعين من عباده، فقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾[1].

ومن وظائف الداعي أن يكون في دعائه ممتثلاً لأمر ربّه تبارك وتعالى بالدعاء في طلب ما أمره بطلبه، وأنّه لولا أمره به وإذنه له فيه لما اجترأ على التعرّض لمخالفة قضائه، وفي الحقيقة هذا نوع من الرضى لمن فهم مواضع الرضى، وأدّب نفسه، وقام بوظائف الدعاء.

ومن علاماته، أنّه إذا لم يجب إلى مطلوبه لا يتألّم من ذلك، من حيث عدم إجابته؛ لجواز أن يكون المدعوّ به مشتملاً على مفسدة لا يعلمها إلّا الله تعالى، كما ورد أنّ العبد ليدعو الله تعالى بالشيء حتّى ترحمه الملائكة وتقول: إلهي ارحم عبدك المؤمن، وأجب دعوته، فيقول الله تعالى: كيف أرحمه من شيء به أرحمه؟[2].

نعم، لو استوحش من حيث احتمال أن يكون السبب الذي أوجب ردّ دعائه بُعده عن الله تعالى، واستحقاقه للخيبة[3] والإجباه[4] والطرد والإبعاد، فلا حرج، فإنّ بكمال المؤمن أن يكون ماقتاً لنفسه مزرياً عليها، حتّى لو أُجيبت دعوته فلا يظنّن أنّ ذلك من كرامته على الله تعالى وقربه منه، بل يجوز أن يكون ذلك من بغض الله تعالى وكراهته لصوته، وتأذّي الملائكة برائحته، فتسأل الله تعالى أن يعجّل بإجابته لتستريح منه.

وكذلك قد يكون سبب تأخير الإجابة من محبّة الله تعالى وملائكته لصوته، وتلذّذهم بمناجاته، فتسأل الله تعالى تأخير إجابته كذلك، كما ورد في الأخبار[5]، فالمؤمن أبداً بين رجاء وخوف، فإنّ بهما قوام الأعمال، والانزجار عن المعاصي، والرغبة في الطاعات.

---

١. الأنبياء (٢١): ٩٠.
٢. كنز الفوائد ـ للكراجكي ـ ١: ٣٧٩.
٣. خاب خيبةً: حُرِم ولم ينل ما طلب. المعجم الوسيط: ٢٦٤، «خ ا ب».
٤. جَبَهَهُ جبهاً: قابله بما يكره، وردّه عن حاجته. المعجم الوسيط: ١٠٦، «ج ب هـ».
٥. راجع الكافي ٢: ٤٨٨ ـ ٤٩١، باب من أبطأت عليه الإجابة.

الباب الرابع

في البكاء

اعلم أنّ البكاء بمجرّده غير مناف للصبر ولا للرضى بالقضاء، وإنّما هو طبيعة بشريّة، وجبلّة إنسانيّة، ورحمة رحميّة أو حبيبيّة، فلا حرج في إبرازها، ولا ضرر في إخراجها، ما لم تشتمل على أحوال تؤذن بالسخط، وتنبئ عن الجزع، وتذهب بالأجر، من شقّ الثوب ولطم الوجه وضرب الفخذ وغيرها.

وقد ورد البكاء في المصائب عن النبيّ صلى الله عليه وآله[1]، ومن قبله من لدن آدم عليه السلام، وبعده من آله وأصحابه مع رضاهم وصبرهم وثباتهم.

فأوّل من بكى آدم عليه السلام على ولده هابيل[2]، ورثاه بأبيات مشهورة، وحزن عليه حزناً كثيراً، وإن خفي شيء فلا يخفى حال يعقوب عليه السلام، حيث بكى حتّى ﴿ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[3] على يوسف عليه السلام.

ومن مشاهير الأخبار ما روي عن الصادق عليه السلام، أنّه قال:

إنّ زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاء غلامه بطعامه وشرابه، فيضعه بين يديه، ويقول: كُلْ يا مولاي، فيقول: قتل

---

١. ستأتي رواياته.

٢. تفسير القمّي ١: ١٧٤؛ الكافي ٨: ٩٢/١١٣.

٣. يوسف (١٢): ٨٤.

ابن رسول الله ﷺ جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرّر ذلك، ويبكي حتّى يبلّ طعامه من دموعه، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجلّ[١].

وروي عن بعض مواليه أنّه قال:

برز يوماً إلى الصحراء فتبعته، فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، فأحصيت عليه ألف مرّة، وهو يقول: «لا إله إلّا اللّه حقّاً حقّاً، لا إله إلّا اللّه تعبّداً ورقّاً، لا إله إلّا اللّه إيماناً وصدقاً» ثمّ رفع رأسه من سجوده وأنّ لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيّدي، ما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقلّ؟! فقال لي: ويحك، إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام كان نبيّاً ابن نبيّ ابن نبيّ، له اثنا عشر ابناً، فغيّب الله واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحْدَوْدَبَ ظهره من الغمّ، وذهب بصره من البكاء، وابنه حيّ في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني، ويقلّ بكائي؟![٢]

وعن أنس بن مالك قال:

دخلت مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظِئراً[٣] لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ يقبّله، ويشمّه، ثمّ دخل عليه بعد ذلك وإبراهيم عليه السلام يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبدالرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله تبكي! فقال: يا ابن عوف إنّها رحمة، ثمّ أتبعها بأُخرى، فقال رسول الله ﷺ: العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يرضي ربّنا، وإنّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون[٤].

وعن أسماء ابنة يزيد قالت:

لمّا توفّي ابن رسول الله ﷺ إبراهيم عليه السلام بكى رسول الله ﷺ، فقال له المعزّي: أنت أحقّ من عظّم الله عزّ وجلّ حقّه، فقال رسول الله ﷺ: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ، لولا أنّه وعد حقّ، وموعد جامع، وأنّ الآخر تابع للأوّل، لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل ممّا وجدناه، وإنّا بك لمحزونون[٥].

---

١. اللهوف: ٩٢؛ الوسائل ٣: ٢٨٢/١٠، الباب ٨٧ من أبواب الدفن.
٢. اللهوف: ٩٢ ـ ٩٣؛ الوسائل ٣: ٢٨٢ ـ ٢٨٣/١١، الباب ٨٧ من أبواب الدفن.
٣. الظئر: أي زوج مرضعته. راجع لسان العرب ٤: ٥١٥، «ظ ء ر».
٤. صحيح البخاري ١: ٤٣٩/١٢٤١.
٥. سنن ابن ماجة ١: ٥٠٦/١٥٨٩؛ المعجم الكبير ٢٤: ١٧١/٤٣٣؛ كنز العمّال ١٥: ٦٢٠/٤٢٤٧٨.

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري ﷺ قال:

أخذ رسول الله ﷺ بيد عبدالرحمن بن عوف، فأتى إبراهيم وهو يجود بنفسه، فوضعه في حجره، فقال له: «يا بنيّ، إنّي لا أملك لك من الله تعالى شيئاً» وذرفت عيناه، فقال له عبدالرحمن: يا رسول الله تبكي، أوَلم تنه عن البكاء؟ فقال ﷺ: إنّما نهيت عن النوح، عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة، وخمش وجوه، وشقّ جيوب، ورنّة شيطان، إنّما هذه رحمة، ومن لا يَرحم لا يُرحم، ولولا أنّه أمر حقّ، ووعد صدق، وسبيل نأتيه،وأنّ آخرنا سيلحق أوّلنا، لَحَزنّا عليك حزناً أشدّ من هذا، وإنّا بك لمحزونون، تبكي العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ عزّ وجلّ[١].

وعن أبي أمامة قال:

جاء رجل إلى النبيّ ﷺ حين توفّي ابنه وعيناه تدمعان، فقال: يا نبيّ الله، تبكي على هذا السخل؟ والذي بعثك بالحقّ لقد دفنت اثني عشر ولداً في الجاهليّة كلّهم أشبّ منه، أدسّه في التراب، فقال النبيّ ﷺ: فماذا إن كانت الرحمة ذهبت منك؟ يحزن القلب وتدمع العين، ولا نقول ما يسخط الربّ، وإنّا على إبراهيم لمحزونون[٢].

وعن محمود بن لبيد، قال:

انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ، فقال الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم، فخرج رسول الله ﷺ حين سمع ذلك، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، أيّها الناس إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله عزّ وجلّ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى المساجد ودمعت عيناه، فقالوا: يا رسول الله تبكي، وأنت رسول الله! فقال: إنّما أنا بشر، تدمع العين، ويفجع القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ، والله، يا إبراهيم، إنّا بك لمحزونون[٣].

وعن خالد بن معدان، قال:

لمّا مات إبراهيم بن النبيّ ﷺ بكى، فقيل: أتبكي يا رسول الله؟ فقال: ريحانة وهبها

---

١. السنن الكبرى ٤: ٧١٥١/١١٥؛ سنن الترمذي ٣: ١٠٠٥/٣٢٨. فيه بعض الحديث.

٢. المعجم الكبير ٨: ٧٨٩٩/٢٣٠؛ مجمع الزوائد ٣: ١٧ ـ ١٨.

٣. مجمع الزوائد ٢: ٢٠٧؛ وروي مختصراً في الكافي ٣: ٧/٢٠٨، باب غسل الأطفال و...؛ ومكارم الأخلاق: ٢٢؛ وكنز العمّال ١٥: ٤٢٤٢٠/٦٠٩.

الله لي، وكنت أسمّها.

وقال ﷺ يوم مات إبراهيم: ما كان من حزن في القلب أو في العين فإنّما هو رحمة، وماكان من حزن باللسان وباليد فهو من الشيطان[١].

وروى الزبير بن بكار:

أنّ النبيّ ﷺ لمّا خرج بإبراهيم خرج يمشي، ثمّ جلس على قبره، ثمّ دُلّي، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قد وضع في القبر دمعت عيناه، فلمّا رأى الصحابة ذلك بكوا حتّى ارتفعت أصواتهم، فأقبل عليه أبوبكر فقال: يا رسول الله، تبكي وأنت تنهى عن البكاء؟ فقال النبيّ ﷺ: تدمع العين ويوجع القلب ولا نقول ما يسخط الربّ عزّ وجلّ.

وعن السائب بن يزيد، أنّ النبيّ ﷺ لمّا مات ابنه الطاهر ذرفت عيناه، فقيل: يا رسول الله، بكيت! فقال ﷺ: إنّ العين تذرف، وإنّ الدمع يغلب، وإنّ القلب يحزن ولا نعصي الله عزّ وجلّ[٢].

وروى مسلم في صحيحه: أنّ النبيّ ﷺ زار قبر أُمّه، فبكى وأبكى من حوله[٣].

وروي:

أنّ النبيّ ﷺ لمّا مات عثمان بن مظعون كشف الثوب عن وجهه، ثمّ قبّل ما بين عينيه، ثمّ بكى طويلاً، فلمّا رفع السرير قال: طوباك يا عثمان، لم تلبسك الدنيا، ولم تلبسها[٤].

واشتكى سعد بن عبادة شكوى، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، فلمّا دخل عليه وجده في غشيته، فقال: أو قد مات؟ فقالوا: لا، يا رسول الله، فبكى رسول الله ﷺ، فلمّا رأى القوم بكاءه بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إنّ الله لا يعذّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذّب بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحم[٥].

---

١. جامع الأحاديث ٥: ١٩٢٦٣/٣٥٤؛ كنز العمّال ١٥: ٤٢٤٥١/٦١٦.
٢. جامع الأحاديث ٣: ٧١٥٠/٤١؛ المعجم الكبير ٧: ٦٦٦٧/١٥٣؛ مجمع الزوائد ٣: ١٨.
٣. صحيح مسلم ٢: ٩٧٦/٦٧١؛ سنن أبي داود ٣: ٣٢٣٤/٢١٨؛ سنن النسائي ٤: ٩٠.
٤. جامع الأحاديث ٦: ١٣٩٦٠/١٤٣.
٥. صحيح البخاري ١: ١٢٤٢/٤٣٩؛ صحيح مسلم ٢: ٩٢٤/٦٣٦.

وروي:

أنّ ابنة لرسول الله ﷺ بعثت إليه: إنّ ابنتي مغلوبة، فقال رسول الله ﷺ: إنّ للّه ما أخذ، وللّه ما أعطى. وجاءها في ناس من أصحابه، فأخرجت إليه الصبيّة، ونفسها يتقعقع[١] في صدرها، فرقّ عليها، وذرفت عيناه، فنظر إليه أصحابه، فقال: ما لكم تنظرون إليّ؟ رحمة يضعها الله حيث يشاء، إنّما يرحم الله من عباده الرحماء[٢].

وعن أُسامة بن زيد قال:

أُتي النبيّ ﷺ بأمامة بنت زينب، ونفسها يتقعقع في صدرها، فقال رسول الله ﷺ: للّه ما أخذ، وللّه ما أعطى، وكلٌّ إلى أجل مسمّى، وبكى، فقال له سعد بن عبادة: تبكي وقد نهيت عن البكاء! فقال رسول الله ﷺ: إنّما هي رحمة يجعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء[٣].

ولمّا أُصيب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، أتى رسول الله ﷺ أسماء رضي الله عنها، فقال لها:

أخرجي إليّ ولد جعفر، فخرجوا إليه، فضمّهم إليه وشمّهم ودمعت عيناه، فقالت: يا رسول الله، أُصيب جعفر! قال: نعم، أُصيب اليوم[٤].

قال عبدالله بن جعفر:

أحفظ حين دخل رسول الله ﷺ على أُمّي، فنعى إليها أبي، ونظرت إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي، وعيناه تهراقان الدموع، حتّى تقطر لحيته، ثمّ قال: اللهمّ إنّ جعفراً قد قدم إلى أحسن الثواب، فأخلفه في ذرّيته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذرّيته ثمّ إنّه عليه السلام قال: يا أسماء، ألا أُبشّرك؟ قالت: بلى بأبي أنت وأُمّي، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة[٥].

وعن أبي عبدالله عليه السلام، عن أبيه، عن النبيّ ﷺ، أنّه قال:

---

١. قعقع الشيء: أحدث صوتاً عند التحريك أو التحرّك. المعجم الوسيط: ٧٥٠، «ق ع ق ع».

٢. مجمع الزوائد ٣: ١٨؛ المعجم الكبير ١: ١٣٥/٢٨٤.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣١ ـ ٤٣٢/١٢٢٤؛ و٥: ٢١٤١/٥٣٣١؛ و٦: ٢٤٥٢/٦٢٧٩؛ و٦: ٢٦٨٦/٦٩٤٢؛ و٦: ٢٧١١/٧٠١٠؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٥ ـ ٦٣٦/٩٢٣؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٠٦/١٥٨٨.

٤. المغازي ٢: ٧٦٦؛ المعجم الكبير ٢٤: ١٤٣ ـ ١٤٤/٣٨٠؛ مسند أحمد ٧: ٥١٣ ـ ٥١٤/٢٦٥٤٦؛ مجمع الزوائد ٦: ١٦١.

٥. إعلام الورى: ١١١؛ كنز العمّال ١١: ٦٦٤/٣٣٢٠٩، وفيه صدر الحديث.

لمّا جاءته وفاة جعفر بن أبي طالب ﷺ وزيد بن حارثة كان إذا دخل بيته بكى عليهما جدّاً، وقال: كانا يحدّثاني ويؤنساني، فجاء الموت فذهب بهما[١].

وعن خالد بن سلمة، قال:

لمّا جاء نعي زيد بن حارثة إلى النبيّ ﷺ، أتى النبيّ ﷺ منزل زيد، فخرجت إليه بُنيّة لزيد، فلمّا رأت رسول الله ﷺ خمشت في وجهها، فبكى رسول الله ﷺ، وقال هاه هاه[٢]، فقيل: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: شوق الحبيب إلى حبيبه[٣].

ولمّا مات سعد بن معاذ رضي الله عنه، بكى عليه رسول الله ﷺ كثيراً[٤].

وقال ﷺ لأُمّ سعد بن معاذ يوماً: «ألا يرقأُ[٥] دمعك، ويذهب حزنك؟ فإنّ ابنك اهتزّ له العرش»[٦].

قيل: وكان رسول الله ﷺ تذرف عيناه، ويمسح وجهه، ولا يسمع صوته.

وعن البراء بن عازب قال:

بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة، فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ فقيل: على قبر يحفرونه، قال: فبدر رسول الله ﷺ بين يدي أصحابه مسرعاً، حتّى انتهى إلى القبر فجثا عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتّى بلّ الثرى من دموعه، ثمّ أقبل علينا فقال: إخواني، لمثل هذا فأعدّوا[٧].

وعنه ﷺ: «العَبرة[٨] لا يملكها أحد، صبابة[٩] المرء على أخيه»[١٠].

---

١. الفقيه ١: ٥٢٧/١١٣؛ الوسائل ٣: ٦/٢٨٠، الباب ٨٧ من أبواب الدفن.

٢. هاه هاه: حكاية النوح. المعجم الوسيط: ١٠٠٥، «هأ هـ».

٣. مكارم الأخلاق: ٢٢، في وصف النبي ﷺ.

٤. مجمع الزوائد ٩: ٣٠٩.

٥. «رقأ الدمع: سكن وجفّ وانقطع بعد جريانه». المعجم الوسيط: ٣٦٣، «ر ق أ».

٦. مجمع الزوائد ٩: ٣٠٩؛ مسند أحمد ٧: ٢٧٠٣٤/٦١٠؛ جامع الأحاديث ٣: ٩٢٥٢/٣٨٢؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ٣: ٢٠٦؛ المعجم الكبير ٢٤: ٤٦٧/١٨٥.

٧. المعجم الأوسط ٣: ٢٨٠ ـ ٢٦٠٩/٢٨١؛ السنن الكبرى ٣: ٦٥١٥/٥١٧؛ كنز العمال ١٥: ٤٢١٠١/٥٤٤ ـ ٤٢١٠٣، وفيه ذيل الحديث.

٨. العبرة: الدمعة. المعجم الوسيط: ٥٨٠، «ع ب ر».

٩. الصبابة: الشوق. المعجم الوسيط: ٥٠٥، «ص ب أ».

١٠. الجامع الصغير ٢: ٥١٣٥/٣١٦؛ كنز العمال ٣: ٦٥١٣/٢٧٣؛ الدرّ المنثور ١: ٣٨١.

ولمّا انصرف النبيّ ﷺ من أُحد راجعاً إلى المدينة لقيته حمنة بنت جحش، فنعى لها الناس أخاها عبدالله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثمّ نُعي لها خالها حمزة، فاسترجعت واستغفرت له، ثمّ نُعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ:

إنّ لزوج المرأة منها لمكان، لمّا رأى صبرها عن أخيها وخالها، وصياحها على زوجها.

ثمّ مرّ رسول الله ﷺ على دار من دور الأنصار من بني عبدالأشهل، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عيناه وبكى، ثمّ قال: لكن حمزة لا بواكي له. فلمّا رجع سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير إلى دار بني عبدالأشهل، أمرا نساءهم أن يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله ﷺ، فلمّا سمع رسول الله ﷺ بكاءهنّ على حمزة، خرج إليهنّ وهنّ على باب مسجده يبكين، فقال لهنّ رسول الله ﷺ: ارجعن ـ يرحمكنّ الله ـ فقد واسيتنّ بأنفسكنّ[1].

وروى الشيخ في التهذيب بإسناده إلى الصادق عليه السلام: «أنّ إبراهيم خليل الرحمن سأل ربّه أن يرزقه ابنة تبكيه بعد موته»[2].

فصل: [ما يحبط الأجر عند المصيبة]

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب»[3].

وعن أبي أُمامة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الخامشة وجهها، والشاقّة جيبها، والداعية بالويل والثبور»[4].

---

١. السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ ٣: ١٠٤ ـ ١٠٥؛ إعلام الورى: ٩٤ ـ ٩٥.

٢. التهذيب ١: ١٥٢٤/٤٦٥؛ وأيضاً رواه الكليني في الكافي ٦: ٣/٥، باب فضل البنات؛ الوسائل ٣: ٢٤١ ـ ٣/٢٤٢، الباب ٧٠ من أبواب الدفن.

٣. صحيح البخاري ١: ١٢٣٢/٤٣٥، وص ١٢٣٥/٤٣٦ ـ ١٢٣٦؛ ج ٣: ٣٣٣١/١٢٩٧؛ صحيح مسلم ١: ١٦٥/٩٩، سنن النسائي ٤: ٢٠ ـ ٢١، سنن ابن ماجة ١: ٥٠٤ ـ ١٥٨٤/٥٠٥.

٤. سنن ابن ماجة ١: ١٥٨٥/٥٠٥؛ جامع الأحاديث ٥: ١٧٠٤٠/٣٧؛ الجامع الصغير ٢: ٧٢٥٢/٤٤٥؛ كنز العمال ١٦: ٤٥١١٣/٤٠٢.

وعنه ﷺ، أنّه نهى أن تتبع جنازة معها رانّة[١].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال:

كبر مقتاً عند الله الأكل من غير جوع، والنوم من غير سهر، والضحك من غير عجب، والرنّة عند المصيبة، والمزمار عند النعمة[٢].

وعن يحيى بن خالد: أنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ، فقال: ما يحبط الأجر عند المصيبة؟ قال:

تصفيق الرجل بيمينه على شماله، والصبر عند الصدمة الأُولى، من رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط.

وعن أُمّ سلمة رضي الله عنها قالت:

لمّا مات أبو سلمة ﷺ قلت: غريب وفي أرض غربة، لأبكينّه بكاءً يُتحدّث عنه، فكنت قد تهيّأت للبكاء، إذ أقبلت امرأة تريد أن تسعدني، فاستقبلها رسول الله ﷺ، فقال لها: أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتاً أخرجه الله منه؟ فكففت عن البكاء[٣].

وعن الباقر ﷺ:

أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر، ومن أقام النواح فقد ترك الصبر، ومن صبر واسترجع وحمل الله جلّ ذكره فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله عزّ وجلّ، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله عزّ وجلّ أجره[٤].

وعن الصادق ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ: ضرب الرجل يده على فخذه إحباط لأجره[٥].

---

١. سنن ابن ماجة ١: ١٥٨٣/٥٠٤؛ جامع الأحاديث ٨: ٢٤٠٧٨/١٧؛ المعجم الكبير ١٢: ١٣٤٨٤/٣٠٧، و ١٣٤٩٨/٣١٠.

٢. الجامع الصغير ٢: ٦٢١٦/٣٨٨؛ كنز العمال ١٦: ٤٤٠١١/٨٠.

٣. صحيح مسلم ٢: ٩٢٢/٦٣٥؛ مسند أحمد ٧: ٤١٠ ـ ٢٥٩٣٣/٤١١؛ المعجم الكبير ٢٣: ٦٠١/٢٧٧.

٤. الكافي ٣: ٢٢٢ ـ ١/٢٢٣ ـ ٢، باب الصبر والجزع والاسترجاع؛ الوسائل ٣: ٢٧١ ـ ١/٢٧٢، الباب ٨٣ من أبواب الدفن.

٥. الكافي ٣: ٤/٢٢٤، باب الصبر والجزع والاسترجاع؛ الوسائل ٣: ١/٢٧٠، الباب ٨١ من أبواب الدفن.

فصل: [في استحباب الاسترجاع عند المصيبة]

ويستحبّ الاسترجاع عند المصيبة، قال الله تعالى: ﴿الَّذينَ إذا أصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالُوا إنّا لِلّهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾[١].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم: من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد الله ربّ العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله ربّي وأتوب إليه[٢].

وقال الباقر عليه السلام:

ما من مؤمن يصاب بمصيبة في الدنيا، فيسترجع عند المصيبة، ويصبر حين تفجأه المصيبة، إلّا غفر الله له ما مضى من ذنوبه، إلّا الكبائر التي أوجب الله تعالى عليها النار، وكلّما ذكر مصيبة فيما يستقبل من عمره فاسترجع عندها، وحمد الله عزّ وجلّ إلّا غفر الله له كلّ ذنب اكتسبه فيما بين الاسترجاع الأوّل إلى الاسترجاع الأخير، إلّا الكبائر من الذنوب[٣].

رواهما الصدوق.

وأسند الكليني، الثاني إلى معروف بن خرّبوذ، عن الباقر عليه السلام، ولم يستثنِ منه الكبائر[٤].

وروى الكليني بإسناده إلى داود بن زربي ـ بكسر الزاي المعجمة، ثمّ الراء الساكنة ـ عن الصادق عليه السلام:

من ذكر مصيبته ولو بعد حين، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، اللهمّ آجرني على مصيبتي، واخلف عليَّ أفضل منها، كان له من الأجر مثل ما

---

١. البقرة (٢): ١٥٦ ـ ١٥٧.

٢. الفقيه ١: ١١١/٥١٤؛ الوسائل ٣: ٨/٢٤٨، الباب ٧٣ من أبواب الدفن.

٣. الفقيه ١: ١١١/٥١٥؛ الوسائل ٣: ٢٤٩ ـ ٣/٢٥٠، الباب ٧٤ من أبواب الدفن.

٤. الكافي ٣: ٥/٢٢٤، باب الصبر والجزع والاسترجاع؛ الوسائل ٣: ١/٢٤٩، الباب ٧٤ من أبواب الدفن.

كان عند أوّل صدمة[١].

وروى مسلم، عن أُمّ سلمة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ وآله:

ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهمّ آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلّا أخلف الله له خيراً منها، فلمّا مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خير من أبي سلمة؟ أوّل بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثمّ إنّي قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ[٢].

وروى الترمذيّ بإسناده إلى رسول الله ﷺ، قال:

إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك، واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنّة، وسمّوه بيت الحمد[٣].

ونحوه رواه الكليني عن الصادق عليه السلام، عن النبيّ ﷺ[٤].

فصل: [في النوح]

يجوز النوح بالكلام الحسن، وتعداد الفضائل مع اعتماد الصدق؛ لأنّ فاطمة الزهراء عليها السلام فعلته في قولها: يا أبتاه من ربّه ما أدناه! يا أبتاه، إلى جبرئيل أنعاه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه[٥].

وروي أنّها أخذت قبضة من تراب قبره ﷺ، فوضعتها على عينيها، وأنشدت تقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمد ... أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

صبّت عليّ مصائب لو أنّها ... صبّت على الأيّام صرن لياليا[٦]

---

١. الكافي ٢: ٦/٢٢٤، باب الصبر والجزع والاسترجاع؛ الوسائل ٣: ٢/٢٤٩، الباب ٧٤ من أبواب الدفن.

٢. صحيح مسلم ٢: ٦٣١ ـ ٦٣٢/٩١٨.

٣. سنن الترمذي ٣: ١٠٢١/٣٤١.

٤. الكافي ٣: ٤/٢١٨، باب المصيبة بالولد؛ الوسائل ٣: ١/٢٤٦، الباب ٧٣ من أبواب الدفن.

٥. إعلام الورى: ١٤٣؛ سنن الدارمي ١: ٤١ ـ ٤٢؛ سنن ابن ماجة ١: ١٦٣٠/٥٢٢؛ سنن النسائي ٤: ١٣؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ١: ٣٨٢.

٦. المعتبر ١: ٣٤٤؛ المنتهى ١: ٤٦٦؛ ذكرى الشيعة ٢: ٥٧.

ولما سبق من أمره ﷺ بالنوح على حمزة.

وعن أبي حمزة عن الباقر عليه السلام:

مات ابن المغيرة، فسألت أُمّ سلمة النبيّ ﷺ أن يأذن لها في المضيّ إلى مناحته،فأذن لها وكان ابن عمّها، فقالت:

أنعى الوليد بن الوليد أبا الوليد، فتى العشيرة
حامي الحقيقة ماجداً يسمو إلى طلب الوتيرة
قد كان غيثاً للسنين وجعفراً غدقاً وميرة

ـ وفي تمام الحديث ـ فما عاب رسول الله ﷺ ذلك، ولا قال شيئاً[١].

وروى ابن بابويه أنّ الباقر عليه السلام أوصى أن يندب في الموسم عشر سنين[٢].

وروى يونس بن يعقوب، عن الصادق عليه السلام، قال:

قال لي أبو جعفر عليه السلام: قف من مالي كذا وكذا لنوادب يندُبْنَني عشر سنين بمنى أيّام منى[٣].

قال الأصحاب:

والمراد بذلك، تنبيه الناس على فضائله، وإظهارها ليقتدى بها، ويُعلَم ما كان عليه أهل هذا البيت عليهم السلام لتقتفى آثارهم؛ لزوال التقيّة بعد الموت[٤].

ويحرم النوح بالباطل، وهو تعداد ما ليس فيه من الخصال، واستماع الأجانب من الرجال، ولطم الخدود والخدش، وجزّ الشعر ونحوه، وعليه يحمل ما ورد من النهي عن النياحة.

وقال النبيّ ﷺ: «أنا بريء ممّن حلق وسلق»[٥] أي: حلق الشعر، ورفع صوته.

---

١. الكافي ٥: ٢/١١٧، باب كسب النائحة؛ التهذيب ٦: ٣٥٨ ـ ١٠٢٧/٣٥٩؛ الوسائل ١٧: ١٢٥ ـ ٢/١٢٦، الباب ١٧ من أبواب ما يكتسب.

٢. الفقيه ١: ٥٤٧/١١٦؛ الوسائل ٣: ٢/٢٣٩، الباب ٦٩ من أبواب الدفن.

٣. الكافي ٥: ١/١١٧، باب كسب النائحة؛ التهذيب ٦: ١٠٢٥/٣٥٨؛ الوسائل ١٧: ١/١٢٥، الباب ١٧ من أبواب ما يكتسب به.

٤. من القائلين بهذه المقالة الشهيد في ذكرى الشيعة ٢: ٥٩.

٥. صحيح مسلم ١: ١٦٧/١٠٠؛ سنن النسائي ٤: ٢٠، سنن ابن ماجة ١: ١٥٨٦/٥٠٥؛ الجامع الصغير: ٢٧٠٩/١٦٢.

وقال ﷺ لفاطمة عليها السلام حين قتل جعفر بن أبي طالب: «لا تدعين بويل ولا ثكل ولا حَرَب، وما قلت فيه فقد صدقت»[١].

وعن أبي مالك الأشعري عن النبيّ ﷺ: «النائحة إذا لم تتب تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة[٣].

وعنه ﷺ: «ليس منّا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب»[٤].

وهذا النهي محمول على الباطل كما يظهر منها، وبه يجمع بينهما وبين الأخبار السابقة.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١. الفقيه ١: ٥٢١/١١٢؛ الوسائل ٣: ٤/٢٧٢، الباب ٨٣ من أبواب الدفن.

٢. الخصال ١: ٦٠/٢٢٦، باب الأربعة؛ صحيح مسلم ٢: ٩٣٤/٦٤٤؛ سنن ابن ماجة ١: ١٥٨٢/١١٢؛ الترغيب والترهيب ٤: ١٢/٣٥١.

٣. سنن أبي داود ٣: ١٩٣ ـ ٣١٢٨/١٩٤؛ الترغيب والترهيب ٤: ١٤/٣٥١؛ الجامع الصغير: ٧٢٧١/٤٤٦.

٤. صحيح البخاري ١: ٤٣٥ ـ ١٢٣٢/٤٣٦، ١٢٣٥ ـ ١٢٣٦؛ وج ٣: ٣٣٣١/١٢٩٧؛ صحيح مسلم ١: ١٦٥/٩٩؛ سنن النسائي ٤: ٢٠ ـ ٢١؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٠٤ ـ ١٥٨٤/٥٠٥.

وأمّا الخاتمة

فتشتمل على فوائد مهمّة.

[استحباب تعزية أهل الميّت]

يستحبّ تعزية أهل الميّت استحباباً مؤكّداً، وهي تَفْعِلَة من العزاء ـ بالمدّ والقصر ـ وهو السلوّ وحسن الصبر على المصائب، يقال: عزّيته فتعزّى، أي صبّرته فتصبّر.

والمراد بها طلب التسلّي عن المصاب، والتصبّر عن الحزن والاكتئاب، بإسناد الأمر إلى الله عزّ وجلّ، ونسبته إلى عدله وحكمته، وذكر ما وعد الله تعالى على الصبر مع الدعاء للميّت، والمصاب بتسليته عن مصيبته. وقد ورد في استحبابها والحثّ عليها أحاديث كثيرة.

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

أتدرون ما حقّ الجار؟ إن استغاثك أغثته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابته مصيبة عزّيته، وإن أصابه خير هنّأته، وإن مرض عُدته، وإن مات اتّبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلّا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرّاً، ولا يخرج بها ولدك يغيظ بها ولده، ولا تؤذه بريح قدرك، إلّا أن تُعرف له منها[1].

---

١. إحياء علوم الدين ٢: ٢١٣؛ الترغيب والترهيب ٣: ٣٥٧/ ٢٠؛ كنز العمّال ٩: ٥٨ ـ ٢٤٩٣٥/٥٩.

وعن بهز بن حكيم بن معاوية بن جيدة القشيري، عن أبيه، عن جدّه، قال: قلت: يا رسول‌الله: ما حقّ جاري عليّ؟ قال: «إن مرض عدته»[١]. وذكر نحو الأوّل.

وأمّا الثواب فيها، فعن ابن مسعود، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: «من عزّى مصاباً فله مثل أجره»[٢].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

من عزّى مصاباً كان له مثل أجره، من غير أن ينقصه الله من أجره شيئاً[٣].

ومن كفّن مسلماً كساه الله من سندس واستبرق و حرير[٤].

ومن حفر قبراً لمسلم بنى الله عزّ وجلّ له بيتاً في الجنّة[٥].

ومن أنظر معسراً أظلّه الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه[٦].

وعن جابر أيضاً رفعه:

من عزّى حزيناً ألبسه الله عزّ وجلّ من لباس التقوى، وصلّى على روحه في الأرواح[٧].

وسئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن التصافح في التعزية، فقال: «هو سكن للمؤمن. ومن عزّى مصاباً فله مثل أجره».

وعن عبدالله بن أبي بكر بن محمّد بن عمر بن حزم، عن أبيه، عن جدّه، أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول:

من عاد مريضاً فلا يزال في الرحمة، حتّى إذا قعد عنده استنقع فيها، ثمّ إذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها، حتّى يرجع من حيث خرج، ومن عزّى أخاه المؤمن من مصيبة

---

١. المعجم الكبير ١٩: ٤١٩ ـ ١٠١٤/٤٢٠؛ مجمع الزوائد ٨: ١٦٥.

٢. سنن ابن ماجة ١: ١٦٠٢/٥١١؛ الترغيب والترهيب ٤: ٦/٣٤٤؛ كنز العمّال ١٥: ٤٢٦٠٨/٦٥٨؛ سنن الترمذي ٣: ١٠٧٣/٣٨٥.

٣. الكافي ٣: ٢/٢٠٥، باب ثواب من عزّى حزيناً؛ الوسائل ٣: ٢/٢١٣؛ الباب ٤٦ من أبواب الدفن.

٤. كنز العمّال ١٥: ٤٢٦٢٥/٦٦٢؛ الترغيب والترهيب ٤: ١/٣٣٨؛ جامع الأحاديث ٧: ٢٢٤٤٥/٢٨٠.

٥. مجمع الزوائد ٣: ٢٠؛ كنز العمّال ١٥: ٤٣٥٦٩/٩٠٨.

٦. كنز العمّال ٦: ١٥٣٩٤/٢١٤، و١٥٤٠٣/٢١٦.

٧. جامع الأحاديث ٧: ٢٢٤٤٥/٢٨٠؛ الترغيب والترهيب ٤: ١/٣٣٨؛ مجمع الزوائد ٣: ٢٠ ـ ٢١؛ المعجم الأوسط ١٠: ١٣٥ ـ ٩٢٨٨/١٣٦؛ كنز العمّال ١٥: ٤٢٦٢٥/٦٦٢.

كساه الله عزّ وجلّ من حلل الكرامة يوم القيامة[١].

وعن أبي برزة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عزّى ثكلى كُسي بُرداً في الجنّة»[٢].

وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ:

من عزّى أخاه المؤمن من مصيبته كساه الله عزّ وجلّ حلّة خضراء، يحبر بها يوم القيامة، فقيل: يا رسول الله، ما يحبر بها، قال يُغبط بها[٣].

وروي أنّ داود عليه السلام قال:

إلهي ما جزاء من يعزّي الحزين والمصاب ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن أكسوه رداءً من أردية الإيمان، أستره به من النار، وأدخله به الجنّة، قال: يا إلهي، فما جزاء من شيّع الجنائز ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيّعه الملائكة يوم يموت إلى قبره، وأن أُصلّي على روحه في الأرواح[٤].

وروي أنّ موسى عليه السلام سأل ربّه:

ما لعائد المريض من الأجر؟ قال: أبعث له عند موته ملائكة يشيّعونه إلى قبره، ويؤانسونه إلى المحشر، قال: يا ربّ فما لمعزيّ الثكلى من الأجر؟ قال: أظلّه تحت ظلّي ـ أي: ظلّ العرش ـ يوم لا ظلّ إلّا ظلّي[٥].

وروي أنّ إبراهيم عليه السلام سأل ربّه قال:

أي ربّ، ما جزاء من يبلّ الدمع وجهه من خشيتك؟ قال: صلواتي ورضواني، قال: فما جزاء من يصبّر الحزين ابتغاء وجهك؟ قال: أكسوه ثياباً من الإيمان يتبوّأ بها في الجنّة، ويتّقي بها النار، قال: فما جزاء من سدّد الأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: أُقيمه في ظلّي، وأدخله جنّتي، قال: فما جزاء من يتبع الجنازة ابتغاء وجهك؟ قال: تصلّي ملائكتي على جسده، وتشيّع روحه.

---

١. جامع الأحاديث ٧: ٢٢٤٢٦/٢٧٧؛ السنن الكبرى ٤: ٧٠٨٧/٩٨.

٢. سنن الترمذي ٣: ٣٨٧ ـ ١٠٧٦/٣٨٨؛ جامع الأحاديث ٧: ٢٢٤٤٦/٢٨٠، وفيه عن أبي بردة كما في «ح»؛ كنز العمال ١٥: ٤٢٦٠٩/٦٥٨، و٦٦٢ ـ ٤٢٦٢٦/٦٦٣ ـ ٤٢٦٢٧.

٣. جامع الأحاديث ٧: ٢٢٤٤٤/٢٨٠؛ كنز العمال ١٥: ٤٢٦٢٤/٦٦٢.

٤. الدرّ المنثور ٧: ١٧٣.

٥. إرشاد القلوب ١: ١٠٢ باختلاف في ألفاظه؛ وورد بعضه في الكافي ٣: ١/٢٢٦، باب ثواب التعزية؛ وكنز العمال ١٥: ٤٢٦١٣/٦٥٩.

فصل: [فيما تعزّى بها أهل المصيبة]

وأمّا كيفيّتها فقد تقدّم خبر المصافحة فيها.

وأمّا ما يقال فيها فما يتّفق من الكلمات، ويروى من الأخبار المؤدّية إلى السلوة، ولا شيء مثل إيراد بعض ما تضمّنته هذه الرسالة، فإنّ فيها شفاءً لما في الصدور، وبلاغاً وافياً في تحقيق هذه الأُمور.

وعن عليّ عليه السلام قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا عزّى قال: آجركم الله ورحمكم، وإذا هنّأ قال: بارك الله لكم، وبارك عليكم[1].

وروي أنّه توفّي لمعاذ ولد، فاشتدّ وجده عليه، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله، فكتب إليه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى معاذ، سلام عليك، فإنّي أحمد الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد: أعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإيّاك الشكر، فإنّ أنفسنا وأهلينا ومواليناوأولادنا من مواهب الله عزّ وجلّ الهنيئة، وعواريه المستودعة، نمتّع بها إلى أجل معلوم، وتقبض لوقت معدود، ثمّ افترض علينا الشكر إذا أعطانا، والصبر إذا ابتلانا؛ وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، متّعك الله به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير، الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت واحتسبت، فلا تجمعن عليك مصيبتين، فيحبط لك أجرك، وتندم على ما فاتك، فلو قدمت على ثواب مصيبتك علمت أنّ المصيبة قصرت في جنب الله عن الثواب، فتنجّز من الله موعوده، وليذهب أسفك على ما هو نازل بك، فكأن قد، والسلام[2].

وعن أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، قال:

لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله جاء جبرئيل عليه السلام، والنبيّ صلى الله عليه وآله مسجّى، وفي البيت عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ

---

١. ذكر أخبار إصفهان ـ لأبي نعيم ـ ١: ٨٦ ـ ٨٧؛ المنازي والمراثي ـ للمبرّد ـ: ٦٣.

٢. المعجم الكبير ٢٠: ١٥٥ ـ ٣٢٤/١٥٦؛ مجمع الزوائد ٣: ٣؛ المعجم الأوسط ١: ٨٣/٩٢؛ حلية الأولياء ١: ٢٤٢ ـ ٢٤٣؛ المستدرك ـ للحاكم ـ ٣: ٢٧٣؛ كنز العمال ١٥: ٤٢٩٦٣/٧٤٦.

الْمَوْتِ وإنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ﴾[١]. الآية. ألا إنّ في الله عزّ وجلّ عزاء من كلّ مصيبة، وخلفاً من كلّ هالك، ودركاً لما فات، فبالله عزّ وجلّ فثقوا، وإيّاه فارجوا، فإنّ المصاب من حرم الثواب، هذا آخر وطئي من الدنيا[٢].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه،قال:

لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله عزّتهم الملائكة، يسمعون الحسّ ولا يرون الشخص، فقالوا: السلام عليكم أهلَ البيت ورحمة الله وبركاته، إنّ في الله عزّ وجلّ عزاء من كلّ مصيبة، وخلفاً من كلّ هالك، فبالله فثقوا، وإيّاه فارجوا، فإنّما المحروم من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٣].

وروى البيهقي في الدلائل قال:

لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أحدق به أصحابه، فبكوا حوله، واجتمعوا، فدخل رجل أشهب اللحية، جسيم صبيح، فتخطّى رقابهم، فبكى، ثمّ التفت إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: إنّ في الله عزاء من كلّ مصيبة، وعوضاً من كلّ فائت، وخلفاً من كلّ هالك، فإلى الله فأنيبوا، وإليه فارغبوا، ونظره إليكم في البلاء فانظروا، فإنّ المصاب من لم يؤجر، وانصرف، فقال بعضهم لبعض: أتعرفون الرجل؟ فقال عليّ عليه السلام: نعم، هذا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله، الخضر عليه السلام[٤].

فصل

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنّها من أعظم المصائب[٥].

وعنه صلى الله عليه وآله: «من عظمت مصيبته فليذكر مصيبته بي، فإنّها ستهون عليه».

وعنه صلى الله عليه وآله، أنّه قال في مرض موته:

---

١. آل عمران (٣): ١٨٥.

٢. الكافي ٣: ٥/٢٢١،باب التعزّي.

٣. الكافي ٣: ٦/٢٢١، باب التعزّي؛ دلائل النبوّة ٧: ٢٦٩؛ السنن الكبرى ٤: ٧٠٩١/٩٩.

٤. دلائل النبوّة ٧: ٢٦٩؛ وأيضاً رواها الحاكم في المستدرك ٣: ٥٨.

٥. جامع الأحاديث ١: ٢٠٦٢/٣٠٣؛ الجامع الصغير: ٤٥٢/٣٣؛ ورواها الكليني في الكافي ٣: ١/٢٢٠، باب التعزّي عن أبي عبدالله عليه السلام.

أيّها الناس، أيّما عبد من أُمّتي أُصيب بمصيبة من بعدي، فليتعزّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإنّ أحداً من أُمّتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشدّ عليه من مصيبتي[١].

وعن عبدالله بن الوليد بإسناده، لمّا أُصيب عليّ عليه السلام نعى الحسن إلى الحسين عليهما السلام، وهو بالمدائن، فلمّا قرأ الكتاب قال:

يا لها من مصيبة، ما أعظمها! مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أُصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابي، فإنّه لن يصاب بمصيبة أعظم منها[٢].

وروى إسحاق بن عمّار، عن الصادق عليه السلام، أنّه قال:

يا إسحاق، لا تعدّنّ مصيبة أُعطيت عليها الصبر، واستوجبت عليها من الله عزّ وجلّ الثواب، إنّما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها، إذا لم يصبر عند نزولها[٣].

وعن أبي ميسرة[٤] قال كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فجاء رجل وشكا إليه مصيبته، فقال له:

أمّا إنّك إن تصبر تؤجر، وإلّا تصبر يمضي عليك قدر الله عزّ وجلّ الذي قدّر عليك وأنت مذموم[٥].

وعن جابر رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال لي جبرئيل عليه السلام: يا محمّد عش ما شئت فإنّك ميّت، وأحبب من شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك ملاقيه[٦].

وروي:

أنّه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عابد عالم مجتهد، وكانت له امرأة وكان بها معجباً، فماتت، فوجد عليها وجداً شديداً، حتّى خلا في بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس فلم يكن يدخل عليه أحد.

ثمّ إنّ امرأة من بني إسرائيل سمعت به، فجاءته فقالت: لي إليه حاجة استفتيه فيها، ليس

---

١. المعجم الأوسط ٥: ٢٢٤ ـ ٤٤٤٥/٢٢٥؛ جامع الأحاديث ٣: ٩٥٨٥/٤٣٠؛ كنز العمّال ١٥: ٤٢٩٦٤/٧٤٧.
٢. الكافي ٣: ٣/٢٢٠، باب التعزّي؛ الوسائل ٣: ٣/٢٦٧، الباب ٧٩ من أبواب الدفن.
٣. الكافي ٣: ٢٢٤ ـ ٧/٢٢٥، باب الصبر والجزع والاسترجاع؛ الوسائل ٣: ٢/٢٦٩، الباب ٨٠ من أبواب الدفن.
٤. في المصدرين: «فضيل بن ميسرة» بدل «أبي ميسرة».
٥. الكافي ٣: ١٠/٢٢٥، باب الصبر والجزع والاسترجاع؛ الوسائل ٣: ٣/٢٦٩، الباب ٨٠ من أبواب الدفن.
٦. شعب الإيمان ٧: ٣٤٨ ـ ١٠٥٤٠/٣٤٩؛ الجامع الصغير: ٦٠٧٧/٣٧٨؛ وأيضاً رواها مرسلاً الصدوق في الفقيه ١: ١٣٦٣/٢٩٨؛ والهندي في كنز العمّال ١٥: ٥٤٦ ـ ٤٢١١٤/٥٤٧.

يجزيني إلّا أن أُشافهه بها، فذهب الناس، ولزمت الباب، فأُخبر، فأذن لها، فقالت: استفتيك في أمر، فقال: ما هو؟ قالت: إنّي استعرت من جارة لي حليّاً، فكنت ألبسه زماناً، ثمّ إنّهم أرسلوا إليّ فيه، أفأردّه إليهم؟ قال: نعم، قالت: والله، إنّه قد مكث عندي زماناً طويلاً، قال: ذاك أحقّ لردّك إيّاه، فقالت له: رحمك الله، أفتأسف على ما أعارك الله عزّ وجلّ، ثمّ أخذه منك، وهو أحقّ به منك؟ فأبصر ما كان فيه، ونفعه الله بقولها [١].

وعن أبي الدرداء، قال:

كان لسليمان بن داود عليه السلام ابن يحبّه حبّاً شديداً، فمات فحزن عليه حزناً شديداً، فبعث الله تعالى إليه ملكين في هيئة البشر، فقال: ما أنتما؟ قالا: خصمان، قال: اجلسا بمنزلة الخصوم، فقال أحدهما: إنّي زرعت زرعاً فأتى هذا فأفسده، فقال سليمان عليه السلام: ما يقول هذا؟ قال: أصلحك الله إنّه زرع في الطريق، وإنّي مررت به فنظرت يميناً وشمالاً فإذا الزرع، فركبت قارعة الطريق، فكان في ذلك فساد زرعه، فقال سليمان عليه السلام: ما حملك على أن تزرع في الطريق، أما علمت أنّ الطريق سبيل الناس، ولابدّ للناس من أن يسلكوا سبيلهم؟ فقال له أحد الملكين: أو ما علمت يا سليمان، أنّ الموت سبيل الناس، ولابدّ للناس من أن يسلكوا سبيلهم؟ قال: فكأنّما كشف عن سليمان عليه السلام الغطاء، ولم يجزع على ولده بعد ذلك.

رواه ابن أبي الدنيا.

وروي أيضاً:

أنّ قاضياً كان في بني إسرائيل مات له ابن فجزع عليه وصاح، فلقيه رجلان فقالا له: اقض بيننا، فقال: من هذا فررت، فقال أحدهما: إنّ هذا مرّ بغنمه على زرعي فأفسده، فقال الآخر: إنّ هذا زرع بين الجبل والنهر، ولم يكن لي طريق غيره، فقال له القاضي: أنت حين زرعت بين الجبل والنهر، ألم تعلم أنّه طريق الناس؟ فقال له الرجل: فأنت حين ولد لك، ألم تعلم أنّه يموت؟ فارجع إلى قضائك ثمّ عرجا، وكانا ملكين.

وروي:

أنّه كان بمكّة مقعدان، كان لهما ابن شابّ، فكان إذا أصبح نقلهما فأتى بهما المسجد، فكان يكتسب عليهما يومه، فإذا كان المساء احتملهما وأقبل بهما منزله، فافتقدهما

١. موطّأ مالك ١: ٤٣/٢٣٧.

النبيّ ﷺ، فسأل عنهما، فقيل: مات ابنهما. فقال رسول الله ﷺ: لو تُرِك أحد لأحد لترك ابن المقعدين.

رواه الطبراني[١].

وروى ابن أبي الدنيا: «لو ترك شيء لحاجة أو فاقة، لترك الهديل لأبويه».

وروي عن بعض العابدات، أنّها قالت: ما أصابتني مصيبة فأذكر معها النار، إلّا صارت في عيني أصغر من التراب.

فصل

ليذكر من أُصيب بمصيبة، وأنّ المصائب والبلايا إنّما تخصّ في الأغلب مَن للّه به مزيد عناية، وله عليه إقبال وإليه توجّه. وليتحقّق ذلك قبل النظر في الكتاب والسنّة فيمن يبتلى في دار الدنيا، فإنّه يجد أشدّ الناس بلاءً أهل الخير والصلاح بعد الأنبياء والرسل. والآيات الكريمة منبئة على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾[٢] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً * قُلْ مَنْ كانَ في الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدّاً﴾[٤].

وروى عبدالرحمن بن الحجّاج، قال: ذكر عند أبي عبدالله عليه السلام البلاء، وما يخصّ الله عزّ وجلّ به المؤمن، فقال:

سئل رسول الله ﷺ: من أشدّ الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيّون، ثمّ الأمثل فالأمثل،

---

١. المعجم الأوسط ٦: ٤٥٠ ـ ٥٩٦٤/٤٥١؛ وأيضاً رواها البيهقي في السنن الكبرى ٤: ٧١٣١/١١٠.
٢. الزخرف (٤٣): ٣٣.
٣. آل عمران (٣): ١٧٨.
٤. مريم (١٩): ٧٣ ـ ٧٥.

ويبتلى المؤمن بعدُ على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صحّ إيمانه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه، ومن سخف إيمانه، وضعف عمله قلّ بلاؤه[١].

وروى زيد الشحّام عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

إنّ عظيم الأجر مع عظيم البلاء، وما أحبّ الله عزّ وجلّ قوماً إلا ابتلاهم[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

إنّ للّه عزّ وجلّ عباداً في الأرض من خالص عباده، ما تنزل من السماء تحفة إلى الأرض إلّا صرفها عنهم إلى غيرهم، ولا بليّة إلّا صرفها إليهم[٣].

وعن الحسين بن علوان، عنه عليه السلام، أنّه قال:

إنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً غتّه[٤] بالبلاء غتّاً، وإنّا وإيّاكم لنصبح به ونمسي[٥].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال:

إنّ الله تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً وثجّه بالبلاء ثجّاً[٦] فإذا دعاه قال: لبّيك عبدي لئن عجّلت لك ما سألت إنّي على ذلك لقادر، ولكن ادّخرت لك فما ادّخرت خير لك[٧].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، فإذا أحبّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله عندالله تعالى الرضى، ومن سخط البلاء فله عندالله السخط[٨].

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إنّما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه أو قال: على حسب دينه»[٩].

---

١. الكافي ٢: ٢/٢٥٢، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ الوسائل ٣: ١/٢٦١، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.
٢. الكافي ٢: ٣/٢٥٢، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ الوسائل ٣: ١٠/٢٦٣، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.
٣. الكافي ٢: ٥/٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ تنبيه الخواطر ٢: ٢٠٤؛ الوسائل ٣: ١٤/٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.
٤. غتّه بالأمر: كدّه. وفي الحديث يغتّهم الله في العذاب أي يغمسهم فيه غمساً متتابعاً. لسان العرب ٢: ٦٣، «غ ت ت».
٥. الكافي ٢: ٦/٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ الوسائل ٣: ١١/٢٦٣، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.
٦. في «ح»: «سجّه بالبلاء سجّا» وفي «م»: «شجّه بالبلاء شجّاً». وما أثبتناه من المصدرين.
٧. الكافي ٢: ٧/٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ الوسائل ٣: ١٥/٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.
٨. الكافي ٢: ٨/٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ الوسائل ٣: ١٠/٢٥٢، الباب ٧٥ من أبواب الدفن.
٩. الكافي ٢: ٩/٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ الوسائل ٣: ١٦/٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.

وعن ناجية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ المغيرة يقول: إنّ الله لا يبتلي المؤمن بالجذام ولا بالبرص، ولا بكذا ولا بكذا، فقال:

إن كان لغافلاً عن مؤمن آل ياسين، إنّه كان مكنّعاً[١] ـ ثمّ ردّ أصابعه، فقال ـ: كأنّي أنظر إلى تكنيعه، أتاهم فأنذرهم، ثمّ عاد إليهم من الغد فقتلوه ـ ثمّ قال ـ: إنّ المؤمن يبتلى بكلّ بليّة، ويموت بكلّ ميتة، إلّا أنّه لا يقتل نفسه[٢].

وعن عبدالله بن أبي يعفور قال: شكوت إلى أبي عبدالله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع وكان مسقاماً، فقال لي:

يا عبدالله، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب، لتمنّى أن يقرّض بالمقاريض[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام:

إنّ أهل الحقّ لم يزالوا في شدّة، أمّا إنّ ذلك إلى مدّة قليلة وعافية طويلة[٤].

وعن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

إنّ الله عزّ وجلّ ليتعاهد المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الرجل أهله بالهديّة من الغيبة، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض[٥].

وعن أبي عبدالله قال:

دعي النبيّ صلى الله عليه وآله إلى طعام، فلمّا دخل إلى منزل الرجل نظر إلى دجاجة فوق حائط قد باضت، فتقع البيضة على وتد في حائط فتثبت عليه، ولم تسقط ولم تنكسر، فتعجّب النبيّ صلى الله عليه وآله منها، فقال له الرجل: أعجبت من هذه البيضة؟ فوالذي بعثك بالحقّ ما رزئت[٦] شيئاً قطّ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يأكل من طعامه شيئاً، وقال: من لم يرزأ فما للّه فيه من حاجة[٧].

---

١. «المكنّع: مقفّع اليد، وقيل: مقفّع الأصابع، يابسها متقبّضها». لسان العرب ٨: ٣١٤، «ك ن ع».

٢. الكافي ٢: ١٢/٢٥٤، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ تنبيه الخواطر ٢: ٤٠٢.

٣. الكافي ٢: ١٥/٢٥٥، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ تنبيه الخواطر ٢: ٢٠٤؛ المؤمن: ٣/١٥، الوسائل ٣: ١٣/٢٦٤، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.

٤. الكافي ٢: ١٦/٢٥٥، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ الوسائل ٣: ٣/٢٦١، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.

٥. الكافي ٢: ١٧/٢٥٥، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ تنبيه الخواطر ٢: ٢٠٤؛ الوسائل ٣: ٩/٢٦٣، الباب ٧٧ من أبواب الدفن.

٦. الرزء: أصاب من ماله شيئاً. لسان العرب ١: ٨٥، «ر ز أ».

٧. الكافي ٢: ٢٠/٢٥٦، باب شدّة ابتلاء المؤمن.

وأشباه هذه الأخبار كثيرة، فلنقتصر على هذا القدر.

[كتاب أبي عبدالله عليه السلام لجماعة من بني عمّه]

ونختم الرسالة بكتاب شريف، كتبه سيّدنا ومولانا أبوعبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام لجماعة من بني عمّه، حين أصابتهم شدّة من بعض الأعداء على وجه التعزية.

رويناها بإسنادنا إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي قدّس الله روحه، عن الشيخ المفيد محمّد بن النعمان، والحسين بن عبيد الله الغضائري، عن الصدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن الثقة الجليل محمّد بن أبي عمير، عن إسحاق بن عمّار، قال: إنّ أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام كتب إلى عبدالله بن الحسن، حين حُمل هو وأهل بيته يعزّيه عمّا صار إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الخلف الصالح والذرّية الطيّبة من ولد أخيه وابن عمّه.

أمّا بعد: فلئن كنت قد تفرّدتَ أنت وأهل بيتك ممّن حُملَ معك بما أصابكم، فما انفردت بالحزن والغيظ والكآبة وأليم وجع القلب دوني، ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحرّ المصيبة مثل ما نالك، ولكن رجعتُ إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به المتّقين من الصبر وحسن العزاء، حين يقول لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿واصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾[1].

وحين يقول: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ﴾[2].

وحين يقول لنبيّه صلى الله عليه وآله، حين مثّل بحمزة: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[3].

فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعاقب.

---

١. الطور (٥٢): ٤٨.

٢. القلم (٦٨): ٤٨.

٣. النحل (١٦): ١٢٦.

وحين يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعاقِبَةُ لِلتَّقْوى﴾[١].

وحين يقول: ﴿الَّذينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٢].

وحين يقول: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[٣].

وحين يقول عن لقمان لابنه: ﴿وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٤].

وحين يقول موسى عليه السلام: ﴿قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِروا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

وحين يقول: ﴿الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٦].

وحين يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٧].

وحين يقول: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ﴾[٨].

وحين يقول: ﴿وَاصْبِرْ حَتّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ﴾[٩] وأمثال ذلك من القرآن كثير.

واعلم ـ أي عمّ وابن عمّ ـ أنّ الله عزّ وجلّ لم يبال بضرّ الدنيا لوليّه ساعة قطّ، ولا شيء أحبّ إليه من الضرّ والجهد واللأواء[١٠] مع الصبر، وأنّه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوّه ساعة واحدة قطّ.

ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه ويخيفونهم ويمنعونهم، وأعداؤه آمنون مطمئنّون عالون ظاهرون.

ولولا ذلك لما قتل زكريّا ويحيى بن زكريّا ظلماً وعدواناً في بغيّ من البغايا.

---

١. طه (٢٠): ١٣٢.
٢. البقرة (٢): ١٥٦ ـ ١٥٧.
٣. الزمر (٣٩): ١٠.
٤. لقمان (٣١): ١٧.
٥. الأعراف (٧): ١٢٨.
٦. العصر (١٠٣): ٣.
٧. البقرة (٢): ١٥٥.
٨. الأحزاب (٣٣): ٣٥.
٩. يونس (١٠): ١٩.
١٠. الأولاء: الشدّة. الصحاح ٦: ٢٤٧٨، «ل أ ى».

ولولا ذلك لما قتل جدّك عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا قام بأمر الله جلّ وعزّ ظلماً، وعمّك الحسين بن فاطمة عليها السلام اضطهاداً وعدواناً.

ولولا ذلك لما قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ﴾[1].

ولولا ذلك لما قال في كتابه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ * نُسارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾[2].

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: لولا أن يحزن المؤمن لجعلت للكافر عصابة من حديد، فلا يصدع رأسه أبداً.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: أنّ الدنيا لا تساوي عند الله عزّ وجلّ جناح بعوضة.

ولولا ذلك ما سقى كافراً منها شربة ماء.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: لو أنّ مؤمناً على قلّة جبل لابتعث الله له كافراً أو منافقاً يؤذيه.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث أنّه: إذا أحبّ الله قوماً، أو أحبّ عبداً، صبّ عليه البلاء صبّاً، فلا يخرج من غمّ إلّا وقع في غمّ.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: ما من جرعتين أحبّ إلى الله تعالى أن يجرعهما عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها، وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب.

ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون على من ظلمهم بطول العمر، وصحّة البدن، وكثرة المال والولد.

ولولا ذلك ما بلغنا: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا خصّ رجلاً بالترحّم عليه والاستغفار استشهد.

فعليكم يا عمّ، وابن عمّ وبني عمومتي وإخوتي بالصبر والرضى والتسليم والتفويض إلى الله عزّوجلّ، والرضى والصبر على قضائه، والتمسّك بطاعته، والنزول عند أمره.

أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وختم لنا ولكم بالسعادة، وأنقذنا وإيّاكم من كلّ هلكة بحوله وقوّته، إنّه سميع قريب.

---

١. الزخرف (٤٣): ٣٣.

٢. المؤمنون (٢٣): ٥٥ ـ ٥٦.

وصلّى الله على صفوته من خلقه، محمّد النبيّ وأهل بيته صلوات الله وسلامه وبركاته ورحماته عليهم أجمعين[١].

هذا آخر التعزية بلفظها، نقلتها من كتاب التتمات والمهمات، وعليها نختم الرسالة حامدين للّه تعالى على نواله، مصلّين على صاحب الرسالة، وعلى آله أهل العصمة والعدالة.

ولقد فرغ منها مؤلّفها العبد الفقير إلى الله تعالى زين الدين عليّ بن أحمد الشامي العاملي عامله الله بفضله وعفا عنهم بمنّه وسط نهار الجمعة، غرّة شهر رجب المرجّب الفرد الحرام، عام أربعة وخمسين وتسعمائة حامداً مصلّياً مسلماً مستغفراً والحمد للّه وحده، وصلاته على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١. إقبال الأعمال: ٥٧٨.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٣)

التنبيهات العليّة

على

وظائف الصلاة القلبيّة

أو

[أسرار الصلاة]

تحقيق

عباس المحمّدي

في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدّمة التحقيق

أوّلاً نشير إلى ترجمة الشهيد مختصرةً

وُلد العالم النحرير، الفقيه الكبير، العامل بعلمه، الشيخ زين‌الدين بن عليّ بن أحمد العاملي الشامي، المشتهر بالشهيد الثاني ـ قدّس الله روحه الطيّبة وأخلده في روضات جنانه مع أوليائه ـ في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر شوّال سنة ٩١١، واستشهد في شهر رجب سنة ٩٦٥.

ونقتصر في ترجمته وتعريفه ببعض تعريفات العلماء في حقّه. قال ابن العودي:

كان لأبواب الخيرات مفتاحاً، وفي ظلمة عمى الأُمّة مصباحاً، منه تعلّم الكرم كلّ كريم، وبه استشفى من الجهالة كلّ سقيم، اقتفى أثره في الاستقامة كلّ مستقيم، لم تأخذه في الله لومة لائم، ولم يثن عزمه عن المجاهدة في تحصيل العلوم الصوارم، أخلصت للّه أعماله فأثّرت في القلوب أقواله. أعزّ ما صرف همّته فيه خدمة العلم وأهله، فحاز الحظّ الوافر لمّا توجّه إليه بكلّه.

ولقد كان مع علوّ رتبته وسموّ منزلته على غاية من التواضع ولين الجانب، ويبذل جهده مع كلّ وارد في تحصيل ما يبتغيه من المطالب[1].

وفي شأنه قال العلّامة الأمين:

وما ظنّك برجل يؤلّف مؤلّفاته الجليلة الخالدة على مرور الدهور والأعوام في حالة الخوف على دمه، لا يشغله ذلك عنها ما تقتضيه هذه الحالة من توزّع الفكر، واشتغال

---

١. الدرّ المنثور ٢: ١٥٥.

البال عن التفكير بمسألة من مسائل العلم، يؤلّفها بين جُدران البيوت المتواضعة وحيطان الكروم، لا في قصور شاهقة ورياض ناضرة، ولا مساعد له ولا معين حتّى على تدبير معاشه...[١].

ومن يرد أكثر من هذه في شأنه وتعريفه فعليه بالرجوع إلى كتب التراجم ومقدّمات كتبه المطبوعة: منها منية المريد في أدب المفيد والمستفيد.

حول الكتاب

البحث عن الكتاب يقع في مقامات:

الأوّل: أنّه كتاب جليل عال في معانيه، يرشد القارئ، ويعلّمه أدب الوقوف بين يدي ربّ العالمين في حال الصلاة التي هي عمودالدين، وعماده، والتي مَثَلُها في دين الله كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبتت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود لم يثبت وتد ولا طنب، والتي إن قُبِلت قُبِل ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها كما ورد في الخبر[٢].

وهي من أهمّ الواجبات، والمأمور بها في جميع الأديان؛ ولهذا اهتمّ العلماء والفقهاء في سالف الزمان بتآليف قيّمة في أسرارها، عدّ سبعة عشر منها العلّامة الشيخ آقا بزرگ الطهراني في الذريعة، ثلاثة منها من المتقدّمين على الشهيد﵀ أوّلها: للشيخ الرئيس أبو عليّ الحسين بن عبدالله بن سينا (م ٤٢٧)[٣]. وثانيها: للسيّد رضيّ‌الدين أبوالقاسم عليّ بن موسى بن طاوس الحلّي (م ٦٦٤)[٤]. وثالثها: للشيخ جمال‌الدين أبي العبّاس أحمد بن شمس‌الدين محمّد بن فهد الأسدي الحلّي (م ٨٤١)[٥].

ولعلّ الشهيد﵀ تأثّر من بعضها في تأليف هذا الكتاب.

ورابع الكتب في هذا الموضوع على ما عثرنا عليه هذا الكتاب الذي بين يديك،

---

١. أعيان الشيعة ٧: ١٤٥ ـ ١٤٦.
٢. راجع الفقيه ١: ١٣٤، ح٦٢٦.
٣. الذريعة ٢: ٤٨، الرقم ١٩٥.
٤. الذريعة ٢: ٤٩، الرقم ١٩٩.
٥. الذريعة ٢: ١٤٧، الرقم ١٩٢.

ولا يصل الإنسان إلى مزاياه إلّا بالمطالعة العميقة الدقيقة، والتأمّل في فصوله، وهو إحدى التأليفات القيّمة العباديّة الأخلاقيّة المفيدة، الذي ألّفه وصنّفه زين‌الدين بن عليّ بن أحمد العاملي المشتهر بالشهيد الثاني (٩١١ ـ ٩٦٥)[١]، وهي إحدى المصادر المعتبرة التي اعتمد عليها المجلسي في بحار الأنوار[٢].

قال المصنّف في تعريفه:

وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من أسرارها، وزبدة من آدابها، وأكثرها قد وردت به النصوص عن أهل الخصوص عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيّات...، وهذه الأُمور وإن كانت متفرّقة في تضاعيف النصوص، وكلام الكاملين من العلماء العاملين، لكن لا يجتمع أطرافها إلّا عند قليل من الأماجد، ولا يطّلع على معادنها إلّا واحد بعد واحد، فشاركتهم في مثوبتها بجمع أطرافها ومبانيها وتهذيب ترتيبها، وتقريب معانيها[٣].

وقال ابن العودي ـ تلميذ الشهيد في ترجمته عند تعداد مصنّفاته ـ:

ومنها: رسالة في أسرار الصلاة القلبيّة، رتّبها على ترتيب الألفيّة، وذكر وظائف كلّ باب باعتبار ملاحظة القلب للأسرار الباطنيّة، حسب ترتيب الواجبات الظاهرة[٤].

فرغ من تصنيفها في اليوم السبت تاسع شهر ذي‌الحجّة الحرام، وهو اليوم المبارك، يوم عرفة سنة إحدى وخمسين وتسعمائة على ما قاله ﷺ في ختام الكتاب.

الثاني: موضوعه وإن كان الصلاة لكن لا من حيث المسائل الفقهيّة الظاهريّة، كالطهارة والنجاسة والمكان وغيره، بل من جهات المعنويّة، كالتوجّه إلى أنّ المصلّي في حال الصلاة بين يدي مَن يقوم؟ ومع مَن يتكلّم؟ وماذا يقول؟ وماذا يطلب؟ وكلّ هذا لا يلتفت ولا يتوجّه إليها إلّا بحضور القلب، والتوجّه الباطنيّة.

الثالث: وكان مقصده من تأليفه تعليم العباد أدب الوقوف بين يدي ربّ العالمين في حال الصلاة؛ ولذا قال ـ كما سمعته ـ:

---

١. راجع ترجمته في غاية المراد ١: ٢٩٥ ـ ٣١٤.
٢. بحار الأنوار ١: ١٩.
٣. خطبة الكتاب للمصنّف، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.
٤. الدرّ المنثور ٢: ١٨٦.

وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من أسرارها...، وبمراعاتها يترقّى العامل من مدارجها إلى معارج الأسرار والتجلّيات[١].

الرابع: تأثيره والتأثّر منه

تأثّر الشهيدﷺ كثيراً بكتاب إحياء علوم‌الدين للغزالي وتأثّر كثير من الأكابر به، منهم السيّد نعمة‌الله الموسوي الجزائري في الأنوار النعمانيّة، والميرزا جواد الملكي التبريزي في أسرار الصلاة، والشهيد آية‌الله دستغيب في صلاة الخاشعين، والإمام الخميني﵀ في الآداب المعنويّة للصلاة.

الخامس: شروحه وترجماته

شرحه المولى محمّد عليّ بن محمّد حسن الآراني الكاشاني، وسمّاه جامع الخيرات[٢].

وترجمه المولى محمّد زمان التنكابني الإصفهاني بالفارسيّة بأمر شاه سلطان حسين الصفوي[٣].

وأيضاً ترجمه محمّد صالح بن محمّد صادق الواعظ، وطبع أوّلاً في سنة (١٣٦٨ ـ ١٣٢٧ هـ ش) بإعداد ميرجلال‌الدين الحسيني المحدّث.

وأيضاً ترجمه غلامحسين روشن‌نژاد، وسمّاه بـأسرار قلبي نماز طبع أوّلاً في مشهد الرضاﷺ.

السادس: النسخ المعتمدة من مخطوطة ومطبوعة

أ: المخطوطة المصحّحة، الموجودة في مكتبة النصيري الخاصّة، ضمن مجموعة غير مرقّمة، نسخة جيّدة في حدّ نفسها جدّاً، استفدنا منها كثيراً، ورمزنا لها بـ«ص».

ب: المطبوعة على الحجر، ضمن مجموعة رسائل الشهيد الثاني تحتوي على عشر رسائل منها: التنبيهات العليّة، من منشورات مكتبة بصيرتي، وهذه الطبعة وإن كان غير محقّقة ولكن تمتاز على مطبوعة «ب» من حيث صحّة المتن، ورمزنا لها بـ«ح».

---

١. خطبة الكتاب للمصنّف، ص ٢٢٠.
٢. الذريعة ٥: ٥١، الرقم ٢٠١.
٣. الذريعة ٤: ٧٨، الرقم ٣٣٠.

ج: المطبوعة مستقلّاً بالقطع الوزيري بإعداد محمّد عليّ قاسم في مطبعة الدار الإسلاميّة في بيروت (١٤١٠ ـ ١٩٨٩ م)، ورمزنا لها بـ«ب». وفيها الأخطاء كثيراً نشير إلى بعضها:

منها: في ص٦٨: «ربط السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى في قوله: واسمعوا ﴿واتّقوا الله ويعلّكم الله﴾.

والصحيح هكذا: «ربط السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى في قوله تعالى: ﴿واتّقوا الله واسمعوا﴾ ﴿واتّقوا الله ويعلّمكم الله﴾» كما في سائر النسخ.

ومنها: في ص٩٥: «فكما أحيا كلّ شيء من نعيم الدنيا».

والصحيح هكذا: «فكما أحيا به كلّ شيء من نعيم الدنيا» أي الماء.

ومنها: في ص١٤٩: «يخرج ذكره عن موضع الرسالة».

والأصحّ هكذا: «يخرج ذكره عن موضوع الرسالة» وكم له من نظير.

د: المطبوعة مستقلّاً أيضاً بالقطع الوزيري بتحقيق صفاءالدين البصري في مؤسّسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدّسة (١٤١٣ ـ ١٣٧١ ش)، ورمزنا لها بـ«م». وفيها أيضاً أخطاء نشير إلى بعضها:

منها: ص٦٩: «والمعنى الثاني: لطيفة ربانيّة روحانيّة، ها بهذا القلب أجسماني تعلّق، وتلك اللطيفة هي العبّر عنها».

والصحيح هكذا: «والمعنى الثاني: لطيفة ربانيّة لها بهذا القلب الجسماني تعلّق، وتلك اللطيفة هي المعبّر عنها».

وفي هذه العبارة كماترى ثلاثة أخطاء:

١: «ها بهذا القلب» والصحيح: «لها بهذا القلب».

٢: «أجسماني» والصحيح: «الجسماني»

٣: «العبّر عنها» والصحيح: «المعبّر عنها».

وفيها بعض النواقص مشتركة مع «ب» وهو وجود هوامش غير لازمة مملّة وتوضيحات لا حاجة لها، كالتعليقة ٦ من ص١٣٩، ونقل اختلافات النسخ غير المهمّة أيضاً في

الهوامش، والقصور في الاستخراجات اللازمة من مصادرها الأصليّة المتقدّمة على الشهيد، وعدم الاستخراج أصلاً في بعض الأحيان، أو الاستخراج الناقص، لم نتعرّض لمواردها حذراً من التطويل.

ولها طبعات أُخر غير ما استفدنا منها، نذكرها على حسب الترتيب الذي ذكره خانبابا مشار:

١. طهران، عام (١٣٠٥)، طبعة حجريّة على قطع الوزيري، بمعيّة عقائد النصيريّة وغيره.

٢. طهران، عام (١٣١٢)، طبعة حجريّة على قطع الوزيري، بإعداد حاج شيخ رضا الطهراني بمعيّة حقائق الإيمان وكشف الريبة.

٣. طهران، عام (١٣٢٠)، طبعة حجريّة على قطع الوزيري، بمعيّة عقائد النصيريّة، وكشف الفوائد، وحقائق الأسرار وغيره.

٤. طهران، عام (١٣٠٠)، طبعة حجريّة على قطع الرقعي، مع رسالة الكرّ من محمّد بن أبوالقاسم الحسيني التبريزي، ورسالة الموجز لابن فهد الحلّي في مجلّد واحد.

٥. طهران، عام (١٣١٣)، طبعة حجريّة على قطع اللبني، بمعيّة مجموعة الإفادات.

٦. إيران، عام (١٢٩٦)، طبعة حجريّة بكتابة كاتبه محمّد إبراهيم[1].

السابع: منهجنا في التحقيق

١: مقابلة الكتاب مع النسخ التي مرّ وصفها وقد اعتمدنا طريق التلفيق بين النسخ؛ لأجل إثبات أصحّ النصوص.

٢: تخريج الآيات والروايات والحكايات حتّى ما كان منها غير مصرّح في بعض الأحيان، ولقد أتعبنا أنفسنا لاستخراج جميعها، وقد عثرنا عليها ـ إلّا قليلاً منها ـ في المصادر المتقدّمة على الشهيد رحمه الله.

٣: تقويم متن الكتاب وضبط نصّه مع ملاحظة جميع الاختلافات الواردة بين النسخ،

---

١. فهرست كتابهاى چاپى عربى (مشار): ٢٢١.

وضبط أصحّها في المتن، وفي بعض الموارد اللازمة ذكر اختلافات النسخ في الهوامش.

٤: شرح الألفاظ والكلمات الصعبة في الكتاب من المعاجم اللغوية المعتبرة.

٥: إعداد فهارس العامّة الفنيّة للكتاب؛ تسهيلاً للمراجعين تشتمل الآيات والأحاديث والأعلام والكتب وغيرها.

يا ربّنا، تقبّل منّا هذا العمل، واجعله ذخراً لنا ولوالدينا في يوم الحساب وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

قم المقدّسة ـ عبّاس المحمّدي الجلال آبادي

١٥ شوّال ١٤٢١ = ١٣٧٩/١٠/٢١ش

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله مطلع من اختار من عباده الابرار على خفايا الاسرار
ومودع قلوب اصفيائه من لطائف المعارف ما تحار فيه البصائر
والابصار وجاعل القلوب سببا للنجاة ومن شتى المناجاة والمناجاة
وذريعة الى ارتفاع الدرجات وتفاوت مراتب العبادات
في تحول اطوار الانوار من مطالع المنار وفتح مغالق القلوب اقفال
القلوب بمن شاء واختار ونفح حجب الاسرار وجلاء ابصار البصائر
فهمت الاشارات ويعجز الاستاذ وذهبت في مبادي اشراق
نوره الاحداق والانظار والصلوة على نبيه وحبيبه ومعدن
سره مجد النبي المختار وعلى آله والائمة الابرار بعدد الاحجار صلوة
دائمة بدوام الليل والنهار وبعد فان روح السعادة ومهجتها
وروح العبادة ومهجتها تلقيها بايدي القبول والاحسان ومضاعفة
الثواب بها في دار الجنان والتشبث بها الى ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب البشر والانتساب بها الى عالم الملكوت والملائكة
المقربين وتلقي الفيض من عالم الغيب والشهادة واجاب التنزل منها
الى زيادة انعامهم بالاقبال بالقلب في اصغائها وحركاتها وسكناتها على الله
تعالى والفكر في اسرارها وتقلب النفس حالتها حتى تخلو في اثنائها
واطوارها فانها تارة قصد واخلاص وانقطاع واختصاص وتارة

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة مكتبة النصيري الخاصة

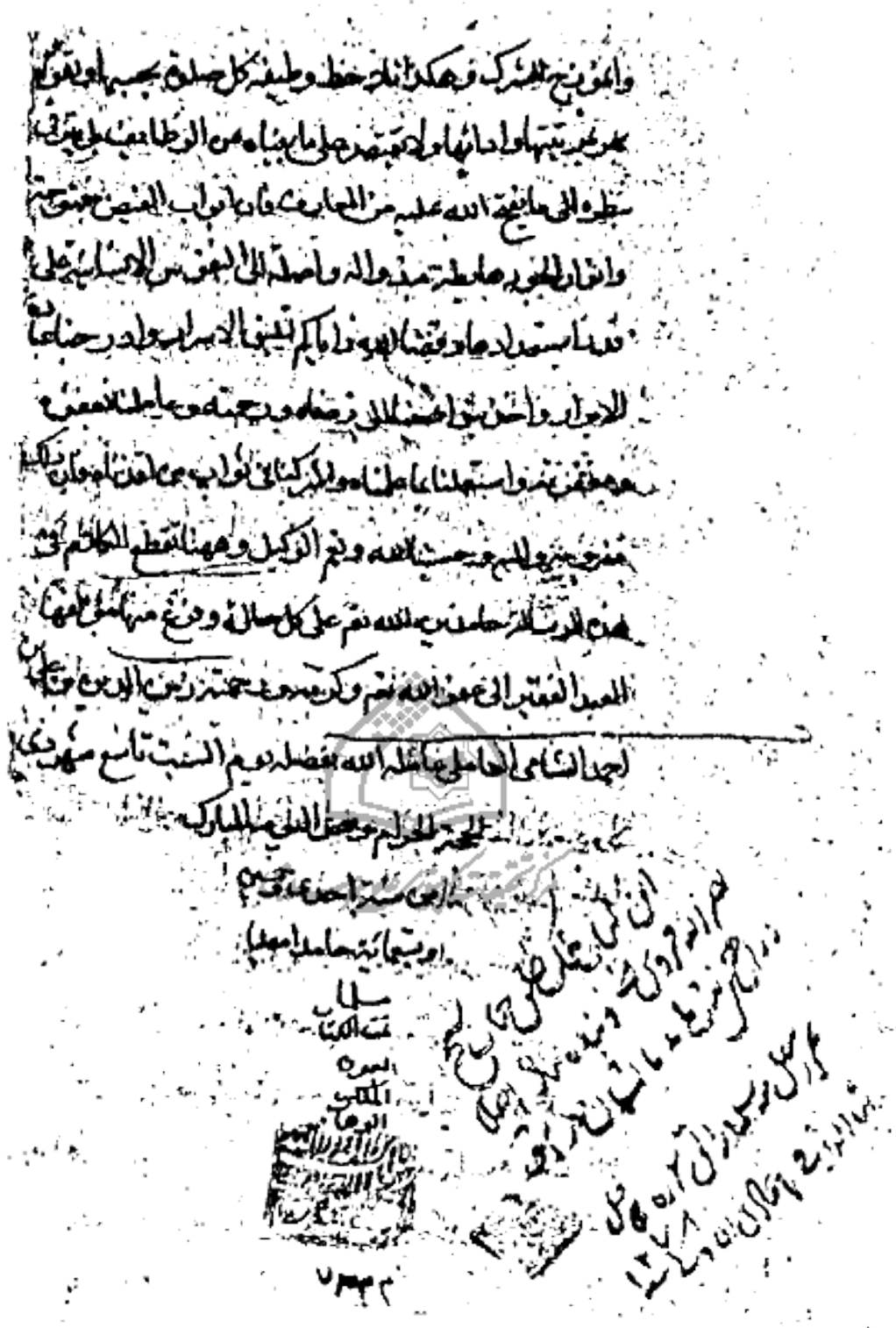

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة النصيري الخاصة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه مُطلِع من اختار من عباده الأبرار، على خفايا الأسرار؛ ومودع قلوب أصفيائه من لطائف المعارف ما تحار فيه البصائر والأبصار، وجاعل القلوب سبباً للنجاة، وموضعاً للمناجاة والمبارّ، وذريعة إلى ارتفاع الدرجات، وتفاوت مراتب العبادات، في قبول طوالع الأنوار، من مطالع المسَارّ. وفتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب عمّن شاء واختار، ورفع حجب السرائر، وجلا أبصار البصائر، ففهمت الإشارات، ورفعت الأستار، فدهشت في مبادي إشراق نوره الأحداق والأنظار. والصلاة على نبيّه وحبيبه ومعدِن سرّه محمّد النبيّ المختار، وعلى آله الأئمّة الأبرار، وصحبه الأخيار، صلاةً دائمةً بدوام الليل والنهار.

أمّا بعد، فإنّ رَوح السعادة وبهجتها، ورُوح العبادة ومهجتها، وموجب تلقّيها بأيدي القبول والإحسان، ومضاعفة الثواب بها في دار الجنان، والتسبّب بها إلى ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ[1]، والانتساب بها إلى عالم الملكوت والملائكة الغُرر، وتلقّي الفيض من عالم الغيب والشهادة، وإيجاب القليل منها لعظيم الزيادة؛ إنّما يتمّ بالإقبال بالقلب في أفعالها وحركاتها وسكناتها على الله تعالى، والتفكّر في أسرارها، وتقلّب النفس في حالاتها حسب اختلاف أوضاعها وأطوارها.

---

١. اقتباس من الحديث القدسي المرويّ في عدّة الداعي: ٩٩، و صحيح البخاري ٣: ١١٨٤ / ٣٠٦٨، و صحيح مسلم ٤: ٢١٧٤ / ٢٨٢٤، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها؛ و كنز العمّال ١٥: ٧٧٨ / ٤٣٠٦٩، و ص ٧٨٨ / ٤٣١١٩. وهو قوله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

فإنّها تارةً: قصد وإخلاص، وانقطاع واختصاص.

وتارةً: تكبير للّه تعالى وتمجيد، وثناء وتحميد.

وتارةً: دعاء وابتهال.

وأُخرى: خضوع وتسافل بحضرة ذي الجلال.

وتارةً: خشوع وتململ على التراب بين يدي ربّ الأرباب.

وتارةً: تجديد عهد بكلمة التوحيد، وتقرير للإسلام، وتذكير بالعهد القديم المأخوذ على الأنام[١].

وتارةً: تحيّة لمقرّبي حضرته بلفظة «السلام» إلى غير ذلك من دقائق الحقائق، التي تظهر للمصلّي بفكره الصادق؛ ومن ثَمّ كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء، موجبة للقرب والزلفى، كما نطق به القرآن الحكيم[٢]، ووردت به الأخبار عن النبيّ[٣] وآله[٤] عليهم أفضل الصلاة وأكمل التسليم.

وحينئذٍ فلابدّ للمكلّف المستيقظ من الإقبال بقلبه عليها، والتفكّر في أسرارها، والتأدّب بآدابها، وإلّا كانت بمنزلة الجسد من غير روح، والشجرة من غير ثمرة، والعمل من غير غاية.

وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من أسرارها، وزبدة من آدابها، وأكثرها قد وردت به النصوص[٥] عن أهل الخصوص عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيّات، وبمراعاتها يترقّى العامل[٦] من مدارجها إلى معارج الأسرار والتجلّيات.

---

١. إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. الأعراف (٧): ١٧٢، وإلى الآية: ﴿ألم أعهد...﴾. يس (٣٦): ٦٠.

٢. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت (٢٩): ٤٥؛ وقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ العلق (٩٦): ١٩.

٣. كقوله ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلّا بعداً». إحياء علوم الدين ١: ١٥٠؛ كنز العمال ٧: ٥٢٥ / ٢٠٠٨٣.

٤. كقول عليّ عليه السلام في نهج البلاغة: ٦٨٣، الحكمة ١٣٦، وأبي الحسن الرضا عليه السلام في الكافي ٣: ٢٦٥ / ٦، باب فضل الصلاة، و الفقيه ١: ١٣٦ / ٦٣٧: «الصلاة قربان كلّ تقيّ».

٥. كما يأتي في محلّه مفصّلاً إن شاء الله تعالى.

٦. في بعض النسخ: «القابل» بدل «العامل».

وهذه الأُمور وإنْ كانت متفرّقةً في تضاعيف النصوص، وكلام الكاملين من العلماء العاملين، لكن لا تكاد تجتمع أطرافها إلّا عند قليل من الأماجد، ولا يطّلع على معادنها إلّا واحد بعد واحد، فشاركتهم في مثوبتها بجمع أطرافها ومبانيها، وتهذيب ترتيبها، وتقريب معانيها، وصارت مع ذلك معزّزةً للرسالتَين الشريفتين اللتَين اشتملت إحداهما على واجبات الصلاة وهي «الألفيّة»[١]، والأُخرى على مندوباتها وهي «النفليّة»[٢]، وهذه على أسرارها القلبيّة، وسمّيتها بـ**التنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبيّة**. ورتّبتها ترتيب القادمة[٣] على مقدّمة، وفصول ثلاثة، وخاتمة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. وهي للشهيد الأوّل جمع فيها ألف مسألة في واجبات الصلاة؛ ولذلك سمّاها بالألفيّة.
٢. وهي أيضاً للشهيد الأوّل جمع فيها ثلاث آلاف مسألة في مندوبات الصلاة؛ ولذلك سمّاها بالنفليّة.
٣. أي الألفيّة.

أمّا المقدِّمة

فتشتمل على ثلاثة مطالبَ:

[المطلبُ] الأوّلُ: في تحقيق معنى القلب الذي ينبغي إحضاره في أوقات العبادات

وبسببه تتفاوت مراتب العبادات في الدرجات.

اعلم أنّ القلب يطلق على معنَيين:

أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود، وهو منبع الروح ومعدنه. وهذا المعنى من القلب موجود للبهائم بل للميّت، وليس هو المراد في هذا الباب ونظائره.

والمعنى الثاني: لطيفة ربّانيّة روحانيّة، لها بهذا القلب الجسماني تعلّق، وتلك اللطيفة هي المعبّر عنها بـ«القلب» تارةً، و بـ«النفس» أُخرى، وبـ«الروح» ثالثة، وبـ«الإنسان» أيضاً، وهي المُدرِك العالِم العارِف، وهي المخاطَب والمطالَب والمعاتَب، ولها علاقة مع القلب الجسداني، وقد تحيّرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، وأنّ تعلّقه به يضاهي تعلّق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات، أو تعلّق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلّق المتمكّن بالمكان. وشرح ذلك يخرج عن غرض الرسالة.

وحيث يطلق القلب في الكتاب والسنّة فالمراد منه هذا المعنى الذي يفقه ويعلم، وقد يكنى عنه بـ«القلب في الصدر» كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى

﴿الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١]؛ وذلك لما عرفت من العلاقة الواقعة بينها وبين جسم القلب، فإنّها وإنْ كانت متعلّقةً بسائر البدن ومستعملةً له، ولكنّها تتعلّق به بواسطة القلب. فتعلّقها الأوّل بالقلب وكأنّه محلّها ومملكتها وعاملها ومطيّتها.

ولذلك شبّه بعض العلماء[٢] القلب بالعرش، والصدر بالكرسي. وأراد به أنّه مملكته والمجري الأوّل لتدبيره وتصرّفه. فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى.

ولا يستقيم هذا التشبيه إلّا من بعض الوجوه كما لا يخفى.

وهذا المعنى من القلب في الجسد بمنزلة المَلِك، وله فيه جنود وأعوان وأضداد وأوصاف، وله قبول للإشراق والظلمة، كالمرآة الصافية التي تقبل انطباع الصور والأشكال المقابلة لها، وتقبل الظلمة والفساد والبعد عن الإعداد لذلك؛ بسبب العوارض الخارجيّة المنافية لجوهرها. وربما وصل إشراقه واستنارته إلى حدّ تحصل فيه جليّة الحقّ، وتنكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب، وإلى مثل هذا القلب أشار بقوله ﷺ:

إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه[٣].

وبقوله ﷺ:

من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ[٤].

ومثال الآثار المذمومة الواصلة إليه، المانعة له من الاستنارة وقبول الإشراق، مثال دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة، ولا يزال يتراكم عليه مرّة بعد أُخرى إلى أن يسودّ ويظلم، ويصير بالكلّيّة محجوباً عن الله تعالى، وهو الطبع[٥] والرين[٦] اللذان أشار الله تعالى إليهما في

---

١. الحجّ (٢٢): ٤٦.

٢. هو سهل التستري على ما حكاه عنه الغزالي في إحياء علوم الدين ٣: ٥.

٣. كنز العمّال ١١: ٩٥ / ٣٠٧٦٢؛ إحياء علوم الدين ٣: ١٢.

٤. إحياء علوم الدين ٣: ١٢، عن رسول الله ﷺ؛ وقال عليّ عليه السلام: «من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ». نهج البلاغة: ٦٦٨، الحكمة ٨٩.

٥. الختم والطبع: يقال على وجهين: [الأوّل]: مصدر ختمت وطبعت، وهو تأثير الشيء .... والثاني: الأثر الحاصل عن النقش.... المفردات في غريب القرآن: ١٤٢، «خ ت م».

٦. الرين: صَدَأٌ يعلو الشيء الجليل، قال الله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾، أي صار ذلك كصدإٍ على جِلاء قلوبهم فعمي عليهم معرفة الخير من الشرّ. المفردات في غريب القرآن: ٢٠٨، «ر ى ن».

قوله: ﴿أَنْ لَوْ نَشَآءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[١].

ربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾[٢]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٤].

فمهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى عن إدراك الحقّ، وصلاح الدين، ويتهاون بالآخرة، ويستعظم أمر الدنيا، ويصير مقصور الهمّ عليها. وإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أُذن وخرج من أُخرى، ولم يستقرّ في القلب، ولم يحرّكه إلى التوبة والتدارك. وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن[٥] والسنّة كما في قوله ﷺ:

قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر، وقلب الكافر أسود منكوس[٦].

وقول الباقر عليه السلام:

إنّ القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يختلجان فأيّهما كانت منه غلبة غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة[٧].

فانظر إلى قوله عليه السلام: «لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة» فإنّ هذا حكم نور القلب بالمعنى الثاني؛ لأنّه باق وإن خرب البدن بخلاف الأوّل كما حقّق في موضع آخر.

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال:

ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإن أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء،

---

١. الأعراف (٧): ١٠٠.
٢. المائدة (٥): ١٠٨.
٣. البقرة (٢): ٢٨٢.
٤. المطفّفين (٨٣): ١٤.
٥. الاسوداد إمّا بنحو الطبع، أو الرين كما مرّ ذكرهما، أو بنحو الختم كما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة (٢): ٧.
٦. إحياء علوم الدين ٣: ١٢؛ مسند أحمد ٣: ٣٩٣ / ١٠٧٤٥؛ ورواها بتفاوت الكليني في الكافي ٢: ٤٢٢ / ٢، باب في ظلمة قلب المنافق ...، عن الباقر عليه السلام.
٧. الكافي ٢: ٤٢٣ / ٣، باب في ظلمة قلب المنافق....

فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطّي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا بَلْ رانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هم مُبْصِرُونَ﴾[٢].

فأخبر أنّ جلاء القلب يحصل بالذكر، وأنّ المتّقين هم المتذكّرون. فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر.

واعلم أنّ القلب مثاله مثال حصن، والشيطان عدوّ يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه، ولا يُقدَر على حفظ الحصن من العدوّ إلّا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواقع تهمه، فينبغي الاهتمام بمعرفة ذلك. وتفصيله ممّا يطول الكلام فيه، ويخرج عن الغرض.

والأمر الجامع له الإقبال على الله تعالى، وتخيّل أنّك واقف بين يديه؛ فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، كما ورد في الخبر[٣].

فإذا أشعرت بذلك وتحقّقته، وعملت به انسدّت الأبواب دون وساوس اللعين، وأقبل القلب على الله تعالى، وتفرّغ للعبادة.

وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله:

أنّ العبد إذا اشتغل بالصلاة جاءه الشيطان وقال له: اذكر كذا، اذكر كذا، حتّى يظلّ الرجل أن يدري كم صلّى[٤].

ومن ها هنا ظهر لك أن مجرّد التلفّظ بالذكر باللسان ليس هو الزاجر للشيطان بل لابدّ معه من عمارة القلب بالتقوى، وتطهيره من الصفات المذمومة، التي هي أعوان إبليس

---

١. الكافي ٢: ٢٧٣ / ٢٠، باب الذنوب؛ الاختصاص: ٢٤٣. والآية في المطفّفين (٨٣): ١٤.

٢. الأعراف (٧): ٢٠١.

٣. الكافي ٢: ٦٧ ـ ٦٨ / ٢، باب الخوف والرجاء؛ إرشاد القلوب للديلمي ١: ٢٥٣، الباب الأربعون في المراقبة؛ كنز العمّال ٣: ٢١ / ٥٢٥٠.

٤. صحيح البخاري ١: ٢٢٠ / ٥٨٣، باب فضل التأذين، وص ٤٠٩ / ١١٦٤، باب يفكّر الرجل الشيء في الصلاة، وص ٤١٣ / ١١٧٤، باب إذا لم يدر كم صلّى؛ صحيح مسلم ١: ٣٩٨ / ٣٨٩، كتاب المساجد و مواضع الصلاة، ح ٨٢ ـ ٨٣، باب السهو في الصلاة والسجود له.

وجنوده، وإلّا فالذكر من أقوى مداخل الشيطان، وكذلك غيره من العبادات؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[١].

فخصّص ذلك بالمتّقي، وتأمّل أنت في منتهى ذكرك وعبادتك، وأفضل أعمالك، وهو الصلاة، فليس الخبر كالعيان، فراقب قلبك إذا كنت في الصلاة كيف تتجاذبه الشياطين في الأسواق والبساتين، وحساب المعاملين، وجواب المعاندين وغيرهم؟ وكيف تمرّ بك في أودية الدنيا ومهالكها حتّى أنّك لا تتذكّر ما نسيته من فضول الدنيا إلّا في صلاتك؟ ولا تزدحم الشياطين على قلبك إلّا إذا صلّيت فلا جَرَمَ لا يُطرَد عنك الشيطان بمجرّد صورة العبادة وإن تأدّي بها الواجب عليك، وخرجت عن عهدة الأمر الإلهي، بل لابدّ في دفعه مع ذلك من أُصول أُخَر، وإصلاح الباطن من الرذائل التي هي أعوانه وجنوده وإلّا لم يزد إلّا ضرراً، كما أنّ الدواء قبل الاحتماء لا يزيد المريض إلّا مرضاً وألماً. ثمّ بعد ذلك يتّصف بالفضائل. وحينئذٍ يصير قلبه قابلاً للإقبال، مشفقاً من التفريط والإهمال؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٢].

فاجعل هذه العلامة بينك وبين استقامة قلبك وإقباله، أوقفنا الله وإيّاك على بساط الاستقامة بمحمّد وآله.

ولنقتصر من بحث القلب على هذا القدر؛ مناسبة للاختصار.

المطلب الثاني: في الاستشهاد على ما ينبغي من إحضار القلب في حال العبادة سيّما الصلاة التي هي عمود الدين ورأس الأعمال

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٤]. ذمّهم على الغفلة عنها

---

١. الأعراف (٧): ٢٠١.

٢. الرعد (١٣): ٢٨.

٣. المؤمنون (٢٣): ٢.

٤. الماعون (١٠٧): ٤ ـ ٥.

مع كونهم مصلّين، لا لأنّهم سهوا عنها وتركوها.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ أَتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[١]. أي يفعلونه في حال وجل قلوبهم، والاتّصاف بالوجل حالة العمل مستلزم لحضور القلوب على أتمّ وجه.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

الصلاة ميزان، من وفّى استوفى[٢].

وقال صلى الله عليه وآله:

اعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك[٣].

وقال صلى الله عليه وآله ـ في فضل إتمامها ـ:

إنّ الرجلين من أُمّتي يقومان في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد، وإنّ ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض[٤].

وقال صلى الله عليه وآله:

أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار[٥].

وقال صلى الله عليه وآله:

من صلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ذنوبه[٦].

وعنه صلى الله عليه وآله:

من حبس نفسه في صلاة فريضة فأتمّ ركوعها وسجودها وخشوعها، ثمّ مجّد الله عزّ وجلّ وعظّمه وحمده حتّى يدخل وقت صلاة فريضة أُخرى لم يقطع بينهما، كتب الله له كأجر الحاجّ [و] المعتمر وكان من أهل علّيّين[٧].

---

١. المؤمنون (٢٣): ٦٠.

٢. الكافي ٣: ٢٦٦ / ١٣، باب فضل الصلاة؛ الفقيه ١: ١٣٣ / ٦٢٢.

٣. إرشاد القلوب ١: ٢٥٣، الباب الأربعون في المراقبة؛ المحاسن ١: ٦٢ / ٣، باب الثلاثة ـ وفيها: «خف الله في السرّ» بدل «اعبد الله» ـ؛ كنز العمّال ٣: ٢١ / ٥٢٥٠؛ وبتفاوت يسير رواها الكليني في الكافي ٢: ٦٧ ـ ٦٨ / ٢، باب الخوف والرجاء، عن أبي عبد الله عليه السلام.

٤. إحياء علوم الدين ١: ١٤٨.

٥. إحياء علوم الدين ١: ١٤٨.

٦. إحياء علوم الدين ١: ١٥٠؛ ورواها بتفاوت الصدوق في ثواب الأعمال: ٦٧، ثواب من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما.

٧. الفقيه ١: ١٣٦ / ٦٤٢.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

إنّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العُشر، وإنّ منها لما تلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها[١].

وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله إليه ـ أو قال: أقبل الله عليه ـ حتّى ينصرف، وأظلّته الرحمة من فوق رأسه إلى أُفق السماء، والملائكة تحفّه من حوله إلى أُفق السماء، ووكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول: أيّها المصلّي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي، ما التفتّ ولا زلت من موضعك أبداً[٣].

وقال الصادق عليه السلام:

لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلّا وجبت له الجنّة، فإذا صلّيت فأقبل بقلبك على الله عزّ وجلّ، فإنّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عزّ وجلّ في صلاته ودعائه إلّا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين، وأيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنّة[٤].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: رأيت عليّ بن الحسين عليهما السلام يصلّي، فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته. قال: فسألته عن ذلك، فقال:

ويحك أتدري بين يدي من كنت؟ إنّ العبد لا تقبل منه صلاة إلّا ما أقبل منها بقلبه، فقلت: جعلت فداك هلكنا، فقال: كلّا إنّ الله يتمّ ذلك بالنوافل[٥].

وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام أنّهما قالا:

إنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه فيها، فإن أوهمها كلّها أو غفل عن أدائها لفّت فضرب بها وجه صاحبها[٦].

---

١. قال المحقّق الداماد في شارع النجاة (ضمن اثنى عشر رسالة): ١٦: «حديث مشهور متّفق عليه، مختلف المتن والإسناد عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن نور الله الباهر مولانا أبي جعفر الباقر عليه السلام»؛ وحكاه عنه المجلسي في بحار الأنوار ٧٩: ٣٠٥، وعن البهائي في ٨١: ٣١٦.

٢. الكافي ٣: ٢٩٩ / ١، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث.

٣. الكافي ٣: ٢٦٥ / ٥، باب فضل الصلاة.

٤. الفقيه ١: ١٣٥ / ٦٣٢.

٥. تهذيب الأحكام ٢: ٣٤١ ـ ٣٤٢ / ١٤١٥.

٦. الكافي ٣: ٣٦٣ / ٤، باب ما يقبل من صلاة الساهي؛ تهذيب الأحكام ٢: ٣٤٢ / ١٤١٧.

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال:

إذا قمت في الصلاة فعليك بالإقبال على صلاتك فإنّما لك منها ما أقبلت عليه بقلبك، ولا تعبث فيها بيدك ولا برأسك ولا بلحيتك، ولا تحدّث نفسك، ولا تتثاءب فيها ولا تتمطّ[١].

وروى الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إذا كنت في صلاتك فعليك بالخشوع والإقبال على صلاتك فإنّ الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٢].

وعنه عليه السلام قال:

كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا قام في الصلاة تغيّر لونه، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض عرقاً[٣].

و[قال:] كان عليه السلام إذا قام في الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه إلّا ما حرّكت الريح منه[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

إنّ أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قبلت قبل ما سواها، إنّ الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول: حفظتني حفظك الله. وإذا ارتفعت في غير وقتها، بغير حدودها، رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول: ضيّعتني ضيّعك الله[٥].

وروى العيص بن القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:

والله إنّه ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة. فأيّ شيء أشدّ من هذا؟ والله إنّكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلّي لبعضكم ما قبلها منه، لاستخفافه بها. إنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل إلّا الحسن، فكيف يقبل ما يستخفّ به؟![٦].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام:

---

١. الكافي ٣: ٢٩٩ / ١، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث.

٢. الكافي ٣: ٣٠٠ / ٣، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث. والآية في سورة المؤمنون (٢٣): ٢.

٣. الكافي ٣: ٣٠٠ / ٥، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث؛ تهذيب الأحكام ٢: ٢٨٦ / ١١٤٥.

٤. الكافي ٣: ٣٠٠ / ٥، باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث.

٥. الكافي ٣: ٢٦٨ / ٤، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها؛ تهذيب الأحكام ٢: ٢٣٩ / ٩٤٦.

٦. الكافي ٣: ٢٦٩ / ٩، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها؛ تهذيب الأحكام ٢: ٢٤٠ / ٩٤٩.

أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أُذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره[١].

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٢] قال:

ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً. وإنّما الإصابة خشية الله تعالى والنيّة الصادقة ـ ثمّ قال: ـ الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّ وجلّ، والنيّة أفضل من العمل. ألا وإنّ النيّة هي العمل ـ ثمّ تلا قوله عزّ وجلّ: ـ ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾[٣]. يعني على نيّته[٤].

وبهذا الإسناد قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلّا مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٥]. قال:

السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه. وقال: وكلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط. وإنّما أراد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة[٦].

وعن أبان بن تغلب قال: كنت صلّيت خلف أبي عبد الله عليه السلام بالمزدلفة فلمّا انصرف التفت إليّ فقال:

يا أبان، هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهنّ وحافظ على مواقيتهنّ، لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنّة، ومن لم يقم حدودهنّ ولم يحافظ على مواقيتهنّ، لقي الله ولا عهد له، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له[٧].

والأخبار في ذلك كثيرة فلنقتصر على هذا القدر.

---

١. الكافي ٢: ١٦ / ٣، باب الإخلاص.
٢. هود (١١): ٧؛ الملك (٦٧): ٢.
٣. الإسراء (١٧): ٨٤.
٤. الكافي ٢: ١٦ / ٤، باب الإخلاص.
٥. الشعراء (٢٦): ٨٩.
٦. الكافي ٢: ١٦ / ٥، باب الإخلاص.
٧. الكافي ٣: ٢٦٧ / ١، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها؛ تهذيب الأحكام ٢: ٢٣٩ / ٩٤٥.

واعلم أنّه قد استفيد منها أنّ قبول الصلاة موقوف على الإقبال بالقلب بها، والالتفات عمّا سوى الله فيها، وأنّ قبولها يوجب قبول ما سواها من الأعمال. وحينئذٍ فالاهتمام بهذه الصفة أمر مهمّ، والغفلة عنها خسارة عظيمة، وانحطاط قويّ، وغفلة رديئة، حيث يدأب نفسه في الطاعة، ويقوم بها آناء الليل وأطراف النهار، ثمّ لا يجد بذلك ثمرة، ولا يستفيد به فائدة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[1]. خصوصاً إذا انضمّ إلى ذلك ما روي: أنّ الصلاة إذا رُدّت رُدّ سائر عمله، كما أنّها إذا قُبلت قُبل سائر عمله[2].

فنسأل الله تعالى أن يمنّ علينا من فضله العميم بدوام الإقبال وقبول الأعمال.

المطلب الثالث: في بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم أنّ المؤمن لابدّ أن يكون معظّماً لله تعالى، وخائفاً له، وراجياً منه، ومستحيياً من تقصيره، فلا ينفكّ عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوّتها عنده بقدر قوّة يقينه. فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلّا تفرّق الفكر، وتقسيم الخاطر، وغيبة القلب عن المناجاة، والغفلة عن الصلاة. ولا يلهي عن الصلاة إلّا الخواطر الواردة الشاغلة. فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر، ولا يدفع الشيء إلّا بدفع سببه.

وسبب توارد الخواطر إمّا أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً.

أمّا الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر، فإنّ ذلك قد يخطف الهمّ حتّى يتبعه، ويتصرّف فيه، ثمّ ينجرُّ منه الفكر إلى غيره ويتسلسل، ويكون الإبصار سبباً للأفكار، ثمّ تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض الآخر، ومن قويت رتبته وعلت همّته، لم يلهه ما يجري على حواسّه. ولكنّ الضعيف لابدّ وأن يتفرّق به فكره.

فعلاجه قطع هذه الأسباب، بأن يغضّ بصره، أو يصلّي في بيت مظلم، أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسّه، أو يقرب من حائط عند صلاته حتّى لاتتّسع مسافة بصره، ويحترز من

---

١. الكهف (١٨): ١٠٣ ـ ١٠٤.

٢. الفقيه ١: ١٣٤ / ٦٢٦.

الصلاة على الشوارع، وفي المواضع المنقوشة المصنوعة، وعلى الفرش المزيّنة؛ ولذلك كان المتعبّدون يتعبّدون في بيت صغير مظلم، سعته بقدر ما تمكّن الصلاة فيه، ليكون ذلك أجمع للهمّ.

وينبغي أن لا يعدل إلى غمض العينين ما وجد السبيل إلى القيام بوظيفة النظر، وهي جعله قائماً إلى موضع سجوده، وغيره من الأُمور المعلومة شرعاً، فإن تعذّر القيام بها مع فتحهما، فالغمض أولى؛ لأنّ الفائت من وظيفة الصلاة وصفتها بتقسّم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النظر.

وليحضر بباله عند نظره إلى موضع سجوده أنّه واقف بين يدي ملك عظيم يراه ويطّلع على سريرته وباطن قلبه وإن كان هو لا يراه، وأنّ التوجّه إليه لا يكون إلّا بوجهِ القلب، ووجه الرأس مثال ومضاف بالتبع، وأنّه يخاف إن ولّاه ظهر قلبه أن يطرده عن باب كرمه، ويسلبه عن مقام خدمته، ويبعده عن جناب قدسه ومقدس حضرته.

وكيف يليق بالعبد أن يقف بين يدَي سيّده ويولّيه ظهره، ويجعل فكره في غير ما يطلبه منه؟!

لا ريب في أنّ هذا العبد مستحقّ للخذلان مستوجب للحرمان، في الشاهد الخسيس والقياس البعيد، فكيف في المقصد الأصلي والملك الحقيقي؟!

وقد ورد الحديث:

إنّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم[1].

فبهذا ونظائره تجتمع الهمّة، ويصفو القلب، وينحصر بالنظر إلى الأُمور الخارجيّة.

وأمّا الأسباب الباطنيّة فإنّها أشدّ، فإنّ من تشعّبت به الأُمور في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فنّ واحد، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب، وغضّ البصر لا يغنيه. فإنّ ما وقع في القلب كاف في الشغل.

فهذا طريقه أن يردّ النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة، ويشغلها به عن غيره. ويعينه على ذلك أن يستعدّ قبل التحريم، بأن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة، وموقف المناجاة،

---

١. أمالي الطوسي: ٥٣٦؛ تنبيه الخواطر ٢: ٦٤؛ مكارم الأخلاق: ٤٦٩.

وخطر المقام بين يدي الله تعالى، وهول المطلع، ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عمّا يهمّه، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره.

فهذا طريق تسكين الأفكار. فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكّن فلا ينجيه إلّا المسهل الذي يقمع مادّة الداء من أعماق العروق، وهو أن ينظر في الأُمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب، ولا شكّ أنّها تعود إلى مهمّاته، وأنّها إنّما صارت مهمّات بشهواته، فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات، وقطع تلك العلائق، وكلّ ما يشغله عن صلاته، فهو ضدّ دينه، وجندُ إبليس عدوّه، فإمساكه أضرّ عليه من إخراجه، فيتخلّص عنه بإخراجه.

وقد روي أنّ بعضهم[1] صلّى في حائط له فيه شجرة، فأعجبه دبسيّ[2] طائر في الشجرة يلتمس مخرجاً فأتبعه نظره ساعة لم يذكركم صلّى، فجعل حائطه صدقة؛ ندماً ورجاءً للعوض عمّا فاته.

وهكذا كانوا يفعلون؛ قطعاً لمادّة الفكر، وكفّارة لما جرى من نقصان الصلاة.

وكان بعضهم إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة.

وآخرُ أخّر صلاة المغرب حتّى طلع كوكبان، فأعتق رقبتين.

وثالث أخّر ركعتي الفجر فأعتق رقبة. كلّ ذلك مجاهدة للنفس، ومناقشة لها في الغفلة عمّا فيه حظّها.

فهذا هو الدواء القامع لمادّة العلّة، ولا يغني غيره، فإنّ ما ذكرناه من التلطّف بالتسكين والردّ إلى فهم الذكر، فينفع في الشهوات الضعيفة، والهمم التي لا تشغل إلّا حواشي القلب. فأمّا الشهوة القويّة المرهقة فلا ينفع فيها التسكين، بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك، ثمّ تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة.

ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره فكانت أصوات العصافير تشوّش عليه،

---

١. هو أبو طلحة على ما حكاه مالك في موطّأ مالك ١: ٩٨ / ٦٩، باب النظر في الصلاة إلى ما يشغلك عنها؛ والغزالي في إحياء علوم الدين ١: ١٦٤.

٢. الدبسي: ضرب من الحمام. المعجم الوسيط: ٢٧٠، «د ب س».

فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره، فتعود العصافير، فيعود إلى التنفير بالخشبة، فقيل له[١]: إن أردت الخلاص فاقلع الشجرة.

فكذلك شجرة الشهوة إذا تشعّبت وتفرّعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار، وانجذاب الذباب إلى الأقذار، والشغل يطول في دفعها، فإنّ الذباب كلّما ذُبّ آب، ولأجله سمّي بالذباب، فكذا الخواطر.

فهذه الشهوات كثيرة، وقلّما يخلو العبد عنها، ويجمعها أصل واحد وهو «حبّ الدنيا ـ وذلك ـ رأس كلّ خطيئة»[٢]، وأساس كلّ نقصان، ومنبع كلّ فساد.

ومن انطوى باطنه على حبّ الدنيا حتّى مال إلى شيء منها، لا ليتزوّد منها ويستعين بها على الآخرة، فلا يطمعنّ في أن تصفو له لذّة المناجاة في الصلاة؛ فإنّ من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته. وهمّة الرجل مع قرّة عينه، فإن كانت الدنيا قرّة عينه انصرف لا محالة إليها همّه، ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة، وردّ القلب إلى الصلاة، وتقليل الأسباب الشاغلة.

وأمّا من كانت الدنيا معه وليس هو معها، وإنّما يصرفها حيث أمره الله تعالى، ويستعين بها على طاعة الله، ويتزوّد منها إلى الآخرة، وهمّته مجتمعة فيها يبقى، ويجعلها من أسباب الكمال ومقدّماته، فلا بأس عليه. فقد قال النبيّ ﷺ:

نعم العون على تقوى الله الغِنى[٣].

إلّا أنّ ذلك محلّ الغرور، وموضع تلبيس إبليس عليه لعنة الله، فليحذر المستيقظ عند ذلك، ولا يزال يراجع عقله، ويمتحن قلبه، حذراً من أن يدخل عليه الخطر والكدر، وهو لا يشعر، ولا برهان على ذلك أقوى من الوجدان.

فهذا هو الدواء المرّ، ولمرارته استبشعته أكثر الطباع، وبقيت العلّة مزمنة، وصار الداء عضالاً، حتّى إنّ الأكابر اجتهدوا أن يصلّوا ركعتين لا يحدّثون فيهما أنفسهم بأُمور الدنيا

---

١. هو أسير السواني على ما نسب إليه الغزالي في إحياء علوم الدين ١: ١٦٥.

٢. مأخوذ من رواية هشام عن الصادق عليه السلام ومحمّد بن مسلم بن عبيد الله عن عليّ بن الحسين عليه السلام، رواهما الكليني في الكافي ٢: ٣١٥ / ١، باب حبّ الدنيا والحرص عليها؛ والصدوق في الخصال: ٢٥ / ٨٧، باب الواحد.

٣. الكافي ٥: ٧١ / ١، باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة؛ الفقيه ٣: ٩٤ / ٣٥٧.

فعجزوا عن ذلك.

فإذاً لا مطمع فيها لأمثالنا، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها، أو ثلثها من الوسواس فنكون ممّن: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾[1].

وعلى الجملة، فهمّة الدنيا وهمّة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصبّ في قدح مملوء بالخلّ، فبقدر ما يدخل من الماء يخرج من الخلّ لا محالة ولا يجتمعان.

فتدبّر هذه الجملة وفّقك الله وإيّانا إلى الرشاد، وأوقفنا على مناهج السداد.

فهذا ما يتعلّق به الغرض من المقدّمة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً﴾ التوبة (٩): ١٠٢.

الفصل الأوّل

في المقدّمات

وهي واجبة ومندوبة.

فالواجبة: الطهارة، وإزالة النجاسة، وستر العورة، والمكان الذي يصلّى فيه، والوقت، والقبلة.

والمندوبة: كثيرة، كالمسجد، والأذان، والإقامة، والتوجّه بستّ تكبيرات.

ولكلّ واحدة من هذه المقدّمات وظائف قلبيّة، وأسرار خفيّة، يطلّع عليها بصفاء العقل، وحضور القلب. وما نذكره من الوظائف كالمَدرَج إلى الزيادة، والمرقاة إلى غيره من دقائق العبادة.

أمّا الطهارة:

فليستحضر في قلبه أنّ تكليفه فيها بغَسل الأطراف الظاهرة وتنظيفها؛ لاطّلاع الناس عليها، ولكون تلك الأعضاء مباشرة للأُمور الدنيويّة، منهمكة في الكدورات الدنيّة، فلأن يطهّر مع ذلك قلبه الذي هو موضع نظر الحقّ تعالى ـ فإنّه «لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[1] ـ ولأنّه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح، والمستخِدم لها في تلك الأُمور،

---

١. كما ورد في الحديث الذي مرّ تخريجه في ص ٢٣٢، الهامش (١).

والمبعّدة عن جنابه تعالى وتقدّس أولى وأحرى، بل هذا تنبيه واضح على ذلك وبيان شاف على ما هنالك.

وليعلم من تطهير تلك الأعضاء عند الاشتغال بعبادة الله تعالى، والإقبال عليه، والالتفات عن الدنيا بالقلب والحواسّ، لتلقّي السعادة في الأُخرى، أنّ الدنيا والآخرة ضرّتان كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الأُخرى؛ فلذلك أمر بالتطهير من الدنيا عند الاشتغال والإقبال على الأُخرى.

فأمر في الوضوء بغَسل الوجه؛ لأنّ التوجّه والإقبال بوجه القلب على الله تعالى به، وفيه أكثر الحواسّ الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا، فأمر بغَسله ليتوجّه به، وهو خال من تلك الأدناس، ويترقّى بذلك إلى تطهير ما هو الركن الأعظم في القياس.

ثمّ أمر بغَسل اليدين؛ لمباشرتهما أكثر أحوال الدنيا الدنيّة، والمشتهيات الطبيعيّة.

ثمّ بمسح الرأس؛ لأنّ فيه القوّة المفكّرة التي يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعيّة، وتتبعث الحواسّ حينئذٍ إلى الإقبال على الأُمور الدنيويّة، المانع من الإقبال على الآخرة السنيّة.

ثمّ بمسح الرجلين؛ لأنّ بهما يتوصّل إلى مطالبه، ويتوسّل إلى تحصيل مآربه ـ على نحو ما ذكر في باقي الأعضاء ـ وحينئذ يسوغ له الدخول في العبادة، والإقبال عليها فائزاً بالسعادة.

وأمر في الغُسل بغَسل جميع البشرة؛ لأنّ أدنى حالات الإنسان وأشدّها تعلّقاً وتملّكاً بالملكات الشهويّة حالة الجماع وموجبات الغسل؛ ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة، ولهذا قال صلى الله عليه وآله:

إنّ تحت كلّ شعرة جنابة[1].

فحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العليّة، منغمساً في اللذّات الدنيّة، كان غسله أجمع من أهمّ المطالب الشرعيّة؛ ليتأهّل لمقابلة الجِهَة الشريفة، والدخول في العبادة

١. فقه الرضا: ٨٣؛ سنن أبي داود ١: ٦٥ / ٢٤٨، باب الغسل من الجنابة؛ كنز العمّال ٩: ٣٨٥/ ٢٦٥٩٥.

المنيفة، ويبعد عن القوى الحيوانيّة، واللذّات الدنياويّة.

ولمّا كان للقلب من ذلك الحظّ الأوفر والنصيب الأكمل، كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل، والتوجّهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير تلك الأعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل.

وأمر في التيمّم بمسح تلك الأعضاء بالتراب عند تعذّر غسلها بالماء الطهور، وضعاً لتلك الأعضاء الرئيسة، وهضماً لها بتلقّيها بأثر التربة الخسيسة.

وهكذا يخطر أنّ القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيلة، وتحليته بالأوصاف الجميلة، فَلْيُقِمْهُ في مقام الهضم والإزراء، وليَسُقْهُ بسياط الذلّ والإغضاء، عسى أن يطّلع عليه مولاه الرحيم، وسيّده الكريم، وهو منكسر متواضع، فيهبه نفحة من نفحات نوره اللامع، فإنّه عند القلوب المنكسرة ـ كما ورد في الأثر[1] ـ فَتَرَقَّ من هذه الإشارات ونحوها إلى ما يوجب لك الإقبال، وتلافي سالف الإهمال.

ومن الأسرار الواردة في الأثر من نظائر ذلك قول الصادق عليه السلام:

إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله؛ فإنّ الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته، ودليلاً إلى بساط خدمته، وكما أنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد، كذلك النجاسات الظاهرة يطهّرها الماء لا غير. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[2]، ﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً طَهُوراً﴾[3]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾[4]. فكما أحيا به كلّ شيء من نعيم الدنيا، كذلك بفضله ورحمته جعل حياة القلوب بالطاعات. وتفكّر في صفاء الماء ورقّته، وطهوره وبركته، ولطيف امتزاجه بكلّ شيء، وفي كلّ شيء، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها، وأْتِ بآدابها في فرائضه وسننه، فإنّ تحت كلّ واحدة منها فوائدَ كثيرة إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب. ثمّ عاشِرْ خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي كلّ شيء حقّه ولا يتغيّر عن معناه، معتبراً

---

١. بحار الأنوار ٧٠: ١٥٧/٣. نقلاً عن دعوات الراوندي.

٢. الأعراف (٧): ٥٧.

٣. الفرقان (٢٥): ٤٨.

٤. الأنبياء (٢١): ٣٠.

لقول رسول الله ﷺ: مثل المؤمن الخالص كمثل الماء. ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهوراً. وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء[1].

وفي علل ابن شاذان عن الرضا عليه السلام:

إنّما أُمر بالوضوء؛ ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار، وعند مناجاته إيّاه، مطيعاً له فيما أمره، نقيّاً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل، وطرد النعاس، وتذكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبّار.

وإنّما وجب على الوجه واليدين، والرأس والرجلين؛ لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبّار فإنّما ينكشف عن جوارحه، ويظهر ما وجب فيه الوضوء، وذلك أنّه بوجهه يسجد ويخضع، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتّل، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده، وبرجليه يقوم ويقعد.

وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء؛ لأنّ الجنابة من نفس الإنسان وهي شيء يخرج من جميع جسده، والخلاء ليس هو من نفس الإنسان إنّما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب[2].

وأمّا إزالة النجاسة فالكلام فيها نحو الكلام في الطهارة في التذكير بتطهير القلب من نجاسة الأخلاق ومساوئها، فإنّك إذا أُمرت بتطهير ظاهر الجلد وهو القشر، وبتطهير الثياب وهي أبعد عن ذاتك، فلا تغفل عن تطهير لبّك الذي هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فَرَط، وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل، وطهّر بها باطنك فإنّه موقع نظر المعبود.

وتذكّر بتخلّيك لقضاء الحاجة نقصك وحاجتك، وما تشتمل عليه من الأقذار وما في باطنك وأنت تزيّن ظاهرك للناس، والله تعالى مطّلع على خبث باطنك، وخسّة حالك، واشتغل بإخراج نجاسات الباطن، والأخلاق الداخلة في الأعماق، المفسدة لك على الإطلاق؛ لتستريح نفسك عند إخراجها، ويسكن قلبك من دنسها، ويخفّ لبّك من ثقلها،

---

١. مصباح الشريعة: ٨٧، باب الطهارة؛ ورواه عن مصباح الشريعة النوري في مستدرك الوسائل ١: ٣٥٣ ـ ٣٥٤ / ٨٢٩.
٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١١١ ـ ١١٢.

وتصلح للوقوف على بساط الخدمة، والتأهّل للمناجاة، ولا تستر ما ظهر منك فلابدّ أن يظهر عليك ما بطن؛ لأنّ الطبيعة تظهر ما يَكِنّ فيها، فتفتضح حينئذٍ بما سترته عن الناس كما يفعل الله بكلّ مدلّس.

قال الصادق عليه السلام:

سمّي المستراح مستراحاً؛ لاستراحة النفوس من أثقال النجاسات، واستفراغ الكثيفات والقذر فيها، والمؤمن يعتبر عندها أنّ الخالص من حطام الدنيا كذلك تصير عاقبته، فيستريح بالعدول عنها وتركها، ويفرّغ نفسه وقلبه عن شغلها، ويستنكف عن جمعها وأخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر، ويتفكّر في نفسه المكرمة في حال، كيف تصير ذليلة في حال؟ ويعلم أنّ التمسّك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين، وأنّ الراحة في هوان الدنيا، والفراغ من التمتّع بها، وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة، فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إيّاها، ويفرّ من الذنوب، ويفتح باب التواضع والندم والحياء، ويجتهد في أداء أوامره، واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب، وطيب الزلفى، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكفّ عن الشهوات إلى أن يتّصل بأمان الله في دار القرار، ويذوق طعم رضاه، فإن المعوّل [على] ذلك وما عداه لا شيء[1].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وأمّا ستر العورة:

فاعلم أنّ معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإنّ ظاهر بدنك موقع نظر الخلق، فما رأيك في عورات باطنك ومقابح سرّك التي لا يطّلع عليها إلّا ربّك؟

فاحضر تلك المقابح ببالك، وطالب نفسك بسترها، وتحقّق أنّه لا يستر عن عين الله تعالى ساتر، وإنّما يسترها ويكفّرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانهما فتذلّ بها نفسك، ويستكين تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه بانكسار رأسه من الحياء والخوف.

قال الصادق عليه السلام:

---

١. مصباح الشريعة: ٨٣، باب بيان مبرز؛ ورواه عنها النوري في مستدرك الوسائل ١: ٢٦٦ / ٥٥٧.

أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى، وأنعمه الإيمان، فإنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1]. وأمّا لباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم، وهي كرامة أكرم الله بها عباده من ذريّة آدم عليه السلام ما لم يكرم غيرهم، وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم. وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عزّ وجلّ بل يقرّبك من شكره وذكره وطاعته، ولا يحملك فيها إلى العجب والرياء، والتزيّن والمفاخرة والخُيلاء، فإنّها من آفات الدين، ومورثة القسوة في القلب. وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله تعالى عليك ذنوبك برحمته، وألبس باطنك بالصدق، كما ألبست ظاهرك بثوبك. وليكن باطنك في ستر الرهبة، وظاهرك في ستر الطاعة، واعتبر بفضل الله عزّ وجلّ؛ حيث خلق أسباب اللباس لستر العورات الظاهرة، وفتح أبواب التوبة والإنابة ليستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء، ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه، واشتغل بعيب نفسك، واصفح عمّا لا يعنيك حاله وأمره، واحذر أن تفني عمرك بعمل غيرك، ويتّجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك؛ فإنّ نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل، وأوفر أسباب العقوبة في الآجل. وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله تعالى، ومعرفة عيوب نفسه، وترك ما يشين في دين الله، فهو بمعزل عن الآفات، خائض في بحر رحمة الله عزّ وجلّ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان. وما دام ناسياً لذنوبه، جاهلاً بعيوبه، راجعاً إلى حوله وقوّته، فلا يفلح إذن أبداً[2].

وأمّا المكان:

فاستحضر فيه أنّك كائن بين يدي ملك الملوك، تريد مناجاته والتضرّع إليه، والتماس رضاه، ونظره إليك بعين الرحمة، فانظر مكاناً يصلح لذلك، كالمساجد الشريفة، والمشاهد المطهَّرة مع الإمكان، فإنّه تعالى جعل تلك المواضع محلّاً لإجابته، ومظنّة لقبوله ورحمته، ومعدناً لمرضاته ومغفرته، على مثال حضرة الملوك الذين يجعلونها وسيلة لذلك. فادخلها ملازماً للسكينة والوقار، مراقباً للخشوع والانكسار، سائلاً أن يجعلك من خاصّ عباده، وأن يلحقك بالماضين منهم.

---

١. الأعراف (٧): ٢٦.

٢. مصباح الشريعة: ٦٩، باب بيان اللباس؛ ورواه عنها النوري في مستدرك الوسائل ٣: ٣٢٤ ـ ٣٢٥ / ٣٦٩٧.

وراقب الله كأنّك على الصراط جائز، وكن متردّداً بين الخوف والرجاء، وبين القبول والطرد، فيخشع حينئذٍ قلبك، ويخضع لبُّك، وتتأهّل لأن تفيض عليك الرحمة، وتنالك يد العاطفة، وترعاك عين العناية.

قال الصادق عليه السلام:

إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنّك قصدت باب ملك عظيم لا يطأ بساطه إلّا المطهّرون، ولا يؤذن لمجالسته إلّا الصدّيقون، وهَبِ القدوم إلى بساط خدمة الملك هيبةَ الملك، فإنّك على خطر عظيم إن غفلت. واعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك، فإن عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة، وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً، وإن طالبك باستحقاقه الصدق والإخلاص عدلاً بك حجبك، وردّ طاعتك وإن كثرت، وهو فعّال لما يريد. واعترف بعجزك وتقصيرك وانكسارك، وفقرك بين يديه، فإنّك قد توجّهت للعبادة له، والمؤانسة به، وأخلِ قلبك عن كلّ شاغل يحجبك عن ربّك فإنّه لا يقبل إلّا الأطهر والأخلص، فإن ذقت من حلاوة مناجاته، ولذيذ مخاطباته، وشربت بكأس رحمته وكراماته، من حسن إقباله وإجاباته، فقد صلحتَ لخدمته، فادخل فلك الإذن والأمان، وإلّا فقف وقوف مضطّر قد انقطع عنه الحيل، وقصر عنه الأمل، وقضى عليه الأجل. فإذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه، نظر إليك بعين الرأفة والرحمة، واللطف والعطف، ووفّقك لما يحبّ ويرضى، فإنّه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطرّين إليه، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[1].

وأمّا الوقت:

فاستحضر عند دخوله أنّه ميقات جعله الله تعالى لك لتقوم فيه بخدمته، وتتأهّل للمثول في حضرته، والفوز بطاعته.

وليظهر على قلبك السرور، وعلى وجهك البهجة عند دخوله؛ لكونه سبباً لقربك، ووسيلة إلى فوزك، فاستعدّ له بالطهارة والنظافة، ولبس الثياب الصالحة للمناجاة، كما

---

١. مصباح الشريعة: ٩٩، باب الدخول في المساجد؛ ورواه عنها النوري في مستدرك الوسائل ٣: ٤٣٧ ـ ٤٣٨ / ٣٩٤٦. والآية في النمل (٢٧): ٦٢.

تتأهّب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا، وتلقاه بالوقار والسكينة، والخوف والرجاء، فإنّ الرحمة عميمة، والفضل قديم، والأخذ والاستدراج مستحقّق، والطرد عند التقصير متوجّه، فكن بين ذلك قواماً.

والزم الخضوع والخشوع، والذلّ والانكسار، فإنّه تعالى عند الموصوف بذلك، ومثّل في نفسك لو أنّ ملكاً من ملوك الأرض وعدك بأن يكتبك في وقت معيّن من خواصّه، والقائمين بين يديه ببعض خدمته، ويخاطبك وتخاطبه على طريق الانبساط والأُنس في مخاطباتك، وتطلب منه ما تحتاج إليه من مهمّاتك، ويجعلك عنده من مقرّبي العباد، ويخلع عليك خلعةً سنيّة بين الأشهاد، ويجعل ذلك إلى مدّة طويلة، وغاية بعيدة، مع أنّه لا يؤثّر ذلك في حظّك عند الله تعالى بل يزيده، أما كنت تنتظر ذلك الوقت قبل إبّانه[1]، وتهتمّ له قبل أوانه، وتفرح بقربه فضلاً عن دخوله، وتزيد بهجتك وسرورك عند وصوله؟

فلا تجعل عناية الله جلّ جلاله بك، وإعدادك لمخاطبتك له ومخاطبته لك، وكتبه إيّاك في ديوان المقرّبين بالصلاة التي هي أفضل الأعمال، وبسجودها أوجَبِ القرب إلى حضرته، والفوز بمحبّته، كما ورد في كتابه الحكيم، ووعد به رسوله الكريم[2]، وخلعته الدائمة في الدار الصافية، دون تقريب ملك من ملوك الدنيا مع عجزه عن نفعك بدون توفيق الله تعالى لك، وعدم الوثوق الحقيقي بوفائه ودوامه مدّة يسيرة على تقدير وقوعه.

ومن هنا كان النبيّ ﷺ ينتظر وقت الصلاة، ويشتدّ شوقه، ويترقّب دخوله، ويقول لبلال مؤذّنه: «أرحْنا يا بلال»[3].

أشار بذلك إلى أنّه في تعب شديد من عدم اشتغاله بهذه التكليفات، وقيامه بوظائف الصلاة وإن كان سرّه لا يخلو من ضروب من المناجاة، إلّا أنّ قُرّة عينه في الصلاة كما قال عليه أفضل الصلوات والتحيّات[4].

---

١. إبّان الشيء: أوانه. المعجم الوسيط: ١، «أ ب ن».

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ العلق (٩٦): ١٩.

٣. مجمع الزوائد ١: ١٤٥؛ إحياء علوم الدين ١: ١٦٥.

٤. الخصال ١: ١٦٥ / ٢١٧ ـ ٢١٨، باب الثلاثة.

ثمّ استشعر بعد هذه البهجة خشية الله تعالى في الوقوف بين يديه و أنت ملطّخ بكدوراتك النفسانيّة، وعلائقك الدنيويّة، وعوائقك البدنيّة، فإنّ استشعار الخوف شعار الكاملين، كما أنّ الغفلة عن ذلك علامة المطرودين، كما قد عرفته في تضاعيف الأسرار، وجملة الآثار.

واستحضر عظمة الله وجلاله، ونقصان قدرك وكماله.

وقد روي عن بعض أزواج النبيّ أنّها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحدّثنا ونحدّثه، فإذا حضر وقت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه، شغلاً بالله عن كلّ شيء»[1].

وكان عليّ عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل، فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحلمنها وأشفقن منها[2].

وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا حضر للوضوء اصفرّ لونه، فيقال له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: ما تدرون بين يدي مَن أقوم[3]؟

وكلّ ذلك إشارة إلى استحضار عظمة الله تعالى، والالتفات إليه حال العبادة، والانقطاع عن غيره.

وإذا سمعت نداء المؤذّن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمّر بباطنك وظاهرك للمسارعة والإجابة، فإنّ المسارعين إلى هذا النداء، هم الذين ينادَون باللطف يوم العرض الأكبر، فاعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار، ومستعدّاً بالرغبة إلى الابتدار، فاعلم أنّه يأتيك النداء بالبُشرى، والفوز يوم القضاء.

واعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله، واختتمت بالله؟

واعتبر ذلك أنّ الله عزّ وجلّ هو الأوّل والآخر، والظاهر والباطن.

ووطّن قلبك بتعظيمه وتكبيره عند سماع التكبير، واستحضر الدنيا وما فيها لئلّا تكون

---

١. عدّة الداعي: ١٣٩؛ إحياء علوم الدين ١: ١٥٠، ١٦٣.

٢. إحياء علوم الدين ١: ١٥١.

٣. إحياء علوم الدين ١: ١٥١؛ بحار الأنوار ٧٧: ٣٤٧ عن أسرار الصلاة.

كاذباً في تكبيرك، وانفِ عن خاطرك كلّ معبود سواه بسماع التهليل، واحضِر النبيّ ﷺ، وتأدّب بين يديه، واشهد له بالرسالة مخلصاً، وصلّ عليه وعلى آله، وحرّك نفسك واسْعَ بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى الصلاة، وما يوجب الفلاح، وما هو خير الأعمال وأفضلها، وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه، واختمه بذكره كما افتتحت به، واجعل مبدأك منه، وعودك إليه، وقوامك به، واعتمادك على حوله وقوّته، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وأمّا الاستقبال:

فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجِهات إلى جهة بيت الله تعالى.

أفترى أنّ صرف القلب عن سائر الأُمور إلى أمر الله تعالى ليس مطلوباً منك؟! هيهات بل لا مطلوب سواه.

وإنّما هذه الظواهر محرّكات للبواطن، ووسائل إليها، ومعارج يترقّى منها إليها، وضبط للجوارح وتسكين لها بالثبات على جِهة واحدة، حتّى لا تبغي على القلب، فإنّها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتاتها إلى جِهاتها استتبعت القلب، وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك.

ومن هنا جاء قول النبيّ ﷺ:

أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار؟[1].

فإنّ ذلك نهي عن الالتفات عن الله تعالى، وملاحظة عظمته في حال الصلاة، فإنّ الملتفت يميناً وشمالاً ملتفت عن الله تعالى، وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه، ومن كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفلة عليه، فيتحوّل وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة عقليّته للأُمور العلويّة، وعدم إكرامه بشيء من العلوم، والقرب إلى الله تعالى.

واعلم أنّه كما لا يتوجّه الوجه إلى جِهة البيت إلّا بالصرف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلّا بالتفرّغ عمّا سوى الله تعالى، وقد قال النبيّ ﷺ:

---

١. إحياء علوم الدين ١: ١٤٨.

إذا قام العبد إلى صلاته وكان هواه وقلبه إلى الله تعالى، انصرف كيوم ولدته أُمّه[١].

و قال الصادق عليه السلام:

إذا استقبلت القبلة فآيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك عن كلّ شاغل يشغلك عن الله تعالى، وعاين بسرّك عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه يوم، تبلو كلّ نفس ما أسلفت، وردّوا إلى الله مولاهم الحقّ، وقف على قدم الخوف والرجاء[٢].

فإذا توجّهت بالتكبيرات، فاستحضر عظمة الله سبحانه، وصغّر نفسك وخسّة عبادتك في جنب عظمته، وانحطاط همّتك عن القيام بوظائف خدمته، واستتمام حقائق عبادته، وتفكّر عند قولك: اللهمّ أنت الملك الحقّ[٣] في عظيم ملكه، وعموم قدرته، واستيلائه على جميع العوالم.

ثمّ ارجع على نفسك بالذلّ والانكسار، والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولك: عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت[٤].

وأحضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة، ومثّل نفسك بين يديه، وأنّه قريب منك يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ويسمع نداءه، وأنّ بيده خير الدنيا والآخرة لابيد غيره، عند قولك: لبيّك وسعديك والخير في يديك[٥].

ونزّهه عن الأعمال السيّئة، وأفعال الشرّ، وأبدله بها محض الهداية والإرشاد عند قولك: والشرّ ليس إليك[٦].

وارغب لهدايته عند قولك: والمهديّ من هديت[٧].

واعترف له بالعبوديّة وأنّ قوام وجودك وبدأه ومعاده منه بقولك: عبدك وابن عبديك، منك وبك ولك وإليك[٨].

أي: منك وجوده، وبك قوامه، ولك ملكه، وإليك معاده، ﴿وَهُوَ الَّذي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ

---

١. إحياء علوم الدين ١: ١٦٦.

٢. مصباح الشريعة: ١٠٥، باب افتتاح الصلاة.

٣. فقه الرضا: ١٠٤؛ الكافي ٣: ٣١٠ / ٧، باب افتتاح الصلاة؛ التهذيب ٢: ٦٧ / ٢٤٤.

٤ و ٥ و ٦ و ٧. فقه الرضا: ١٠٤؛ الكافي ٣: ٣١٠ / ٧، باب افتتاح الصلاة؛ التهذيب ٢: ٦٧ / ٢٤٤.

٨. فقه الرضا: ١٠٤؛ فلاح السائل: ٢٢٧.

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ، وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[1].

فأحضر في ذهنك هذه الحقائق وترَقَّ منها إلى ما يفتح عليك من الأسرار والدقائق، وتلقّي الفيض من العالم الأعلى، فإنّ أبوابه لا تنسدّ عن أحد من القوابل، ولا يخيب لديه أمل آمل.

اللهمّ أهِّلْنا لقبول طوالع أسرارك، وكمّلنا بالوصول إلى لوامع أنوارك، واجعلنا من الواقفين على كراسي إراداتك، العاكفين على بساط كراماتك، وتمّمنا من هذا النقصان، واهدنا إلى طريق الرضوان، وجد علينا بلطيف الإحسان، وأعذنا من صفقة الخسران و ﴿آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً﴾[2].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١. الروم (٣٠): ٢٧.
٢. الكهف (١٨): ١٠.

الفصل الثاني

في المقارنات

وهي ثمانية:

الأُولى: القيام

ووظيفته القلبيّة: تذكّر أنّك قائم بين يدي الله تعالى، وهو مطّلع على سريرتك، عالم بما تخفي وما تعلن، وهو أقرب إليك من حبل الوريد، فاعبده كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك[1].

وانصب قلبك بين يديه كما نصبت شخصك، وطأطئ رأسك الذي هو أرفع أعضائك، مطرقاً مستكيناً.

وألزم قلبك التواضع والخشوع والتذلّل، والتبرّي عن الترؤّس والتكبّر كما وضعت رأسك.

وقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان، فإن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله، فإنّك تجد وجداناً ضرورياً أنّك تنقهر عند مكالمة الملك ومحاورته، وتلزم معه السكون والخضوع، وربما يتبع ذلك رِعْدَة[2] البدن، وتَلَعْثُم[3] اللسان. ومنشأُ ذلك كلّه الخوف الحادث

---

١. مأخوذ من النبويّ الذي تقدّم تخريجه في ص ٢٢٧، الهامش (٣).

٢. الرِعدة: اضطراب الجسم من فزع، أو حُمّى، أو غيرهما. المعجم الوسيط: ٣٥٣، «رع د».

٣. تَلَعْثَمَ: ضاق لسانه عن الكلام، وخلّط في حروفه.

عن تصوّر عظمته، فكيف بتصوّر جبّار الجبابرة، وملك الدنيا والآخرة؟! فعند ذلك يحصل لك الخوف الذي هو المقصد الذاتي من المعارف.

وكذلك يحصل الرجاء عند تصوّر عظمته، واستشعار أنّ الكلّ منه، فإنّ ذلك باعث على رجائه، وقد تأكّد ذلك بالآيات الواردة في باب الخوف والرجاء.

وكذلك يستلزم ذا الحياء منه؛ لأنّ المتصوّر عظمة الأمر لا يزال مستشعراً تقصيراً، ومتوهّماً ذنباً، وذلك الاستشعار والتوهّم يوجب الحياء من الله تعالى.

وهذه أُمور مطلوبة من العابد بل قدّر في دوام قيامك في صلاتك أنّك ملحوظ ومرقوب بعين كالِئةٍ من رجل صالح من أهلك، وممّن ترغب أن يعرفك بالصلاح، فإنّه تهدأ عند ذلك أطرافك، وتخشع جوارحك، وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلّة الخشوع.

وإذا أحسست من نفسك بالتماسك والثبات عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: يا نفس، تدّعين معرفة الله تعالى، أفما تستحين من استجرائك عليه مع توقيركِ عبداً من عباده، أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحقّ أن يُخشى؟!.

ألا تستحين من خالقكِ ومولاكِ إذا قدّرت اطّلاع عبد ذليل من عباده عليكِ، وليس بيده خيركِ ولا نفعكِ ولا ضرّكِ، وخشعَت لأجله جوارحكِ، وحسّنتِ صلاتكِ ثمّ إنّكِ تعلمين أنّه مطّلع عليكِ فلا تخشعين لعظمته؟! أهوَ أهْوَن عندكِ من عبد من عباده؟ فما أشدّ طغيانكِ وجهلكِ، وما أعظم عداوتكِ لنفسكِ!

ولذلك لمّا قيل للنبيّ ﷺ: كيف الحياء من الله تعالى؟ فقال النبيّ ﷺ:

تستحيي منه كما تستحيي من رجل صالح من قومك[1].

وأمّا دوام القيام، فهو تنبيه على إدامة القلب مع الله تعالى على نعت واحد من الحضور، قال النبيّ ﷺ:

إنّ الله مقبل على العبد ما لم يلتفت[2].

---

١. إحياء علوم الدين ١: ١٦٦.

٢. سنن النسائي ٣: ٨، باب التشديد في الالتفات في الصلاة؛ سنن أبي داود ١: ٢٣٩ / ٩٠٩، باب الالتفات في الصلاة؛ إحياء علوم الدين ١: ١٦٨.

وكما تجب حراسة العين والرأس عن الالتفات إلى غير الصلاة، فكذلك تجب حراسة السرّ عن الالتفات إلى غير الصلاة، فإن التفت إلى غيرها فذكّره باطّلاع الله تعالى عليك، وقبح التهاون بالمناجَى مع غفلة المناجي، ليعود إلى التيقّظ.

وألزَم الخشوع الباطني، فإنّه ملزوم الخشوع ظاهراً، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر.

قال النبيّ ﷺ ـ وقد رأى مصلّياً يعبث بلحيته ـ:

أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه[1]؟

فإنّ الرعيّة بحكم الراعي؛ ولهذا ورد في الدعاء: «اللهمّ أصلح الراعي والرعيّة». وهو القلب والجوارح[2].

وكلّ ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا، فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك وجبّار الجبابرة؟ ومن يطمئنّ بين يدي غير الله تعالى خاشعاً ثمّ تضطرب أطرافه بين يدي الله تعالى فذلك لقصور معرفته عن جلال الله تعالى، وعن اطّلاعه على سرّه وضميره، وتدبّر قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[3].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الثانية: النيّة

ووظيفتها العزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والكفّ عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء ثوابه، وطلب القربة منه إن عجزت عن مرتبة عبادته، لكونه أهلاً للعبادة التي هي عبادة الأحرار. فإذا فاتتك درجة الأحرار الأبرار فلا تفوتك درجة التجّار وهي العمل رجاءً للعوض، فإن فاتتك هذه المرتبة فاجلس مع العبيد في مجالسهم، وشاركهم في مقاصدهم، فإنّهم إنّما يعملون ويخدمون في الغالب خوفاً من الضرب والعقوبة، وهي غاية الخوف من العقاب.

وتقلّد في نيّتك وقصدك المنّة للّه تعالى وتقدّس بإذنه إيّاك في المناجاة مع سوء أدبك،

---

١. إرشاد القلوب ١: ٢٢٦؛ دعائم الإسلام ١: ١٧٤؛ كنز العمّال ٨: ١٩٧ / ٢٢٥٣٠.

٢. إحياء علوم الدين ١: ١٦٩.

٣. الشعراء (٢٦): ٢١٨ ـ ٢١٩.

وكثرة عصيانك.

وعظّم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي؟ وكيف تناجي؟ وبما تناجي؟ وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجلة، وترتعد فرائصك من الهيبة، ويصفرّ وجهك من الخوف، كما روي في ما تقدّم عن بعض أزواج النبيّ ﷺ، قالت: «كان رسول الله يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه، شغلاً بالله عن كلّ شيء»[١].

وقال الصادق عليه السلام:

الإخلاص بجميع حواصل الأعمال، وهو معنىً مفتاحه القبول، وأدنى حدّ الإخلاص بذل العبد طاقته، ثمّ لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربّه مكافأة لعمله، فإنّه لو طالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام، وفي الآخرة النجاة من النار، والفوز بالجنّة[٢].

وقال الصادق عليه السلام:

صاحب النيّة الصادقة، صاحب القلب السليم؛ لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات تُخلَص النيّة لله في الأُمور كلّها.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣].

ثمّ النيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة، وتختلف على حسب اختلاف الإيمان، في معنى قوّته وضعفه. وصاحب النيّة الخالصة، نفسه وهواه معه مقهوران تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه[٤].

الثالثةُ: التكبير

ومعناه أنّ الله تعالى سبحانه أكبر من كلّ شيء، أو أكبر من أن يوصف، أو من أن يدرك بالحواسّ، أو يقاس بالناس، فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذّبه قلبك، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد إنّك لكاذب وإن كان الكلام صدقاً، كما شهد على

---

١. تقدّمت في ص ٢٤٤، الهامش (١).

٢. مصباح الشريعة: ٤٦٩، باب الإخلاص.

٣. الشعراء (٢٦): ٨٨ ـ ٨٩.

٤. مصباح الشريعة: ٤٣، باب النيّة.

المنافقين في قولهم: إنّه ﷺ رسول الله[١].

فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله، وأنت أطوع له منك للّه، فقد اتّخذته إلهك وكبّرته، فيوشك أن يكون قولك: «الله أكبر» كلاماً باللسان المجرّد، وقد تخلّف القلب عن مساعدته. وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظنّ بكرم الله وعفوه!

قال الصادق عليه السلام:

إذا كبّرت فاستصغر ما بين السماوات العلى والثرى دون كبريائه؛ فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر، وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال: يا كاذب، أتخدعني؟! وعزّتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري، ولأحجبنّك عن قربي والمسارّة بمناجاتي[٢].

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك، فإن كنت تجد حلاوتها، وفي نفسك سرورها وبهجتها، وقلبك مسروراً بمناجاته، ملتذّاً بمخاطباته، فاعلم أنّه قد صدّقك في تكبيرك له، وإلّا فقد عرفت من سلب لذّة المناجاة، وحرمان حلاوة العبادة، أنّه دليل على تكذيب الله لك، وطردك عن بابه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأمّا دعاء التوجّه:

فأوّل كلماته قولك: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْض». وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر، فإنّك إنّما وجّهته إلى جهة القبلة، والله سبحانه تقدّس من أن تحدّه الجهات حتّى تقبل بوجه بدنك عليه، وإنّما وجه القلب هو الذي يتوجّه به إلى الله فاطر السماوات والأرض.

فانظر إلى وجه قلبك أمتوجّه هو إلى أمانيه، وهمّه في البيت والسوق وغيرهما، متبع للشهوات، أم مقبل على فاطر السماوات؟

وإيّاك أن تكون مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق، فيصرف وجه رحمته عنك

---

١. حكى الله تعالى ذلك عنهم في سورة المنافقون (٦٣): ١.

٢. مصباح الشريعة: ١٠٥، باب افتتاح الصلاة.

وقبوله في ما بقي على الإطلاق، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلّا بالانصراف عمّن سواه. فإنّ القلب بمنزلة مرآة وجهها صقيل، وظهرها كَمِد[١] لا يقبل انطباع الصور، فإذا توجّهت إلى شيء انطبع فيها، واستدبرت غيره، ولا يمكن انطباعه. ولهذا كانت الدنيا والآخرة ضرّتين، كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الأُخرى.

فاجتهد في الحال في صرفه إليه، وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقاً عسى أن يسامحك في الغفلة بعد ذلك.

وإذا قلت: «حنيفاً مسلماً» فينبغي أن تحضر في بالك أنّ المسلم هو الذي سلم المسلمون من يده ولسانه[٢].

فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً، فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال، وتندم على ما سبق من الأحوال.

وإذا قلت: «وما أنا من المشركين» فاحضر ببالك الشرك الخفيّ وأنّ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[٣]، جعل من يقصد بعبادة ربّه وجَه الله وحمدَ الناس مشركاً، فاستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنّك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك، فإنّ اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه.

وإذا قلت: «محياي ومماتي للّه» فاعلم أنّ هذا حال عبد مفقود لنفسه، موجود لسيّده، وأنّه إن صدر ممّن غضبه ورضاه، وقيامه وقعوده، ورغبته في الحياة، ورهبته من الموت لأُمور الدنيا، لم يكن ملائماً للحال.

الرابعة: القراءة

ووظائفها لا تكاد تنحصر، ولا تحيط بها قوّة البشر، وإنّ الاعتناء بشأنها يخرج عن وضع

---

١. في بعض النسخ «كدر». والكُمْدَة: تغيّر اللون وذَهاب صفائه. المعجم الوسيط: ٧٩٨، «ك م د».

٢. إشارة إلى النبويّ المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام في الكافي ٢: ٢٣٥، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح ١٩؛ وعن النبيّ صلى الله عليه وآله في كنز العمّال ١: ١٤٩ / ٧٣٨ ـ ٧٤٠.

٣. الكهف (١٨): ١١٠.

الرسالة؛ لأنّها حكاية كلام الله جلّ جلاله، المشتمل على الأساليب العجيبة، والأوضاع الغريبة، والأسرار الدقيقة، والحكم الأنيقة. وليس المقصود منها مجرّد حركة اللسان، بل المقصود معانيها وتدبُّرها؛ ليستفيد منها حكمةً وحقائقَ وأسراراً، وترغيباً وترهيباً، وأمراً ونهياً، ووعداً ووعيداً، وذكر أنبيائه ونعمه، إلى غير ذلك من الفوائد.

فإذا قلت: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فاعلم أنّه عدوّك، ومترصّد لصرف قلبك عن الله تعالى؛ حسداً لك على مناجاتك مع الله تعالى، وسجودك له، مع أنّه لعن بسبب سجدة واحدة تركها. وأنّ استعاذتك بالله منه بتركك ما يحبّه وتبديله بما يحبّ الله تعالى، لا بمجرّد قولك: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

فإنّ من قصده سَبُعٌ أو عَدوٌّ ليفترسه أو يقتله، فقال: أعوذ منك بذلك الحصن الحصين، وهو ثابت في مكانه، فإنّ ذلك لا ينفعه بل لا يفيده إلّا تبديل المكان. فكذلك من يتبّع الشهوات التي هي محلّ الشيطان ومكاره الرحمن، فلا يغنيه مجرّد القول، فليقرن قوله بالعزم على التعوّذ بحصن الله تعالى من شرّ الشيطان، وحصنُه: «لا إله إلّا الله»؛ إذ قال الله تعالى في ما أخبر عنه نبيّنا صلى الله عليه وآله: «لا إله إلّا الله حصني»[1]. والمتحصّن به من لا معبود له سوى الله تعالى.

فأمّا من اتّخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله.

ومن دقائق مكائده أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبُّر فعل الخيرات؛ ليمنعك عن فهم ما تقرأ.

فاعلم أنّ كلّ ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس، فإنّ حركة اللسان غير المقصودة، بل المقصود معانيها كما مرّ.

والناس في القراءة على ثلاثة أقسام:

فمنهم: من يحرّك لسانه بها ولا يتدبّر قلبه لها، وهذا من الخاسرين الداخلين في توبيخ الله سبحانه وتهديده بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2]، ودعاء نبيّه صلى الله عليه وآله:

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٤ / ٢، باب ٣٧؛ أمالي الطوسي: ٢٧٩ / ٧٤، المجلس العاشر.

٢. سورة محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧): ٢٤.

ويل لمن لاكها بين لحييه ثمّ لا يتدبّرها[١].

ومنهم: من يحرّك لسانه، وقلبه يتبع اللسان، فيسمع ويفهم منه كأنّه يسمعه من غيره، وهذه درجة أصحاب اليمين.

ومنهم: من يسبق قلبه إلى المعاني أوّلاً، ثمّ يخدم اللسان قلبه فيترجمه، وهذه درجة المقرّبين.

وفرق جليّ بين أن يكون اللسان ترجمان القلب ـ كما في هذه الدرجة ـ وبين أن يكون معلّمه ـ كما في الدرجة الثانية ـ فالمقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

ترجمة الحمد:

وتفصيل ترجمة المعاني ـ على سبيل الاختصار ـ: أنّك إذا قلت: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فانو به التبرّك لابتداء القراءة بكلام الله تعالى، وافهم أنّ معناه أنّ الأُمور كلّها بالله، وأنّ المراد ها هنا بالاسم هو المسمّى، وإذا كانت الأُمور كلّها بالله فلا جرم كان ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾ [ومعناه أنّ الشكر للّه؛ إذ النعم من الله، ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله بشكر لا من حيث أنّه مسخّر من الله، ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله.

فإذا قلت: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فأحضِر في قلبك أنّ العالمين كلّها مربوب مثلك بربوبيّته، مستغرق في نعمته.[٢]]

فإذا قلت: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فأحضِر في قلبك أنواع لطفه لتتضّح لك رحمته، فينبعث بها رجاؤك.

ثمّ استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أمّا العظمة؛ فلأنّه لا ملك إلّا له، وأمّا الخوف؛ فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه.

ثمّ جدّد الإخلاص بقولك: ﴿إِيّاكَ نَعْبُدُ﴾ [وجدّد العجز والاحتياج والتبرُّؤَ عن حولك

---

١. مجمع البيان ١: ٥٥٤، ذيل الآيات ١٩٠ ـ ١٩٤ من آل عمران (٣).

٢. ما بين معقوفتين [ومعناه أنّ.... مستغرق في نعمته] أضفناها من «ب»، وليست في سائر النسخ.

وقوّتك، بقولك: [١] ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وتحقّق أنّه ما تيسّرت طاعتك إلّا بإعانته، وأنّ المنّة له؛ إذ وفّقك لطاعته، واستخدمك لعبادته، وجعلك أهلاً لمناجاته. ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان الرجيم اللعين.

ثمّ إذا فرغت عن التفويض بقولك: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وعن التحميد، وعن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعيّن سؤالك، ولا تطلب إلّا أهمّ حاجاتك، وقل: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي يسوقنا إلى جوارك، ويفضي بنا إلى مرضاتك.

وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيداً، واستشهد بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، دون الذين غضب الله تعالى عليهم من الكفّار الزائغين من اليهود والنصارى والصابئين.

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون ممّن قال الله تعالى فيهم فيما أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله:

قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، يقول العبد: الحمد للّه ربّ العالمين، فيقول الله: حمدني عبدي وأثنى عليَّ [٢].

وهو معنى قوله:

سمع الله لمن حمده [٣].

فلو لم يكن من صلاتك حظّ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته، فناهيك به غنيمةً فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله؟.

وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السورة فلا تغفل عن أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه وأخبار أنبيائه، وذكر مننه وإحسانه. فلكلّ واحد حقّ، فالرجاء حقّ الوعد، والخوف حقّ الوعيد، والعزم حقّ الأمر والنهي، والاتّعاظ حقّ الموعظة، والشكر حقّ تذكّر المنّة، والاعتبار حقّ أخبار الأنبياء.

---

١. ما بين معقوفتين [وجدّد العجز .... بقولك] أضفناها من «ب»، وليست في سائر النسخ.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٥٨ ـ ٥٩ / ٣٠؛ أمالي الصدوق: ١٤٧ ـ ١٤٨ / ١، المجلس ٣٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٩ / ٥٩، باب ٢٨.

٣. كنز العمّال ٨: ١٢٥ / ٢٢٢١١ و ١٢٦ / ٢٢٢٢٠.

فيما يتعلّق بقراءة القرآن:

وتفصيل وظيفة قراءة القرآن لا يحتمله هذا المحلّ لكنّا نذكر جملةً منه في آخر الفصل.

وبالجملة، ففهم معاني القرآن يختلف بحسب درجات الفهم، والفهم يختلف بحسب وفور العلم وصفاء القلب، ودرجات ذلك لا تنحصر. والصلاة مفتاح القلوب، فيها تنكشف أسرار الكلمات. فهذا حقّ القراءة وهو أيضاً حقّ الأذكار والتسبيحات.

ثمّ تراعي الهيئة في القراءة زيادة على التدبّر فرتّل ولا تسرد[١]؛ فإنّ ذلك أيسر للتأمّل. وتفرّق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب، والوعد والوعيد، والتحميد والتمجيد والتعظيم.

ورُوي أنّه:

يقال لقاريْ القرآن: اقرأ وارق ورتّل، كما كنت ترتّل في الدنيا[٢].

ومن وظائف القراءة من الأثر قول الصادق عليه السلام:

من قرأ القرآن ولم يخضع له، ولم يَرِقّ قلبه، ولم ينشئ حزناً ووجلاً في سرّه، فقد استهان بعظم شأن الله تعالى وخسر خُسراناً مبيناً. فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خالٍ، فإذا خشع للّه قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٣]، فإذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فَيحرمه نور القرآن وفوائده. وإذا اتّخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق ـ بعد أن أتى بالخصلتين الأُوليين[٤] ـ استأنس روحه وسرّه بالله، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين، وعظم لطفه بهم، ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته، وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً، ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة؛ لأنّ فيه المناجاة مع الربّ بلا واسطة. فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك، ومنشور ولايتك؟ وكيف تجيب أوامره ونواهيه؟ وكيف تتمثّل حدوده؟ «فإنَّهُ كِتابٌ عَزيزٌ لا يَأتيهِ

---

١. سرد القرآن: تابع قراءته في حَدر منه. لسان العرب ٣: ٢١١، «س ر د».

٢. سنن الترمذي ٥: ١٧٧ / ٢٩١٤؛ إحياء علوم الدين ١: ١٦٨.

٣. النحل (١٦): ٩٨.

٤. يعني خضوع القلب وفراغ البدن.

الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»[1]، فرتّله ترتيلاً، وقِفْ عند وعده ووعيده، وتفكّر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده[2].

الخامسةُ: الركوع

فإذا وصلت إليه فجدّد على قلبك ذكر كبرياء الله تعالى وعظمته، وخساسة كلّ ما سواه وتلاشيه، فارفع يديك له، وقل: «الله أكبر»، مستجيراً في رفعك بعفو الله من عقابه، ومتّبعاً سنّة نبيّه، ثمّ تستأنف له ذلّاً وتواضعاً بركوعك، واجتهد في ترقيق قلبك، وتجديد خشوعك، واستشعر ذلك وعزّ مولاك، واتّضاعك وعلوّ ربّك، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبّح ربّك وتنزّهه، وتشهد له بالعظمة والكبرياء، وأنّه أعظم من كلّ عظيم بقولك: «سبحان ربّي العظيم وبحمده». وتكرّر ذلك على لسانك وقلبك؛ لتؤكّده بالتكرار، وتقرّره في ذاتك بالتذكار، وكلّما أكثرت منه وازددت خضوعاً، زدت عند مولاك رفعة.

ثمّ ترتفع من ركوعك راجياً أنّه راحم لك، وتؤكّد الرجاء في قلبك بقولك: «سمع الله لمن حمده» أي: أجاب الله لمن حمده وشكره.

ثمّ تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول: «الحمد للّه ربّ العالمين».

وفي ذلك غاية الخضوع ومزيد التذلّل إذا راعيت ذلك بالحقيقة.

وقد قال الصادق عليه السلام:

لا يركع عبد للّه تعالى ركوعاً على الحقيقة إلّا زيّنه الله تعالى بنور بهائه، وأظلّه في ظلال كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه، والركوع أوّل، والسجود ثان، فمن أتى بمعنى الأوّل صلح للثاني. وفي الركوع أدب، وفي السجود قرب، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع للّه بقلبه، متذلّل وَجِل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف، حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين. وحكي أنّ ربيع بن خُثَيم كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركوع واحد فإذا أصبح تزفّر وقال: «آهٍ، سبق المخلصون وقُطع بنا».

---

١. مأخوذ من الآية ٤٢، من سورة فصّلت (٤١).

٢. مصباح الشريعة: ١١١ ـ ١١٢، باب قراءة القرآن.

واستوف ركوعك باستواء ظهرك، وانحطّ عن همّتك في القيام بخدمته إلّا بعونه، وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده، فإنّ الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له، ويهديهم إلى أُصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطّلاع عظمته على سرائرهم[١].

السادسة: السجود

وهو أعظم مراتب الخضوع، وأحسن درجات الخشوع، وأعلى مراتب الاستكانة، وأحقّ المراتب باستيجاب القرب إلى الله تعالى، وتلقّي أنوار رحمته، ومعاطف كرمه، كما نبّه عليه الكتاب الكريم في أمره لنبيّه ﷺ أن يسجد، ووعده على ذلك بأن يقترب[٢].

فإذا أردت السجود فاستحضر عظمة الله تعالى زيادة على ما حضر حالة الركوع، وكبّره رافعاً يدك وأنت قائم، ثمّ اهْوِ إلى السجود، ومكّن أعزّ أعضائك وهو الوجه من أذلّ الأشياء وهو التراب، فإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل، فإنّه أجلب للخشوع، وأدلّ على الذلّ والخضوع.

وهذا هو السرّ في منع الشريعة من السجود على ما يأكله الآدميّون ويلبسونه؛ لأنّه من متاع الدنيا وأهلها الذين اغترّوا بغرورها، وركنوا إلى زخرفها، واطمأنّوا إليها، فأسلمتهم إلى المهالك أحوج ما كانوا إليها.

وإذا وضعت نفسك موضع الذلّ، فاعلم أنّك وضعتها موضعها، ورددت الفرع إلى أصله، فإنّك من التراب خلقت، وإليه رددت، ثمّ تخرج منها مرّة أُخرى.

فاحضر في بالك نقلاتك منها وإليها، ثمّ خروجك منها بتكرّر السجود كما ذكره الله تعالى لك بقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[٣].

وعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله تعالى وعلوّه وقل: «سبحان ربّي الأعلى وبحمده»

---

١. مصباح الشريعة: ١١٩، باب الركوع.
٢. كما في سورة العلق (٩٦): ١٩.
٣. طه (٢٠): ٥٥.

وأكّده بالتكرار، فإنّ المرّة الواحدة ضعيفة الأثر في القلب.

فإذا رقّ قلبك وظهر ذلُّك، فليصدق رجاؤك في رحمة ربّك، فإنّ رحمته تتسارع إلى الضعف والذلّ لا إلى التكبّر والبطر، فارفع رأسك مكبّراً وسائلاً حاجتك، ومستغفراً من ذنوبك، ثمّ أكّد التواضع بالتكرار وعُد إلى السجود ثانياً كذلك، فبزيادته يزيد القرب منك، وبتكراره تتأكّد السوانح الإلهيّة، وتظهر اللوامع الغيبيّة، إذا وقع على وجهه.

قال الصادق عليه السلام:

ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود، ولو كان في العمر مرّة واحدة، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه، غافلاً لاهياً عمّا أعدّ الله للساجدين من أُنس العاجل، وراحة الآجل، ولا بَعُد عن الله أبداً من أحسن تقرّبه في السجود، ولا قَرُب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته، بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده، فاسجد سجود متواضع للّه ذليل، علم أنّه خلق من تراب تطؤه الخلق، وأنّه اتّخذك من نطفة يستقذرها كلّ أحد، وَكَوَّنَ ولم يكن، وقد جعل الله تعالى معنى السجود سبب التقرّب إليه بالقلب والسرّ والروح، فمن قَرُب منه بَعُد من غيره. ألا ترى في الظاهر أنّه لا يستوي حال السجود إلّا بالتواري عن جميع الأشياء، والاحتجاب عن كلّ ما تراه العيون؟ كذلك أمر الباطن، فمن كان قلبه متعلّقاً في صلاته بشيء دون الله، فهو قريب من ذلك الشيء، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته. قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: لا أطّلع على قلب عبد فأعلم فيه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي، وابتغاء مرضاتي، إلّا تولّيت تقويمه وسياسته، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين[2].

السابعة: التشهّد

إذا جلست للتشهّد بعد هذه الأفعال الدقيقة، والأسرار العميقة، المشتملة على الأخطار الجسيمة، والأهوال العظيمة، فاستشعر الخوف التامّ، والرهبة والحياء والوجل أنْ يكون

---

١. الأحزاب (٣٣): ٤.

٢. مصباح الشريعة: ١٢٣ ـ ١٢٤، باب السجود.

جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه، ولا محصّلاً لوظيفته وشرطه، ولا مكتوباً في ديوان المقبولين، فاجعل يدك صفراً من فوائدها، إلّا أن يتداركك الله برحمته، ويقبل عملك الناقص بفضله.

وارجع إلى مبدإ الأمر وأصل الدين، واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله تعالى الذي من دخلهُ كان آمناً إن لم يكن حصل في يدك غيره، واشهد له بالوحدانيّة، وأحضر رسوله المكرّم ونبيّه المعظّم ببالك، واشهد له بالعبوديّة والرسالة، وصلّ عليه وعلى آله مجدّداً عهد الله تعالى بإعادة كلمتي الشهادة، متعرّضاً بهما لتأسيس مراتب السعادة، فإنّهما أوّل الوسائل، وأساس الفواضل، وجماع أمر الفضائل، مترقّباً لإجابته ﷺ لك بصلاتك عشراً من صلاته[1] إذا قمت بحقيقة صلاتك عليه التي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبداً.

وقال الصادق عليه السلام:

التشهّد ثناء على الله تعالى، فكن عبداً له في السرّ، خاضعاً له في الفعل، كما أنّك عبدٌ له بالقول والدعوى، وصِل صدق لسانك بصفاء صدق سرّك، فإنّه خلقك عبداً، وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك، وأن تُحقّق عبوديّتك له بربوبيّته لك، وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا لحظة إلّا بقدرته ومشيئته، وهم عاجزون عن اتيان أقلّ شيء في مملكته إلّا بإذنه وإرادته.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]. فكن للّه عبداً شاكراً بالفعل، كما أنّك عبد ذاكر بالقول والدعوى، وصِل صدق لسانك بصفاء سرّك فإنّه خلقك فعزّ وجلّ أن تكون إرادةٌ ومشيئةٌ لأحد إلّا بسابق إرادته ومشيئته، فاستعمل العبوديّة في الرضى بحكمه وبالعبادة في أداء أوامره. وقد أمرك بالصلاة على نبيّه[3] محمّد ﷺ، فأوصل صلاته بصلاته، وطاعته بطاعته، وشهادته بشهادته، وانظر أن لا تفوتك بركات معرفة حرمته، فتحرم عن فائدة صلاته

---

١. كما روي عنه ﷺ في صحيح مسلم ١: ٣٠٦ / ٤٠٨، باب التشهّد في الصلاة؛ إحياء علوم الدين ١: ٢٧١ و ٢: ٣٠٩.

٢. القصص (٢٨): ٦٨.

٣. وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ الأحزاب (٣٣): ٥٦.

وأمره بالاستغفار لك، والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي، والسنن والآداب، وتعلم جليل مرتبته عند الله عزّ وجلّ[1].

الثامنة: التسليم

فإذا فرغت من التشهّد فأحضر نفسك بحضرة سيّد المرسلين والملائكة المقرّبين، وقل: «السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته»، إلى آخر التسليم المستحبّ.

ثمّ أحضِر في بالك النبيّ صلى الله عليه وآله وبقيّة أنبياء الله، والأئمّة عليهم السلام، والحفظة لك من الملائكة المقرّبين، المحصين لأعمالك، وقل: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور مخاطب في ذهنك فتكون من العابثين واللاعبين.

وكيف يسمع الخطاب لمن لا يقصد المخاطب، لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة، ورأفته الكاملة في اجتزائه بذلك عن أصل الواجب، وإن كان بعيداً عن درجات القبول، منحطّاً عن أوج القرب والوصول؟

وإن كنت إماماً لقوم فاقصدهم بالسلام مع من تقدّم من المقصودين، وليقصدوا هم الردّ عليك أيضاً، ثمّ يقصدوا مقصدك بسلام ثان، فإذا فعلتم ذلك فقد أدّيتم وظيفة السلام، واستحققتم من الله تعالى مزيد الإكرام.

وأصل السلام مشترك بين التحيّة الخاصّة، وبين الاسم المقدّس من أسماء الله تعالى، والمعنى هنا على الأوّل ظاهر، وعلى الثاني يكون مستعاراً في الخلق بإذن الله؛ للتفاؤل بالسلام والأمان من عذاب الله تعالى لمن قام بحدوده.

قال الصادق عليه السلام:

معنى السلام في دبر كلّ صلاة الأمان، أي من أدّى أمر الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله خاضعاً له خاشعاً منه قلبه، فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة. والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإنصافات، وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم، وصحّة معاشرتهم. وإن أردت أن تضع السلام موضعه،

---

١. مصباح الشريعة: ١٣١، باب التشهّد.

وتؤدّي معناه، فاتّق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك، وأن لا تدنّسها بظلمة المعاصي، ولتسلم حفظتك أن لا تبرمهم ولا تملّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثمّ صديقك ثمّ عدوّك فإن لم يسلم منه من هو أقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه، فلا سلام ولا تسليم، وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق[١].

تتمّة الفصل

إذا أتيت بالصلاة على ما وصفت لك، فاختمها بالخشوع والخضوع، والخوف من منقلب الردّ وخيبة الحرمان، واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لإتمام هذه الطاعة، وتوهّم أنّك مودّع في صلاتك هذه، وأنّك ربما لا تعيش إلى مثلها كما قال ﷺ:

صلّ صلاة مودّع[٢].

ثمّ استشعر قلبك الحياء من التقصير في الصلاة، والخوف من أن تلفّ فيضرب بها وجهك، فإذا فعلت ذلك رجوت أن تكون من الخاشعين ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٣]، و﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[٤].

واعرض صلاتك على هذا الوصف، فبقدر ما يتيسّر منها كذلك ينبغي أن تفرح و ترجو، وعلى ما يفوتك ينبغي أن تتحسّر وتجتهد في مداواة قلبك، فإنّ صلاة الغافلين مرتع إبليس اللعين.

نسأل الله أن يغمرنا برحمته، ويتغمّدنا بمغفرته؛ إذ لا وسيلة لنا إلّا الاعتراف بالعجز عن القيام بوظائف طاعته.

[في التعقيب]

ثمّ عقّب ذلك كلّه بالاشتغال بالتعقيب من الذكر والدعاء، وبالغ في الإخلاص والانقطاع

---

١. مصباح الشريعة: ١٣٧، باب آداب السلام.

٢. الكافي ٤: ٢٦١ / ٣٧، باب فضل الحجّ والعمرة وثوابهما؛ أمالي الطوسي: ٥٠٨ / ١١١١.

٣. المؤمنون (٢٣): ٩.

٤. المعارج (٧٠): ٢٣.

والابتهال إلى الله تعالى في مغفرة ذنبك، وقبول عملك، وتلقّي طاعتك بيد الرحمة، فإنّ الفضل عميم، والكرم جسيم، والرحمة واسعة، والجود فائض، والمحلّ قابل.

وخلاصة وظائف الدعاء عقيب الصلاة وغيرها ما قاله مولانا الصادق عليه السلام:

احفظ أدب الدعاء، وانظر من تدعو؟ وكيف تدعو؟ ولما تدعو؟ وحقّق عظمة الله تعالى وكبرياءه، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك، واطّلاعه على سرّك، وما تكنُّ فيه من الحقّ والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك، كي لا تدعو الله تعالى بشيء عسى فيه هلاكك، وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك.

قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[1]. وتفكّر ماذا تسأل؟ ولماذا تسأل؟ والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ، وتذويب المهجة في مشاهدة الربّ، وترك الاختيار جميعاً، وتسليم الأُمور كلّها ـ ظاهرها وباطنها ـ إلى الله تعالى؛ فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة فإنّه يعلم السرّ وأخفى، فلعلّك تدعوه بشيء قد علم من نيّتك خلاف ذلك.

قال بعض الصحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر بالدعاء وأنا أنتظر الحجر[2].

واعلم أنّه لو لم يكن أمرنا الله بالدعاء، لكنّا إذا أخلصنا الدعاء تفضّل علينا بالإجابة، فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء؟

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم، فقال: كلّ اسم من أسماء الله أعظم، ففرّغ قلبك عن كلّ ما سواه، وادعه بأيّ اسم شئت، فليس في الحقيقة للّه اسم دون اسم، بل هو الله الواحد القهّار.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاهٍ.

فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء وأخلصت سرّك لوجهه، فابشر بإحدى ثلاث: إمّا أن يتعجّل لك بما سألت، وإمّا أن يدّخر لك ما هو أعظم منه، وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما لو أرسله عليك لهلكت.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين[3].

---

١. الإسراء (١٧): ١١.

٢. قال الغزالي في إحياء علوم الدين ١: ٣٠٨: «قيل لمالك بن دينار: ادع لنا ربّك، فقال: إنّكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطيء الحجارة».

٣. مصباح الشريعة: ١٤٣ ـ ١٤٤، باب آداب الدعاء.

قال الصادق عليه السلام:

لقد دعوت الله تعالى مرّة واحدة فاستجاب لي ونسيت الحاجة؛ لأنّ استجابته بإقباله على عبده عند دعوته، أعظم وأجلّ ممّا يريد منه العبد، ولو كانت الجنّة ونعيمها الأبد ولكن لا يعقل ذلك إلّا العاملون المحبّون العارفون الفائزون صفوة الله وخواصّه[1].

انتهى.

وهو كاف في وظيفة الدعاء.

[آداب قراءة القرآن وكيفيّته]

وإن عقّبت بشيء من القرآن فينبغي أن تتدبّر بعض وظائفه، لتقوم بشروطه، وتمتثل مرسوم حدوده، كما ينبغي ذلك لكلّ قارئ. وما ورد في ثواب قراءة القرآن والحثّ عليه[2]، يخرج ذكره عن موضوع الرسالة؛ فلنذكر مهمّ وظائفه ملخّصاً، وهو أُمور:

الأوّل: حضور القلب، وترك حديث النفس.

قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[3]، أي: بجدّ واجتهاد[4]. وأخذه بالجدّ؛ أن يتجرّد عند قراءته بحذف جميع المشغلات والهموم عنه.

الثاني: التدبّر، وهو طور وراء حضور القلب؛ فإنّ الإنسان قد لا يتفكّر في غير القرآن، ولكنّه يقتصر على سماع القرآن وهو لا يتدبّره، والمقصود من التلاوة التدبّر؛ قال الله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[5]. [وقال تعالى:] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[6]. وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[7]؛ ولأنّ الترتيل يمكّن الإنسان من تدبّر الباطن، قال النبيّ صلى الله عليه وآله:

---

١. مصباح الشريعة: ١٤٤، باب آداب الدعاء.

٢. الكافي ٢: ٦١١، باب ثواب قراءة القرآن.

٣. مريم (١٩): ١٢.

٤. القائل هو الشيخ في التبيان ٧: ٩٩؛ والطبرسي في مجمع البيان ٣: ٥٠٦، ذيل الآية ١٢ من مريم (١٩).

٥. محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧): ٢٤.

٦. النساء (٤): ٨٢.

٧. المزّمّل (٧٣): ٤.

لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا خير في قراءة لا تدبّر فيها[١].

وإذا لم يمكن التدبّر إلّا بالترديد فليردّد، قال أبو ذر رضي الله عنه:

قام رسول الله ليلة يردّد قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢].

الثالث: التفهّم، وهو أن يستوضح من كلّ آية ما يليق بها؛ إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وأفعاله، وأحوال أنبيائه، والمكذّبين لهم، وأحوال ملائكته، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنّة والنار، والوعد والوعيد، فليتأمّل معاني هذه الأسماء والصفات؛ لتنكشف له أسرارها، فإنّ تحتها أسرار الدقائق، وكنوز الحقائق.

قال ابن مسعود: «من أراد أن يعلم علم الأوّلين والآخرين فعليه بالقرآن»[٣].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[٤].

وقال عليّ عليه السلام:

لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب[٥].

فمن لم يتفهّم معاني القرآن في تلاوته وسماعه ولو في أدنى المراتب، دخل في قوله تعالى: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾[٦]، وقوله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[٧].

الرابع: التخلّي عن موانع الفهم؛ فإنّ أكثر الناس مُنعوا من فهم القرآن؛ لأسباب وحُجب أسدَلَها الشيطان على قلوبهم، فحُجبت عن عجائب أسراره؛ قال صلى الله عليه وآله:

---

١. معاني الأخبار: ٢٢٦ / ١، باب معنى الفقيه حقّاً، تحف العقول: ١٤٣؛ إحياء علوم الدين ١: ٢٨٢. في جميع المصادر عن عليّ عليه السلام.

٢. سنن ابن ماجة ١: ٤٢٩ / ١٣٥٠؛ والآية في المائدة (٥): ١١٨.

٣. حكاه عن ابن مسعود الغزالي في إحياء علوم الدين ١: ٢٨٣.

٤. الكهف (١٨): ١٠٩.

٥. إحياء علوم الدين ١: ٢٨٣.

٦. النحل (١٦): ١٠٨.

٧. محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧): ٢٤.

لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت[١].

ومعاني القرآن وأسراره من جملة الملكوت.

والحجب الموانع منها: الاشتغال بتحقيق الحروف، وإخراجها من مخارجها، والتشدّق بها، من غير ملاحظة المعنى.

وقيل[٢]: إنّ المتولّي لحفظ ذلك شيطان وُكِّل بالقرّاء؛ ليصرفهم عن معاني كلام الله تعالى، فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف، ويخيّل إليهم أنّه لم يخرج من مخرجه، فيكون تأمّله مقصوراً على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني؟! وأعظم ضحكة للشيطان مَن كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس.

ومنها: أن يكون مبتلى من الدنيا بهوىً مطاع؛ فإنّ ذلك سبب لظلمة القلب كالصَدَإ على المرآة، فيمنع جليّة الحقّ أن يتجلّى فيه، وهو أعظم حجاب للقلب، وبه حجب الأكثرون، وكلّما كانت الشهوات أكثر تراكماً على القلب، كان البعد عن أسرار الله تعالى أعظم؛ ولذلك قال ﷺ:

الدنيا والآخرة ضرّتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد عن الأُخرى[٣].

الخامسُ: أن يخصّص نفسه بكلّ خطاب في القرآن من أمر أو نهي، أو وعد أو وعيد، ويُقدّر أنّه هو مقصود.

وكذلك إن سمع قصص الأوّلين والأنبياء عليهم السلام علم أنّ مجرّد القصّة غير المقصود وإنّما المقصود الاعتبار، ولا يعتقد أنّ كلّ خطاب خاصّ في القرآن المراد به الخصوص، فإنّ القرآن وسائر الخطابات الشرعيّة واردة على طريقة «إيّاك أعني واسمعي يا جارة»، وهي كلّها نور وهدىً ورحمة للعالمين؛ ولذلك أمر الله تعالى الكافّة بشكر نعمة الكتاب، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[٤].

---

١. إحياء علوم الدين ١: ٢٣٢، ٢٨٤.

٢. القائل هو الغزالي في إحياء علوم الدين ١: ٢٨٤.

٣. لم نعثر على من رواه عن رسول الله ﷺ، وبمعناه روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: ٦٧٢، الحكمة ١٠٣؛ وفي إحياء علوم الدين ٣: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

٤. البقرة (٢): ٢٣١.

وإذا قدّر أنّه المقصود لم يتخذّ دراسة القرآن عملاً، بل قراءته كقراءة العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتدبّره ويعمل بمقتضاه.

قال حكيم: «هذا القرآن أتانا من قبل ربّنا بعهوده نتدبّرها في الصلاة، ونقف عليها في الخلوات، ونعدّها في الطاعات بالسنن المتّبعات»[١].

السادس: التأثّر، وهو أن يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهم حال ووجدٌ يتّصف به عندما يوجّه نفسه في كلّ حال إلى الجِهة التي فهمها، من خوف أو حزن أو رجاء أو غيره، فيستعدّ بذلك و ينفعل، ويحصل له التأثّر والخشية. ومهما قويت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه؛ فإنّ التضييق غالب على العارفين، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلّا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾[٢]، فإنّه قرن المغفرة بهذه الشروط الأربعة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفي خُسْرٍ﴾[٣] إلى آخر السورة، وذكر فيها أربعة شروط.

وحيث أوجز واختصر ذكر شرطاً واحداً جامعاً للشرائط فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَريبٌ مِنَ الْمُحْسِنينَ﴾[٤]؛ إذ كان الإحسان جامعاً لكلّ الشرائط.

وتأثّر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوّة، فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله، وعند الوعد يستبشر فرحاً برحمة الله، وعند ذكر الله وأسمائه يتطأطأُ خضوعاً لجلاله، وعند ذكر الكفّار في حقّ الله تعالى ما يمتنع عليه ـ كالصاحبة والولد ـ يغضّ صوته، وينكسر في باطنه، حياءً من قبح أفعالهم، ويكبّر الله ويقدّسه عمّا يقول الظالمون، وعند ذكر الجنّة ينبعث بباطنه شوقاً إليها، وعند ذكر النار ترتعد فرائصه خوفاً منها.

---

١. حكاه الغزالي عن بعض العلماء في إحياء علوم الدين ١: ٢٨٥.
٢. طه (٢٠): ٨٢.
٣. العصر (١٠٣): ١.
٤. الأعراف (٧): ٥٦.

ولمّا قال رسول الله لابن مسعود: «إقرأ عليّ»، قال: ففتحت سورة النساء، فلمّا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾[١]، رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال لي: «حسبك الآن»[٢]. وذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه بالكلّية.

والقرآن إنّما يراد لهذه الأحوال واستجلابها إلى القلب والعمل بها؛ قال رسول الله ﷺ:

> اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، ولانت عليه جلودكم، فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه[٣].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٤]. وإلّا فالمؤونة في تحريك اللسان خفيفة.

وروي أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ ﷺ، ليعلّمه القرآن، فعلّمه فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٥]، فقال يكفيني هذا، وانصرف. فقال رسول الله: «انصرف الرجل وهو فقيه»[٦].

وأمّا التالي باللسان المعرض عن العمل، فجدير أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[٧] الآية.

وإنّما حظّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظّ العقل تفسير المعاني، وحظّ القلب الاتّعاظ والتأثّر بالانزجار والائتمار.

السابعُ: الترقّي، وهو أن يوجّه قلبه وعقله إلى القبلة الحقيقيّة، فيستمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه.

ودرجات القراءة ثلاث:

أدناها: أن يقدّر العبد كأنّه يقرأ على الله عزّ وجلّ، واقفاً بين يديه، وهو ناظر إليه ومستمع

---

١. النساء (٤): ٤١.

٢. صحيح البخاري ٤: ١٦٧٣/ ٤٣٠٦، و ١٩٢٥/ ٤٧٦٣، و ١٩٢٧/ ٤٧٦٨.

٣. صحيح البخاري ٤: ١٩٢٩ / ٤٧٧٣ ـ ٤٧٧٤؛ كنز العمّال ١: ٦٠٦ / ٢٧٧٨.

٤. الأنفال (٨): ٢.

٥. الزلزلة (٩٩): ٧ـ٨.

٦. إحياء علوم الدين ١: ٢٨٧؛ الدرّ المنثور ٨: ٥٩٦، ذيل الآية.

٧. طه (٢٠): ١٢٤.

منه؛ فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرّع والابتهال.

والثانيةُ: أن يشهد بقلبه كأنّه سبحانه وتعالى يخاطبه بألطافه، ويناجيه بإنعامه وإحسانه، وهو في مقام الحياء والتعظيم لمنن الله، والإصغاء إليه، والفهم منه.

والثالثةُ: أن يرى في الكلام المتكلّم، وفي الكلمات الصفات؛ فلا ينظر إلى قلبه، ولا إلى قراءته، ولا إلى التعلّق بالإنعام من حيث هو منعم عليه، بل يقصر الهمّ على المتكلّم، ويوقف فكره عليه، ويستغرق في مشاهدته.

وهذه درجة المقرّبين، وعنها أخبر جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام بقوله:

لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنّهم لا يبصرون[١].

وقال أيضاً، وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتّى خرّ مغشيّاً عليه، فلمّا أفاق، قيل له في ذلك، فقال:

ما زلت أُردّد هذه الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلّم بها، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته[٢].

الثامنُ: التبرّؤ، والمراد به أن يتبرّأ من حوله وقوّته، فلا يلتفت إلى نفسه بعين الرضى والتزكية.

فإذا تلا آيات الوعد ومدح الصالحين، حذف نفسه عن درجة الاعتبار، وشهد فيها الموقنين والصدّيقين، ويتشوّق إلى أن يلحقه الله بهم.

وإذا تلا آيات المقت والذمّ للمقصّرين شهد نفسه هناك، وقدّر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً، وإلى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليه السلام في الخطبة التي يصف فيها المتّقين بقوله:

وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنّم في آذانهم[٣]، إلى آخره.

ومن رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه.

---

١. إحياء علوم الدين ١: ٢٨٧.

٢. إحياء علوم الدين ١: ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٣. نهج البلاغة: ٤١٠، الخطبة ١٩٣.

ومن شاهد نفسه بعين الرضى فهو محجوب بنفسه.

فهذه نبذة من وظائف القراءة وأسرارها، وفّقنا الله لتلقّي الأسرار، وألحقنا بعباده الأبرار.

[سجدة الشكر]

وإذا وصلت إلى هذا المقام فاسجد سجدتي الشكر شكراً للّه سبحانه على مزيد الإنعام، وأحضِر إنعامه لديك ببالك، وأياديه عندك في جميع أحوالك، وقل: «شكراً شكراً» إلى تمام ما يمكنك من المزيد، فأنت مع ذلك مقصّر عمّا يجب عليك من التحميد، وغاية ما يجب الاعتراف بالتقصير، والاستغفار من كلّ قليل وكثير.

اللهمّ ارزقنا العمل بما كشفت لنا من الأسرار والآيات، وزدنا فيضاً وعرفاناً يكون لنا سلّماً إلى نيل تلك الدرجات، ووفّقنا على درك الحقّ بالتوفيق، وثبّت أقدامنا على مقامات الصدق، وحقائق التحقيق، بفضلك وجودك العميم، إنّك أنت الوهّاب الكريم.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الفصل الثالث

في المنافيات

وهي في هذا المقام ما أبطلت الصلاة، أو نقصت كمالها من جِهات قلبيّة. وهي تنقسم إلى منافيات الكمال، وإلى منافيات الصحّة.

وضابط الأوّل ما ينافي الإقبال بالقلب على الله تعالى من حديث النفس، والالتفات إلى أمر دنيوي، بل الفكر في غير متعلّق الصلاة، وإن كان أُخرويّاً، فإنّه من دقائق مكائد الشيطان؛ فإنّ المطلوب للّه تعالى، والموجب للقبول إنّما هو الإقبال على كلّ فعل من أفعالها حال الاشتغال فيه؛ كما نبّه عليه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك[1].

ويدخل في هذا القسم ما عدّه الفقهاء من المكروهات كمدافعة الأخبثين، والنعاس، والتنخّم، والبصاق، والعبث، وغيرها، فإنّها مشتركة في مضادّة الإقبال، ومنافية للخشوع.

وأمّا منافيات الصحّة، فضابطها منافاة الإخلاص، واستكثار الطاعة. ويدخل في الأوّل الرياء بأقسامه، وفي الثاني العجب. والكلام في كلّ منهما مستوفى وذكر أقسامهما وأحكامهما يخرج عن وضع الرسالة، لكنّا نذكر المهمّ.

---

١. لم نعثر على من حكاه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نعم رواه البرقي في المحاسن ٢: ٣٣ / ١١٠٥ عن الباقر عليه السلام، وأيضاً بعينه تقدّم في ص ٢٢٨، الهامش (٢)، في حديث زرارة عن الباقر عليه السلام.

[الرياء]

واعلم أنّ الوعيد على هاتين الآفتين في الكتاب والسنّة كثير يخرج عن حدّ الحصر. قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِم سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[١].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

إنّ النار وأهلها يعجّون من أهل الرياء.

فقيل: يا رسول‌الله وكيف تعجّ النار؟ قال: من حرّ النار التي يعذّبون بها[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله قال:

المرائي يوم القيامة يُنادى بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، ضلّ سعيك، وبطل أجرك، ولا خلاق لك، التمس الأجر ممّن كنت تعمل له، يا مخادع[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله:

إنّ الله تعالى يقول: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً فأشرك فيه غيري فنصيبي له، فأنا لا أقبل إلّا ما كان خالصاً لي[٤].

وعنه صلى الله عليه وآله:

إنّ الجنّة تكلّمت وقالت: إنّي حرام على كلّ بخيل ومراءٍ[٥].

وعنه صلى الله عليه وآله:

إنّ أوّل من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال فيقول الله عزّ وجلّ للقارىء: ألم أُعلمك ما أنزلت على رسولي؟

فيقول: بلى يا ربّ.

فيقول: ما عملت في ما علمت؟

فيقول: يا ربّ، قرأته في أناء الليل، وأطراف النهار.

---

١. الماعون (١٠٧): ٤ ـ ٧.

٢. بحار الأنوار ٦٩: ٣٠٥ / ٥٢، عن أسرار الصلاة.

٣. معاني الأخبار: ٣٤٠ ـ ٣٤١ / ١، باب معنى مخادعة الله عزّ وجلّ؛ تفسير العياشي ١: ٢٨٣ / ٢٩٥.

٤. الكافي ٢: ٢٩٥ / ٩، باب الرياء، تفسير العياشي ٢: ٣٥٣ / ٩٤ ـ ٩٥؛ إحياء علوم الدين ٣: ٢٩٤.

٥. بحار الأنوار ٦٩: ٣٠٥ / ٥٢، عن أسرار الصلاة.

فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: إنّما أردتَ أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك.

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى: ألم أُوسّع عليك حتّى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟

فيقول: بلى يا ربّ.

فيقول: فما عملت في ما آتيتك؟

قال: كنت أصل الرحم وأتصدّق.

فيقول الله تعالى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله سبحانه: بل أردتَ أن يقال فلان جواد، وقد قيل ذلك.

ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقول الله تعالى: ما فعلت؟

فيقول: أُمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتّى قُتلت.

فيقول الله تعالى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، فيقول الله تعالى: بل أردتَ أن يقال فلان شجاع جريء، فقد قيل ذلك.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: أولئك خلق الله، تسعر بهم نار جهنّم![1]

وعن الصادق عليه السلام:

إيّاك والرياء، فإنّه من عمل لغير الله وكلّه الله إلى من عمل له[2].

وعنه عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[3] قال:

الرجل يعمل شيئاً من الثواب، لا يطلب به وجه الله، إنّما يطلب تزكية النفس[4]؛ يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربّه. ـ ثمّ قال: ـ ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيّام أبداً حتّى يظهر الله له خيراً، وما من عبد أسرّ شرّاً فذهبت الأيّام أبداً حتّى يظهر له شرّاً[5].

والأثر في ذلك يطول.

---

١. بحار الأنوار ٦٩: ٣٠٥ / ٥٢. عن أسرار الصلاة.

٢. الكافي ٢: ٢٩٣ / ١، باب الرياء.

٣. الكهف (١٨): ١١٠.

٤. في المصدر وفي بعض النسخ «الناس» بدل «النفس».

٥. الكافي ٢: ٢٩٣ ـ ٢٩٤ / ٤، باب الرياء.

وقال الله تعالى في ذمّ العجب: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[١].

ذكر ذلك في معرض الإنكار.

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[٢]. وهو أيضاً راجع إلى العجب بالعمل على وجه.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوىً متّبع، وإعجاب المرء بنفسه[٣].

وقال الصادق عليه السلام:

من دخله العجب هلك[٤].

وعنه عليه السلام:

للعجب درجات، منها أن يزيّن للعبد سوء عمله، فيراه حسناً فيعجبه، ويحسب أنّه يحسن صنعاً[٥].

وعنه عليه السلام قال:

أتى عالم عابداً، فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يُسأل عن صلاته؟! وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا، قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتّى تجري دموعي، فقال له العالم: فإنّ ضحكك وأنت خائف خير من بكائك وأنت مدلّ، إنّ المدلّ لايصعد من عمله شيء[٦].

وعن أحدهما عليهما السلام قال:

دخل المسجد رجلان: أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق، والعابد فاسق؛ وذلك أنّه يدخل المسجد العابد مدلاًّ بعبادته فيدلّ بها، فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله عزّ وجلّ ممّا صنع من الذنوب[٧].

---

١. التوبة (٩): ٢٥.

٢. الكهف (١٨): ١٠٤.

٣. الخصال ١: ٨٤ / ١١، باب الثلاثة؛ المحاسن ١: ٦٢ / ٣؛ كنز العمال ١٦: ٤٥ / ٤٣٨٦٧.

٤. الكافي ٢: ٣١٣ / ٢، باب العجب.

٥. الكافي ٢: ٣١٣ / ٣، باب العجب، معاني الأخبار: ٢٤٣ / ١، باب معنى العجب الذي يفسد العمل.

٦. الكافي ٢: ٣١٣ / ٥، باب العجب.

٧. الكافي ٢: ٣١٤ / ٦، باب العجب، علل الشرائع ٢: ٥١ ـ ٥٢ / ١، باب ٦٦.

وقال النبيّ ﷺ:

قال الله تعالى لداود: يا داود، بشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين. قال: كيف أُبشّر المذنبين، وأُنذر الصدّيقين؟ قال: يا داود، بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة، وأعفو عن الذنب. وأنذر الصدّيقين أن لا يعجبوا بأعمالهم؛ فإنّه ليس عبد يعجب بالحسنات إلّا هلك[1].

[وجوه الرياء]

واعلم أنّ الرياء على ضربين: رياء محض، ورياء مختلط.

فالمحض: أن يريد بعمله نفع الدنيا، وهو أعمّ من أن يتوصّل به إلى محرّم أو مباح، أو الحذر من أن ينظر إليه بعين النقص، ولا يعدّ من الخاصّة.

والمختلط: أن يقصد به ذلك مع التقرّب إلى الله تعالى.

وكلاهما مفسد للعمل بل الأوّل ساقط عن درجة البحث والاعتبار. والثاني هو الإشراك بالله تعالى في العبادة التي قد تقدّم أنّه يتركها لشريكه[2]. وهذا هو الشرك الخفيّ في هذه الأُمّة الذي أشار إليه النبيّ ﷺ بأنّه في أُمّته فاش[3].

ثمّ المقصود هنا ليس هو البحث عن الفعل الذي يقع ابتداء رياء؛ لأنّ ذلك باطل في نفسه، ولا يعرض لقلوب العارفين، وإنّما الكلام هنا فيما يبتدئ الإنسان به من العبادة خالصاً لله تعالى لا يريد به غيره، ثمّ يعرض له ما ينافي الإخلاص على وجه الشوب اللطيف الذي ينبغي التنبيه عليه في مثل هذا المقام. وهو يأتي على وجوه ـ بعضها خفيّ وبعضها جليّ ـ:

أحدها: أن يعقد الصلاة مثلاً على الإخلاص المحض، والطاعة، والإقبال على الله تعالى بها، وهو خال من نظر الناس إليه، فيدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر، فيقول له الشيطان: زد صلاتك حسناً حتّى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح، ولا يزدريك ولا يغتابك.

---

١. الكافي ٢: ٣١٤ / ٨، باب العجب.

٢. تقدّم في ص ٢٧٣، الهامش (٤).

٣. عدّة الداعي: ٢١٤: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء».

فتخشع جوارحه، وتسكن أطرافه، وتحسن صلاته. وهذا هو الرياء الطارئ الظاهر، الذي لا يخفى على المبتدئين من المريدين، ولكنّه في الجملة من شوائب القُربِ ومنافي الإخلاص.

وثانيها: أن يكون قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره، فصار لا يطيع الشيطان فيها، ولا يلتفت إليه، ويستمرّ في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير، ويقول: أنت متبوع، ومقتدى بك، ومنظور إليك، وما تفعله يؤثر عنك، ويتأسّى بك غيرك، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت، وعليك الوزر إن أسأت، فأحسن عملك، فعساه أن يقتدى بك في الخشوع وتحسين العبادة، فتكون شريك من اقتدى بك، وهلمّ جرّاً للحديث المشهور:

إنّ من سنّ سنّة حسنة فله أجرها، وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة[1].

وهذه المكيدة أعظم من الأُولى وأدقّ، وقد ينخدع بها من لا ينخدع بالأُولى. وهو أيضاً عين الرياء ومبطل الإخلاص؛ فإنّه إذا كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرتضي لغيره تركه، فلِمَ لم يرتضِ لنفسه ذلك في الخلوة؟ ولا يمكن أن يكون غيره أعزّ عليه من نفسه!

فهذا عين التلبيس، بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه، واستنار قلبه، فانتشر نوره إلى غيره، فيكون له الثواب عليه.

وأمّا فعل الأوّل؛ فمحض النفاق والتلبيس، فيطالب يوم القيامة بتلبيسه، ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متّصفاً به، وإن أُثيب المقتدي به.

وثالثها ـ وهو أدقُّ ممّا قبلها ـ: أنْ يتنبّه العبد لذلك، وأنّه مكيدة من الشيطان، ويعلم أنّ مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء، ويعلم أنّ الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملإ، ويستحيي من نفسه ومن ربّه أن يخشع لمشاهدة خلقه، تخشّعاً زائداً على عادته، فيقبل على نفسه في الخلوة، ويحسّن صلاته على الوجه الذي يرتضيها في الملإ، ويصلّي أيضاً في الملإ كذلك؛ للعلّة المذكورة، وهذا أيضاً من الرياء الغامض؛ لأنّه حسّن صلاته في الخلوة لتحسن في الملإ، فلا يكون قد فرّق بينهما. فالتفاته

---

١. الكافي ٥: ٩ ـ ١٠ / ١، باب وجوه الجهاد.

في الخلوة والملإ إلى الخلق، بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة.

فكأنّ نفس صاحب هذه الخطرة ليست تسمح بإساءة الصلاة بين الناس، ثمّ يستحيي من نفسه أن يكون في صورة المرائين، ويظنّ بأنّ ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلاء والملإ، وهيهات! بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات والبهائم في الخلاء والملإ جميعاً، وهذا شخص مشغول الهمّ بالخلق في الخلاء والملإ جميعاً وهذا من المكائد الخفيّة.

وإلى هذا المعنى الإشارة في الحديث النبويّ:

لا يكمل إيمان العبد حتّى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر[1]. فتأمّل.

ورابعها ـ وهو أدقّ وأخفى ـ: أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته، فيعجز الشيطان عن أن يقول له: اخشع لأجلهم، فإنّه قد عرف أنّه لا يصغي لذلك، فيقول له الشيطان: تفكّر في عظمة الله وجلاله، ومن أنت واقف بين يديه، واستح أن ينظر الله إلى قلبك، وأنت غافل عنه، فيحضر بذلك قلبه، وتجتمع جوارحه، ويظنّ أنّ ذلك عين الإخلاص، وهو عين المكر والخداع، فإنّ خشوعه لو كان لنظره إلى جلال الله وعظمته، لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة، ولكان لا يختصّ حضورها بحالة حضور غيره.

وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر ممّا يألفه في الخلوة كما يألفه في الملإ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً.

فما دام يفرّق في أحواله بين مشاهدة الإنسان، ومشاهدة البهيمة، فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص، مدنّس الباطن بالشرك الخفيّ من الرياء.

وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصمّاء. كما ورد به الخبر[2].

---

١. أمالي الطوسي: ٥٣٣، المجلس التاسع عشر؛ مكارم الأخلاق: ٤٦٥؛ عدّة الداعي: ٢٠٤، في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذر، ولفظه هكذا: «يا أبا ذر، لا يفقه الرجل كلّ الفقه، حتّى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر...».

٢. إحياء علوم الدين ٤: ٣٨٣.

ولا يسلم من الشيطان إلّا من دقّ نظره، وسعد بتوفيق الله تعالى وهدايته، وإلّا فالشيطان ملازم للمتشمّرين لعبادة الله تعالى، لا يغفل عنهم لحظة حتّى يحملهم على المهالك في كلّ حركة من الحركات، حتّى في كحل العين، وقصّ الشارب، وطيب يوم الجمعة، ولبس الثياب الفاخرة؛ فإنّ هذه سنن في أوقات مخصوصة، لكن للنفس فيها حظّ خفيّ، لارتياط نظر الخلق بها، فيدخل الشيطان فيها عليه من هذه المداخل إن لم يتيقّظ. ولهذا قيل:

ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل[1].

وأُريد به، العالم البصير بدقائق آفات العبادة، حتّى يخلص عنها، لا مطلق العالم؛ فإنّ مداخل الشيطان على كثير من العلماء أعظم من مداخله على الجهلاء.

وخامسها: أن يكمّل العبادة على الإخلاص المحض، والنيّة الصالحة، لكن عرض له بعد الفراغ منها حبّ إظهارها، ليحصل له بعض الأغراض المحقّقة للرياء؛ خديعة من الشيطان له أنّه قد كمّل العبادة الخالصة، وقد كتبها الله تعالى في ديوان المخلصين، فلا يقدح فيها ما يتجدّد، وإنّما ينضمّ إلى ما حصّله بها من الخير الآجل خير آخر عاجل، فيحدث به ويظهره لذلك.

فهذا أيضاً مفسد للعمل وإن سبق، كما يفسده العجب المتأخّر، ويدخل في زمرة الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[2].

وقد روي أنّ رجلاً قال للنبيّ ﷺ: صمت الدهر يا رسول الله؟ فقال له: «ما صمت ولا أفطرت»[3].

وروي عن ابن مسعود أنّه سمع رجلاً يقول: قرأت البارحة البقرة، قال: ذلك حظّه، بل لو كنت باقياً على إخلاصك فيه، فقد نقصت منه تسعة وستّين جزءاً من سبعين جزءاً، على ما

---

١. مكارم الأخلاق: ٤٤١، في وصايا النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام قال: «يا عليّ، ركعتان يصلّيهما العالم أفضل من ألف ركعة يصلّيهما العابد». ونسبه إلى قائل الغزالي في إحياء علوم الدين ٤: ٣٨٤.

٢. الكهف (١٨): ١٠٣ ـ ١٠٤.

٣. كنز العمال ٨: ٥١٤ / ٢٣٩٠٣؛ إحياء علوم الدين ٣: ٣٠٧.

روي عنهم عليهم السلام:

أنّ فضل عمل السرّ على عمل الجهر سبعون ضعفاً[١].

وعن الصادق عليه السلام:

من عمل حسنة سرّاً كُتبت له سرّاً، فإذا أقرّ بها مُحيت وكُتبت جهراً، فإذا أقرّ بها ثانية مُحيت وكُتبت رياء[٢].

فيالها من كلمة ما أشأمها، ورزيّة ما أعظمها؛ حيث نقص بها حظّك، وضاع كدحك، وليتك سلمت من تبعتها؛ فإنّ المرائي لا يسلم ـ كما قد عرفت ـ من وعيده.

وهذا كلّه مع عدم تعلّق غرض صحيح في الآخرة بإذاعته، وأمّا معه ـ كما لو أراد بذلك تنشيط السامع، وترغيبه في فعل الخير مع وثوقه بنفسه ـ فلا حرج فيه، إذا لم يمكن تنشيطه بدونه، وإلّا كان أولى.

وقد روى محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال:

لا بأس أن تحدّث أخاك إذا رجوت أن تنفعه وتحثّه، وإذا سألك، هل قمت الليلة أو صمت؟ فحدّثه بذلك إن كنت فعلته، فقل: قد رزق الله ذلك، ولا تقل لا، فإنّ ذلك كذب[٣].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ومن هنا جاء أفضليّة الصدقة جهراً ليتأسّى به، والإجهار بصلاة الليل زيادة على غيرها لينبّه أهله وجيرانه فيتأسّوا به، لكن ذلك كلّه موضع الخطر، فيجب الاحتراز والتيقّظ بمراعاة القلب، وكما يكون الإظهار مظنّة الرياء ومخطرته، كذلك الإخفاء؛ فإنّ فيه أيضاً للشيطان مداخل:

منها: أن يأمره بترك العمل، خوفاً من أن يكون مرائياً به، وهذا من جملة خدائعه وفي ترك العمل كذلك تحصيل لغرضه؛ لأنّ غرضه الأقصى ترك العمل.

وإنّما يعدل بك إلى قصد الرياء وغيره، عند عجزه عن تثبيطك عن العمل، وتزهيدك فيه، فإذا تركته فقد حصّلت غرضه، ومثالك في ذلك مثال من سلّم إليه مولاه حنطة فيها تراب،

---

١. عدّة الداعي: ٢٢٠؛ إحياء علوم الدين ٣: ٣١٨.

٢. عدّة الداعي: ٢٢١.

٣. بحار الأنوار ٦٩: ٣٢٢ / ٣٨، عن أسرار الصلاة، ولم نعثر عليه في غيره.

وقال: خلّصها من التراب، ونقّها منه تنقية بالغة، فيترك أصل العمل ويقول: أخاف إن اشتغلت به لم يخلص خلاصاً صافياً، فيترك العمل من أصله.

وهذا تمام الغرض لإبليس اللعين، وغاية القصد. فقد حصّلتَ أُمنيّته، وأرحتَه من التعب بك في إفساد العمل. وإنّما سبيلك أن تجتهد في تخليص عملك بالأدوية النافعة، وتحصيل مراد مولاك.

ومنها: أن يأمره بترك العمل أيضاً لا لذلك، بل خوفاً على الناس أن يقولوا: إنّه مراء، فيعصون الله به. وهذا أيضاً مع ما قبله رياء خفيّ من مكائد الشيطان؛ لأنّ ترك العمل خوفاً من قولهم: إنّه مراء، عين الرياء، ولولا حُبّه لمحمدتهم، وخوفه من ذمّهم، فما له ولقولهم، قالوا: إنّه مراء، أو قالوا: إنّه مخلص؟!

وأيّ فرق بين أن يترك العمل خوفاً من أن يقال: إنّه مراء، وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال: إنّه غافل مقصّر؟ بل ترك العمل أشدّ من ذلك، وفيه مع ذلك إساءة الظنّ بالمسلمين، وما كان من حقّه أن يظنّ بهم ذلك.

ثمّ كيف تطمع أن تتخلّص من الشيطان بترك العمل وقد أطعته فيه؟ فإنّه لا يخليك أيضاً، بل يقول لك: الآن تقول الناس: إنّك تركت العمل ليقال: إنّك مخلص لا تشتهي الشهرة. إلى غير ذلك من اللعب بك.

وإنّما خلاصك من ذلك كلّه أن تلزم قلبك معرفة آفات الرياء وضرره؛ لتلزم كراهته، وتستمرّ مع ذلك على العمل ولا تبالي، وتلزم قلبك الحياء من الله تعالى؛ إذ دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمد الله تعالى حمد المخلوقين، وهو مطّلع على قلبك. ولو اطّلع الخلق على قلبك وأنّك تريد حمدهم لمَقَتُوك، بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك، وعقوبة لنفسك فافعل.

ومنها: أن يقول له: اترك العمل؛ لئلّا يظنّ الناس بك خيراً وتشهر به، وأحبّ العباد إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا شهدوا لم يعرفوا، فإذا عرفت بين الناس بالعبادة لم يكن لك حظّ من هذا الوصف.

وهذا أيضاً من مكائده، وما عليك إذا أخلصت العمل لله تعالى أن تعرف به أو تجهل؟

وإنّما عليك مراعاة قلبك، وإصلاح سرّك، وكيف تخفي على الناس إذا كنت صالحاً؟! وهو تعالى يقول: «عليك إخفاؤه وعليّ إظهاره»[١]، ويقول: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته»[٢].

وإيّاك أن يغرّك اللعين عند ذلك، ويقول: إذا كنت لا تترك العمل لذلك فأخفِ العمل، فإن الله تعالى سيظهره عليك، وأمّا إذا أظهرته فيمكن أن تقع في الرياء.

وهذا التلبيس عين الرياء؛ لأنّ إخفاءك له كي يظهر عليك بين الناس، هو بعينه العمل لأجل الناس، وما عليك إذا كان مرضيّاً للّه تعالى أن يظهر أو يخفى، لولا نظرك إلى رضى الناس؟.

إذا تقرّر ذلك، فإيّاك أن تحملك دقائق الإخلاص، وصعوبة الخلاص على الكسل والقعود عن الطاعات، نظراً إلى ما تجده في نفسك من السرور بالطاعة، وزيادة الابتهاج باطّلاع الناس عليك بفعل العبادة، بل اجتهد في قلع مادّة الفساد، ومجاري الشيطان عنك، واعمل.

وأمّا سرورك بالطاعة، فإنّ منه محموداً، ومنه مذموماً.

فالمحمود، أن يكون من قصدك وداعيتك إخفاء الطاعة والإخلاص للّه سبحانه، ولست مستكثراً لعملك، وإنّما سرورك في أن وفّقك الله للعمل، وأخرجك من ربقة البطّالين والغافلين، ولم تبلغ بالسرور حدّ العجب ـ الآتي ذكره ـ وإذا حصل اطّلاع الناس عليه فلم يحصل من قِبَلِكَ، وإنّما سررت باطّلاعهم؛ نظراً إلى أنّ الله سبحانه هو الذي أطلعهم عليه، وأظهر لهم الجميل؛ تكرّماً عليك وتفضّلاً، ونحو ذلك.

والمذموم، أن تفرح به استكثاراً وركوناً إليه، وبظهور الناس عليه؛ لقيام منزلتك عندهم، ليمدحوك، ويقوموا بقضاء حوائجك، ويقابلوك بالإكرام، ونحو ذلك، فإنّه رياء محض، ومحبط للعمل، وأصله حبّ الدنيا، ونسيان الآخرة، وقلّة التفكّر في ما عند الله.

---

١. قال أحمد بن فهد الحلّي في عدّة الداعي: ٢٠٩: وهو تعالى يقول: «عليك ستره وعَليَّ إظهاره».

٢. هذا بعينه قول عليّ عليه السلام في نهج البلاغة: ٧٤٧، الحكمة ٤٢٣.

نسأل الله من فضله أن لا يعاملنا بعدله، بل يسامحنا بعفوه، ويستر زلّاتنا بصفحه، إنّه جواد كريم.

وأمّا العجب

فهو استعظام العمل، والابتهاج به، والإدلال به، وأن يرى العامل نفسه خارجة بسببه عن حدّ التقصير.

وهذا من أعظم المهلكات، بل هو الناقل للعمل من كفّة الحسنات، إلى كفّة السيّئات، ومن رفيع الدرجات إلى أسفل الدركات. كما تقدّم في الأخبار[١].

ولذلك قال عيسى عليه السلام:

يا معشر الحواريّين، كم من سراج قد أطفأته الريح، وكم من عابد أفسده العجب[٢].

وروى سعد بن أبي خلف عن الصادق عليه السلام قال:

عليك بالجدّ ولا تخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله وطاعته، فإنّ الله تعالى لا يعبد حقّ عبادته[٣].

ومنشأُ العجب الغفلة عن عيوب الأعمال وآفات العبادات، وعن نعم الله تعالى على العاملين من الخلق والأقدار والألطاف والتسخير وغير ذلك.

فانظر إلى الأقرب إليك في هذا المقام، وهو الصلاة التي هي عمود الدين، وأوّل ما ينظر فيه من أعمال ابن آدم، فإن ردّت ردّ سائر عمله، وتأمّل حدودها التي قد حكيناها مستندة إلى النصوص الصحيحة، فلا تكاد تسلم لك صلاة واحدة كاملة تثق من نفسك بقبول الله إيّاها، وهلمّ جرّاً إلى غيرها من العبادات، فلكلّ واحد وظائف وحدود لا تبلغها أعمالنا، ولا نقوم بها لغفلتنا. وقد قال عليّ عليه السلام:

---

١. تقدّم في ص ٢٧٥.

٢. عدّة الداعي: ٢٢٣.

٣. عدّة الداعي: ٢٢٤؛ ورواها الكليني ـ في الكافي ٢: ٧٢ / ١، باب الاعتراف بالتقصير ـ عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام.

اعلموا عباد الله أنّ المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلّا ونفسه ظَنُون[١] عنده، فلا يزال زارياً[٢] عليها، ومستزيداً لها، فكونوا كالسابقين قبلكم، والماضين أمامكم، قوّضوا من الدنيا تقويض الراحل، وطووها طيّ المنازل[٣].

فكيف يعجب الإنسان بعمله، أو يعدّه قائماً بحقوق العبوديّة ووظائف الخدمة، لولا استيلاء الغفلة؟!

نعم لا يقدح نظر المؤمن إلى نفسه وسروره بما يفعله من العبادة مع حمد الله تعالى على توفيقه لها، وطلب الاستزادة من فضله فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن[٤].

وقال عليه السلام:

ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل خيراً حمد الله واستزاده، وإن عمل شرّاً استغفر الله تعالى[٥].

فهذا ما اقتضى الحال ذكره من المنافيات ملخّصاً، ليوافق الغرض، فإنّ ذكره هنا بالعَرض، والله الموفّق.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١. الظَنون: كلّ ما لا يوثق به، يقال: رجل ظَنون أي متّهم.... المعجم الوسيط: ٥٧٨، «ظ ن ن».
٢. زري عليه، زرياً وزراية: عابه وعتب عليه. المعجم الوسيط: ٣٩٣، «ز ر ى».
٣. نهج البلاغة: ٣٣٥ ـ ٣٣٦، الخطبة ١٧٦؛ عدّة الداعي: ٢٢٤.
٤. عدّة الداعي: ٢٢٤.
٥. الاختصاص: ٢٤٣؛ إرشاد القلوب ١: ٣٤٤؛ عدّة الداعي: ٢٢٤.

وأمّا الخاتمة

ففيها بحثان:

[البحث] الأوّل

في جبر الخلل الواقع في الصلاة بمعنى بيان الدواء النافع لهذه المنافيات

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

اعلم أنّ الخلل إن كان من قبيل منافي الإقبال بالقلب على الصلاة بسبب الأفكار الخارجة عنها فدواؤه تذكّر ما هو فيه، ومن يناجيه، واستشعار الأخطار اللازمة من الغفلة، وعدم قبول العمل مع شدّة الحاجة إليه من يومه هذا إلى الأبد؛ فإنّ التوفيق الواقع من الجناب الإلهي للمطيع فائض في الدارين، والحاجة إليه حاصلة في الحالين، سيّما يوم الجزاء الذي يضيق عن وصفه الحال، ولا يحيط بتقريره العقل ولا الخيال، ولا تطيق حمل أهواله الجبال، وليس فيه معين مع رحمة الله تعالى وكرمه إلّا القيام بالأعمال الصالحة، والطاعات المقبولة الرابحة، فإنّها وسيلة إلى الأنوار في تلك الظلمة، والنجاة من تلك الشدّة، والجواز على عقبة الساهرة[1].

ولا تكتسب الأعمال الصالحة والطاعات المقبولة إلّا في هذه الدار الزائلة، وفي هذه

---

١. الساهرة: أرض القيامة. المفردات في غريب القرآن: ٢٤٥، «س هـ ر».

المدّة القصيرة التي أكثرها قد مضى على الغفلة، ويكاد يلحق باقيها بماضيها إن لم يستيقظ الغافل، ويستدرك ما فرّط، وليس في تلك الدار إلّا الجنة أو النار، والجنة قد أُعدّت للمتّقين، كما أنّ النار أُعدّت للفاسقين.

وبالجملة، فالخطر عظيم، والأمر جسيم، والغفلة شاملة، ونحن مع ذلك لا نشعر، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله:

تمضي على الرجل ستّون سنة أو سبعون سنة ما قبل الله منه صلاة واحدة[١].

وقال الصادق عليه السلام لحمّاد بن عيسى ـ الذي كان يحفظ في فقه الصلاة كتاب حريز، ودعا له الصادق عليه السلام بأن يحجّ خمسين حجّةً، وأن يكثر الله تعالى ماله وولده، فأُجيب له في جميع ذلك ـ حين صلّى عنده ركعتين:

ما أقبح بالرجل منكم تمضي عليه ستّون سنة، أو سبعون سنة لا يحسن أن يقيم صلاة واحدة بحدودها[٢].

وقال صلى الله عليه وآله:

كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه[٣].

وكم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والعطش[٤].

إلى غير ذلك من الآثار الدالّة على صعوبة الأمر، ودقّة الخطر.

فإحضار هذا وشبهه وما تقدّم في المقدّمة من الأثر ممّا يعين على حضور القلب، مضافاً إلى ما سلف من الدواء المعين على ذلك في المطلب الثالث[٥].

وإن كان المنافي من قبيل المفسدات فالعلاج النافع في ما ينافي الإخلاص هو التفكّر في مضرّة الرياء، وما يفوت بسببه من صلاح القلب، وما يُحرم عنه في الحال من التوفيق،

---

١. بحار الأنوار ٨١: ٢٦١ / ٥٩ عن أسرار الصلاة.

٢. الكافي ٣: ٣١١ / ٨، باب افتتاح الصلاة.....، الفقيه ١: ١٩٦ / ٩١٦؛ تهذيب الأحكام ٢: ٨١ / ٣٠١.

٣. بحار الأنوار ٨٩: ١٨٥ / ٢٤ عن أسرار الصلاة، وفي ص ١٨٤ / ١٩ عن جامع الأخبار بلفظ: «ربّ تالٍ القرآن والقرآن يلعنه».

٤. إحياء علوم الدين ١: ٢٣٥؛ كنز العمّال ٣: ٧٤٣ ـ ٧٤٤ / ٧٤٩٠ ـ ٧٤٩١؛ مسند أحمد ٣: ١٨٥ / ٩٣٩٢، بتفاوت في الأخيرين. وأيضاً عن عليّ عليه السلام في نهج البلاغة: ٦٨٤، الحكمة ١٤٥.

٥. تقدّم في ص ٢٣١ وما بعدها.

وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى، وما يتعرّض له من العقاب العظيم، والمقت الشديد، والخزي الظاهر، حيث ينادي ربّه على رؤوس الأشهاد والعباد: يا فاجر، يا غادر، يا مراء، أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله تعالى عرض الدنيا؟ راقبت قلوب العباد، واستهزأت بطاعة الله تعالى، وتحبّبت إلى العباد بالتبغّض إلى الله تعالى، وتزيّنت لهم بالشين عند الله تعالى، وتقرّبت إليهم بالبعد من الله، وتحمّدت إليهم بالتذمّم عند الله تعالى، وطلبت رضاهم بالتعرّض لسخط الله تعالى، أما كان أحد أهون عليك من الله تعالى؟!

فمهما تفكّر العبد في هذا الخزي، وقابل ما يحصل له من العباد والتزيّن لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة، وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال، مع أنّ العمل الواحد ربما كان يترجّح به ميزان حسناته لو خلص، فإذا فسد بالرياء حوّل إلى كفّة السيّئات، فيترجّح به بعد أن كان مرجوحاً، ويهوي العبد إلى النار.

فلو لم يكن في الرياء إلّا إحباط عبادة واحدة، لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره، وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة، فقد كان ينال بهذه الحسنة علوّ الرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيّين والصدّيقين، وقد حطّ عنهم بسبب الرياء، وردّ إلى صفّ النعال من مراتب الأولياء، إن لم يستوجب النار، والخزي والطرد من الملك الجبّار.

هذا مع ما يتعرّض له في الدنيا من تشتّت الهمّ، بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإنّ رضى الناس غاية لا تدرك، فكلّ ما يرضى به فريق يسخط به فريق، ورضى بعضهم في سخط بعض، ومن طلب رضاهم في سخط الله تعالى سخط الله عليه، وأسخطهم أيضاً عليه، كما ورد في الأخبار[1]، ودلّت عليه التجربة.

ثمّ أيّ غرض له في مدحهم وإيثار ذمّ الله تعالى لأجل حمدهم، ولا يزيد مدحهم رزقاً ولا أجلاً، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته، وهو يوم القيامة.

وأمّا الطمع لما في أيديهم فبأن يعلم أنّ الله تعالى هو المسخّر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأنّ الخلق مضطرّون له فيه، ولا رازق إلّا الله تعالى، ومن طمع في الخلق لم يخلُ من الذلّ

---

١. راجع الاختصاص: ٢٢٥.

والخيبة والمقت والإهانة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنّة والمهانة، ومن اعتمد على الله تعالى وجعل همّه معه، كفاه الله تعالى همّه في الدنيا والآخرة.

فكيف يترك ما عند الله لرجاء كاذب ووهم فاسد، وقد يصيب وقد يخطئ، وإذا أصاب فلا تفي لذّته بألم منّته ومذلّته؟

وأمّا ذمّهم فلم يحذر منه، ولا يزيده ذمّهم شيئاً ما لم يوافقهم الله تعالى عليه، ولا يعجّل أجله، ولا يؤخّر رزقه، ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنّة، ولا يبغّضه إلى الله تعالى إن كان محموداً عند الله تعالى، ولا يزيده مقتاً إن كان ممقوتاً عند الله، فالعباد كلّهم عجزة، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً[1]، بل العقل والنقل والتجربة قد أذنت بخلاف ذلك كلّه، وأنّ المخلص أعماله للّه يحبّبه الله إلى المخلوقين الصالحين والفاسقين، بل إلى كثير من الكافرين، فتراهم يعظّمونه ويوقّرونه، ويلتمسون بركته مع ضعفه وفقره، وقلّة ذات يده، وقلّة عمله.

والمرائي يظهر الله تعالى الخلق على باطنه، وخبث نفسه، وفساد نيّته، فيمقتونه، ولا يفوز بمطلبه، ويضيع تعبه، ويبطل سعيه.

كما روي أنّ رجلاً من بني إسرائيل قال:

والله لأعبدنّ الله عبادة أذكر بها، فكان أوّل داخل للمسجد، وآخر خارج منه، لا يراه أحد حين الصلاة إلّا قائماً يصلّي، وصائماً لا يفطر، ويجلس إلى حلق الذكر، فمكث بذلك مدّة طويلة. وكان لا يمرّ بقوم إلّا قالوا: فعل الله بهذا المرائي وصنع؛ فأقبل على نفسه وقال: أراني في غير شيء، لأجعلنّ عملي كلّه للّه، فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك، إلّا أنّه تغيّرت نيّته إلى الخير. فكان ذلك الرجل يمرّ بعد ذلك بالناس فيقولون: رحم الله فلاناً؛ الآن؛ أقبل على الخير.[2]

وقد نبّه الله تعالى على ذلك في كتابه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[3].

---

١. مأخوذ من الآية ٣ من الفرقان (٢٥).

٢. عدّة الداعي: ٢١٦، بتفاوت في الألفاظ.

٣. مريم (١٩): ٩٦.

ثمّ هب أنّهم أحبّوك وأكرموك، وخفي خبثك عليهم، مع أنّ الله تعالى مطّلع على فساد نيّتك، وخبث سريرتك، فأيّ خير لك في مدح الناس، وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار؟

وأيّ شرّ لك في ذمّ الناس، وأنت عند الله ممدوح من أهل الجنّة، وفي زمرة المقرّبين؟

ومن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبّد، والمنازل الرفيعة عند الله تعالى، استحقر ما يتعلّق بالخلق أيّام الحياة، مع ما فيه من الكدورات والمنغّصات، واجتمع همّه، وانصرف إلى الله تعالى قلبه، وتخلّص من مذمّة[1] الرياء، ومقاساة قلوب الخلق، وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره، ويستأنس بها من وحشته. فإن لم يكتف بذلك كلّه فليتأمّل ثلاثة أشياء:

أحدها: أنّه لو قيل لك: إنّ هناك رجلاً معه جوهر نفيس يساوي مائة ألف دينار، وهو محتاج إلى ثمنه، بل إلى بيعه عاجلاً، وإلى أضعاف ثمنه، فحضر من يشتري منه متاعه بأضعاف ثمنه ـ مع حاجته إلى الأضعاف أيضاً ـ فأبى أن يبيعه بذلك، وباعه بفلس واحد، أليس ذلك يكون خسراناً عظيماً وغبناً فظيعاً، ودليلاً بيّناً على خسّة الهمّة، وقصور الفهم والعلم، وضعف الرأي، ورقّة العقل، بل على السفه المحض؟!

وهذا بعينه أبلغ من حال المرائي في عمله، بل في عبادة واحدة؛ فإنّ ما يناله العبد بعمله من الخلق من مدحه، وحطام الدنيا بالإضافة إلى رضى ربّ العالمين وشكره، وثواب الآخرة، ونعيم الجنّة الدائمة، المُخلَص من شوب الكدورات، أقلّ من فلس في جنب ألف ألف دينار، بل في جنب الدنيا وما فيها وأكثر.

وهذا هو الخسران المبين أن تفوّت نفسك تلك الكرامات العزيزة الشريفة، بهذه الأُمور الدنيّة الحقيرة.

ثمّ وإن كان لابدّ لك من هذه الهمّة الخسيسة، فاقصد أنت الآخرة تتبعك الدنيا، بل اطلب الربّ وحده يعطيك الدارين، إذ هو مالكهما جميعاً، وذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللّهِ ثَوابُ الدُّنْيا والآخِرَةِ﴾[2].

---

١. في إحياء علوم الدين ٣: ٣١٢: «مذلّة» بدل «مذمّة».

٢. النساء (٤): ١٣٤.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

إنّ الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة، ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا[١].

فإذا أنت أخلصت النيّة، وجرّدت الهمّة للآخرة، حصلت لك الدنيا والآخرة جميعاً، وإن أردت الدنيا ذهب عنك الآخرة في الوقت، وربما لا تنال الدنيا كما تريد، وإن نلتها فلا تبقى لك، بل تزول عنك قريباً، فقد خسرت الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

ونظير هذا الشخص بالنسبة إلى هذا المثل من يصرف جزءاً من عمره، ونفَساً من أنفاسه الذي يمكنه به تحصيل كنز من كنوز الجنان، فيما يحصل به دانق، أو حبّة أو درهم أو دينار من متاع الدنيا، ويترك ذلك الكنز الدائم لغير ضرورة، ما هذا إلاّ عين الغفلة والخسران، وخسّة الهمّة والخذلان.

وثانيها: أنّ المخلوق الذي تعمل لأجله، وتطلب رضاه لو علم أنّك تعمل لأجله لأبغضك، وسخط عليك، واستهان بك، واستخفّ بك، مضافاً إلى مقت الله تعالى وإهانته وخذلانه، وما تعمله للّه تعالى خالصاً يوجب رضى الفريقين،فكيف يعمل العاقل لأجل من لو علم بأنّه يطلب رضاه لسخط عليه، وأهانه؟! فانظر إن كنت أنت تعقله.

وثالثها: أنّ من حصل له سعي يكتسب به رضى أعظم ملك في الدنيا فطلب به رضى كنّاس خسيس بين الناس، وسخط لذلك الملك، بل مع عدم سخطه، أليس ذلك دليلاً على السفه، ورداءة الرأي، وسوء النظر، ويقال له: ما حاجتك إلى رضى هذا الكنّاس مع تمكّنك من رضى هذا الملك؟!

كذلك أيّ حاجة إلى رضى عبد مخلوق ضعيف حقير مهين، مع التمكّن من تحصيل رضى ربّ العالمين الكافي عن الكلّ؟!

نسأل الله حسن التوفيق. وهذا هو الدواء العِلْمي.

وأمّا الدواء العَمَلي، فهو أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها؛ كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتّى يقنع قلبه بعلم الله تعالى، واطّلاعه على عبادته،

---

١. تنبيه الخواطر ١: ٧٦؛ إرشاد القلوب ١: ٣٥٢، وفيهما «يعطي الدنيا على نيّة الآخرة» بدل «يعطي الدنيا بعمل الآخرة».

ولا تنازعه نفسه إلى طلب علم غير الله تعالى، وهو أمر يشقّ في ابتداء المجاهدة، لكن إذا صبر عليه مدّة بالتكلّف سقط عنه ثقله، وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله تعالى، وما يمدّ به عباده من حسن التوفيق فـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، فمن العبد المجاهدة، ومن الله الهداية. قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾[2].

وإن كان المنافي من قبيل المتأخّر عن العبادة، وهو الرياء المتأخّر والعجب، فقد عرفت دواء الأوّل[3].

أمّا العُجب؛ فلينظر في الأسباب والآلات التي قوي بها على العبادة التي أورثته العجب من القدرة، والعلم، والأعضاء، والرزق الذي أكله حتّى قوي به، فإنّه يجده كلّه من الله تعالى، ولولاه لم يقدر على شيء منها.

ثمّ ينظر إلى نعمته عليه في إرسال الرسل إليه، وخلق العقل له حتّى اهتدى به إلى طريق الحقّ.

ثمّ ينظر في قيمة العمل الذي عمله، فلا يجده مقابلاً لنعمةٍ من هذه النعم، وإنّما صار لعمله قيمة؛ لمّا وقع من الله تعالى موقع الرضى والقبول، وإلّا فترى الأجير يعمل طول النهار بدرهمين، والحارس يسهر طول الليل بدانقين، وكذلك أصحاب الصناعات والحرف، كلّ واحد منهم يعمل في الليل والنهار، فيكون قيمة كلّ ذلك دراهم معدودة، فإن صرفت الفعل إلى الله تعالى، وصمت للّه تعالى يوماً، قال: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[4]. وفي الخبر:

أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[5].

فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم، صارت له هذه القيمة بتأخير

---

١. الرعد (١٣): ١١.

٢. العنكبوت (٢٩): ٦٩.

٣. تقدّم البحث عن الرياء المتأخّر في ص٢٧٩ الخامس من وجوه الرياء.

٤. الزمر (٣٩): ١٠.

٥. عدّة الداعي: ٩٩، ٢٢٦؛ صحيح مسلم ٤: ٢١٧٤/٢٨٢٤، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، كنز العمّال ١٥: ٧٧٨/٤٣٠٦٩، و ٧٨٨/٣٤١١٩.

غداء إلى عشاء، ولو قمت ليلة للّه تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

فهذا الذي قيمته درهم صارت له كلّ هذه القيمة والقدر، بل لو جعلت للّه ساعة تصلّي فيها ركعتين خفيفتين، بل نفساً فقلت فيه: «لا إله إلّا الله» قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئك يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[٢].

فحقّ إذن للعاقل أن يرى حقارة عمله، وقلّة مقداره من حيث هو، وأن لا يرى إلّا منّة الله تعالى عليه فيما شرف به من قدر عمله، وأعظم من جزائه، وأن يحذر في فعله أن يقع على وجه لا يصلح للّه تعالى، ولا يقع منه موقع الرضى، فيذهب عنه موقع القيمة التي حصلت له، ويعود إلى ما كان في الأصل من الثمن الحقير.

فقس قدر عملك في نفسه إلى ما عليك من نعمه، فهل تجده وافياً بعشر عشيره؟ وهل توفيقك للقيام بوظائف العبوديّة، وتأهيلك للخدمة الإلهيّة إلّا نعمة، بل أعظم نعمة يلزمك شكرها؛ كما أُشير إليه في خبر داود عليه السلام حين أوحى الله إليه:

أن اشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ، كيف أشكرك حقّ شكرك، والشكر من نعمتك تستحقّ عليه شكراً؟! فقال: يا داود، إذا عرفت أنّ ذلك منّي فقد شكرتني[٣].

وروي:

أنّ بعض الوعّاظ قال لبعض الخلفاء:

أتراك لو مُنعت شربةً من الماء عند عطشك؛ بِمَ كنت تشتريها؟

قال: بنصف ملكي.

قال: أتراها لو حُبست عنك عند خروجها، بم كنت تشتريها؟

قال: بالنصف الآخر.

قال: فلا يغرّنّك ملك قيمته شربة ماء[٤].

---

١. السجدة (٣٢): ١٧.

٢. غافر (٤٠): ٤٠.

٣. عدّة الداعي: ٢٢٥؛ وفي الكافي ٢: ٢٧/٩٨، باب الشكر عن أبي عبدالله عليه السلام فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام.

٤. عدّة الداعي: ٢٢٦.

ففكّر أنت كم تتناول في كلّ يوم شربة ماء هنيئة، وأكلة هنيئة، وتسيغها هنيئاً في عافية! وكم تنظر بعينك هنيئاً، وتسمع طيّباً، وتشمّ زكيّاً، وتمشي إلى ما تحبّ، وتبطش بيدك فيما تحبُّ، إلى غير ذلك من حواسّك، وأعضائك، وقواك الباطنة، التي لا يطّلع على دقائقها وتضريفها إلّا الله تعالى، من مجاري طعامك، وتصاريف هضمك، وتفريق فضلاتك، وتغذّيك! تجده ممّا لو صرفت زمانك في الفكر فيه خاصّة، لقضيت منه العجب، ولو فقدت شيئاً يسيراً منه وطلب منك طبيب على أن يردّه إليك، ويصلحه لك [قبال] خدمتك له سنة أو أكثر، لسررت بذلك وعددته منعماً عليك، وكم تقابل هذه النعم المتعدّدة بسنين من الخدمة.

والحال أنّك لا تخدم مولاك المنعم إلّا أوقاتاً قليلة بعبادة، ولو تأمّلتها وعرفت عيوبها وآفاتها لم تثق بشيء منها، ولاستحييت من فعلها.

وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها﴾[1].

فالنعم عليك لا تحصى، وعملك ـ على تقدير سلامته وقبوله ـ قليل يحصى، فكيف يُقابل ما لا يحصى؟!

ثمّ إذا قابلته بقيت خالياً من عمل يوجب لك المكافأة، فقصاراك الاعتراف بالتقصير، وشرفك المراقبة للّه تعالى، وتذكّر المنّة والاعتراف بالنعمة، والإزراء[2] بنفسك، والمقت لها؛ لعلّك تفوز برحمة الله تعالى. فقد قال رسول الله ﷺ:

من مقت نفسه دون مقت الناس، أمّنه الله من فزع يوم القيامة[3].

وروي:

أنّ عابداً عبد الله تعالى سبعين عاماً صائماً نهاره، قائماً ليله، فطلب إلى الله تعالى حاجة فلم تقض، فأقبل على نفسه وقال: من قِبَلِك أُتيتُ. لو كان عندك خير قُضيت حاجتُك فانزل الله إليه ملكاً فقال: يا بن آدم، ساعتك التي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت[4].

ثمّ تأمّل بعد ذلك ثلاثة أُمور:

---

١. إبراهيم (١٤): ٣٤.

٢. زارأه: عابه وعاتبه. المعجم الوسيط: ٣٩٣، «ز ر ى».

٣ و ٤. عدّة الداعي: ٢٢٧.

أحدها: لو أنّ ملكاً من ملوك الدنيا إذا أجرى على أحد من أتباعه طعاماً وكسوةً، أو دراهم أو دنانير فانية؛ فإنّه يستخدمه لأجلها بضروب الخِدم آناء الليل والنهار، مع ما في ذلك من الذلّ والصغار. وبعضهم يقوم لذلك على رأسه، ويسهر الليل بأجمعه لأجله. وبعضهم يقف في خدمته يوماً بعد يوم حتّى ينقضي عمره. وبعضهم يسعى في حوائجه ومهمّاته. وبعضهم يركب الأهوال ولُجج البحار لأجله، وربما يبدو له عدوّ فيبذل روحه التي لاخلف عنها لأجله، ولا ينفعه في الآخرة بعد ذلك.

فتراهم يحتملون كلّ هذه الخدمة لأجل تلك المنفعة الخسيسة الفانية، ومع ذلك يعترفون للملك بالنعمة، ويقرّون له بالفضل عليهم والمنّة، مع أنّ تلك المنفعة في الحقيقة من الله تعالى. ولو أراد ملكهم أن ينبت لهم حبّة واحدة، أو يخلق لهم خيطاً واحداً لم يقدر على ذلك، وهم يعترفون بذلك كلّه.

فكيف تستكثر عملك الحقير المشوب بالآفات والنقائص لربّك الذي خلقك ولم تك شيئاً مذكوراً، ثمّ ربّاك وأنعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة، في نفسك، ودينك، ودنياك، ما لا يبلغ كنهه فهمك ولا وهمك، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها﴾[1]. وقد وعدت على هذا العمل القليل مع ما فيه من المعايب والآفات بالثواب العظيم الدائم، وضروب الكرامات؟ فما استعظام ذلك من شأن العاقل.

وثانيها: أن تتفكّر في أنّ الملك الذي من شأنه أن يخدمه الملوك والأُمراء إذا أذن في إدخال الهدايا إليه، ووعد عليها بالعطاء العظيم، وأمر أن لا يستحيي أحد بهديّته ولو كان باقة بقل، فدخلت عليه الكبراء والأُمراء والرؤساء والأغنياء بأنواع الهدايا من الجواهر الثمينة والهدايا النفيسة، ثمّ جاء إليه بقّال بباقة بقل، وقروي بسلّة عنب تساوي درهماً أو حبّة، فدخل بها إلى حضرته، وزاحم أُولئك الأكابر بهداياهم الجليلة، فقبل الملك من الوضيع هديّته، ونظر إليها نظر القبول، وأمر له بأنفَس خلعة وكرامة، تبلغ مائة ألف دينار، ألا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم؟

---

١. إبراهيم (١٤): ٣٤.

ثمّ لو فرض أنّ هذا الفقير نظر بخاطره إلى هديّته، واستعظم أمرها، وتعجّب بها، ونسي ذكر منّة الملك، ألا يقال هذا مجنون مضطرب العقل، أو سفيه سيّئ الأدب عظيم الجهل؟

وثالثها: أنّ الملك الذي من شأنه أن يخدمه الملوك والأُمراء، ويقوم على رأسه السادات والعظماء، ويتولّى خدمته الحكماء، ويمشي بين يديه الأكابر والرؤساء، إذا أذن لسوقي أو قروي في الدخول عليه، والقرب منه، حتّى زاحم أولئك السادات والأفاضل في خدمته، وجعل له مقاماً في حضرته، أليس يقال: لقد كثرت على هذا الحقير المنّة من الملك، وعظمت عليه النعمة؟

فإن أخذ هذا الحقير يمنّ على الملك بتلك الخدمة الحقيرة، ويستعظم ذلك من هذه النعمة الواصلة إليه، ويعجب بعمله، أليس ينسب إلى محض السفه والجنون؟

فكيف، وإلهنا الذي له ملك السماوات والأرض، وقد دان له العالَمون، ووقف بخدمته الملائكة المقرّبون، والأنبياء والمرسلون الذين لا يحصي عددهم إلّا ربّ العالمين، ومنهم النافذة في تخوم الأرض أقدامهم، والواصلة إلى العرش رؤوسهم، وهم مع ذلك مطرقون لا يرفعون رؤوسهم تعظيماً للّه تعالى، ولا يفترون عن ذكر الله تعالى أبداً إلى آخر مدّتهم، فإذا أراد الله أن يميتهم رفعوا رؤوسهم وقالوا: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك.

ولا يخفى حال نبيّنا صلى الله عليه وآله في جِدّه واجتهاده في عبادة ربّه[1]، ومن بعده من الأئمّة، الذين يخرج ذكر يسير من عباداتهم عن حدّ الاختصار إلى نهاية الإكثار، وهم مع ذلك معترفون بالتقصير، باكون على أنفسهم ومزرون[2] عليها.

ثمّ إنّك ترضى من نفسك بصلاة ركعتين محشوّة من المعايب، وقد وعدت من الثواب عليها بما لا يخطر على قلب بشر، وتعجب بذلك وتستكثره، ولا ترى منّة الله عليك في ذلك؟!

فما أجهلك من إنسان، وما أسوأك من رجل، وما أسفهك من بشر!

---

١. راجع على سبيل المثال الكافي ٢: ٦/٩٥، باب الشكر؛ والاحتجاج: ٢١٩ ـ ٢٢٠، ما حكاه موسى بن جعفر عن آبائه عن عليّ عليه السلام من احتجاجه على اليهودي.

٢. أزرى عليه: عابه وعتب عليه. لسان العرب ١٤: ٣٥٦؛ المعجم الوسيط: ٣٩٣، «ز ر ى».

وأمّا نحن فلو عقلنا وتيقّظنا[١] لأعمالنا، لوجدناها إلى كفّة السيّئات أميل منها إلى كفّة الحسنات؛ لشدّة الغفلة، وكثرة المعائب، وفساد القلوب، وتشويش المقاصد.

اللهمّ لا تكلنا إلى أعمالنا، ولا تؤاخذنا بتفريطنا وإهمالنا، واشملنا بفضلك وأُنسك، وخذ بنواصي قلوبنا إلى جوار قُدسك، فقديماً سترت، وعظيماً غفرت، وجزيلاً أعطيت، وجسيماً أبليت، وأنت أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، فما قدمت عليك أيدينا إلّا صفراً من الحسنات، مملوءة بالمعاصي والسيّئات، وجُودُك أوسع وأكمل من أن يضيق عمّن التجأ إليك، واعتمد بفضلك ورحمتك عليك، وأنت دللتنا على جودك، وهديتنا إلى فضلك، وأمرتنا بالدعاء، وضمنت الإجابة، وأنت الجواد الكريم.

البحثُ الثاني

في خصوصيّات باقي الصلوات بالنسبة إلى اليوميّة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[صلاة الجمعة]

تختصّ الجمعة باستحضار أنّ يومها يوم عظيم، وعيد شريف، خصّ الله به هذه الأُمّة،وجعله وقتاً شريفاً لعبادته؛ ليقرّبهم فيه من جواره، ويبعّدهم من طرده و ناره، وحثّهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال، وتلافي ما فرّط منهم في بقيّة الأُسبوع من الإهمال، وجعل أهمّ ما يقع فيه من طاعته، وما يوجب الزلفى والقرب إلى شريف حضرته، صلاة الجمعة، وعبّر عنها في محكم كتابه الكريم بـ«ذكر الله» الجسيم، وخصّها من بين سائر الصلوات التي هي أفضل القربات بالذكر الخاصّ، فقال سبحانه: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما يتنبّه له من له حظّ من المعاني لا يليق بسطه بهذه الرسالة.

---

١. في مطبوعة بيروت «تفطّنّا» بدل «تيقّظنا».

٢. الجمعة (٦٢): ٩.

ومن أهمّ رمزها هنا التعبير عن الصلاة بـ«ذكر الله» ونبّه بذلك على أنّ الغرض الأقصى من الصلاة ليس هو مجرّد الحركات والسكنات، والركوع والسجود، بل ذكر الله تعالى بالقلب، وإحضار عظمته بالبال، فإنّ هذا وأشباهه هو السرّ في كون الصلاةِ ناهية عن الفحشاء والمنكر، كما أخبر تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1]؛ إذ كان سببهما القوّة الشهويّة إذا خرجت عن حكم العقل.

وهذا كلّه إنّما يتمّ مع التوجّه التامّ إلى الله تعالى وملاحظة جلاله الذي هوالذكر الأكبر والكثير على ما ورد في بعض تفسيراته[2] فضلاً عن أن يكون ذكراً مطلقاً.

وإذا كان الاستعداد بهذه المثابة، لا جرم وجب الاهتمام بها زيادة على غيرها من الصلوات، والتهيّؤ والاستعداد للقاء الله تعالى، والوقوف بين يديه في الوقت الشريف، والنوع الشريف من العبادة.

واحضر ببالك أن لو أمرك ملك عظيم من ملوك الدنيا بالمثول في حضرته، والفوز بمخاطبته في وقت معيّن، أما كنت تتأهّب له بتمام الاستعداد والتهيئة والسكينة والوقار، والتنظيف والتطيُّب وغير ذلك ممّا يليق بحال الملك؟

ومن هنا جاء استحباب الغسل يوم الجمعة، والتنظيف، والتطيُّب، والتعمّم، وحلق الرأس، وقصّ الشارب والأظفار[3]، وغير ذلك من السنن.

فبادر عند دخول الجمعة إلى ذلك بقلب مقبل صاف، وعمل مخلص، وقصد متقرّب، ونيّة خالصة، كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا، إن لم تعظم همّتك عن ذلك، ولا تقصد بهذه الوظائف حظّك من الرفاهيّة، ومطلب[4] نفسك من الطيب والزينة فتخسر صفقتك، وتظهر بعد ذلك حسرتك.

وكلّما أمكنك تكثير المطالب التي يترتّب عليها الثواب لعملك فاقصدها، يضاعف ثواب عملك بسبب قصدها، فانو بالغسل يوم الجمعة سنّة الجمعة والتوبة ودخول المسجد،

---

١. العنكبوت (٢٩): ٤٥.

٢. مجمع البيان ٤: ٢٨٥، ذيل الآية ٤٥ من العنكبوت (٢٩).

٣. راجع الكافي ٣: ٤١٧ ـ ٤١٨، باب التزيّن يوم الجمعة.

٤. في «ح» و«ب»: «تطيّب» بدل «مطلب».

وبالثياب الحسنة، والطيب سنّة رسول الله ﷺ، وتعظيم المسجد، واحترام بيت الله تعالى، فلا يحبّ أن تدخله زائراً له، إلّا طيّب الرائحة؛ وأن تقصد به أيضاً ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته؛ ويقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه، حسماً لباب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة، فيعصون الله تعالى بسببه، فقد قيل[١]: إنّ من تعرّض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٢].

وإذا حضرت الصلاة فاحضر قلبك فهم مواقع الموعظة، واستعدّ لتلقّي الأوامر والنواهي على وجهها، فإنّ ذلك هو الغرض الأقصى من الخطبة، والخطيب، والمنبر، واستماع الناس، وتحريم الكلام خلالها، ووجوب الإصغاء إليها.

فأعط كلّ ذي حقّ من ذلك حقّه، عسى أن تكون من المكتوبين في ديوان الملائكة المقرّبين، الذين يكتبون المصلّين في ذلك اليوم الشريف، ويعرضونهم على الحضرة الإلهيّة، ويخلعون عليهم خلع الأنوار القدسيّة.

فقد روي:

أنّ الملائكة المقرّبين تقف على أبواب المساجد وبأيديهم قراطيس الفضّة وأقلام الذهب يكتبون الأوّل فالأوّل[٣].

وأنّ الجنان لتزخرف وتزيّن، وأنّ الناس يتسابقون إليها على قدر سبقهم إلى الصلاة[٤].

ولا تزال الملائكة يكتبون الداخل إلى أن يخرج الإمام فإذا خرج، طويت الصحف، ورفعت الأقلام، واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر؛ وأنّ الناس في المنازل والحظوة على قدر بكورهم إلى الجمعة[٥].

---

١. لم نعثر على قائله.

٢. الأنعام (٦): ١٠٧.

٣. إحياء علوم الدين ١: ١٨٢؛ الكافي ٣: ٢/٤١٣، باب فضل يوم الجمعة وليلته؛ الفقيه ١: ١٢٥٨/٢٧٤. بتفاوت في الجميع.

٤. الكافي ٣: ٩/٤١٥، باب فضل يوم الجمعة وليلته.

٥. الكافي ٣: ٢/٤١٣، باب فضل يوم الجمعة وليلته؛ الفقيه ١: ١٢٥٨/٢٧٤؛ إحياء علوم الدين ١: ١٨١. بتفاوت في العبارة.

فإذا أحضرت هذا ببالك، وأنّ الملائكة يستمعون وهم حولك، والله سبحانه وتعالى ناظر إليك، لزمك ارتداء الهيبة، وادّراع السكينة، وتجلبب الخشية، وعند ذلك تستحقّ أن تفاض عليك الرحمة، وتحفّك البركة، وتصير صلاتك مقبولة، ودعوتك مسموعة.

وأكثِر في ذلك اليوم من الذكر والاستغفار والدعاء، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبيّ ﷺ والصدقة، فإنّ اليوم شريف، والفضل فائض والجود تامّ، والرحمة واسعة، فإذا كان المحلّ قابلاً تمّت السعادة، وحصلت الإرادة وزيادة.

وتذكّر أنّ في يوم الجمعة ساعة لا يردّ الله فيها دعوة مؤمن[1].

فاجتهد أن تصادفها داعياً أو مستغفراً أو ذاكراً، فإنّ الله يعطي الذاكر فوق ما يعطي السائل.

وإن أمكنك الإقامة في المسجد مجموع ذلك اليوم فافعل، فإن لم يمكن فإلى العصر.

وكن حسن المراقبة، مجتمع الهمّة، عسى أن تظفر بتلك الساعة، فقد قيل: إنّها مبهمة في جميع ذلك اليوم نظراً من الله تعالى لخلقه[2]؛ ليحافظوا عليها، كما أخفى ليلة القدر في جميع السنة؛ ليحافظوا عليها. وروي:

أنّها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصفوف بالناس. وساعة أُخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس[3].

واجعل هذا اليوم خاصّة من الأُسبوع لآخرتك، فعسى أن يكون كفّارة واستدراكاً لبقيّة الأُسبوع.

ويكفيك في الاهتمام بالجمعة ووظائفها أنّ الله سبحانه جعلها أفضل أعمال بني آدم بعد الإيمان على ما نطقت به الأخبار، وصرّح به العلماء الأخيار؛ حيث دلاّ على أنّ الواجب أفضل من الندب، وأنّ الصلاة أفضل من غيرها من الواجبات، وأنّ اليوميّة أفضل من غيرها من الصلوات، وأنّ الصلاة الوسطى من بينها أفضل الخمس، والمختار أنّها الظهر، والجمعة

---

١. الكافي ٣: ١٢/٤١٤، باب فضل يوم الجمعة وليلته؛ عدّة الداعي: ٣٨.

٢. لم نعثر على قائله.

٣. الكافي ٣: ٤/٤١٤، باب فضل يوم الجمعة وليلته؛ تهذيب الأحكام ٣: ٢٣٥ ـ ٦١٩/٢٣٦.

أولى من الظهر، فتكون أفضل منها، لو أمكن تصوّر فضلها، وحينئذٍ فتكون أفضل الأعمال.

وهذا بيان واضح يوجب تمام الاهتمام بشأنها، وأبلغ الخطر في التهاون بها لمن تدبّر، وقد نبّه على جميع ذلك قوله تعالى بعد الأمر بها: ﴿ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقد وردت الأوامر بقراءة سورتها وسورة المنافقين فيها[2]؛ ليتكرّر سماع الحثّ عليها فيهما، وقد قال في سورة المنافقين ـ بعد أن سمّاها في سورتها ذكراً ـ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلك فأُولئك هُمُ الْخاسِرُونَ﴾[3].

فكرّر هذه الدقائق على فكرك عسى أن تكون من المفلحين.

[صلاة العيد]

وأمّا [صلاة] العيد: فاحضر في قلبك أنّها في يوم قسمة الجوائز[4]، وتفرقة الرحمة، وإفاضة المواهب على من قُبِلَ صومه، وقام بوظائفه.

فأكثر من الخشوع في صلاتك، والابتهال إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول أعمالك، والعفو عن تقصيرك.

واستشعر الحياء، والخوف والخجلة من حيرة الردّ، وخذلان الطرد، فليس ذلك اليوم بِعيدِ مَن لَبِسَ الجديد، وإنّما هو عيد مَن أمِنَ من الوعيد، وسَلِمَ من النقاش والتهديد، واستحقّ بصالح أعماله المزيد.

واستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف، والتنظيف، والتطيّب، وغيره من أسباب التهيّؤ والإقبال بالقلب على ربّك، والوقوف بين يديه، عسى أن تصلح للمناجاة والحظوة لديه، فإنّه مع ذلك يوم شريف، وزمان منيف، تُقبل فيه الأعمال وتستجاب فيه الدعوات، فلا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله، ولم يجعل عيداً بسببه من المآكل

---

١. التوبة (٩): ٤١.

٢. الكافي ٣: ٤٢٥ ـ ٤٢٦، باب القراءة يوم الجمعة وليلتها في الصلوات.

٣. المنافقون (٦٣): ٩.

٤. كما روي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا كان أوّل يوم من شوّال نادى مناد: يا أيّها المؤمنون، اغدوا إلى جوائزكم...». الفقيه ١: ١٤٨٢/٣٢٣.

والمشرب، واللباس، وغير ذلك من متاع الدنيا البائرة، فإنّما هو عيد لكثرة عوائد الله تعالى فيه، على من عامله بمتاجر الآخرة.

[صلاة الآيات]

وأمّا [صلاة] الآيات؛ فاستحضر عندها أهوال الآخرة، وزلازلها وتكوير الشمس والقمر، وظلمة القيامة، ووجل الخلائق، والتجاءهم واجتماعهم في تلك العرصة، وخوفهم من الأخذ والنكال، والعقوبة والاستئصال.

فأكثر من الدعاء والابتهال، بمزيد الخشوع والخضوع، والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد، وردّ النور بعد الظلمة، والمسامحة على الهفوة والزلّة، وتب إلى الله تعالى من جميع ذنوبك، وأحسن التوبة عسى أن ينظر إليك وأنت منكسر النفس، مطرق الرأس، مستحيٍ من التقصير، فيقبل توبتك، ويسامح هفتوك؛ فإنّه يقبل القلوب المنكسرة، ويحبّ النفوس الخاشعة، والأعناق الخاضعة، والتململ من ثقل الأوزار، والحذر من منقلب الأضرار.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[صلاة الطواف]

وأمّا صلاة الطواف؛ فاستحضر عندها جلالة البيت لجلالة ربّ البيت، واعلم أنّك بمنزلة الواقف في حضرة الملك المطلق، والحاكم المحقّق، فإنّه وإن كان في جميع أحوالك مطّلع على سريرتك، محيط بباطنك وظاهرك، لكنّ الحال في ذلك الموضع أقوى، والمراقبة فيه أتمّ وأولى، والغفلة ثَمّ أصعب وأدهى، وأين المقصّر في تعظيم الملك بين يديه ولدى كرسيّه، وبين النائي عنه، والبعيد منه؟

وإن كان علمه شاملاً للجميع، ومحيطاً بالكلّ، فلتزد بذلك في خشوعك وإقبالك، ولتحذر بسبب ذلك من إعراضك وإهمالك، ومن ثَمّ كان الذنب في تلك البقاع الشريفة مضاعفاً، والحسنة أيضاً فيها مضاعفة.

وتفكّر في من سبق من الأنبياء والمقرّبين، والأولياء والصالحين، فترى آثارهم وقربهم،

وما أورثهم عملهم، وحبّهم من السعادة المخلدة، والنعمة المؤبّدة المجدّدة على مرّ الدهور، والمطّردة على كلّ العصور.

وتأسَّ بهم في الأعمال وكمال الإقبال، وليكن ذلك ونظائره مقدّمة للصلاة، لا مقارناً، فإنّ وظيفة الصلاة الإقبال بها خاصّة. وترقّ من هذه المدارج إلى غيرها من شريف المعارج.

[صلاة الجنازة]

وأمّا الجنازة؛ فأحضِر عند مشاهدتها ووضعها بين يديك ما قد خلّفَتْه من الأهل والأولاد، وتركَتْه من الأموال، وقدمت على الله تعالى صفر اليد من الجميع، لم يصحبها إلّا الأعمال الصالحة، وما تاجرته من أعمال الآخرة الرابحة.

وتأمّل بهجته كيف قد ذهبت؟! وجلدته كيف قد تحوّلت؟! وعن قريب يمحو التراب صورته، وتزيل الأرض بهجته؛ وما قد حصل له من يتم أولاده، وترمّل نسائه، وتضييع أمواله، وخلوّ مسجده ومجلسه، وانقطاع آثاره بعد طول أمله وكثرة حيله، وانخداعه بمواتاة الأسباب، وغفلته عن الدخول في هذا التراب، والقدوم على ما سطر عليه في الكتاب، وركونه إلى القوّة والشباب، واشتغاله عمّا بين يديه من الموت الذريع، والهلاك السريع. وكيف كان يتردّد ويشيّع غيره من الأموات، والآن قد تهدّمت رجلاه ومفاصله؟! وكيف كان ينطق، وقد فسد لسانه؟! وكيف كان يضحك، وقد تغيّرت أسنانه؟ وكيف كان يدبّر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين، في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلّا شهر أو أقلّ، وهو غافل عمّا يراد به حتّى جاءه الموت فجأة في وقت لم يحتسبه، ففزع سمعه نداء الجبّار، إمّا بالجنّة أو النار؟!

ولينظر في نفسه أنّه الآن مثله في غفلته، وستكون عاقبته كعاقبته، فلينهض حينئذٍ إلى الاستعداد، وليشتغل بإكثار الزاد، فإنّ المسافة بعيدة، والعقبة كؤود، والخطر شديد، والندامة بعد الموت غير نافعة.

فهذا الفكر وأمثاله يحصّل قصر الأمل، والاستعداد بصالح العمل، ومحلّه خارج عن الصلاة كما مرّ.

[صلاة النذر]

وأمّا صلاة النذر والعهد ونحوهما؛ فليستشعر قبولها، والرغبة في القيام بها، والاهتمام بشأنها وفاء بعهد الله تعالى، وامتثالاً لأمره، ولا يتبرّم بها توهُّماً أنّها ليست واجبة بالأصالة، فقد لحقت بمثلها في العظمة والجلالة، وليمثّل في نفسه أنّه لو عاهد ملكاً من ملوك الدنيا على عمل من الأعمال، بحيث يكون فعله له بمرأى منه ومسمع، كيف يكون إقباله على عمله، واجتهاده في إصلاحه واتقانه، وامتلاء قلبه منه، ومراقبته لنظر الملك بمجرّد الوعد، فضلاً عن توكيده بالعهد؟! فلا تجعل نظر الله تعالى دون نظر عبيده، فإنّ ذلك عنوان النفاق، وأنموذج الشرك.

وهكذا يلاحظ وظيفة كلّ صلاة بحسبها، ويقوم بمرتبتها وآدابها، ولا يقتصر على ما بيّنّاه من الوظائف، بل يترقّى بنظره إلى ما يفتح الله تعالى عليه من المعارف، فإنّ أبواب الفيض مفتوحة، وأنوار الجود هابطة مبذولة، واصلة إلى النفوس الإنسانية على قدر استعدادها.

وفّقنا الله وإيّاكم لتلقّي الأسرار، وأدرجنا في عداد عباده الأبرار، وأخذ بنواصينا إلى رضاه ورحمته، وعاملنا بعفوه وكرمه ومغفرته، واستعملنا بما علمناه، وأشركنا في ثواب من أفدناه، فإنّ ذلك منه وبه وله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وها هنا نقطع الكلام في هذه الرسالة حامدين الله تعالى على كلّ حالة، وفرغ منها مؤلّفها العبد المفتقر إلى عفو الله تعالى وكرمه ورحمته، زين الدين بن عليّ بن أحمد الشامي العاملي عامله الله تعالى بفضله، يوم السبت تاسع شهر ذي الحجّة الحرام، وهو اليوم المبارك يوم عرفة، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، حامداً مصلّياً مسلّماً مستغفراً من ذنوبه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٤)

حقيقة الإيمان

تحقيق

محمّد الحسّون

في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدّمة التحقيق

نتعرّف على طبيعة هذه الرسالة وماهيّتها وما يتعلّق بها من أُمور أُخرى عَبْرَ عدّة نقاط:

الأُولى:

لم يذكر المصنّف اسم هذه الرسالة لا في ديباجتها ولا في آخرها ولا في واحدة من إجازاته، ولم يُشر إليها أيضاً في أحد مؤلّفاته الكثيرة.

والظاهر أنّ اسمها ـ كما أثبتناه على الغلاف ـ هو حقيقة الإيمان وقد انتزعناه من ديباجة هذه الرسالة حيث قال فيها: «فإنّي لمّا رأيت الأقوال في حقيقة الإيمان ـ مع الاتّفاق على حقيقته ـ متكثّرة»[1].

ولعلّ أوّل من ذكر هذه الرسالة ضمن مؤلّفات الشهيد الثاني هو حفيده عليّ بن محمّد بن الحسن بن زين‌الدين (ت ١١٠٣ هـ) في كتابه الدرّ المنثور فبعد أن ذكر مؤلّفات الشهيد الثاني التي حكاها محمّد بن علي بن الحسن العودي الجزيني (ت ٩٧٥ هـ) في رسالته بغية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد، وأورد أسماء مؤلّفات جدّه الشهيد الثاني التي لم يذكرها ابن العودي والتي منها هذه الرسالة حيث قال: «وكتاب تحقيق الإسلام والإيمان عندي بخطّي»[2].

وأمّا أصحاب التراجم والسير الذين ذكروا هذه الرسالة ضمن مؤلّفات الشهيد الثاني فقد اعتمدوا جميعاً في نقلهم على كتاب الدرّ المنثور.

---

١. انظر خطبة الكتاب: ٣١٥.

٢. الدرّ المنثور ٢: ١٨٨.

الثانية:

انتهى المصنّف من تأليف هذه الرسالة سحر ليلة الإثنين الثامن من شهر ذي القعدة الحرام سنة أربع وخمسين وتسعمائة هجرية، كما جاء في آخرها[1].

الثالثة:

تقع هذه الرسالة في مقدّمة، وثلاث مقالات، وخاتمة.

ففي المقدّمة تحدّث المصنّف أوّلاً عن تعريف الإيمان لغة، وبيّن أقوال اللغويين فيه، ثمّ ناقشهم فيها. ثمّ تحدّث عن تعريف الإيمان شرعاً وأوضح سبب الاختلاف في تعريفه الناشئ عن كونه من أفعال القلوب فقط، أو من أفعال الجوارح فقط، أو منهما معاً. ثمّ بيّن اختلاف آراء العلماء في معنى التصديق.

وفي **المقالة الأُولى** بيّن آراء المذاهب والفِرَق في حقيقة الإيمان، وأدلّة كلّ فرقة على مدّعاها والردود والإشكالات الواردة عليها، فتعرّض لآراء الكراميّة والمعتزلة والأشعريّة والخوارج والمعتزلة وآراء العلّاف والقاضي عبدالجبّار وأبي علي الجبّائي وابنه أبي هاشم.

وفي **المقالة الثانية** تعرّض لعدّة مسائل:

منها: أنّ حقيقة الإيمان هل تقبل الزيادة والنقصان أم لا؟

ومنها: التوسعة في حقيقة الإيمان.

ومنها: بيان حقيقة الكفر.

ومنها: أنّ المؤمن إذا اتّصف بالإيمان الحقيقي هل يمكن أن يكفر أم لا؟

وفي **المقالة الثالثة** تحدّث المصنّف عن عدّة مباحث:

منها: بيان حقيقة الإسلام.

ومنها: هل أنّ الطاعة معتبرة في حقيقة الإيمان؟

ومنها: في جواب إلزام يرد على القائلين من الإماميّة بعموم الإسلام مع القول بأنّ الكفر هو عدم الإيمان عمّا من شأنه أن يكون مؤمناً.

---

١. انظر نفس الكتاب: ٤١٨.

ومنها: حال الإنسان في زمان مهلة النظر والبحث هل هو كافر أو مؤمن؟

وفي الخاتمة تعرّض لعدّة مباحث:

منها: تعيين زمان التكليف بالمعارف الإلهيّة.

ومنها: تحقيق حول مراتب الإدراك.

ومنها: بيان معنى الدليل الذي يكفي في حصول المعرفة المحقّقة للإيمان عند مَن لا يكتفي بالتقليد في المعرفة.

ومنها: بيان المعارف التي يحصل بها الإيمان.

ومنها: شبهة الآكل والمأكول.

الرابعة:

منهجيّة المصنّف في هذه الرسالة نوردها في عدّة نقاط:

أ: إنّه جمع آراء العلماء من مختلف المذاهب والفرق في حقيقة الإيمان، وأوضحها بشكل مختصر، وذكر أدلّة كلّ فرقة وناقشها مناقشة علميّة، مبيّناً في آخر المطاف رأي الشيعة الإماميّة وأدلّتهم.

ب: من الملاحظ أنّ المصنّف﵀ عند ذكره لأقوال العلماء، يذكرها بثلاثة أشكال:

فتارة يذكر القول وقائله والكتاب الذي قاله فيه، كأقوال الخواجة نصيرالدين الطوسي في فصول العقائد وتجريد الاعتقاد وقواعد العقائد.

وتارةً يذكر القول وقائله فقط دون نسبته إلى أيّ كتاب، كأقوال التفتازاني والعلّاف والقاضي عبدالجبّار، وأبي علي الجبّائي وابنه أبي هاشم، وأبي حنيفة، وابن مجاهد، وعبدالله بن الحسن العنبري.

وتارةً أُخرى يذكر القول دون نسبته إلى قائله أو الفرقة والمذهب الذي ينتمي إليه، فكثيراً ما يعبّر عنه بـ«قيل» و «يقال» و«على قول» و«أُجيب».

ج: يعتمد المصنّف في رسالته هذه على عدّة مصادر، حيث ينقل الكثير من عباراتها دون أدنى إشارة، خصوصاً كتاب المقاصد العليّة للتفتازاني والمواقف للقاضي الإيجي، وشرحه للجرجاني، والمحصّل للفخر الرازي والإحكام في أصول الأحكام للآمدي.

د: يلاحظ على المصنّفﷺ في هذه الرسالة ـ وكذلك في رسائله الأُخرى ـ أنّه يمدح كتابه في عدّة موارد، منها مثلاً عند قوله: «وهذا استخراج لم نُسبق إليه وبيان لم يعثر غيرنا عليه».

النسختان الخطيّتان المعتمدتان في التحقيق

الأُولى: المخطوطة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في طهران، ضمن المجموعة المرقّمة ٥٣١٨، والمذكورة في فهرسها ١٦: ٢٣٠ ـ ٢٣١. كتبها بخطّ النسخ علي بن أحمد بن إبراهيم الجباعي من مدينة مشهد المقدّسة، وانتهى من كتابتها يوم السبت الثاني عشر من شهر صفر الخير سنة ٩٨٤ هـ.

وتقع في ٣٦ ورقة، بحجم ١٢ x ١٨,٥ سم، وكلّ ورقة تحتوي على ٢٤ سطراً، وقد رمزنا لها بالحرف «م».

الثانية: المخطوطة المحفوظة في المكتبة المرعشيّة العامّة في مدينة قم المقدّسة، ضمن المجموعة المرقّمة ٥٨٤٢، والمذكورة في فهرسها ١٥: ٢٢٤. كتبها بخطّ النسخ محمّد بن لاچين، وانتهى من كتابتها يوم الخميس الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١١٠٢ هـ.

وهذه النسخة مقابلة ومصحّحة على نسختين معتبرتين، حيث ورد في آخرها:

> قد قُوبل وصُحّح من نسخةٍ صحّحها الشيخ السند والسيّد المعتمد، السيّد الجليل النبيل، عبدالحسين الخاتونآبادي (سلّمه اللّه تعالى)، من نسخةٍ صحّحها الشيخ الفاضل الزاهد علي بن محمّد بن الحسن ابن المؤلّف.

وتقع في ٥٢ ورقة، بحجم ١٩ x ١٢ سم، وكلّ ورقة تحتوي على ١٨ سطراً، وقد رمزنا لها بالحرف «ش».

منهجيّة التحقيق

١) اعتمدنا في تحقيقنا لهذه الرسالة طريقة التلفيق بين النسختين الخطيّتين اللتين مرّ

وصفهما، ولم نثبت كافة الاختلافات الواردة فيهما إلّا ما وجدناه ضرورياً.

٢) قُمنا باستخراج كافّة الموارد التي تحتاج إلى استخراج: من آيات قرآنية كريمة، وأحاديث شريفة، وكلّ الأقوال التي ذكرها المصنّف سواء تلك التي ذكر قائلها أم التي نسبها إلى فرقة معيّنة أو التي أرسلها دون نسبتها لأحدٍ ـ وهي كثيرة ـ حيث عبّر عنها بـ«قيل» «يقال» «على قول» «احتجّ».

٣) أوضحنا بشكل مختصر الفِرَق والمذاهب التي ذكرها المصنّف كالكراميّة والحشويّة والتعليميّة والمعتزلة والخوارج وغيرهم.

٤) ترجمنا بعض الرواة الذين أشار المصنّف إلى أحوالهم بشكل مختصر، كعبد الرحمن القصير الذي حكم عليه بالضعف، والعلاء المشترك بين المقبول والمجهول، وبكر بن صالح الرازي الذي قال عنه: «وهو ضعيف جدّاً» وأبي عمرو الزبيري المجهول.

٥) وضعنا لبعض المطالب عناوين توضيحيّة، وقد حصرناها بين معقوفتين تمييزاً لها عن العناوين التي وضعها المصنّف.

٦) عملنا فهارس فنيّة كاملة لهذه الرسالة وفق القواعد المتّفق عليها في فنّ التحقيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على نبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

اللّهمّ تقبّل منّا هذا العمل المتواضع واجعله ذخراً لي ولوالديّ ومَن يلوذ بي، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

قم المقدّسة ـ محمّد الحسّون

٩ شعبان ١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

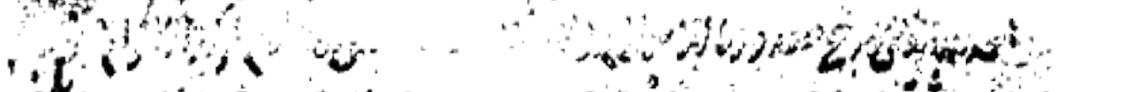

الحمد لله الذي رفع منار الإيمان وجعل على بيّنات البيان بلاغ البلاغ وبلاغ البيان بالغ برهان وعلى آله المنتجبين وصحبه الذين أزاح اللسن الذرب الله عليهم الشبه وأزال لنا بهم الدين فصدقنا وآمنا ربنا اغفر لنا فاكتبنا مع الشاهدين وبعد فإني لما رأيت الأقوال في حقيقة الإيمان مع الائتلاف على جمعه متكثرة والأدلة على كتب وكتب الأصول منتشرة وأكثرها لا يروي الغليل ولا يشفي العليل ولا يحدي منها إلا القليل أحببت أن أجمع منها جملة كافية مع إضافة بعض ما يتبع ذلك ليسهل على الناظر تناولها ويستغني بما ذكرته في بيان آيات بيناتها عن تأولها وذكرت في خلال ذلك ما ينبغي إيراده من الأبحاث بالتكرير عند ذكر بعضها وينقش على صحيفة النص وبعضها وأصل الله تعالى التوفيق من فضله وسميته بـ[illegible] لذكر مرعاة على عشرة فصول وخاتمة لا يخفى حسن الإيماء عائداً به من الاستدراج والإملاء وبيتها على مقدمة ومقالات وخاتمة أما المقدمة فاعلم أن الإيمان لغة التصديق كما نص عليها أهلها وبالوقف من الأمن بمعنى سكون النفس واطمئنانها لعدم ما يوجب الخوف لساحة فكان حقيقة أمن به سكنت نفسه وإنما أنت لسبب قبول قوله وامتثال أمره فيكون آيلاً للسببية ويحتمل أن يكون بمعنى أمنه التكذيب والمخالفة كما ذكره بعضهم فيكون آيلاً فيه زيادة والأول أولى كما لا يخفى وافق لمعنى التصديق وهو يتعدى بالباء كقوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا وامن له لوط وبالما كقوله تعالى آمنا بما أنزلت وأما التصديق فقد قيل إنه القبول والإذعان بالقلب كما ذكره أهل الميزان ويمكن أن يقال بناء على أن الإيمان قد يطلق ويراد به ما كان باللسان وحده كقوله تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا فإنه عبر عن التصديق بالإيمان وهو من أعمال اللسان مع أن الواقع منهم هو الاعتراف باللسان دون الجنان فتعين بقوله تعالى قل لم تؤمنوا إثبات الاعتراف بقوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا الدال على كونهم آتين

صورة الصفحة الأولى من نسخة «م»

بتنا صلها الكلكون الحاب على صنعة كذا والصلاط على صنعة كذا والبيان هل
هو بيان حقيقة او كناية عن العدل الى غيرذلك من التفصيل الى طريقنا الاطاد
فالظاهر ان الجمل بها غير مخل بالايمان وكذا كون صحن نعوذ بالله منها تحت
الارض وكون الجنة فوق السماء نسأل الله تعالى ان يجعلنا وآباءنا و
ذرياتنا وابنائنا واهل خيراتنا واخواننا المؤمنين والمؤمنات
حشر اهلها وكاتبها من غير ان يسبق لنا على ذلك عذاب بمنه الله سبحانه
ولطفه ومنه ويمنه مع محمد وآله الطاهرين وبمع الدين الى الله عليهم من
النبيين بحق محمد وآله الطاهرين المعصومين صلوة الله عليهم اجمعين
ووفق الله عز وجل لي يا معز الله سبحانه على تجميع هذا الكتاب بعض الحقيقة
والانصاف وشكك بحقيقة عينه عن طريق الاعتساف وزاده الله تقم
وايانا به وجاءا به رسول الله صلعم تصديقا والمانا وقد اتفق الفراغ
بايديهما صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام
سنة اربع وتسعمائة على يد العبد الذليل الخاني المفتقر
الى رحمة ربه الغني زين الدين بن محمد بن الحسين بن علي الخاني على بجاه نبيه الله
عليهم وعن جميع المؤمنين ومن دعى لهما بالمغفرة يا نبي وآله الطاهرين آمين
رب العالمين وفرغ الفراغ من تعليقهما يوم السبت ثاني
عشر من صفر سنة اربع وثمانين وتسعمائة على يد اضعف العباد
واحوجهم الى رحمة ربه الغني علي بن محمد بن الحسين بن ابراهيم الجبعي
غفر المشهدي المقدس المشرف الرضوي على مشرفه افضل الصلوة
والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة الصفحة الاخيرة من نسخة «م»

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ش»

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي شرح صدورَنا للإسلام، وتفضّل علينا بحُسن الإعلام لمزيد الإكرام، فنوّر قلوبنا بمعرفته وثبّتها على الإيمان. وصلّى اللّه على نبيّه محمّد[1] المبعوث لبيان البلاغ وبلاغ البيان بأبلغ برهان، وعلى آله المنتجبين، وحفظة الشرع المبين، الذين أتمّ اللّه علينا بهم النعمة، وأكمل لنا بهم الدين، فصدّقنا وأقررنا ﴿رَبَّنا آمَنّا فاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِين﴾[2].

وبعد[3]، فإنّي لمّا رأيتُ الأقوال في حقيقة الإيمان ـ مع الاتّفاق على حقيقته ـ متكثّرة، والأدلّة على ذلك في كُتب الأُصول منتشرة، وأكثرها لا يَروي الغليل، ولا يَشفي العليل، ولا يُجدي منها إلّا القليل.

أحببتُ أن أجمع منها جملةً كافيةً مع إضافة بعض ما يتبع ذلك؛ ليسهل على الناظر تناولها، ويستغني بما نذكره في بيان آيات بيّناتها عن[4] تأوّلها.

وذكرتُ في خلال ذلك ما ينبغي إيراده سؤالاً وجواباً؛ ليكثر بذلك نفعها، وينتقش على صحيفة النفس وقعها.

راجياً من اللّه تعالى أن ينفع بها مَن نظرَ، ويُؤجر مَن عثرَ على عثرة فصبرَ وغفرَ، سائلاً منه حسن الإملاء، عائذاً به من الاستدراج والإملاء[5]. ورتّبتها على مقدّمة ومقالات، وخاتمة.

---

١. محمّد: لم ترد في «ش».

٢. المائدة (٥): ٨٣.

٣. في «ش»: أمّا بعد.

٤. في «ش»: من «عن» خ ل.

٥. إشارة لقوله تعالى في سورة آل عمران (٣): ١٧٨ ﴿إِنَّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزدادوا إِثْماً﴾.

أمّا المقدّمة

[في تعريف الإيمان]

[معنى الإيمان في اللغة]

فاعلم أنّ الإيمان لغةً: التصديق، كما نصّ عليه أهلها[1]. وهو إفعال من الأمن[2]، بمعنى سكون النفس واطمئنانها؛ لعدم ما يوجب الخوف لها، وحينئذٍ فكان حقيقة «آمن به» سكنت نفسه إليه واطمأنّت بسبب قبول قوله وامتثال أمره، فتكون الباء للسببيّة.

ويُحتمل أن يكون بمعنى آمنه التكذيب والمخالفة، كما ذكره بعضهم[3]، فتكون الباء فيه زائدة.

والأوّل أولى كما لا يخفى، وأوفق لمعنى التصديق.

وهو يتعدّى باللام كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾[4] ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾[5]، وبالباء كقوله تعالى: ﴿آمَنَّا بِما أُنْزِلَت﴾[6].

---

١. كالفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) في كتاب العين ٨: ٣٨٩؛ والصاحب ابن عباد (ت ٣٨٥ هـ) في المحيط في اللغة ١٠: ٤١٤؛ والجوهري (ت ٣٩٣ هـ) في الصحاح ١: ٢٠٧١، «أ م ن».

٢. قاله سعدالدين التفتازاني (ت ٧٩٣ هـ) في شرح المقاصد ٥: ١٧٥.

٣. قاله الحسين بن الحسن الحليميّ (ت ٤٠٣ هـ) في المنهاج في شعب الإيمان ١: ١٩.

٤. يوسف (١٢): ١٧.

٥. العنكبوت (٢٩): ٢٦.

٦. آل عمران (٣): ٥٣؛ وانظر شعب الإيمان ١: ٢٠؛ شرح المقاصد ٥: ١٧٥ ـ ١٧٦.

وأمّا التصديق فقد قيل: إنّه القبول والإذعان بالقلب، كما ذكره أهل الميزان[١].

ويُمكن أن يقال: معناه قبول الخبر أعمّ من أن يكون بالجنان أو باللسان.

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾[٢] فأخبروا عن أنفسهم بالإيمان وهم من أهل اللسان، مع أنّ الواقع منهم هو الاعتراف باللسان دون الجنان؛ لنفيه عنهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾.

وإثبات الاعتراف بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الدالّ على كونه إقراراً بالشهادتين، وقد سمّوه إيماناً بحسب عرفهم، والذي نفاه اللّه تعالى عنهم إنّما هو الإيمان في عرف الشرع.

إن قلت: يُحتمل أن يكون ما ادّعوه من الإيمان هو الشرعيّ حيث سمعوا أنّ الشارع كلّفهم بالإيمان، فيكون المنفي عنهم هو ما ادّعوا ثبوته لهم، فلم يبقَ في الآية دلالة على أنّهم أرادوا اللغويّ.

قلت: الظاهر أنّه في ذلك الوقت لم تكن الحقائق الشرعيّة متقرّرة عندهم، لبُعدهم عن مدارك الشرعيّات، فلا يكون المُخبَر عنه إلّا ما يسمّونه إيماناً عندهم.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

وجه الدلالة في هذه الآيات أنّ الإيمان في اللغة: التصديق، وقد وقع الإخبار منهم أنّهم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم، فيلزم صحّة إطلاق التصديق على الإقرار باللسان وإن لم يوافقه الجنان.

وعلى هذا فيكون المنفي هو الإيمان الشرعيّ، أعني القلبي؛ جمعاً بين صحّة النفي والإثبات في هذه الآيات.

---

١. أي أهل المنطق. انظر قواعد المرام ـ لابن ميثم البحراني ـ: ٢١.

٢. الحجرات (٤٩): ١٤.

٣. المائدة (٥): ٤١.

٤. البقرة (٢): ٨.

لا يقال: هذا الإطلاق مجاز وإلّا لزم الاشتراك، والمجاز خيرٌ منه.

لأنّا نقول: هو من قبيل المشترك المعنويّ لا اللفظيّ. ومعناه قبول الخبر أعمّ من أن يكون باللسان أو بالجنان، واستعمال اللفظ الكلّي في أحد أفراد معناه ـ باعتبار تحقّق الكلّي في ضمنه ـ حقيقة لا مجاز، كما هو المقرّر في بحث الألفاظ.

إن قلتَ: إنّ المتبادر من معنى الإيمان هو التصديق القلبي عند الإطلاق، وأيضاً يصحّ سلب الإيمان عمّن أنكر بقلبه وإن أقرّ بلسانه، والأوّل علامة الحقيقة والثاني علامة المجاز.

قلتُ: الجواب عن الأوّل أنّ التبادر لا يدلّ على أكثر من كون المتبادر هو الحقيقيّ لا المجازيّ، لكن لا يدلّ على كون الحقيقة لغويّة أو عرفيّة، وحينئذٍ فلا يتعيّن أنّ اللغوي هو التصديق القلبيّ، فلعلّه العرفيّ الشرعيّ.

إن قلتَ: الأصل عدم النقل، فيتعيّن اللغويّ.

قلتُ: لا ريب أنّ المعنى اللغويّ ـ الذي هو مطلق التصديق ـ لم يبق على إطلاقه، بل أُخرج عنه إمّا بالتخصيص عند بعض، أو النقل عند آخرين.

وممّا يدلّ على ذلك أنّ الإيمان الشرعيّ هو التصديق باللّه وحده وصفاته وعدله، وبنبوّة نبيّنا محمّد ﷺ، وبما عُلم بالضرورة مجيئه ﷺ به[1]، لا ما وقع فيه الخلاف، وعلى هذا أكثر المسلمين.

وزاد الإماميّة التصديق بإمامة إمام الزمان؛ لأنّ من ضروريات مذهبهم أيضاً أنّه ممّا جاء به النبيّ ﷺ، وقد عرفتَ أنّ الإيمان في اللغة التصديق مطلقاً، وهذا أخصّ منه.

ويؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2] أخبر عنهم تعالى بالإيمان، ثمّ أمرهم بإنشائه، فلابدّ أن يكون الثاني غير الأوّل، وإلّا لكان أمراً بتحصيل الحاصل.

---

١. انظر المنهاج في شعب الإيمان ١: ٢٦؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ١٨٨؛ المحصّل: ٥٦٧؛ تلخيص المحصّل: ٤٠١؛ الإيمان لابن تيميّة: ١٠٤؛ شرح المقاصد ٥: ١٧٧.

٢. النساء (٤): ١٣٦.

وإذا حصلت المغايرة كان الثاني المأمور به هو الشرعيّ، حيث لم يكن حاصلاً لهم، إذ لا محتمل غيره إلّا التأكيد، والتأسيس خير منه.

وعن الثاني بالمنع من كون ما صحّ سلبه هو الإيمان اللغويّ بل الشرعيّ، وليس النزاع فيه.

إن قلتَ: ماذكرتَهُ معارض بماذكره أهل الميزان في تقسيم العلم إلى التصوّر والتصديق[1]: أنّ المراد بالتصديق الإذعان القلبي، فيكون في اللغة كذلك؛ لأنّ الأصل عدم النقل.

قلتُ: قد بيّنا سابقاً الخروج عن هذا الأصل، ولو سلّم فلا دلالة في ذلك على حصر معنى التصديق مطلقاً في الإذعان القلبي، بل التصديق الذي هو قسم من العلم وليس محلّ النزاع.

على أنّا نقول: لو سلّمنا صحّة الإطلاق مجازاً، ثبت مطلوبنا أيضاً، لأنّا لم نـدّع إلّا أنّ معناه قبول الخبر مطلقاً، ولا ريب أنّ الألفاظ المستعملة لغةً في معنى من المعاني حقيقة أو مجازاً تُعدُّ من اللغة، وهذا ظاهر.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[تعريف الإيمان الشرعيّ]

وأمّا الإيمان الشرعيّ فقد اختلف في بيان حقيقته العبارات بحسب اختلاف الاعتبارات.

وبيان ذلك: أنّ الإيمان شرعاً: إمّا أن يكون من أفعال القلوب فقط، أو من أفعال الجوارح فقط، أو منهما معاً.

فإن كان الأوّل، فهو التصديق بالقلب فقط، وهو مذهب الأشاعرة[2]، وجمع من متقدّمي الإماميّة ومتأخّريهم، ومنهم المحقّق الطوسي ﷺ في **فصوله**[3].

---

١. انظر الشفاء ١: ١٧؛ القواعد الجليّة في شرح الرسالة الشمسيّة: ١٨٢؛ قواعد المرام في علم الكلام: ٢١.

٢. حكاه عنهم ابن تيميّة في الإيمان: ١٠٣؛ والتفتازاني في شرح المقاصد: ١٧٧؛ وحكاه أيضاً ابن حزم الظاهري في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ١٨٨ عن أبي محرز الجهم بن صفوان وأبي الحسن الأشعري البصري وأصحابهما.

٣. انظر الأدلّة الجليّة في شرح الفصول النصيريّة: ٢٣٧ وحكاه عنهم التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٧٧.

لكن اختلفوا في معنى التصديق:

فقال أصحابنا: هو العلم[١].

وقال الأشعريّة: هو التصديق النفساني[٢]، وعنوا به أنّه عبارة عن ربط القلب على ما عُلم من إخبار المُخبر، فهو أمرٌ كسبيّ يثبت بإخبار المصدق، ولذا يثاب عليه، بخلاف العلم والمعرفة فإنّها ربما تحصل بلا كسب، كما في الضروريّات.

وقد ذكر حاصل ذلك بعض المحقّقين، فقال: التصديق: هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المُخبر، حتّى لو وقع ذلك في القلب من غير اختيار لم يكن تصديقاً وإن كان معرفة[٣]، وسنبيّن إن شاء اللّه تعالى قصور ذلك.

وإن كان الثاني: فإمّا أن يكون عبارة عن التلفّظ بالشهادتين فقط، وهو مذهب الكراميّة[٤].

أو عن جميع أفعال الجوارح من الطاعات بأسرها فرضاً ونفلاً، وهو مذهب

---

١. حكاه عنهم التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٧٧.

٢. المصدر السابق.

٣. حكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٨٦ عن بعض المتأخّرين.

٤. حكاه عنهم ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ١٨٨؛ والتفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٧٨.

والكراميّة: فرقة مستقلّة من الصفاتيّة المجسّمة، أتباع أبي عبداللّه محمد بن كرام السجستاني (٢٥٥ هـ) كان أصله من سجستان، ثمّ خرج إلى نيشابور في أيام محمّد بن طاهر بن عبداللّه، فاغترّ جماعةٌ من أهل السواد بما كان يُريهم من زهده، فدعاهم إلى بدعه فتبعه عدد كبير منهم، حتّى بلغ أتباعه في خراسان عشرين ألف، وفي فلسطين أكثر من عشرين ألف.

دعا ابن كرام إلى تجسيم معبوده فقال: إنّه جسم له حدّ ونهاية من تحته، والجهة التي منها يلاقي عرشه. ووصف معبوده بأنّه جوهر وقال: إنّ اللّه تعالى ممّاس لعرشه، وأنّ العرش مكان له، ووصفه بالثقل.

وقال جماعته بحدوث اللّه وإدراكاته للمرئيات والمسموعات، وملاقاته للصحيفة العليا من العالم. وقالوا: إنّ النبوّة والرسالة صفتان حالّتان في النبيّ والرسول، سوى الوحي إليه وسوى معجزاته وعصمته من الذنوب. وزعموا أنّ مَن فيه تلك الصفة وجب على اللّه تعالى إرساله.

وأمّا آراؤه الفقهيّة: قوله في صلاة المسافر: إنّه يكفيه تكبيرتان من غير سجود ولا قيام ولا قعود ولا تشهّد ولا تسليم، وقوله بصحّة الصلاة في ثوب كلّه نجس وعلى أرض نجسة ومع نجاسة ظاهر البدن، وأوجب الطهارة على الأحداث دون الأنجاس.

الملل والنحل ١: ١٠٨؛ معجم الفرق الإسلامية: ١٩٥ ـ ١٩٦.

الخوارج[١] وقدماء المعتزلة[٢] والعلّاف والقاضي عبدالجبّار[٣].

أو عن جميعها من الواجبات وترك المحظورات دون النوافل، وهو مذهب أبي علي

---

١. حكاه عنهم ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ١٨٨؛ والتفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٧٩.
والخوارج: هم الذين خرجوا على أميرالمؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في صفّين بعد قبول التحكيم، وأشدّهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين الأشعث بن قيس الكنديّ، ومسعر بن فدكي التميميّ، وزيد بن حصين الطائيّ. وفيهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ بعدي من أُمّتي قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيهم، يخرجون من الدين كما يخرج السّهم من الرميّة ثمّ لا يعودون فيه، هم شرّ الخَلق والخليقة».
وقد اجتمعوا في النهروان، وقاتلهم الإمام علي عليه السلام وهزمهم. وهم يكفّرون عليّاً عليه السلام، ولا يصحّحون المناكحات إلاّ على ذلك، ويكفّرون أصحاب الكبائر، ويجوّزون الخروج على الإمام إذا خالف السنّة، وقالوا بجواز الإمامة في غير قريش.
الملل والنحل ١: ١١٤ ومعجم الفرق الإسلامية: ١١٢، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية: ٨٤.

٢. حكاه عنهم الفخر الرازي في المحصّل: ٥٦٧؛ وابن حزم الظاهري في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ١٨٨؛ والتفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٧٩.
والمعتزلة: فرقة منقرضة، يُسمّون بأصحاب العدل والتوحيد، ويُلقّبون بالقدريّة. وفي سبب تسميتهم بالمعتزلة عدّة أقوال:
الأوّل: أُطلق هذا الاسم على جماعة من الأتقياء الذين اعتزلوا الناس وانصرفوا للعبادة.
الثاني: أُطلق على المسلمين الذين اعتزلوا الحرب بين أصحاب علي عليه السلام من ناحية وأصحاب الجمل وأصحاب معاوية من ناحية ثانية.
الثالث: أُطلق هذا الاسم على واصل بن عطاء وجماعته المعتزلين عن مجلس الحسن البصريّ في أواخر العهد الأموي، بسبب الخلاف حول مرتكب الكبيرة من هذه الأُمّة.
وأصل مذهبهم القول بالأُصول الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
فمَن خالفهم في التوحيد سمّوه مشركاً، ومَن خالفهم في الصفات سمّوه مشبّهاً، ومَن خالفهم في الوعيد سمّوه مرجئاً. وهم يقولون بوجوب الأصلح على الله تعالى، وبأنّ أوامر الله تعالى ونواهيه تابعة للمصالح والمفاسد، وبأنّ أفعال العباد ليست مخلوقة لله.
وانقسمت المعتزلة إلى قسمين: البغداديّة، والبصريّة.
ويتفرّع من القسمين أكثر من عشرين فرقة.
وأشهر معتزلة البصرة أبو الهُذيل العلّاف، وأبو عثمان عمرو بن عبيد، وأبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.
وأشهر معتزلة بغداد: أبو سهل بشر بن المعتمر، وأبو موسى عيسى بن صبيح، وأبو عبدالله جعفر بن مبشر، وابن أبي الحديد.
انظر الملل والنحل ١: ٤٣؛ معجم الفرق الإسلامية: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

٣. حكاه عنهما في شرح المقاصد ٥: ١٧٩.

الجبّائي وابنه أبي هاشم[١] وأكثر معتزلة البصرة[٢].

وإن كان الثالث، فهو: إمّا أن يكون عبارة عن أفعال القلوب مع جميع أفعال الجوارح من الطاعات، وهو قول المحدّثين[٣]، وجمع من السلف كابن مجاهد وغيره[٤] فإنّهم قالوا: إنّ الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان[٥].

وإمّا أن يكون عبارة عن التصديق مع كلمتي الشهادة ونُسب إلى طائفة منهم أبوحنيفة[٦].

أو يكون عبارة عن التصديق بالقلب مع الإقرار باللسان، وهو مذهب المحقّق نصيرالدين الطوسي ﷺ في تجريده[٧].

فهذه سبعة مذاهب ذُكرت في الشرح الجديد للتجريد[٨] وغيره.

واعلم أنّ مفهوم الإيمان على المذهب الأوّل يكون تخصيصاً للمعنى اللغويّ، وأمّا على المذاهب الباقية فهو منقول، والتخصيص خير من النقل.

وهنا بحث وهو: أنّ القائلين بأنّ الإيمان عبارة عن فعل الطاعات، كقدماء المعتزلة والعلّاف والخوارج[٩]، لا ريب أنّهم يوجبون اعتقاد مسائل الأُصول، وحينئذٍ فما الفرق بينهم وبين القائلين بأنّه عبارة عن أفعال القلوب والجوارح؟

ويمكن الجواب بأنّ اعتقاد المعارف شرط عند الأوّلين، وشطر عند الآخرين.

---

١. حكاه عنهما في شرح المقاصد ٥: ١٧٩

٢. حكاه في شرح المقاصد ٥: ١٧٨ عن يحيى بن سعيد القطّان (ت ١٩٨ هـ) وهو من أكابر معتزلة البصرة.

٣. حكاه عنهم في شرح المقاصد ٥: ١٧٨.

٤. حكاه ابن تيميّة في الإيمان: ١٠٣ عن السلف وعن أبي العباس القلانسي، وأبي علي الثقفي.

٥. حكى عين هذه العبارة عنهم الفخر الرازي في المحصّل: ٥٦٧؛ والتفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٧٩.

٦. حكاه عنه ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ١٨٨؛ والتفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٧٨؛ وحكاه أيضاً ابن تيميّة في الإيمان: ١٠٣ عنه وعن حمّاد بن أبي سليمان بن كلاب، والحسين بن المفضّل البجليّ.

٧. تجريد الاعتقاد: ٣٠٩.

٨. شرح تجريد العقائد (الشرح الجديد) للقوشجي: ٣٩٣.

٩. تقدّمت مصادر هذه الأقوال في الصفحتين السابقتين.

المقالة الأُولى

في بيان حُجج هذه المذاهب وما يرد عليها وما يذكر في دفعها

اعلم أنّ المحقّق الطوسي ﷺ ذكر في قواعد العقائد أنّ أُصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة: التصديق بوحدانيّة اللّه تعالى في ذاته تعالى والعدل في أفعاله، والتصديق بنبوّة الأنبياء عليهم السلام، والتصديق بإمامة الأئمّة المعصومين عليهم السلام[1] من بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله.

وقال أهل السنّة: إنّ الإيمان هو التصديق باللّه تعالى، وبكون النبيّ صلى الله عليه وآله صادقاً، والتصديق بالأحكام التي تُعلم يقيناً أنّه صلى الله عليه وآله حكم بها دون ما فيه اختلاف واشتباه[2].

والكُفر يقابل الإيمان.

والذنب يقابل العمل الصالح، وينقسم إلى كبائر وصغائر. ويستحقّ المؤمن بالإجماع الخلود في الجنّة، ويستحقّ الكافر الخلود في العقاب[3]. انتهى.

وذكر في الشرح الجديد للتجريد أنّ الإيمان في الشرع عند الأشاعرة هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة، فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً، فهو في الشرع تصديق خاصّ[4]. انتهى.

---

١. المعصومين: لم ترد في «ش».

٢. انظر المنهاج في شعب الإيمان ١: ٢٥؛ المحصّل: ٥٦٧؛ شرح المقاصد ٥: ١٧٧.

٣. قواعد العقائد المطبوع مع (تلخيص المحصّل): ٤٦٦.

٤. شرح تجريد العقائد (الشرح الجديد) للقوشجي: ٣٩٣.

فهؤلاء اتّفقوا على أنّ حقيقة الإيمان هي التصديق فقط وإن اختلفوا في مقدار المصدّق به، والكلام هاهنا في مقامين:

الأوّل: في أنّ التصديق ـ الذي هو الإيمان ـ المراد به اليقين الجازم الثابت، كما يظهر من كلام مَن حكينا عنه.

والثاني: في أنّ الأعمال ليست جزءاً من حقيقة الإيمان الحقيقيّ، بل هي جزء من الإيمان الكماليّ.

أمّا الدليل على [المقام] الأوّل فآيات بيّنات:

منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾[١]، والإيمان حقّ للنصّ والإجماع، فلا يكفي في حصوله وتحقّقه الظنّ.

ومنها: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَنَّ﴾[٢]، ﴿إِنْ هُمْ إِلّا يَظُنُّونَ﴾[٣]، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٤].

فهذه الآيات[٥] قد اشتركت في التوبيخ على اتّباع الظنّ، والإيمان لا يوبّخ مَن حصلَ له بالإجماع، فلا يكون ظنّاً.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[٦]، فنفى عنهم الريب، فيكون الثابت هو اليقين.

إن قلتَ: هذه الآية الكريمة لا تدلّ على المدّعى بل على خلافه، وهو عدم اعتبار اليقين في الإيمان، وذلك أنّها إنّما دلّت على حصر الإيمان فيما عدا الشكّ، فيصدق الإيمان على الظنّ.

قلتُ: الظنّ في معرض الريب؛ لأنّ النقيض مجوّز فيه ويقوى بأدنى تشكيك، فصاحبه لا يخلو من ريب، حيث إنّه دائماً يجوز النقيض. على أنّ الريب قد يُطلق على ما هو أعمّ من

---

١. يونس (١٠): ٣٦.
٢. الأنعام (٦): ١١٦.
٣. الجاثية (٤٥): ٢٤.
٤. الحجرات (٤٩): ١٢.
٥. الآيات: لم ترد في «م».
٦. الحجرات (٤٩): ١٥.

الشكّ، يقال: لا أرتاب في كذا، ويريد أنّه منه على يقين، وهذا شائع ذائع.

ومن السنّة المطهّرة قوله ﷺ: «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالأبْصارِ ثَبِّتْ قَلْبي عَلى دِينكَ»[1]، فلو لم يكن ثبات القلب شرطاً في الإيمان لما طلبه ﷺ، والثبات هو الجزم والمطابقة، والظنّ لاثبات فيه، إذ يجوز ارتفاعه.

وفيه منع كون الثبات شرطاً في تحقّق الإيمان، ويجوز أن يكون ﷺ طلبه لكونه الفرد الأكمل، وهو لا نزاع فيه.

ومن جملة الدلائل على ذلك أيضاً الإجماع، حيث ادّعى بعضهم أنّه يجب معرفة اللّه تعالى، التي لا يتحقّق الإيمان بها إلّا بالدليل إجماعاً من العلماء كافّة، والدليل ما أفاد العلم، والظنّ لا يفيده.

وفي صحّة دعوى الإجماع بحث؛ لوقوع الخلاف في جواز التقليد في المعارف الأُصوليّة، كما سنذكره إن شاء اللّه تعالى.

واعلم أنّ جميع ما ذكرناه من الأدلّة لا يفيد شيء منه العلم بأنّ الجزم والثبات معتبر في التصديق الذي هو الإيمان، إنّما يفيد الظنّ باعتبارهما؛ لأنّ الآيات قابلة للتأويل، وغيرها كذلك مع كونها من الآحاد.

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلّا اللّهُ﴾[2].

واعتُرض على هذا الدليل بأنّه أخصّ من المدّعى، فإنّه إنّما يدلّ على اعتبار اليقين في بعض المعارف، وهو التوحيد دون غيره، والمدّعى اعتبار اليقين في كلّ ما التصديق به شرط في تحقّق الإيمان، كالعدل والنبوّة والمعاد وغيرها.

وأُجيب بأنّه لا قائل بالفرق، فإنّ كلّ مَن اعتبر اليقين اعتبره في الجميع، ومَن لم يعتبره لم يعتبره في شيء منها.

واعلم أنّ ما ذكرناه على ما تقدّم وارد هاهنا أيضاً.

---

١. سنن الترمذي ٥: ٥٣٨، ح ٣٥٢٢ و ٥٧٣، ح ٣٥٨٧؛ مسند أحمد بن حنبل ٣: ١١٢ و ٦: ٢٥١؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٨٨؛ كنز العمّال ١: ٣٩٠ ح ١٦٨٢ و ٣٩١ ح ١٦٨٤ و ٣٩٢، ح ١٦٨٧.

٢. سورة محمّد ﷺ (٤٧): ١٩.

واعتُرض أيضاً بأنّ الآية الكريمة خطاب للرسول ﷺ فهي إنّما تدلّ على وجوب العلم عليه وحده دون غيره.

وأُجيب بأنّ ذلك ليس من خصوصيّاته ﷺ بالإجماع، وقد دلّ دليل وجوب التأسّي به على وجوب اتّباعه، فيجب على باقي المكلّفين تحصيل العلم بالعقائد الأُصوليّة.

وأيضاً أُورد أنّه إنّما يفيد الوجوب لو ثبت أنّ الأمر للوجوب، وفيه منع؛ لاحتماله غيره. وكذا يتوقّف على كون المراد من العلم هاهنا القطعي، وهو غير معلوم، إذ يحتمل أن يُراد به الظنّ الغالب وهو يحصل بالتقليد، وبالجملة فهو دليل ظنّي.

[اعتبار اليقين في المعارف]

وحيث انجرّ البحث إلى ذكر الدلائل على اعتبار اليقين في الإيمان، فلنذكر نبذة ممّا ذكره علماء الأُصول من الأدلّة على كون المعرفة واجبة بالدليل، وأنّ التقليد غير كافٍ فيها، إذ بذلك يعلم اعتبار الدليل في الإيمان دون التقليد.

اعلم أنّ العلماء أطبقوا على وجوب معرفة اللّه تعالى بالنظر، وأنّها لا تحصل بالتقليد[1]، إلّا مَن شذّ منهم كعبد اللّه بن الحسن العنبري[2]

---

١. ادّعى عليه الإجماع العلّامة الحلّي (ت٧٢٦ هـ) في مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ٢٤٦؛ والقاضي الإيجي (ت ٧٥٦هـ) في المواقف (المطبوع مع شرحه للجرجاني) ١: ٢٥١.

واختاره محبّ اللّه بن عبدالشكور في مسلم الثبوت في أُصول الفقه (المطبوع بهامش المستصفى) ٢: ٤٠١.

وحكاه محمّد بن علي بن الطيّب البصري المعتزلي (ت ٤٣٦ هـ) في المعتمد في أُصول الفقه ٢: ٣٦٥ عن أكثر المتكلّمين والفقهاء.

وحكاه أيضاً الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في المحصول في علم أُصول الفقه ٢: ٥٣٩؛ وجمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي الشافعي (ت ٧٧٢ هـ) في نهاية السول في شرح منهاج الأُصول ٤: ٥٩٥.

٢. حكاه عنه علي بن محمّد الآمدي في الإحكام في أُصول الأحكام ٤: ٢٢٩ وسمّاه عبيداللّه العنبري، والشيخ محمّد بخيت المطيعي في سُلّم الوصول لشرح نهاية السؤول (المطبوع في هامش نهاية السول) ٤: ٥٩٦.

وحكاه عنه وعن بعض الشافعيّة محبّ اللّه بن عبدالشكور في مسلم الثبوت في أُصول الفقه (المطبوع بهامش المستصفى) ٢: ٤٠١.

وحكاه محمّد بن علي بن الطيّب البصري المعتزلي في المعتمد في أُصول الفقه ٢: ٣٦٠ عن قوم من أصحاب الشافعي.

وحكاه الفخر الرازي في المحصول في علم الأُصول ٢: ٥٣٩ عن كثير من الفقهاء.

والحشـــويّة[١] والتـــعليميّة[٢]، حـــيث ذهـبوا إلى جـواز التـقليد فـي العـقائد الأُصـوليّة، كوجود الصانع وما يجب له ويـمتنع، والنـبوّة، والعـدل، وغـيرها، بـل ذهب بـعضهم إلى وجوبه[٣].

لكن اختلف القائلون بوجوب المعرفة في أنّه عقليّ أو سمعيّ: فالإماميّة[٤] والمـعتزلة[٥]

---

١. حكاه عنهم أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في المستصفى من علم الأُصول ٢: ٣٧٨؛ وعلي بن محمّد الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٢٩.

والحشويّة: طائفة من أصحاب الحديث تمسّكوا بالظواهر، لقّبوا بهذا اللقب لاحتمالهم كلّ حَشْو رُويَ من الأحاديث المتناقضة، أو لأنّهم قالوا بحَشْو الكلام مثل قولهم في الإمامة: خرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله ولم يستخلف على دينه مَن يقوم مقامه في لم الشعث وجمع الكلمة، والسعي في أُمور الملك والرعيّة، وإقامة الهدنة وتأمير الأُمراء وتجييش الجيوش والدفع عن بيضة الإسلام وردع المعاند، وتعليم الجاهل وإنصاف المظلوم وجوّزوا فعل هذا الأمر لكلّ إمام أُقيم بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

وقيل: إنّ الحسن البصري كان ينشر العلم في البصرة، وقد حضر مجلسه يوماً أُناس من رعاة الحديث والمحدّثين، ولمّا تكلّموا بالسقط عنده قال: «ردّوا هؤلاء إلى حشا الحلقة» فسمّوه حشويّة.

وقالوا: إنّ عليّاً عليه السلام وطلحة والزبير لم يكونوا مُصيبين في حربهم، وإنّ المصيبين هم الذين قعدوا عنهم، وأنّهم يتولّونهم جميعاً ويتبرؤون من حربهم ويردّون أمرهم إلى اللّه عزّ وجلّ.

وأثبتوا للّه الحركة والانتقال والحدّ والجهة والقعود والاستلقاء والاستقرار، فذهبوا بذلك إلى التجسيم وغيره.

وجوّز قوم من الحشويّة على الأنبياء الكبائر كالزنى واللواط وغيرهما، ومنهم من جوّز ذلك بشرط الاستتار دون الإعلان.

معجم الفِرق الإسلاميّة: ٩٧ ـ ٩٩.

٢. حكاه عنهم أيضاً أبوحامد الغزالي في المستصفى من علم الأُصول ٢: ٣٧٨؛ وعلي بن محمّد الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٢٩.

والتعليميّة: فرقة باطنيّة، لقّبوا بذلك لأنّ مبدأ مذهبهم إبطال الرأي وإفساد تصرّف العقول، ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم، وأنّه لا تدرك العلوم إلّا بالتعليم.

وهذه بعض أقوالهم: معنى الجنابة: مبادرة المستحبّ بإفشاء السرّ، ومعنى الغسل: تجديد العهد على فعل ذلك، ومعنى الزنا: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس مَن لم يسبق منه عقد العهد، والصيام: هو الإمساك عن كشف السرّ.

معجم الفِرق الإسلاميّة: ٦٩.

٣. حكاه محبّ اللّه بن عبدالشكور في مسلم الثبوت ٢: ٤٠١ عن طائفة؛ وحكاه الغزالي في المستصفى من علم الأُصول ٢: ٣٨٩ عن القدريّة؛ وحكاه الآمدي في الإحكام في أُصول الأحكام ٤: ٢٢٩ عن بعضهم.

٤. تخليص المحصّل: ٥٩.

٥. حكاه عنهم القاضي الأيجي في المواقف ١: ٢٥١؛ وحكاه الفخرالرزاي في المحصّل: ١٣٤ عنهم وعن بعض فقهاء الشافعيّة والحنفيّة.

على الأوّل، والأشعريّة[١] على الثاني[٢]، ولا غرض لنا هنا ببيان ذلك، بل ببيان أصل الوجوب المتّفق عليه.

فمن ذلك: أنّ للّه تعالى على عبده نِعماً ظاهرة وباطنة لا تُحصى، يعلم ذلك كلّ عاقل، ويعلم أنّها ليست منه ولا من مخلوق مثله.

ويعلم أيضاً أنّه إذا لم يعترف بإنعام ذلك المنعم، ولم يذعن بكونه هو المنعم لا غيره، ولم يسع في تحصيل مرضاته، ذمّه العقلاء، ورأوا سلب تلك النعم عنه حسناً، وحينئذٍ فيحكم ضرورة العقل بوجوب شكر ذلك المنعم.

ومن المعلوم أنّ شكره على وجه يليق بكمال ذاته يتوقّف على معرفته، وهي لا تحصل بالظنّيات كالتقليد وغيره؛ لاحتمال كذب المخبر وخطأ الأمارة، فلابدّ من النظر المفيد للعلم[٣].

وهذا الدليل إنّما يستقيم على قاعدة الحسن والقبح، والأشاعرة ينكرون ذلك، لكنّه كما يدلّ على وجوب المعرفة بالدليل، يدلّ أيضاً على كون الوجوب عقليّاً.

واعترض أيضاً بأنّه مبنيّ على وجوب ما لا يتمّ الواجب المطلق إلّا به، وفيه أيضاً منوع للأشاعرة.

ومن ذلك: أنّ الأُمّة أجمعت على وجوب المعرفة، والتقليد وما في حكمه لا يوجب العلم، إذ لو أوجبه لزم اجتماع الضدّين في مثل تقليد مَن يعتقد حدوث العالم ويعتقد قدمه[٤].

وقد اعتُرِضَ على هذا بمنع الإجماع، كيف والمخالف معروف، بل عورض بوقوع

---

١. الأشعريّة: أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المولود سنة ٢٦٠ هـ والمتوفّى سنة ٣٢٤ هـ وهو من نسل أبي موسى الأشعري أحد الحكمين يوم صفّين، وهو تلميذ أبي علي الجُبّائي من شيوخ المعتزلة.
من آرائهم أنّ الإمامة تثبت بالاتّفاق والاختيار دون النصّ والتعيين، فمن اختارته الأُمّة صار إماماً واجب الطاعة، ولا يشترط أن يكون معصوماً، ولا أفضل أهل زمانه. وتكليف ما لا يطاق جائز، وأنّ اللّه يمكن أن يُرى.
الملل والنحل ١: ٩٤؛ معجم الفرق الإسلامية: ٣٥.

٢. ذهب إليه القاضي الإيجي في المواقف ١: ٢٥١؛ والفخر الرازي في المحصل: ١٣٤.

٣. استدلّ بهذا الدليل محبّ اللّه بن عبدالشكور في مسلم الثبوت ٢: ٤٠١.

٤. استدلّ بهذا الدليل الطيّب البصري المعتزلي في المعتمد في أصول الفقه ٢: ٣٦٥؛ والآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٢٩.

الإجماع على خلافه؛ وذلك لتقرير النبي ﷺ وأصحابه العوام على إيمانهم وهم الأكثرون في كلّ عصر، مع عدم الاستفسار عن الدلائل الدالّة على الصانع وصفاته، مع أنّهم كانوا لا يعلمونها، وإنّما كانوا مقرّين باللسان ومقلّدين في المعارف، ولو كانت المعرفة واجبة لما جاز تقريرهم على ذلك مع الحكم بإيمانهم[١].

وأُجيب عن هذا: بأنّهم كانوا يعلمون الأدلّة إجمالاً، كدليل الأعرابي حيث قال: البعرة تدلّ على البعير، وأثر الأقدام على[٢] المسير، أفسماء[٣] ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلّان[٤] على اللطيف الخبير[٥].

فلذا أُقرّوا ولم يُسألوا عن اعتقاداتهم، أو أنّهم كان يقبل منهم ذلك للتمرين، ثمّ يبيّن لهم ما يجب عليهم من المعارف بعد حين.

ومن ذلك: الإجماع على أنّه لا يجوز تقليد غير المحقّ، وإنّما يُعلم المحقّ من غيره بالنظر في أنّ ما يقوله حقّ أم لا؟ وحينئذٍ فلا يجوز له التقليد إلّا بعد النظر والاستدلال، وإذا صار مستدلّاً امتنع كونه مقلّداً، فامتنع التقليد في المعارف الإلهيّة.

ونُقض ذلك بلزوم مثله في الشرعيّات، فإنّه لا يجوز تقليد المفتي إلّا إذا كانت فتياه عن دليل شرعيّ، فإن اكتفى في الاطّلاع على ذلك بالظنّ وإن كان مُخطئاً في نفس الأمر لحطّ ذلك عنه، فليجز مثله في مسائل الأُصول[٦].

وأُجيب: بالفرق، بأنّ الخطأ في مسائل الأُصول يقتضي الكفر، بخلافه في الفروع، فساغ في الثانية ما لم يسغ في الأُولى.

واحتجّ مَن أوجب التقليد في مسائل الأُصول بأنّ العلم بالله تعالى غير ممكن؛ لأنّ

---

١. المعترض هو القاضي الإيجي في المواقف ١: ٢٥٥ ـ ٢٥٦؛ وحكاه عنه الفخر الرازي في المحصول ٢: ٥٤٠.

٢. في نهاية السؤل: يدلّ على.

٣. في نهاية السؤل: ومسلم الثبوت: فسماء.

٤. في نهاية السؤل: ألا تدلّ. وفي مسلم الثبوت: أما تدلّان.

٥. مسلم الثبوت ٢: ٤٠٢؛ نهاية السؤل ٤: ٥٩٧؛ المواقف ١: ٢٥٦.

وهذا الدليل معروف شائع بين العلماء، يعبّر عنه بـ«دليل الأعرابي»، حيث وقع هذا الحوار بين الأصمعي وأحد سكّان البادية من العرب، حينما سأله الأصمعي بمَ عرفت ربّك؟ فأجاب بهذا الجواب.

٦. هذا الدليل ونقضه ذكَرَه الفخر الرازي في المحصول ٢: ٥٤٠.

المكلّف به إن لم يكن عالماً به تعالى استحال أن يكون عالماً بأمره، وحال امتناع[١] كونه عالماً بأمره يمتنع كونه مأموراً من قبله، وإلّا لزم تكليف ما لا يطاق[٢].

وإن كان عالماً به استحال أيضاً أمره بالعلم به؛ لاستحالة تحصيل الحاصل[٣].

والجواب عن ذلك على قواعد الإماميّة والمعتزلة ظاهر، فإنّ وجوب النظر والمعرفة عندهم عقليّ لا سمعيّ. نعم يلزم ذلك على قواعد الأشاعرة، إذ الوجوب عندهم سمعيّ.

أقول: ويجاب أيضاً معارضةً، بأنّ هذا الدليل كما يدلّ على امتناع العلم بالمعارف الأُصوليّة، يدلّ على امتناع التقليد فيها أيضاً، فينسدّ باب المعرفة باللّه تعالى، وكلّ مَن يرجع إليه في التقليد لابُدَّ وأن يكون عالماً بالمسائل الأُصوليّة؛ ليصحّ تقليده.

ثمّ يجري الدليل فيه فيقال: علم هذا الشخص باللّه تعالى غير ممكن؛ لأنّه حين كلّف به إن لم يكن عالماً به تعالى استحال أن يكون عالماً بأمره بالمقدّمات.

وكلّ ما أجابوا به فهو جوابنا، ولا مخلص لهم إلّا أن يعترفوا بأنّ وجوب المعرفة عقليّ، فيبطل ما ادّعوه من أنّ العلم باللّه تعالى غير ممكن، أو سمعيّ فكذلك.

فإن قيل: ربما حصل العلم لبعض الناس بتصفية النفس أو إلهام إلى غير ذلك، فيقلّده الباقون.

قلنا: هذا أيضاً يبطل قولكم: إنّ العلم باللّه تعالى غير ممكن، نعم ما ذكروه يصلح أن يكون دليلاً على امتناع المعرفة بالسمع، فيكون حجّة على الأشاعرة، لا دليلاً على وجوب التقليد.

واحتجّوا أيضاً بأنّ النهي عن النظر قد ورد في قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّـهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤]، والنظر يفتح باب الجدال فيحرم.

ولأنّه عليه السلام رأى الصحابة يتكلّمون في مسألة القدر، فنهاهم عن الكلام فيها وقال: «إنّما

---

١. في «ش»: امتنع.

٢. في «ش»: التكليف بما لا يطاق.

٣. الاحتجاج ذكره الفخر الرازي في المحصول ٢: ٥٣٩ بعنوان فإن قيل.

٤. غافر (٤٠): ٤.

هلك من كان قبلكم بخوضهم في هذا»[١].

ولقوله عليه السلام: «عليكم بدين العجائز»[٢]، والمراد ترك النظر، فلو كان واجباً لم يكن منهيّاً عنه[٣].

وأُجيب عن الأوّل: أنّ المراد بالجدال بالباطل، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ﴾[٤] لا الجدال بالحقّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٥]، والأمر بذلك يدلّ على أنّ الجدال مطلقاً ليس منهيّاً عنه[٦].

وعن الثاني: بأنّ نهيهم عن الكلام في مسألة القدر ـ على تقدير تسليمه ـ لا يدلُّ على النهي عن مطلق النظر، بل عنه في مسألة القدر، كيف وقد ورد الإنكار على تارك النظر في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾[٧].

وقد أثنى على فاعله في قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٨] على أنّ نهيهم عن الخوض في القدر لعلّه لكونه أمراً غيبيّاً وبحراً عميقاً، كما أشار إليه عليّ عليه السلام بقوله: «بحرٌ عميقٌ فلا تَلِجْهُ»[٩].

بل كان مراد النبيّ صلى الله عليه وآله التفويض في مثل ذلك إلى الله تعالى؛ لأنّ ذلك ليس من الأُصول التي يجب اعتقادها، والبحث عنها مفصّلة.

---

١. مسند أحمد بن حنبل ٢: ١٨٥؛ الدرّ المنثور ٢: ١٤٩؛ كنز العمّال ١: ١٩٢، ح ٩٧٠.

٢. إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين ٧: ٣٧٦؛ والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ١٦٠، ح ٦٢١؛ كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢: ٩٢، ح ١٧٧٤؛ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: ٢٠٤ / ٣١٠.

٣. حكى هذه الاحتجاجات الثلاثة الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٣٠؛ والقاضي الإيجي في المواقف ١: ٢٦٧.

٤. غافر (٤٠): ٥.

٥. النحل (١٦): ١٢٥.

٦. أجاب بهذا الجواب الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٣١.

٧. الروم (٣٠): ٨.

٨. آل عمران (٣): ١٩١.

وإلى هنا أجاب على الاحتجاج الثاني القاضي الإيجي في المواقف ١: ٢٦٧ ـ ٢٦٨؛ والآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٣٢.

٩. التوحيد: ٣٦٥، ح ٣ باب القضاء والقدر والفتنة؛ وفي نهج البلاغة: ٥٢٦ «فلا تَلِجُوهُ».

وهاهنا جواب آخر عنهما معاً، وهو أنّ النهي في الآية والحديث ـ مع قطع النظر عمّا ذكرناه ـ إنّما يدلّ على النهي عن الجدال الذي لا يكون إلّا عن متعدّد، بخلاف النظر فإنّه يكون من واحد، فهو نصب الدليل على غير المدّعى.

وعن الثالث بالمنع من صحّة نسبته إلى النبيّ ﷺ، فإنّ بعضهم ذكر أنّه من مصنوعات سفيان الثوري، فإنّه روى أنّ عمر بن عبدالله المعتزلي قال: إنّ بين الكفر والإيمان منزلة بين منزلتين، فقالت عجوز: قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُم مُؤْمِنٌ﴾[1]، فلم يجعل من عباده إلّا الكافر والمؤمن، فسمع سفيان كلامها، فقال: عليكم بدين العجائز.

على أنّه لو سلّم فالمراد به التفويض إلى الله تعالى في قضائه وحكمه، والانقياد له في أمره ونهيه[2].

واحتجّ مَن جوّز التقليد بأنّه لو وجب النظر في المعارف الإلهيّة لوجد من الصحابة، إذ هم أولى به من غيرهم، لكنّه لم يوجد، وإلّا لنُقل كما نُقل عنهم النظر والمناظرة في المسائل الفقهيّة، فحيث لم ينقل لم يقع فلم يجب.[3]

وأُجيب بالتزام كونهم أولى به لكنّهم نظروا، وإلّا لزم نسبتهم إلى الجهل بمعرفة اللّه تعالى، وكون الواحد منّا أفضل منهم، وهو باطل إجماعاً، وإذا كانوا عالمين وليس بالضرورة فهو بالنظر والاستدلال.

وأمّا أنّه لم ينقل النظر والمناظرة؛ فلاتّفاقهم على العقائد الحقّة، لوضوح الأمر عندهم، حيث كانوا ينقلون عقائدهم عمّن لا ينطق عن الهوى، فلم يحتاجوا إلى كثرة البحث والنظر. بخلاف الأخلاف بعدهم، فإنّهم لمّا كثرت شُبهُ الضالّين، واختلفت أنظار طالبي اليقين؛

---

١. التغابن (٦٤): ٢.

٢. أجاب بهذا الجواب القاضي الإيجي في المواقف ١: ٢٦٨ ـ ٢٦٩؛ وعلي بن محمّد الجرجاني في شرح المواقف ١: ٢٦٨ ـ ٢٦٩ وفيه نصّ العبارة الواردة هنا حيث قال قبلها: لا نسلّم صحّته؛ إذ لم يوجد في كتب الصحاح، بل قيل: إنّه من كلام سفيان الثوري فإنّه روى....

وقال الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٣٢: لم يثبت ولم يصحّ، وإن صحّ فيجب حمله على التفويض إلى الله تعالى فيما قضاه وأمضاه؛ جمعاً بينه وبين ما ذكرناه من الأدلّة.

٣. حكاه عنهم محبّ الله بن عبدالشكور في مسلم الثبوت ٢: ٢٠٤؛ والآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٣٠، والقاضي الإيجي في المواقف ١: ٢٦٣.

لتفاوت أذهانهم في إصابة الحقّ، احتاجوا إلى النظر والمناظرة، ليدفعوا بذلك شُبَهَ المضلّين ويقفوا على اليقين[١].

أمّا مسائل الفروع، فإنّها لمّا كانت أُموراً ظنّية اجتهاديّة خفيّة؛ لكثرة تعارض الأمارات فيها، وقع بينهم الخلاف فيها والمناظرة والتخطِئة لبعضهم من بعض فلذا نُقل.

واحتجّوا أيضاً بأنّ النظر مظنّة الوقوع في الشبهات والتورّط في الضلالات، بخلاف التقليد فإنّه أبعد عن ذلك، وأقرب إلى السلامة، فيكون أولى[٢].

ولأنّ الأُصول أغمض أدلّة من الفروع وأخفى، فإذا جاز التقليد في الأسهل جاز في الأصعب بطريق أولى. ولأنّهما سواء في التكليف بهما، فإذا جاز في الفروع فليجز في الأُصول[٣].

وأُجيب عن الأوّل: بأنّ اعتقاد المُعتقد إن كان عن تقليد، لزم إمّا التسلسل، أو الانتهاء إلى مَن يعتقد عن نظر؛ لانتفاء الضرورة، فيلزم ما ذكرتم من المحذور مع زيادة، وهي احتمال كذب المخبر. بخلاف الناظر مع نفسه، فإنّه لا يكابر نفسه فيما أدّى إليه نظره[٤].

على أنّه لو اتّفق الانتهاء إلى مَن اتّفق له العلم بغير النظر، كتصفية الباطن كما ذهب إليه بعضهم، أو بالإلهام، أو بخلق العلم فيه ضرورة، فهو إنّما يكون لأفرادٍ نادرةٍ؛ لأنّه على خلاف العادة، فلا يتيسّر لكلّ أحد الوصول إليه مشافهةً بل بالوسائط، فيكثر احتمال الكذب. بخلاف الناظر فإنّه لا يكابر نفسه، ولأنّه أقرب إلى الوقوع على الصواب.

إن قلتَ: ما ذكرتَ من الجواب إنّما يدلّ على كون النظر أولى من التقليد، ولا يدلّ على عدم جوازه، فجواز التقليد باقٍ لم يندفع. على أنّ ما ذكرتَهُ من احتمال الكذب جارٍ في

---

١. أجاب بهذاالجواب مع الاختصار واختلاف بعض العبارات محبّالله بن عبدالشكور في مسلم الثبوت ٢: ٤٠٢؛ والقاضي الإيجي في المواقف ١: ٢٦٣ ـ ٢٦٦.
وأجاب به أيضاً مع تطابق الكثير من العبارات الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٣٢.

٢. حكاه عنهم محبّالله بن عبدالشكور في مسلم الثبوت ٢: ٤٠٢؛ والآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٣١.

٣. حكاه عنهم الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٣١؛ والأسنوي في نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ٤: ٥٩٦.

٤. أجاب بهذا الجواب مع تطابق كثير من العبارات الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٣٣؛ وأجاب به أيضاً مع الاختصار واختلاف في العبارات محبّالله بن عبدالشكور في مسلم الثبوت ٢: ٤٠٢.

الفروع، فلو مُنع من التقليد فيها لمُنع في الأُصول.

قلتُ: متى سُلّمت الأولويّة وجب العمل بها، وإلّا لزم العمل بالمرجوح مع تيسّر العمل بالراجح، وهو باطل بالإجماع، لا سيّما في الاعتقاديّات.

وأمّا الجواب عن العلاوة: فلأنّه لمّا كان الطريق إلى العمل بالفروع إنّما هو النقل، ساغ لنا التقليد فيها، ولم يقدح احتمال كذب المخبر، وإلّا لانسدَّ باب العمل بها. بخلاف الاعتقاديّات فإنّ الطريق إليها بالنظر ميسّر، فاعتبر قدح الاحتمال في التقليد فيها.

وأمّا احتمال الخطأ في النظر، فإنّه وإن أمكن، إلّا أنّه نادر جدّاً بالقياس إلى الخطأ في النقل، فكان النظر أرجح، وقد بيّنا أنّ العمل بالأرجح واجب.

وأُجيب عن الثاني: أوّلاً بالمنع من كونها أغمض أدلّة، بل الأمر بالعكس؛ لتوقّف الشرعيّات على العقليّات عملاً وعلماً.

وثانياً بالمنع من الملازمة؛ فإنّ كونها أغمض أدلّة لا يستلزم جواز التقليد فيها، فضلاً عن كونه أولى؛ لأنّ المطلوب فيها اليقين، بخلاف الشرعيّات، فإنّ المطلوب فيها الظنّ اتّفاقاً.

ومن هذا ظهر الجواب عن الثالث.

واحتجّوا أيضاً: بأنّ هذه العلوم إنّما تحصل بعد الممارسة الكثيرة والبحث الطويل، وأكثر الصحابة لم يُمارسوا شيئاً منها، فكان اعتقادهم عن تقليد[1].

وأُجيب: بأنّهم لمشاهدتهم المعجزات، وقوّة معارفهم بكثرة البيّنات من صاحب الوحي عليه السلام، لم يحتاجوا في تيقّن تلك المعارف إلى بحث كثير في طلب الأدلّة عليها.

أقول: ممّا يبطل به مذهب القائلين بالتقليد أنّه إمّا أن يُفيد العلم أولا، فإن أفاده لزم اجتماع الضدّين فيما لو قلّد واحداً في قِدم العالم وآخر في حدوثه، وهو ظاهر. وإن لم يُفده وجب ترجيح النظر عليه، إذ من المعلوم ضرورة أنّ النظر الصحيح يُفيد العلم، فإذا ترجّح النظر عليه وجب اعتباره وترك المرجوح إجماعاً[2].

وأقول: ممّا يدلّ على اعتبار اليقين في الإيمان أنّ الأُمّة فيه على قولين: قول باعتبار

---

١. حكاه عنهم الفخر الرازي في المحصول في علم الأُصول ٢: ٥٣٩ ـ ٥٤٠.

٢. حكاه العلّامة الحلّي في مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

اليقين فيما يتحقّق به الإيمان، وقول بالاكتفاء بالتقليد أو ما في حكمه، فإذا انتفى الثاني بما ذكرناه من الأدلّة ثبت الأوّل.

وأقول أيضاً: ممّا يصلح شاهداً على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأعرابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ولَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[1]، فنفى ما زعموه إيماناً، وهو التصديق القولي، بل ما سوى التصديق الجازم، حيث لم يثبت لهم من الإيمان إلّا ما دخل القلب.

ولا ريب أنّ ما دخل القلب يحصل به الاطمئنان، ولا اطمئنان في الظنّ وشبهه؛ لتجويز النقيض معه، فيكون الثبات والجزم معتبراً في الإيمان.

فإن قلتَ: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2]، يدلّ على أنّ الجزم والثبات غير معتبر في الإيمان، وإلّا لما أخبر عليه السلام عن نفسه بالإيمان بقوله: ﴿بلى﴾، مع أنّ قوله: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ يدلّ على أنّه لم يكن مطمئناً، فلم يكن جازماً.

قلتُ: يمكن الجواب بأنّه عليه السلام طلبَ العلم بطريق المشاهدة؛ ليكون العلم بإحياء الموتى حاصلاً له من طريق الإخبار والمشاهدة. ويكون المراد من اطمئنان قلبه عليه السلام استقراره وعدم طلبه لشيء آخر بعد المشاهدة، مع كونه موقناً بإحياء الموتى قبل المشاهدة أيضاً.

وليس المراد أنّه لم يكن متيقّناً قبل الإراءة، فلم يكن مطمئناً، ليلزم تحقّق الإيمان مع الظنّ فقط.

وأيضاً إنّما طلبَ عليه السلام كيفيّة الإحياء، فخوطب بالاستفهام التقريري عن الإيمان بالكيف الذي هو نفس الإحياء؛ لأنّ التصديق به مقدّم على التصديق بالكيفيّة. فأجاب عليه السلام: بلى آمنت بقدرة اللّه تعالى على الإحياء، لكنّي أُريد الاطّلاع على كيفيّة الإحياء؛ ليطمئنَّ قلبي بمعرفة تلك الكيفيّة الغريبة البديعة، ولا ريب أنّ الجهل بمعرفة تلك الكيفيّة لا يضرّ بالإيمان، ولا يتوقّف على معرفتها.

وأمّا سؤال اللّه سبحانه عن ذلك مع كونه عالماً بالسرائر، فهو من قبيل خطاب المحبّ لحبيبه.

---

١. الحجرات (٤٩): ١٤.

٢. البقرة (٢): ٢٦٠.

إن قلتَ: فما الجواب أيضاً عن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ﴾[١]، فإنّه يُفهم من الآية الكريمة وصف الكافر المشرك بالإيمان حال شركه، إذ الجملة الاسميّة حاليّة، فضلاً عن الاكتفاء بالظنّ وما في حكمه في الإيمان، وهو ينافي اعتبار اليقين.

قلتُ: لا، فإنّ الآية الكريمةَ إنّما دلّت على إخباره تعالى عنهم بالإيمان بالصانع والتصديق بوجوده، لكنّهم لم يوحّدوه في حالة تصديقهم به، بل اعتقدوا له شريكاً تعالى اللّه عمّا يشركون.

وحينئذٍ فيجوز كونهم جازمين بوجود الصانع تعالى مع كونهم غير موحّدين له، فإنّ التوحيد مطلب آخر، فكفرهم كان لذلك، فلم يتحقّق لهم الإيمان الشرعيّ، بل الإيمان جزء منه، وهو غير كافٍ.

على أنّه يجوز أن يكون المراد من الإيمان المنسوب إليهم في الآية الكريمة التصديق اللغوي، وقد بيّنا سابقاً أنّه أعمّ من الشرعيّ، وليس النزاع فيه بل في الشرعيّ.

ويكون المعنى واللّه أعلم وما يؤمن أكثرهم بلسانه إلّا وهو مشرك بقلبه، أي حال إشراكه بقلبه، نعوذ باللّه من الضلالة، ونسأله حسن الهداية، هذا ما تيسّر لنا من المقال في هذا المقام.

وأمّا المقام الثاني:

وهو أنّ الأعمال ليست جزءاً من الإيمان ولا نفسه، فالدليل عليه من الكتاب العزيز، والسنّة المطهّرة، والإجماع.

أمّا الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٢]، فإنّ العطف يقتضي المغايرة، وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه، فلو كانت الصالحات جزءاً من الإيمان أو نفسه لزم خلوّ العطف عن الفائدة؛ لكونه تكراراً[٣].

وردّ ذلك بأنّ الصالحات جمع معرّف يشمل الفرض والنفل، والقائل بكون الطاعات

---

١. يوسف (١٢): ١٠٦.

٢. البقرة (٢): ٢٧٧.

٣. استدلّ بها التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٩٢ ـ ١٩٣.

جزءاً من الإيمان يُريد بها فعل الواجبات واجتناب المحرّمات، وحينئذٍ فيصحّ العطف؛ لحصول المغايرة المفيدة لعموم المعطوف، فلم يدخل كلّه في المعطوف عليه، نعم ذلك يصلح دليلاً على إبطال مذهب القائلين بكون المندوب داخلاً في حقيقة الإيمان كالخوارج.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[1]، أي حالة إيمانه، فإنّ عمل الصالحات في حالة الإيمان يقتضي المغايرة لِما أُضيف إلى تلك الحالة وقارنه فيها، وإلّا لصار المعنى: ومَن يعمل بعض الإيمان في حال حصول ذلك البعض، أو ومَن يعمل من الإيمان حال حصوله، وحينئذٍ فيلزم تقدّم الشيء على نفسه، وتحصيل الحاصل[2].

إن قلتَ: الآية الكريمة إنّما تدلّ على المغايرة في الجملة، لكن لا يلزم من ذلك أن لا تكون الأعمال جزءاً، فإنّ المعنى ـ والله أعلم ـ: ومَن يعمل من الصالحات حال إيمانه، أي تصديقه بالمعارف الإلهيّة.

وحينئذٍ فيجوز أن يكون الإيمان الشرعيّ بمجموع الجزءين، أي عمل الصالحات والتصديق المذكور، فالمغايرة إنّما هي بين جزئي الإيمان، ولا محذور فيه، بل لابُدَّ منه، وإلّا لما تحقّق الكلّ، بل لابُدَّ لنفي ذلك من دليل.

قلتُ: من المعلوم أنّ الإيمان قد غُيِّر عن معناه لغةً، وحينئذٍ فإمّا إلى التصديق بالمعارف فقط فيكون تخصيصاً، أو مع الأعمال فيكون نقلاً، لكنّ الأوّل أولى؛ لأنّ التخصيص خير من النقل.

وَوُجّهَ الاستدلال بالآية أيضاً بأنّ ظاهرها كون الإيمان شرطاً لصحّة الأعمال، حيث جعل سعيه مقبولاً إذا وقع حال الإيمان، فلابُدَّ أن يكون الإيمان غير الأعمال، وإلّا لزم اشتراط الشيء بنفسه.

ويرد على هذا ما ورد على الأوّل بعينه، نعم اللازم هنا أن يكون أحد جزئي المركّب شرطاً لصحّة الآخر، ولا محذور فيه.

والجواب عن هذا هو الجواب عن ذلك فتأمّل.

---

١. طه (٢٠): ١١٢.

٢. استدلّ بها أيضاً التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٩٥.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾[١]، فإنّه أثبت الإيمان لمن ارتكب بعض المعاصي، فلو كان ترك المنهيّات جزءاً من الإيمان، لزم تحقّق الإيمان وعدم تحقّقه في موضع واحد في حالة واحدة، وهو محال[٢].

ولهم أن يُجيبوا عن ذلك بمنع تحقّق الإيمان حالة ارتكاب المنهي، وكون تسميتهم بالمؤمنين باعتبار ما كانوا عليه، وخصوصاً على مذهب المعتزلة، فإنّهم لا يشترطون في صدق المشتقّ على شيء حقيقةً بقاء المعنى المشتقّ منه.

ويُمكن دفعه بأنّ الشارع قد منع من جواز إطلاق المؤمن على مَن تحقّق كفره وعكسه، والكلام في خطاب الشارع، فلا نسلّم لهم الجواب.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٣]، فإنّ أمرهم بالتقوى ـ التي لا تحصل إلّا بفعل الطاعات والانزجار عن المنهيّات ـ مع وصفهم بالإيمان يدلّ على عدم حصول التقوى لهم، وإلّا لما أُمروا بها مع حصول الإيمان لوصفهم به، فلا تكون الأعمال نفس الإيمان ولا جزءاً منه، وإلّا لكان أمراً بتحصيل الحاصل.

ويرد عليه جواز أن يراد من الإيمان الذي وُصِفُوا به اللغوي، ويكون المأمور به هو الشرعيّ، وهو الطاعات، أو جزؤه عند مَن يقول بالجزئيّة.

ويجاب عنه بنحو ما أُجيب عمّا أورد على الدليل الثاني، فليتأمّل.

ومنه أيضاً الآيات الدالّة على كون القلب محلّاً للإيمان من دون ضميمة شيء آخر، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[٤]، أي جمعه وأثبته فيه، واللّه أعلم.

ولو كان الإقرار أو غيره من الأعمال نفس الإيمان أو جزأه، لما كان القلب محلّ جمعه، بل هو مع اللسان وحده، أو مع بقيّة الجوارح على اختلاف الآراء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٥]، ولو كان غير القلب من أعمال الجوارح

---

١. الحجرات (٤٩): ٩.
٢. استدلّ بها أيضاً التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٩٥.
٣. التوبة (٩): ١١٩.
٤. المجادلة (٥٨): ٢٢.
٥. الحجرات (٤٩): ١٤.

نفس الإيمان أو جزأه، لما جعل كلّه محلّ القلب، كما هو ظاهر الآية الكريمة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[١]، فإنّ اطمئنانه بالإيمان يقتضي تعلّقه كلّه به، وإلّا لكان مطمئنّاً ببعضه لا كلّه.

أقول: يرد على الأخير أنّه لا يلزم من اطمئنانه بالإيمان كونه محلّاً له، إذ من الجائز كونه عبارة عن الطاعات وحدها، أو مع شيء آخر واطمئنان القلب لاطّلاعه على حصول ذلك، فإنّ القلب يطّلع على الأعمال.

ويرد على الأوّلين أنّ الإيمان المكتوب والداخل في القلب إنّما هو العقائد الأُصوليّة، ولا يدلّ على حصر الإيمان في ذلك. ونحن لا نمنع ذلك، بل نقول باعتبار ذلك في الإيمان، إمّا على طريق الشرطيّة لصحّته، أو الجزئيّة له؛ إذ مَن يزعم أنّه الطاعات فقط لابُدَّ من حصول ذلك التصديق عنده أيضاً لتصحّ تلك الأعمال. غاية الأمر أنّه شرط للإيمان أو جزؤه لا نفسه، كما تقدّمت الإشارة إليه.

نعم هما يدلّان على بطلان مذهب الكراميّة، حيث يكتفون في تحقّقه بلفظ الشهادتين من غير شيء آخر أصلاً، لا شرطاً ولا جزءاً.

قيل: وكذا آيات الطبع والختم تشعر بأنّ محلّ الإيمان القلب، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِم﴾[٢]، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾[٣]، وفيه ما تقدّم.

وأمّا السنّة المطهّرة فكقوله ﷺ: «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ والأبْصارِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلى دِينِكَ»[٤].

وجه الدلالة فيه: أنّ المراد من الدين هاهنا الإيمان؛ لأنّ طلب تثبيت القلب عليه يدلّ على أنّه متعلّق بالاعتقاد، وليس هناك شيء آخر غير الإيمان من الاعتقاد يصلح لثبات

---

١. النحل (١٦): ١٠٦.

٢. النحل (١٦): ١٠٨.

٣. الجاثية (٤٥): ٢٣.

٤. سنن الترمذي ٥: ٥٣٨، ح ٣٥٢٢ و٥٧٣، ح ٣٥٨٧؛ مسند أحمد بن حنبل ٣: ١١٢ و٦: ٢٥١؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٨٨؛ كنز العمال ٢: ٣٩٠، ح ١٦٨٢ و٣٩١، ح ١٦٨٤ و٣٩٢، ح ١٦٨٧.

القلب عليه بحيث يسمّى دِيناً، فتعيّن أن يكون هو الإيمان، وحيث لم يطلب غيره في حصول الإيمان عُلم أنّ الإيمان يتعلّق بالقلب لا بغيره.

وكذا ما روي أنّ جبرئيل عليه السلام أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فسأله عن الإيمان؟ فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ باللّهِ ورُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ»[1].

ومعنى ذلك أن تُصدّق باللّه ورسله واليوم الآخر، فلو كان فعل الجوارح أو غيره من الإيمان لذَكَرَهُ له، حيث سأله صلى الله عليه وآله عن ما هو الإيمان المطلوب للشارع.

وإن قيل: ظاهر الحديث فيه مناقشة، وذلك أنّ الرسول عليه السلام سأل عن حقيقة الإيمان، فكان من حقّ الجواب في شرح معناه أن يقال: أن تُصدّق باللّه... الى آخره، لا أن تُؤمن؛ لأنّ «أنْ» مع الفعل في تأويل المصدر، فيصير حاصله: الإيمان هو الإيمان باللّه، فيلزم منه تعريف الشيء بنفسه في الجملة، وذلك لا يليق بنفس الأمر.

والجواب: أنّ المراد من قوله: «أن تُؤمن باللّه»: أن تُصدّق، وقد كان التصديق معلوماً له عليه السلام لغةً، فلم يكن تعريفاً للشيء بنفسه، فهذا إنّما يكون بالقياس إلى غيرهما عليهما السلام وإلّا فالسائل والمسؤول غنيّان عن معرفة المعاني من الألفاظ.

وأمّا الإجماع[2] فهو أنّ الأُمّة أجمعت على أنّ الإيمان شرط لسائر العبادات، والشيء لا يكون شرطاً لنفسه، فلا يكون الإيمان هو العبادات.

أقول: على تقدير تسليم دعوى الإجماع، فللخصوم أن يقولوا: نحن نقول بكون التصديق بمسائل الأُصول شرطاً لصحّة العبادات التي هي الإيمان، ولا يلزمنا بذلك أن تكون تلك المسائل هي الإيمان، فإنْ سمّيتموها إيماناً بالمعنى اللغوي فلا مشاحّة في ذلك، وإن قلتم: بل هي الإيمان الشرعيّ، فهو محلّ النزاع، ودليلكم لا يدلّ عليه.

وأجمعت أيضاً على أنّ فساد العبادات لا يوجب فساد الإيمان، وذلك يقتضي كون الإيمان غير أعمال الجوارح.

---

١. مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٨ و٣١٩ و٤: ١٢٩ و١٦٤؛ وسنن النسائي ٨: ٩٨؛ مصابيح السنّة ١: ١١٢، ح ١؛ كنز العمّال ١: ٢٧٠، ح ١٣٥٥ و ٢٧١، ح ١٣٥٧ و ٢٧٥، ح ١٣٦٤ و ١٠: ٢٨٨، ح ٢٩٤٦٧.

٢. ادّعاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٩٣.

أقول: إن صحّ نقل هذا[١] الإجماع، فلا ريب في دلالته على المدّعى، وسلامته عن المطاعن المتقدّمة.

هذا غاية ما رأينا وبيّناه في تحقيق هذا المقام.

ويرد على المقام الأوّل إشكالات:

أحدها: ما سيجيء[٢] إن شاء اللّه تعالى تحقيقه من أنّ المؤمن هل يجوز أن يكفر بعد إيمانه أم لا؟ ذهب إلى الأوّل جماعة من العلماء، وظاهر القرآن العزيز يدلّ عليه في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾[٣] إلى غير ذلك من الآيات.

ولو كان التصديق بالمعارف الأُصوليّة يعتبر فيه الجزم والثبات، لما صحّ ذلك؛ إذ اليقين لا يزول بالأضعف، ولا ريب أنّ موجب الكفر أضعف ممّا يوجب الإيمان.

قلت: لا ريب أنّ الإيمان من الكيفيّات النفسانيّة، إذ هو نوع من العلم على ما هو الحقّ فهو عرض، وقبوله للزوال بعروض ضدّه أو مثله، عند مَن يقول بأن الأعراض لاتبقى زمانين كالأشاعرة، ظاهر.

وكذا على القول بأنّ الباقي محتاج إلى المؤثّر في بقائه، أو غير محتاج مع قطع النظر عن بقاء الأعراض زمانين؛ لأنّ الفاعل مختار، فيصحّ منه الإيجاد والإعدام في كلّ وقت.

غاية الأمر أنّ تبديل الإيمان بالكفر لا يجوز أن يكون من فعل اللّه تعالى على ما تقتضيه قواعد العدليّة من أنّ العبد له فعل، وأنّ اللطف واجب على اللّه تعالى، ولو كان التبديل منه تعالى لنافى اللطف.

على أنّا نقول: قد يستند الكفر إلى الفعل دون الاعتقاد، فيجامع الجزم اليقين في المعارف الأُصوليّة، كما في السجود للصنم، وإلقاء المصاحف في القاذورات مع كونه مصدّقاً بالمعارف.

---

١. هذا: لم ترد في «ش».

٢. يأتي في الصفحة: ٣٧١.

٣. النساء (٤): ١٣٧.

إن قلتَ: فعلى هذا يلزم جواز إجتماع الإيمان والكفر في محلّ واحد وزمان واحد، وهو محال؛ لأنّ الكفر عدم الإيمان عمّا من شأنه أن يكون مؤمناً.

قلتُ: الإيمان هو التصديق بالأُصول المذكورة بشرط عدم السجود وغيره ممّا يوجب فعله الكفر بدلالة الشارع عليه، وانتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط.

ثانيها: يلزم أن يكون الظانّ لواحد من الأُصول الخمسة كافراً وإن كان عالماً بالباقي؛ لأنّ الظنّ من أضداد اليقين فلا يجامعه.

فيلزم الحكم بكفر مستضعفي المسلمين بل كثير من عوامّهم؛ لعدم التصديق في الأوّل، والثبات في الثاني، كما نشاهد من تشكّكهم عند التشكيك، مع أنّ الشارع حكم بإسلامهم وأجرى عليهم أحكامه.

ومن هاهنا اكتفى بعض العلماء في الإيمان بالتقليد، كما تقدّمت الإشارة إليه.

ويمكن الجواب عن ذلك: بأنّ مَن يشترط اليقين يلتزم الحكم بكفرهم لو علم كون اعتقادهم بالمعارف عن ظنّ، لكن هذا الالتزام في المستضعف في غاية البعد والضعف.

وأمّا إجراء الأحكام الشرعيّة فإنّما هو للاكتفاء بالظاهر، إذ هو المدار في إجراء الأحكام الشرعيّة، فهو لا ينافي كون المجرى عليه كذلك كافراً في نفس الأمر.

وبالجملة فالكلام إنّما هو في بيان ما يتحقّق به كون المكلّف مؤمناً عند اللّه سبحانه، وأمّا عندنا فيكفي ما يفيد ظنّ حصول ذلك له، كإقراره بالمعارف الأُصوليّة مختاراً غير مستهزئ، لتعذّر العلم علينا غالباً بحصول ذلك له.

ثالثها: أنّه إذا كان الإيمان هو التصديق الجازم الثابت، فلا يمكن الحكم بإيمان أحد حتّى نعلم يقيناً أنّ تصديقه بما ذكر يقينيّ، وأنّى لنا بذلك، ولا يطّلع على الضمائر إلّا خالق السرائر.

والجواب عن هذا هو الجواب عن الثاني.

رابعها: انتقاض حدّ الإيمان والكفر جمعاً ومنعاً بحالة النوم والغفلة وكذا بالصبيّ، لأنّه إن كان مصدّقاً فهو مؤمن، وإلّا فكافر؛ لعدم الواسطة، مع أنّ الشارع لم يحكم عليه بشيء منهما حقيقةً بل تبعاً.

وأُجيب عن الأوّلين: بأنّ التصديق باقٍ لم يزل، والذهول والغفلة إنّما هو عن حصوله

واتّصاف النفس به، إذ العلم بالعلم وبصفات النفس غير لازم، ولا عدمه ينافي حصولها.

على أنّ الشارع جعل الأمر المحقّق الذي لم يطرأ عليه ما يضادّه ويزيله في حكم الباقي، فسمّى من اتّصف بالإيمان مؤمناً، سواء كان مستشعراً بإيمان نفسه، أو غافلاً عن ذلك مع اتّصاف نفسه به.

وعن الثالث: بأنّ الكلام في الإيمان الشرعيّ، فهو من أفراد التكليف، فلا يوصف الصبيّ بشيء منهما حقيقةً؛ لعدم دخوله في المكلّف، نعم يوصف تبعاً.

[هل الإيمان هو نفس المعرفة أم غيرها؟]

وهاهنا بحث تقدّم الوعد بنقله وبيانه في أوّل تحرير المذاهب حاصله: أنّ العلّامة التفتازاني ذكر في بعض تحقيقاته أنّ بعض القدريّة ذهب إلى أنّ الإيمان هو المعرفة[1].

وأطبق علماؤنا على فساده؛ لأنّ أهل الكتاب كانوا يعرفون نبوّة نبيّنا محمّدﷺ كما كانوا يعرفون أبناءهم، حيث أخبر اللّه تعالى عنهم بذلك، مع القطع بكفرهم؛ لعدم التصديق.

ولأنّ من الكفّار مَن كان يعرف الحقّ وينكره عناداً واستكباراً، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا واستَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُم﴾[2]، فلابدّ من بيان الفرق بين معرفة الأحكام واستيقانها، وبين التصديق بها واعتقادها؛ ليصحّ كون الثاني إيماناً دون الأوّل.

والمذكور في كلام بعض المشايخ أنّ التصديق عبارة عن ربط القلب على ما عُلم من إخبار المخبر، وهو أمر كسبيّ يحصل باختيار المصدّق، ولذا يثاب عليه ويجعل رأس العبادات.

بخلاف المعرفة، فإنّها قد تحصل بغير كسب، كمن وقع بصره على جسم فحصل له معرفة بأنّه جدار أو حجر مثلاً.

وهذا ما ذكره بعض المحقّقين من أنّ التصديق هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المُخبر، حتّى لو وقع ذلك في القلب من غير اختيار لم يكن تصديقاً وإن كان معرفة.

---

١. شرح المقاصد ٥: ١٧٦ ـ ١٧٧.

٢. النمل (٢٧): ١٤.

قال: وهذا مشكل؛ لأنّ التصديق من أقسام العلم، وهو من الكيفيّات النفسانيّة لا من الأفعال الاختياريّة؛ لأنّا إذا تصوّرنا النسبة بين الشيئين وشككنا أنّها بالإثبات أو النفي ثمّ أُقيم البرهان على ثبوتها، فالذي يحصل لنا هو الإذعان والقبول لتلك النسبة، وهو معنى التصديق والحكم والإثبات والإيقاع.

نعم تحصيل تلك الكيفيّة يكون بالاختيار في مباشرة الأسباب، وصرف النظر، ورفع الموانع، ونحو ذلك. وبهذا الاعتبار يقع التكليف بالإيمان، وكأنّ هذا هو المراد بكونه سبباً اختياريّاً. ولا تكفي المعرفة؛ لأنّها قد تكون بدون ذلك.

نعم يلزم أن تكون المعرفة النفسيّة المكتسبة بالاختيار تصديقاً، ولا بأس بذلك[1]، انتهى.

أقول: يرد على علمائهم القائلين بكون الإيمان ليس معرفة وأنّه معنى مغاير لها، أن يكون مَن حصل له العلم بالمعارف الإلهيّة عن إلهام، أو خلق علم ضروري بذلك، أو تصفية النفس، أو غير ذلك من أسباب العلم، أن لا يثاب على إيمانه، ولا يكون مؤمناً؛ لأنّ الإيمان هو التصديق بالمعنى الذي زعموه، وهذا ليس كذلك وبطلانه ظاهر كنارٍ على عَلَمٍ، نعم ما ذكروه من معنى التصديق هو اللغوي.

وأقول أيضاً: الذي ظهر من كلام هذا الفاضل، وما نقله من أنّ التفرقة بين المعرفة والتصديق إنّما هي باعتبار أسباب الإدراك، فإن كانت اختياريّة كان ذلك الإدراك تصديقاً ومعرفة، وإلّا فمعرفة، فالمعرفة حينئذٍ أعمّ من التصديق.

ويرد عليه أنّ المعرفة من أقسام العلم وليست تصوّراً؛ لأنّ الكلام في المعرفة التي هي قسم من الاعتقاد لا مطلق المعرفة، فيكون تصديقاً لانقسام العلم إليهما.

وإلّا لزم: إمّا أن لا تكون المعرفة المرادة هاهنا علماً، أو كون التقسيم غير حاصر وكلاهما باطل، وحينئذٍ فلا تكون أعمّ منه، بل مساوية له، وذلك يُبطل قول علمائهم بأنّ الإيمان لا يكون معرفة.

اللّهمّ إلّا أن يقال: إنّ التقسيم إنّما هو للعلم الكسبيّ لا لمطلق العلم، والمعرفة الإذعانيّة قسم من مطلق العلم، كسبيّاً كان أو ضروريّاً، فيجوز حينئذٍ كونها أعمّ.

---

١. حكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٨٦ عن بعض العلماء.

لكن هذا غير مانع من صحّة تعريف الإيمان بالمعرفة، إذ غايته أنّه تعريف بالأعمّ، وقد جوّزه بعضهم، على أنّ منشأ المنع في كلامهم لم يكن هو العموم، بل كون الإيمان اختياريّاً أو غير اختياريّ.

ونحن قد بيّنّا أنّ العلم الحاصل للنفس بما يتحقّق به الإيمان قد يكون غير اختياريّ وغير كسبيّ، كما إذا اتّفق حصوله بكشف أو بمشاهدة المعجزة مع سبق دعوى النبوّة، من غير أن يكون الناظر في المعجزة قاصداً لتحصيل الحقّ، فإنّه إذا شاهد المعجزة حصل له في الحال العلم الضروريّ بصدق المدّعي في كلّ ما ادّعاه، ولا ريب في تحقّق الإيمان بذلك مع أنّه لم يكتسبه.

على أنّا لو قطعنا النظر عن جميع ذلك، فحكمهم بأنّ الإيمان ليس هو المعرفة، لا يجامع الذي ذكروه من أنّ ربط القلب لا يكون إلّا بواسطة أمر يُفيد اطمئنان القلب غير الخبر، كالقرائن والتواتر، أو صدق المخبر كعصمته، أو غير ذلك من الأسباب، وهل الحاصل من ذلك إلّا المعرفة والعلم؟!

فإن قلتَ: على ما ذكرتَ كان الواجب أن يُعرّف الإيمان بالمعرفة لا بالتصديق.

قلتُ: لمّا كان ما ذكرناه من حصول الإيمان بغير الكسب أمراً نادراً لا يحصل إلّا لذوي الأنفس القدسيّة، جُعل كالمعدوم، فلم يُعتبر في التعريف.

أو نقول: إنّ التصديق المأخوذ في تعريف الإيمان الشرعي يشمل الفرد المذكور، إذ قد بيّنا أنّه نُقل عن معناه اللغويّ إلى الإذعان القلبيّ، وهو يشمل مثل ذلك.

وما قيل: من أنّه لو نُقل عن معناه اللغويّ لنُقل إلينا، كغيره من الحقائق الشرعيّة، كالصلاة والزكاة والحجّ وغيرها، فحيث لم يُنقل إلينا دلّ على بقائه على معناه اللغويّ.

قلنا: القرآن العزيز صريح في نقله كآية الأعراب وغيرها.

وأمّا حكاية الإثابة على الإيمان، فالكسبيّ منه يُثاب عليه وعلى إثباته، إذ الكلّ فعل الكاسب، أحدهما مباشرةً والآخر توليداً، كما هو الحقّ عند العدليّة القائلين بأنّ العبد له فعل، فإنّه عندهم أعمّ من كونه مباشرة وتوليداً.

أمّا الأشاعرة، فيلزمهم أن لا يُثابوا على تصديقهم، حيث نفوا الفعل عن العبد مطلقاً.

وأمّا غير الكسبيّ منه، فإنّه وإن لم يتحقّق للعبد فيه فعل، لكنّه يُثاب على العزم على البقاء عليه وعلى آثاره فإنّها فعله، نعم هذا الفرض نادر جدّاً.

وأمّا الآيات التي استدلّوا بها على أنّ الإيمان ليس هو المعرفة، فهي حجّة عليهم لا لهم، وذلك أنّ القطع بكفرهم مع معرفتهم إنّما كان لإنكارهم وجحدهم الإقرار بذلك، وتركهم الاتّباع لما علموا حقّيّته، لا لعدم تحقّق التصديق.

فهو دليل على أنّ المعرفة معتبرة وكافية لولا جحدهم لِما عرفوه، ولذا وبّخهم اللّه تعالى بذلك، حيث جعل المعرفة مع جحدهم سبباً للإنكار عليهم، هذا ما يتعلّق بأهل المذهب الأوّل.

[مذهب الكراميّة في الإيمان والجواب عنه]

وأمّا أهل الثاني وهم الكراميّة، فقد استدلّوا على مذهبهم بأنّ النبي ﷺ والصحابة كانوا يكتفون في الخروج عن الكفر بكلمتي الشهادة، فتكون هي الإيمان، إذ لا واسطة بين الكفر والإيمان؛ لأنّ الكفر عدم الإيمان[1].

وبقوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[2].

وبقوله ﷺ: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا: لا اله إلّا اللّه»[3].

---

١. ذكر التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ١٨٢ ـ ١٨٣ أدلّة الكراميّة الواردة هنا، وأضاف إليها دليلاً آخر، ثمّ قام بردّها جميعاً.

٢. التغابن (٦٤): ٢.

٣. صحيح البخاري ١: ١٠٩، ٢: ١٣١، ٤: ٥٨، ٩: ١٩ و ١١٥ و ١٣٨؛ صحيح مسلم ١: ٥١، ح ٣٢ و ٥٢، ح ٣٣؛ مسند أحمد بن حنبل ١: ١١ و ١٩ و ٣٥ و ٢: ٣٧٧ و ٤٢٣؛ سنن أبي داود ٢: ٩٣، ح ١٥٥٦ و ٣: ٤، ح ٢٦٤٠؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٥، ح ٣٩٢٧ و ٣٩٢٨ و ٣٩٢٩؛ سنن الترمذي ٥: ٣، ح ٢٦٠٦ و ٥: ٤، ح ٢٦٠٧ و: ٤٣٩، ح ٣٣٤١؛ سنن النسائي ٧: ٧٧ و ٧٨ و ٧٩؛ السنن الكبرى ـ للبيهقي ـ ٣: ٩٢ و ٤: ١٠٤ و ١١٤ و ٦: ٣٣٦ و ٧: ٣؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ٥٢٢؛ مجمع الزوائد ١: ١٧٢ ـ ١٧٥، ح ٤٦ ـ ٥٤؛ كنز العمّال ١: ٨٨، ح ٣٧٥ و ٨٩، ح ٣٧٦ و ٦: ٥٢٦، ح ١٦٨٣٦ و ٥٣١، ح ١٦٨٤٦.
وفي عدّة مصادر أُخرى «حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا اللّه» منها: صحيح البخاري ١: ١٣؛ صحيح مسلم ١: ٥٢، ح ٣٣؛ سنن النسائي ٧: ٧٦؛ السنن الكبرى ـ للبيهقي ـ ٢: ٣ و ٣: ٩٢؛ مصابيح السنّة ١: ١١٥، ح ١٠.

وبقوله ﷺ لأُسامة حين قتل مَن تكلّم بالشهادتين: «هلّا شققت قلبه»[١]، أو «هل شققت قلبه»؟ على بعض النسخ، يُريد بذلك الإنكار عليه حيث لم يكتفِ بالشهادتين منه.

أقول: هذا الحديث على تقدير صحّته، فدلالته على اعتبار التصديق أظهر ممّا ذكروه؛ إذ المتبادر منه أنّ النبيّ ﷺ لمّا أنكر عليه بفعله ذلك، فكأنّه قال له: الإيمان يكون في القلب، فهلّا شققت قلبه لتجده فيه، أو هل شققته فلم تجده؟ حتّى فعلتَ ما فعلت.

على أنّه يجوز أن يكون الإنكار عليه من جهة أنّ الإقرار بالشهادتين يوجب حقن الدماء عند الشارع، وحرمة القتل وانتهاك الحرمة، وهو لا يدلّ على حصول الإيمان بالشهادتين فقط، فلعلّ هذا التحريم كان للترغيب في الإسلام وحصوله بالشهادتين فقط دون الإيمان.

والجواب عن الأوّل: أنّ الخروج عن الكفر بكلمة الشهادة إن أرادوا به الخروج في نفس الأمر، بحيث يصير مؤمناً عند اللّه سبحانه بمجرّد ذلك من دون التصديق، فهو ممنوع، لِمَ لا يجوز أن يكون اكتفاؤهم بذلك للترغيب في الإسلام لا للحكم بالإيمان؟

وإن أرادوا به الخروج بحسب الظاهر، فهو مسلّم، لكن لا ينفعهم؛ إذ الكلام فيما يتحقّق به الإيمان عند اللّه تعالى، بحيث يصير المتّصف به مؤمناً في نفس الأمر، لا فيما يتحقّق به الإسلام في ظاهر الشرع، حيث لا يمكن الاطّلاع على الباطن.

ألا ترى أنّهم كانوا يحكمون بكفر مَن ظهر منه النفاق بعد الحكم بإسلامه، ولو كان مؤمناً في نفس الأمر لما جاز ذلك.

وأمّا نفي الواسطة فهو مستقيم على أخذ الحكم في نفس الأمر، فلا دلالة لهم فيه.

والآية الكريمة أيضاً يُمكن تنزيلها على ما هو في نفس الأمر، فإنّ حال المكلّف في نفس الأمر لا يخلو عن أحدهما.

وأمّا جعل «لا إله إلّا اللّه» غاية للقتال، فلا يدلّ على أكثر من كونه للترغيب في الإسلام أيضاً بسبب حقن الدماء، على أنّ النبيّ ﷺ ربّما لا يطّلع على بواطن الناس، فكيف يؤمر بالقتال على ما لا يطّلع عليه؟!

---

١. مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٣٤٨، ح ٣٦٦٢٠؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٦، ح ٣٩٣٠؛ المعجم الكبير ١٨: ٢٢٦، ح ٥٦٢، مجمع الزوائد ١: ١٧٦، ح ٦٠؛ كنز العمّال ١٠: ٣٨٩، ح ٢٩٩٢٨.

[مذهب المعتزلة في الإيمان والجواب عنه]

وأمّا أهل الثالث، وهم قُدماء المعتزلة القائلون بأنّه جميع الطاعات فرضاً ونفلاً، فمن أمتن دلائلهم على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[١].

والمشار إليه بـ﴿ذلك﴾ هو جميع ما حصر بـ﴿إلّا﴾ وما عطف عليه، والدين هو الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[٢]، والإسلام هو الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٣].

ولا ريب أنّ الإيمان مقبول من مبتغيه؛ للنصّ والإجماع، وقد تقدّم ذلك، فيكون إسلاماً، فيكون ديناً، فيعتبر فيه الطاعات، كما دلّت عليه الآيات[٤].

الجواب: المنع من اتّحاد الدّينين في الآيتين، فلا يتكرّر الوسط.

ولو سلّم اتّحادهما فلا نُسلّم أنّ الإيمان هو الإسلام ليكون هو الدين، فتعتبر فيه الطاعات.

لِمَ لا يجوز أن يكون الإيمان شرطاً للإسلام، أو جزءاً منه، أو بالعكس؟ وشرط الشيء وجزؤه يقبل مع كونه غيره، ولا يلزم من ذلك أن يكون الإيمان هو الدين، بل شرطه أو جزؤه.

على أنّا لو قطعنا النظر عن جميع ذلك، فالآية الكريمة إنّما تدلّ على أنّ مَن ابتغى وطلب غير دين الإسلام ديناً له، فلن يقبل منه ذلك المطلب. ولم تدلّ على أنّ مَن صدّق بما أوجبه الشارع عليه، لكنّه ترك فعل بعض الطاعات غير مستحلّ، أنّه طالب لغير دين الإسلام، إذ ترك الفعل يجتمع مع طلبه؛ لعدم المنافاة بينهما، فإنّ الشخص قد يكون طالباً للطاعة مُريداً

---

١. البيّنة (٩٨): ٥.
٢. آل عمران (٣): ١٩.
٣. آل عمران (٣): ٨٥.
٤. حكاه عنهم الفخرالرازي في المحصل: ٥٦٨.

لها، لكنّه تركها إهمالاً وتقصيراً، ولا يخرج بذلك عن ابتغائها[١].

واستدلّوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[٢]، أي صلاتكم إلى البيت المقدس[٣].

واعتُرض عليه بأنّه لِمَ لا يجوز أن يكون المراد به تصديقكم بتلك الصلاة[٤]. سلّمنا ذلك لكن لا دلالة لهم في الآية؛ وذلك لأنّهم زعموا أنّ الإيمان جميع الطاعات، والصلاة إنّما هي جزء من الطاعات، وجزء الشيء لا يكون ذلك الشيء.

[مذهب القائلين بأنّ الإيمان فعل الواجبات وترك المحظورات]

وأمّا الرابع، وهم القائلون بكونه عبارة عن جميع الواجبات وترك المحظورات دون النوافل، فقد يُستدلّ لهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٥]، والتقوى لا تتحقّق إلّا بفعل المأمور به وترك المنهي عنه، فلا يكون التصديق مقبولاً ما لم تحصل التقوى.

وبما روي من أنّ الزاني لا يزني وهو مؤمن[٦].

وبقوله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»[٧].

---

١. أشار إلى هذا الجواب بشكل مختصر الفخر الرازي في المحصّل: ٥٦٩؛ والخواجة نصيرالدين الطوسي في تلخيص المحصّل: ٤٠٢ـ٤٠٣.

٢. البقرة (٢): ١٤٣.

٣. حكاه عنهم الفخر الرازي في المحصّل: ٥٦٩.

٤. ذكره الفخر الرازي في المحصّل: ٥٧٠؛ والخواجة نصيرالدين الطوسي في تلخيص المحصّل: ٤٠٣.

٥. المائدة (٥): ٢٧.

٦. مستدرك الوسائل ١٨: ١١٩، ح ٢٢٢٣٦ و: ١٢٠، ح ٢٢٢٤١؛ عوالي اللآلي ١: ٤٠، ح ٤٢ و: ١٦٧، ح ١٨٤، صحيح البخاري ٣: ١٧٨ و ٧: ١٣٦ و ٨: ١٩٥ و ١٩٧؛ صحيح مسلم ١: ٧٦ـ٧٧، ح ١٠٠ ـ ١٠٥؛ سنن أبي داود ٥: ٦٤ ـ ٦٥، ح ٤٦٨٩؛ سنن الترمذي ٥: ١٥، ح ٢٦٢٥؛ سنن النسائي ٨: ٦٤ ـ ٦٥، ح ٣١٣؛ سنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٩، ح ٣٩٣٦؛ مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٧٦ و ٣: ٣٤٦ و ٦: ١٣٩؛ السنن الكبرى ـ للبيهقي ـ ١٠: ١٨٦؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١: ٢٨٦ـ٢٨٩، ح ٣٦٥ ـ ٣٧٤؛ حلية الأولياء ٣: ١٦٤ و ٣٢٢ و ٨: ١١٧ و ٢٥٧.

٧. مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٣٥ و ١٥٤؛ المعجم الكبير ١٠: ٢٢٧، ح ١٠٥٥٣؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١: ٢٧٨ ـ ٢٧٩، ح ٣٤١ـ٣٤٣؛ حلية الأولياء ٣: ٢٢٠؛ الدرّ المنثور ١: ٤٢ و ٢٩٥ و ٢: ١٧٥؛ كنز العمال ٣: ٦١ ـ ٦٢، ح ٥٥٠٠ ـ ٥٥٠٣؛ التمهيد لابن عبدالبرّ ٩: ٢٥٥.

وبقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾[1]، وقد لا يحكم بما أنزل اللّه، أو يحكم بما لم ينزل اللّه مصدّقاً.

فلو تحقّق الإيمان بالتصديق لزم اجتماع الكفر والإيمان في محلّ واحد، وهو محال؛ لتقابلهما بالعدم والملكة.

والجواب عن الأوّل: أنّه يجوز أن يكون المراد ـ واللّه أعلم ـ الأعمال الندبيّة، على أنّا نقول: إنّ ظاهر الآية الكريمة متروك، فإنّها تدلّ ظاهراً على أنّ مَن أخلص في جميع أفعاله وكان قد سبق منه معصية واحدة لم يتب عنها، أن تكون جميع أعمال الطاعات اللاحقة غير مقبولة، والقول بذلك ـ مع بعده عن حكمة اللّه تعالى ـ من أفظع الفظائع، فلا يكون مراداً.

بل المراد ـ واللّه أعلم ـ أنّ مَن عَمل عملاً إنّما يكون مقبولاً إذا كان متّقياً فيه، بأن يكون مخلصاً فيه للّه تعالى. وحينئذٍ فلا دلالة لهم في الآية الكريمة.

مع أنّا لو تنزّلنا عن ذلك وقلنا بدلالتها على عدم قبول التصديق من دون التقوى، فلا يحصل بذلك مدّعاهم، الذي هو كون الإيمان عبارة عن جميع الواجبات... إلى آخره.

ولقائل أن يقول: لِمَ لا يجوز أن يكون الإيمان عبارة عمّا ذكرتم مع التصديق بالمعارف الأُصوليّة؟ وعدم قبول الجزء إنّما هو لعدم قبول الكلّ.

وأمّا الحديث الأوّل على تقدير تسليمه، فيمكن حمله على المبالغة في الزجر، أو تخصيصه بمن استحلّ، ودليل التخصيص في أحاديث أُخر، أو على نفي الكمال في الإيمان، وكذا الحديث الثاني.

وأمّا الاستدلال بالآية فقد تعارض بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾[2]، والفاسق مؤمن على المذهب الحقّ، أو بين المنزلتين على غيره.

ويمكن أن يقال: الفسق لا ينافي الكفر، إذ الكافر فاسق لغةً وإن كان في العرف يباينه، لكنّه لم يتحقّق كونه عرف الشارع، بل المعلوم كونه لأهل الشرع والأُصول، فلا تعارض حينئذٍ.

---

١. المائدة (٥): ٤٤.

٢. المائدة (٥): ٤٧.

أقول: والحقّ في الجواب أنّ المراد ـ واللّه أعلم ـ ومَن لم يحكم بما أنزل اللّه، أي بما علمَ قطعاً أنّ اللّه سبحانه أنزله، فإنّ العدول عنه إلى غيره مستحلّاً، أو الوقوف منه كذلك لا ريب في كونه كفراً؛ لأنّه إنكار لِما علمَ ثبوته ضرورة، فلا يكون التصديق حاصلاً.

وحينئذٍ فلا دلالة فيها على أنّ من ارتكب معصيةً غير مستحلّ، أو مستحلّاً مع كون تحريمها لم يعلم من الدين ضرورة، يكون كافراً.

وإنّما ارتكبنا هذا الإضمار في الآية لِما دلّ عليه النصّ والإجماع من أنّ الحاكم لو أخطأ في حكمه لم يكفر، مع أنّه يَصدق عليه أنّه لم يحكم بما أنزل اللّه.

واعلم أنّه قد ظهر من هذا الجواب وجه آخر للجمع بين الآيتين ودفع التعارض بين ظاهرهما، بأن يُراد من إحداهما ما ذكرناه في الجواب، ومن الأُخرى: ومَن لم يحكم غير مستحلّ مع علمه بالتحريم فهو فاسق.

والحاصل أنّه يقال لهم: إن أردتم بالطاعات والتروك ما علمَ ثبوته من الدين ضرورة، فنحن نقول بموجب ذلك، لكن لا يلزم منه مدّعاكم؛ لجواز كون الحكم بكفره: إمّا لجحده ما علمَ من الدين ضرورة، فيكون قد أخلّ بما هو شرط الإيمان، وهو عدم الجحد على ما قدّمناه، أو لكون المذكورات جزء الإيمان، على ما ذهب إليه بعضهم.

وإن أردتم الأعمّ، فلا دلالة لكم فيها أيضاً، وهو ظاهر.

[مذهب القائلين بأنّ الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان]

وأمّا أهل الخامس، القائلون بأنّه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، فيستدلّ لهم بما استدلّ به أهل التصديق، مع ما استدلّ به أهل الأعمال ومَن أضاف الإقرار باللسان إلى الجنان.

وقد علمتَ تزييف ما سوى الأوّل، وسيجيء إن شاء اللّه تعالى تزييف أدلّة مَن أضاف الإقرار، فلم يبق لمذهبهم قرار.

نعم، في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يشهد لهم، وقد ذكر في الكافي وغيره منها جملة:

فمنها: ما رواه علي بن إبراهيم، عن العباس بن معروف، عن عبدالرحمن بن أبي نجران،

عن حمّاد بن عثمان، عن عبدالرحيم القصير، قال: كتبتُ مع عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام أسأله عن الإيمان ما هو؟ فكتبَ إليّ مع عبدالملك بن أعين: «سألتَ رحمك اللّه عن الإيمان، وهو[1] الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان، والإيمان بعضه من بعض»[2].

ومنها: ما رواه علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمن، عن عجلان أبي صالح، قال: قلتُ لابي عبدالله عليه السلام أوقفني على حدود الإيمان؟ فقال: «شهادة أن لا إله إلّا اللّه، وأنّ محمّد رسول اللّه، والإقرار بما جاء به من عند اللّه، وصلاة الخمس، وأداء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، وولاية وليّنا، وعداوة عدونا، والدخول مع الصادقين»[3].

ومنها: ما رواه أبو علي الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان أو غيره، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الإيمان فقال: «شهادة أن لا إله إلّا اللّه، والإقرار بما جاء من عند اللّه، وما استقرَّ في القلوب من التصديق بذلك». قال: قلت: أليست الشهادة عملاً؟ قال: «بلى». قلت: العمل من الإيمان؟ قال: «نعم، لا يكون الإيمان إلّا بعمل، والعمل منه، ولا يثبت الإيمان إلّا بعمل»[4].

وغير ذلك من الأحاديث في الكافي[5] وغيره.

واعلم أنّ هذه الأحاديث منها ما سنده غير نقيّ كالأوّل، فإنّ في سنده عبدالرحيم القصير، وهو مجهول[6] مع كونه مكاتبة.

---

١. في المصدر: «والإيمان هو».
٢. الكافي ٢: ٢٧، ح ١.
٣. الكافي ٢: ١٨، ح ٢.
٤. الكافي ٢: ٣٨، ح ٣.
٥. انظر الكافي ٢: ٣٨ ـ ٤٠ باب أنّ الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها.
٦. قال عنه الشيخ المامقاني: قد وقع في طريق الصدوق رحمه الله في باب غسل يوم الجمعة، قال في مشيخته: عبدالرحيم القصير الأسدي الكوفي، وقيل له: الأسدي؛ لأنّه مولى بني أسد، انتهى.
وعدّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب الباقر عليه السلام، وقد سمعتَ آنفاً عدّه عبدالرحيم بن روح القصير من أصحاب الصادق عليه السلام، وقال: روى عنهما عليهما السلام، وبقي بعد أبي عبدالله عليه السلام. والظاهر اتّحاد الرجلين.
ونقل المولى الوحيد عن خاله المجلسي الثاني رحمه الله أنّه من الحسان؛ لأنّ للصدوق رحمه الله إليه طريقاً.

وأمّا الثاني، فإنّ سنده وإن كان جيّداً إلّا أنّ دلالته غير صريحة، فإنّ كون المذكورات حدود الإيمان لا يقتضي كونها نفس حقيقته، إذ حدّ الشيء نهايته وما لا يجوز تجاوزه، فإن تجاوزه خرج عنه.

ونحن نقول بموجب ذلك، فإنّ مَن تجاوز هذه المذكورات بأن تركها جاحداً، لاريب في خروجه عن الإيمان، لكن لعلّ ذلك لكونها شروطاً للإيمان لا لكونها نفسه.

وأمّا الثالث، فإنّ دلالته وإن كانت جيّدة إلّا أنّ في سنده إرسالاً، مع كون العلاء مشتركاً بين المقبول والمجهول[1].

وبالجملة فهذه الرواية معارضة بما هو أمتن منها دلالة، وقد تقدّم ذلك فليراجع، نعم لا ريب في كونها مؤيّدة لما قالوه.

وأمّا أهل السادس، القائلون بأنّه التصديق مع كلمتي الشهادة، ففي ما مرّ من الأحاديث ما يصلح شاهداً لهم، وكذا ما ذكره الكراميّة مع ما ذكره أهل التصديق يصلح شاهداً لهم، وقد عرفتَ ما في الأوّلين، فلا نعيده.

[مذهب القائلين بأنّ الإيمان هو التصديق مع الإقرار باللسان]

وأمّا السابع، فإنّه مذهب جماعة من المتأخّرين منهم المحقّق الطوسي ﷺ في تجريده[2]،

أقول: يُستفاد من ترحّم الصادق عليه السلام عليه كونه إماميّاً جليلاً حسن الحال، فكون الرجل من الحسان ممّا لا ينبغي التأمّل فيه، فما في المعتبر من أنّ عبدالرحيم القصير ضعيف لا عمل على روايته، لا وجه له على مسلكنا من حجيّة الحسان.

انظر الفقيه ١: ٧٣، ح ٣٠٤؛ رجال الشيخ الطوسي: ١٢٨ و ٢٣٢؛ تنقيح المقال ٢: ١٥٠.

١. قال الكاظمي في هداية المحدّثين: ١١١ ـ ١١٣: العلاء مشترك بين الثقة وغيره، ويُعرف أنّه ابن رزين القلاء الثقة برواية السندي بن محمّد الثقة و... .

وأنّه العلاء بن سيابة برواية أبان بن عثمان عنه.

وأنّه ابن فضيل بن يسار الثقة برواية محمّد بن سنان عنه ورواية ابن أبي عمير عنه.

وأنّه ابن المقعد الثقة برواية محمّد بن أبي عمير أيضاً عنه، والمائز بينه وبين السابق القرينة، وإن لم توجد فلا إشكال؛ لاشتراكهما في المعنى.

وأنّه ابن يحيى الثقة برواية علي بن الحسن الطاطري عنه.

٢. تجريد الاعتقاد: ٣٠٩.

فإنّه اعتبر في حقيقة الإيمان مع التصديق الإقرار باللسان.

قال: ولا يكفي الأوّل؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[1]، أثبت للكفّار الاستيقان النفسي، وهو التصديق القلبي، فلو كان الإيمان هو التصديق القلبي فقط لزم اجتماع الكفر والإيمان، وهو باطل؛ لتقابلهما تقابل العدم والملكة.

ولا الثاني ـ يعني الإقرار باللسان ـ لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾[2] الآية، ولقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[3]. فأثبت لهم تعالى في الآيتين التصديق باللسان ونفى عنهم الإيمان.

أقول: الاستدلال على عدم الاكتفاء بالثاني مسلّم موجّه، وكذا على عدم الاكتفاء بالأوّل.

أمّا على اعتبار الإقرار ففيه بحث، فإنّ الدليل أخصّ من المدّعى، إذ المدّعى أنّ الإيمان لا يتحقّق إلّا بالتصديق مع الإقرار به، وبدون ذلك يتحقّق الكفر.

والآية الكريمة إنّما دلّت على ثبوت الكفر لمن جحد، أي أنكر الآيات مع علمه بحقيقتها، وبينهما واسطة، فإنّ مَن حصل له التصديق اليقينيّ في أوّل الأمر، ولم يكن تلفّظ بكلمات الإيمان، لا يقال له: إنّه منكر ولا جاحد.

وحينئذٍ فلا يلزم اجتماع الكفر والإيمان في مثل هذه الصورة، مع أنّه غير مقرّ ولا تارك للإقرار جحداً كما هو المفروض. هذا إن قصد بالآية الدلالة على اعتبار الإقرار أيضاً، وإلّا لكان اعتبار الإقرار دعوى مجرّدة، وقد علمت ما عليه.

وأمّا دلالة الآية الكريمة على كفره في صورة جحده واستيقانه فنقول بموجبه، لكن ليس لعدم إقراره فقط، بل لأنّه ضمّ إنكاراً إلى استيقان.

وبالجملة فهو من جملة العلامات على الحكم بالكفر، كما جعل الاستخفاف بالشارع أو الشرع ووطء المصحف علامة على الحكم بالكفر، مع أنّه قد يكون مصدّقاً، كما

---

١. النمل (٢٧): ١٤.

٢. الحجرات (٤٩): ١٤.

٣. البقرة (٢): ٨.

سبقت الإشارة إليه.

نعم، غاية ما يلزم أن يكون إقرار المصدّق شرطاً، لحكمنا بإيمانه ظاهراً، وأمّا قبل ذلك وبعد التصديق، فهومؤمن عند اللّه تعالى إذا لم يكن تركه للإقرار عن جحد.

على أنّه يلزمه ﷺ أنّ مَن حصل له التصديق بالمعارف الإلهيّة، ثمّ عرض له الموت فجأة قبل الإقرار، يموت كافراً ويستحقّ العذاب الدائم، مع اعتقاده وحدة الصانع وحقّيّة ما جاء به النبي ﷺ، ولا أظنّ أنّ مثل هذا المحقّق يلتزم ذلك.

والحاصل أنّه إن أراد ﷺ أنّ كون الإنسان مؤمناً عند اللّه سبحانه ـ كما هو ظاهر كلامه ـ لا يتحقّق إلّا بمجموع الأمرين، فالواسطة والالتزام لازمان عليه.

وإن أراد أنّ كونه مؤمناً في ظاهر الشرع لا يتحقّق إلّا بالأمرين معاً، فالنزاع لفظيّ، فإنّ مَن اكتفى فيه بالتصديق يُريد به كونه مؤمناً عند اللّه تعالى فقط، وأمّا عند الناس فلابدّ في العلم بذلك من الإقرار ونحوه.

واعلم أنّه قد استدلّ بعضهم على هذا المذهب أيضاً: بأنّا نعلم بالضرورة أنّ الإيمان في اللغة هو التصديق، والدلائل عليه كثيرة، فإمّا أن يكون في الشرع كذلك، أو يكون منقولاً عن معناه في اللغة.

والثاني باطل؛ لأنّ أكثر الألفاظ تكراراً في القرآن وكلام الرسول ﷺ لفظ الإيمان، فلو كان منقولاً عن معناه اللغوي لوجب أن يكون حاله كحال سائر العبارات الظاهرة في وجوب العلم به، فلمّا لم يكن كذلك علمنا أنّه باقٍ على وضع اللغة.

إذا ثبت هذا فنقول: ذلك التصديق إمّا أن يكون هو التصديق القلبي، أو اللساني، أو مجموعهما.

والأوّل باطل؛ لقوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[1]، فأثبت لهم المعرفة مع أنّه حكم بكفرهم، ولو كان مجرّد المعرفة إيماناً لما صحّ ذلك.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُم آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا

---

١. البقرة (٢): ٨٩.

واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُم ظُلْماً وعُلُوّاً﴾[١]، ولا يصحّ أن يكون جحدهم لها بقلوبهم حيث أثبت لهم الاستيقان بها، فلابدّ أن يكون بألسنتهم حيث لم يقرّوا بها.

وإذا كان الجحد باللسان موجباً للكفر، كان الإقرار به مع التصديق القلبي موجباً للإيمان، فيكون الإقرار من محقّقات الإيمان.

وأيضاً قوله تعالى حكاية عن موسى على نبيّنا وآله وعليه السّلام إذ يقول لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلّا رَبُّ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾[٢]، فأثبتَ كونه عالماً بأنّ اللّه تعالى هو الذي أنزل الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، فلو كان مجرّد العلم هو الإيمان لكان فرعون مؤمناً، وهو باطل بنصّ القرآن العزيز وإجماع الأنبياء عليهم السلام من لدن موسى عليه السلام إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظّالِمِينَ بِآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٣]، ومعنى ذلك واللّه أعلم: أنّهم يجحدون ذلك بألسنتهم ولا يكذّبونك بقلوبهم، أي يعلمون نبوّتك.

ولا يستقيم أن يكون المعنى: لا يكذّبونك بألسنتهم؛ لمنافاة يجحدون بألسنتهم له، فيلزم أن يكونوا كذّبوا بألسنتهم ولم يكذبوا بها، وبطلانه ظاهر، فيجب تنزيه القرآن العزيز عنه.

ولك أن تقول: لِمَ لا يجوز أن يكون المعنى: لا يكذّبونك بألسنتهم ولكن يجحدون نبوّتك بقلوبهم، كما أخبر اللّه تعالى عن المنافقين في سورتهم حيث قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ﴾[٤] وكذّبهم اللّه تعالى حيث شهد سبحانه وتعالى بكذبهم فقال: ﴿واللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾[٥].

والمراد في شهادتهم، أي فيما تضمّنته من أنّها عن صميم القلب وخلوص الاعتقاد، كما ذكره جماعة من المفسّرين، حيث لم توافق عقيدتهم. فقد عُلم من ذلك أنّه لم يكذّبوه بألسنتهم بل شهدوا له بها، ولكنّهم جحدوا ذلك بقلوبهم حيث كذّبهم اللّه تعالى في شهادتهم.

---

١. النمل (٢٧): ١٣ ـ ١٤.
٢. الإسراء (١٧): ١٠٢.
٣. الأنعام (٦): ٣٣.
٤ و ٥. المنافقون (٦٣): ١.

والجواب: أنّ التكذيب لهم ورد على نفس شهادتهم التي هي باللسان، لا على نفس عقيدتهم.

وبالجملة فهذا لا يصلح نظيراً لما نحن فيه، على أنّ معنى الجحد ـ كما قرّروه ـ هو الإنكار باللسان مع تصديق القلب، وما ذكر من الاحتمال عكس هذا المعنى.

ثمّ قال: والثاني باطل:

أمّا أوّلاً؛ فبالاتّفاق من الإماميّة.

وأمّا ثانياً؛ فلقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[1]، ولا شكّ أنّهم كانوا صدّقوا بألسنتهم، وحيث لم يكن كافياً نفى اللّه تعالى عنهم الإيمان مع تحقّقه.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[2]، فأثبتَ لهم الإقرار والتصديق باللسان ونفى إيمانهم، فثبت بذلك أنّ الإيمان هو التصديق مع الإقرار.

ثمّ قال: لا يقال: لو كان الإقرار باللسان جزء الإيمان للزم كفر الساكت.

لأنّا نقول: لو كان الإيمان هو العلم، أي التصديق، لكان النائم غير مؤمن.

لكن لمّا كان النوم لا يخرجه عن كونه مؤمناً بالإجماع مع كونه أولى، بأن يخرج به النائم عن الإيمان؛ لأنّه لا يبقى معه معنى من الإيمان، بخلاف الساكت فإنّه قد بقي معه معنى منه، وهو العلم، لم يكن السكوت مخرجاً بطريق أولى.

نعم، لو كان الخروج عن التصديق والإقرار، أو عن أحدهما على جهة الإنكار والجحد، لخرج بذلك عن الإيمان، ولذلك قلنا: إنّ الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان، أو ما في حكمهما، انتهى محصّل ما ذكره.

أقول: قوله إنّ النائم ينتفي عنه العلم أي التصديق، غير مسلّم، وإنّما المنتفي شعوره بذلك العلم، وهو غير العلم، فالتصديق حينئذٍ باقٍ؛ لكونه من الكيفيّات النفسيّة، فلا يزيله النوم، وحينئذٍ فلا يلزم من عدم الحكم بانتفاء الإيمان من النائم عدم الحكم بانتفائه عن الساكت بطريق أولى.

---

١. الحجرات (٤٩): ١٤.

٢. البقرة (٢): ٨.

نعم، الحكم بعدم انتفائه عن الساكت على مذهب مَن جعل الإقرار جزءاً، إمّا للزوم الحرج العظيم لو كلّف بدوام الإقرار في كلّ وقت، أو أن يكون المراد من كون الإقرار جزء الإيمان: الإقرار في الجملة، أي في وقت ما مع البقاء عليه، فلا ينافيه السكوت المجرّد، وإنّما ينافيه مع الجحد؛ لعدم بقاء الإقرار حينئذٍ.

وأقول: الذي ذكره من الدليل على عدم النقل لا يدلّ وحده على كون الإقرار جزءاً، وهو ظاهر، بل قصد به الدلالة على بطلان ما عدا مذهب أهل التصديق.

ثمّ استدلّ على بطلان مذهب التصديق بما ذكره من الآيات الدالّة على اعتبار الإقرار في الإيمان، فيكون الإيمان الشرعيّ تخصيصاً للغويّ، كما هو عند أهل التصديق.

وهذا جيّد، لكن دلالة الآيات على اعتبار الإقرار ممنوعة، وقد بيّنا ذلك سابقاً بأنّ تكفيرهم إنّما كان لجحدهم الإقرار، وهو أخصّ من عدم الإقرار، فتكفيرهم بالجحد لا يستلزم تكفيرهم بمطلق عدم الإقرار، ليكون الإقرار معتبراً.

نعم، اللازم من الآيات اعتبار عدم الجحد مع التصديق، وهو أعمّ من الإقرار، واعتبار الأعمّ يستلزم اعتبار الأخصّ، وهو ظاهر، وهذا جواب عن استدلاله بجميع الآيات.

ونزيد في الجواب عن الاستدلال بقوله تعالى في الحكاية عن موسى عليه وعلى نبيّنا وآله الصلاة والسلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ﴾[1] الآية، أنّه يجوز أن يكون نسب إلى فرعون العلم على طريق الملاطفة والملائمة، حيث كان مأموراً عليه السلام بذلك بقوله: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[2].

وهذا شائع في الاستعمال، كما يقال في المحاورات كثيراً: وأنت خبير بأنّه كذا وكذا، مع أنّ المخاطب بذلك قد لا يكون عارفاً بذلك المعنى أصلاً، بل قد لا يكون هناك مخاطب أصلاً، كما يقع في المؤلّفات كثيراً.

وعلى هذا فلا تدلّ الآية على ثبوت العلم لفرعون، ولو سلّم ثبوته كان الحكم بكفره للجحد، لا لعدم الإقرار مطلقاً، كما سبق بيانه.

---

١. الإسراء (١٧): ١٠٢.
٢. طه (٢٠): ٤٤.

واعلم أنّ المحقّق الطوسي﵀ اختار في فصوله الاكتفاء بالتصديق القلبيّ في تحقّق الإيمان[١]، فكأنّه ﵀ لحظ ما ذكرناه.

وقد استدلّ له بعض الشارحين بقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[٢]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُم﴾[٣]، فيكون حقيقة فيه، فلو أُطلق على غيره لزم الاشتراك أو المجاز، وهما خلاف الأصل. نعم الإقرار باللسان كاشف عنه، والأعمال الصالحة ثمراته.

أقول: الذي ظهر ممّا حرّرناه أنّ الإيمان هو التصديق باللّه وحده، وصفاته، وعدله، وحكمته، وبالنبوّة، وبكلّ ما عُلم بالضرورة مجيء النبيّ ﷺ به مع الإقرار بذلك ـ وعلى هذا أكثر المسلمين، بل ادّعى بعضهم إجماعهم على ذلك ـ والتصديق بإمامة الأئمّة الاثني عشر﵈ أو بإمام الزمان، وهذا عند الإماميّة.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١. انظر الأدلّة الجليّة في شرح الفصول النصيرية: ٢٣٧.
٢. المجادلة (٥٨): ٢٢.
٣. الحجرات (٤٩): ١٤.

المقالة الثانية
في تحقيق أُمور تتعلّق بما سبق

وفيها أبحاث:

البحث الأوّل في أنّ حقيقة الإيمان بعد الاتّصاف بها بحيث يصير المتّصف بها مؤمناً عند اللّه تعالى هل تقبل الزيادة أم لا؟

فقيل بالثاني[1]؛ لما تقدّم من أنّه التصديق القلبي الذي بلغ الجزم والثبات، فلا تتصوّر فيه الزيادة عن ذلك، سواء أتى بالطاعات وترك المعاصي أم لا، وكذا لا تعرض له النقيصة، وإلّا لما كان ثابتاً وقد فرضناه كذلك، هذا خلف.

وأيضاً حقيقة الشيء لو قبلت الزيادة والنقصان لكانت حقائق متعدّدة، وقد فرضناها واحدة، هذا خلف.

إن قلت: حقيقة الإيمان من الأُمور الاعتباريّة للشارع، وحينئذٍ فيجوز أن يعتبر الشارع للإيمان حقائق متعدّدة متفاوته زيادة ونقصاناً، بحسب مراتب المكلّفين في قوّة الإدراك وضعفه، فإنّا نقطع بتفاوت المكلّفين في العلم والإدراك.

---

١. قاله الفخر الرازي في المحصّل: ٥٧٠، وحكى فيه عن المعتزلة والسلف القول بالزيادة والنقيصة؛ وحكى التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢١١ القول بعدم الزيادة والنقيصة عن أبي حنيفة وأصحابه وإمام الحرمين وكثير من العلماء، والقول بالزيادة والنقيصة عن الأشاعرة والمعتزلة والشافعي وكثير من العلماء.

قلت: لو جاز ذلك وكان واقعاً لوجب على الشارع بيان حقيقة إيمان كلّ فرقة يتفاوتون في قوّة الإدراك، مع أنّه لم يبيّن. وما ورد من جهة الشارع فيما به يتحقّق الإيمان من حديث جبرئيل للنبيّ ﷺ وغيره من الأحاديث قويّ، قد مرَّ ذكره، وليس فيه شيء يدلّ على تعدّد الحقائق بحسب تفاوت قوى المكلّفين.

وأمّا ما ورد في الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة ممّا يشعر بقبوله الزيادة والنقصان، كقوله تعالى: ﴿وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُم إِيمَانًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِم﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا ما اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا واللّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾[3].

وكذا ما ورد من أمثال ذلك في القرآن العزيز، فمحمول على زيادة الكمال، وهو أمر خارج عن أصل الحقيقة الذي هو محلّ النزاع.

والآية الثانية صريحة في ذلك، فإنّ قوله تعالى: ﴿مَعَ إِيمَانِهِم﴾ يدلّ على أنّ أصل الإيمان ثابت، أو على مَن كان في عصر النبيّ ﷺ حيث كانوا يسمعون فرضاً بعد فرض منه ﷺ، فيزداد إيمانهم به؛ لأنّهم لم يكونوا مصدّقين به قبل أن يسمعوه.

وحاصله أنّ الحقيقة الشرعيّة للإيمان لم تكن حصلت بتمامها في ذلك الوقت، فكان كلّ ما حصل منها شيء صدّقوا به.

واعترض بأنّ مَن كان بعد عصر النبيّ ﷺ يمكن في حقّه تجدّد الاطّلاع على تفاصيل الفرائض المتوقّف عليها الإيمان، فإنّه يجب الاعتقاد إجمالاً فيما علم إجمالاً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً. ولا ريب أنّ اعتقاد الأُمور المتعدّدة تفصيلاً أزيد وأظهر عند النفس من اعتقادها إجمالاً، فعلم من ذلك قبول حقيقة الإيمان الزيادة.

أقول: فيه بحث، فإنّ الجازم بحقيقة الجملة جازم بحقيقة كلّ جزء منها وإن لم يعلمه بعينه، ألا ترى إنّا بعد علمنا بصدق النبيّ ﷺ جازمون بصدق كلّ ما يخبر به وإن لم نعلم

---

١. الأنفال (٨): ٢.

٢. الفتح (٤٨): ٤.

٣. المائدة (٥): ٩٣.

تفصيل ذلك جزءاً جزءاً، حتّى لو فصّل ذلك علينا واحداً واحداً لما ازداد ذلك الجزم.

نعم، الزائد في التفصيل إنّما هو إدراك الصور المتعدّدة من حيث التعدّد والتشخّص، وهو لا يوجب زيادة في التصديق الإجمالي الجازم، فإنّ هذه الصور قد كانت مجزوماً بها على تقدير دخولها في الهيئة الإجماليّة، وإنّما الشاذ عن النفس إدراك خصوصيّاتها، وهو أمر خارج عن تحقّق الحقيقة المجزوم بها. نعم لا ريب في حصول الأكمليّة به، وليس الكلام فيها.

وقد أجاب بعض المفسّرين عن الآية الثالثة بأنّ تكرار الإيمان فيها ليس فيه دلالة على الزيادة، بل إمّا أن يكون باعتبار الأزمنة الثلاثة، أو باعتبار الأحوال الثلاث: حال المؤمن مع نفسه، وحاله مع الناس، وحاله مع اللّه تعالى. ولذا بدّل الإيمان بالإحسان، كما يرشد إليه قوله ﷺ في تفسيره الإحسان: «أن تعبد اللّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[1].

أو باعتبار المراتب الثلاث: المبدأ، والوسط، والمنتهى.

أو باعتبار ما ينبغي ترك المحرّمات حذراً عن العقاب، وترك الشبهات تباعداً عن الوقوع في المحرّمات، وهو مرتبة الورع، وترك بعض المباحات المؤذنة بالنقص، حفظاً للنفس عن الخسّة، وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة.

أو يكون هذا التكرار كناية عن أنّه ينبغي للمؤمن أن يجدّد الإيمان في كلّ وقت بقلبه ولسانه وأعماله الصالحة، وعبّر عنه على بقائه والثبات عليه عند الذهول ليصير الإيمان ملكة للنفس، فلا يزلزلها عروض شبهة، انتهى.

قيل: في بيان قبول الإيمان الزيادة: إنّ الثبات والدوام على الإيمان أمر زائد عليه في كلّ زمان، وحاصل ذلك يرجع إلى أنّ الإيمان عرض؛ لأنّه من الكيفيّات النفسانيّة، والعرض لا يبقى زمانين، بل بقاؤه إنّما يكون بتجدّد الأمثال.

أقول: وهذا مع بنائه على ما لم تثبت حقيقته بل نفيه، فليس من الزيادة في شيء، إذ

---

١. صحيح البخاري ١: ٢٠؛ صحيح مسلم ١: ٣٧ ـ ٣٩، ح ١ ـ ٥؛ سنن النسائي ٨: ٩٩ و ١٠٢؛ سنن الترمذي ٥: ٧، ح ٢٦٠١؛ مسند أحمد بن حنبل ١: ٥١ و ٥٣ و ٢: ٤٢٦؛ حلية الأولياء ٨: ٣٣٨؛ مصابيح السنّة ١: ١١٢، ح ١؛ كنز العمّال ١: ٢٧٥، ح ١٣٦٤.

لا يقال للمماثل الحاصل بعد انعدام مثله: إنّه زائد، وهذا ظاهر.

وقيل في توجيه قبوله الزيادة: إنّه بمعنى زيادة ثمرته من الطاعات وإشراق نوره وضيائه في القلب، فإنّه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

أقول: هذا التوجيه وجيه لو كان النزاع في مطلق الزيادة، لكنه ليس كذلك، بل النزاع إنّما هو في أصل حقيقته لا في كمالها.

واستدلّ بعض المحقّقين على أنّ حقيقة التصديق الجازم الثابت تقبل الزيادة والنقصان، بأنّا نقطع أنّ تصديقنا ليس كتصديق النبيّ ﷺ.

أقول: لا ريب في أنّا[1] قاطعون بأنّ تصديق النبيّ ﷺ أقوى من تصديقنا وأكمل، لكن هذا لا يدلّ على اختلاف أصل حقيقة الإيمان التي قدّرها الشارع باعتقاد أُمور مخصوصة على وجه الجزم والثبات.

فإنّ تلك الحقيقة إنّما هي من اعتبارات الشارع، ولم يعهد من الشارع اختلاف حقيقة الإيمان باختلاف المكلّفين في قوّة الإدراك، بحيث يحكم بكفر قويّ الإدراك لو كان جزمه بالمعارف الإلهيّة كجزم مَن هو أضعف إدراكاً منه.

نعم، الذي يتفاوت فيه المكلّفون إنّما هو مراتب كماله بعد تحقّق أصل حقيقته التي يخاطب بتحصيلها كلّ مكلّف، ويصير بها مؤمناً عند اللّه تعالى، ويستحقّ الثواب الدائم وبدونها العقاب الدائم.

وأمّا تلك الكمالات الزائدة، فإنّما تكون باعتبار قرب المكلّف إلى اللّه تعالى بسبب استشعاره لعظمة اللّه تعالى وكبريائه وشمول قدرته وعلمه، وذلك لإشراق نفسه واطّلاعها على ما في مصنوعات اللّه تعالى من الأحكام والإتقان والحكم والمصالح.

فإنّ النفس إذا لاحظت هذه البدائع الغريبة العظيمة التي تحار في تعقّلها، مع علمها بأنّها تشترك في الإمكان والافتقار إلى صانع يبدعُها ويبديها متوحّد في ذاته بذاته، انكشف عليها كبرياء ذلك الصانع وعظمته وجلاله وإحاطته بكلّ شيء، فيكثر خوفها وخشيتها واحترامها

---

١. في «م»: بأنّا.

لذلك الصانع، حتّى كأنّها لا تُشاهد سواه ولا تخشى غيره، فتنقطع عن غيره إليه، وتسلّم أزمّة أُمورها إليه، حيث علمت أن لا ربّ غيره، وأنّ المبدأ منه والمعاد إليه.

فلا تزال شاخصة منتظرة لأمره حتّى يأتيها، فتفرّ إليه من ضيق الجهالة إلى سعة مغفرته ورحمته ولطفه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وكذا ما ورد في السنّة المطهّرة ممّا يشعر بقبوله الزيادة والنقصان، يمكن حمله على ما ذكرناه، كحديث الجوارح، ذكره في الكافي في كتاب «طينة المؤمن والكافر» عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن قاسم بن يزيد، قال: حدّثنا أبو عمرو الزُّبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام ـ بعد كلام طويل ـ قال قلت: صِفه لي ـ يعني الإيمان ـ جُعلت فداك حتّى أفهمه.

فقال: «الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المنتهى تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه».

قلت: إنّ الإيمان ليتمّ وينقص ويزيد؟

قال: «نعم».

قلت: كيف ذلك؟

قال: «لأنّ اللّه تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها، فليس من جارحة إلّا وقد وكّلت من الإيمان بغير ما وكّلت به أُختها».

ثمّ ذكر جارحة جارحة وما فرض اللّه عليها، وابتدأ منها بالقلب، وهو حديث طويل جدّاً، فصّل فيه كلّ ما فرض اللّه على جارحة جارحة فليطلب هناك.

ثمّ قال في آخره: قلت: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه فمن أين جاءت زيادته؟

فقال: «قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَاناً﴾[1] الآية، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالحَقِّ إِنَّهُم فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِم وَزِدْنَاهُم هُدىً﴾[2]. ولو كان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحدٍ منهم فضل على الآخر، ولاستوى الناس وبطل

١. التوبة (٩): ١٢٤.
٢. الكهف (١٨): ١٣.

التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند اللّه، وبالنقصان دخل المفرطون النار»[١]. انتهى.

اعلم أنّ سند هذا الحديث ضعيف؛ لأنّ في طريقه بكر بن صالح الرازي، وهو ضعيف جدّاً، كثير التفرّد بالغرائب[٢]. وأبو عمرو الزبيري، وهو مجهول[٣] فسقط الاستدلال به.

ولو سلّم سنده فلا دلالة فيه على اختلاف نفس حقيقة الإيمان، ألا ترى أنّه قال عليه السلام: «ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة»، فأشار بذلك إلى نفس حقيقة الإيمان التي يترتّب عليها النجاة، وجعل الناقص عنها ممّا يترتّب عليه دخول النار، فلم يكن إيماناً، وإلّا لم يدخل صاحبه النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ﴾[٤] وجعل الزيادة في الإيمان ممّا يوجب التفاضل في الدرجات.

ولا ريب أنّ هذه الزيادة لو تُركت، واقتصر المكلّف على ما يحصل به التمام، لم يعاقب على ترك هذه الزيادة؛ ولأنّه عليه السلام جعل التمام موجباً للجنّة، فكيف يوجب العقاب ترك الزيادة؟ مع أنّ ما دونه ـ وهو التمام ـ يوجب الجنّة.

وعلى هذا فتكون الزيادة غير مكلّف بها، فلم تكن داخلة في أصل حقيقة الإيمان؛ لأنّه مكلّف به بالنصّ والإجماع، فيكون من الكمال.

---

١. الكافي ٢: ٣٣ ـ ٣٧، ح ١.

٢. بكر بن صالح الضبّي الرازي، مولى بني ضبّة، له كتاب في درجات الإيمان ووجوه الكفر والاستغفار والجهاد.
ذكره الشيخ الطوسي في موردين من رجاله: الأوّل: في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، والثاني في مَن لم يروِ عنهم عليهم السلام. وعدّه النجاشي والعلّامة الحلّي من الرواة عن الإمام الكاظم عليه السلام، وروى عنه إبراهيم بن هاشم.
وقد ضعّفه جماعة من علمائنا كابن الغضائري، والنجاشي، وابن داود، والعلّامة الحلّي، وقال عنه ابن حجر: إنّه مجهول.
انظر رجال النجاشي ١: ٢٧٠ ـ ٢٧٤/٢٧١؛ رجال الشيخ الطوسي: ٣٧٠ و ٤٥٧؛ الفهرست: ١١٦/٣٩؛ رجال ابن داود: ٤٣٢ / ٧٩؛ خلاصة الأقوال: ٢٠٧ ـ ٢٠٨؛ تنقيح المقال ١: ١٧٨؛ لسان الميزان ٢: ٥٤ / ١٩٨.

٣. قال عنه الشيخ المامقاني في تنقيح المقال ٣: ٢٩ «باب الكنى»: لم أقف على اسمه، ومَن لاحظ رواياته ظهر له غزارة علم الرجل وجودة قريحته، وأنّه أهل لأن يُخاطب بما لا يُخاطب به جهابذة العلماء، وأقلّ ما يفيد ذلك حسن خبره.
وذكره السيّد الخوئي في معجم رجال الحديث ٢١: ١٤٦٢٢/٢٦١ قائلاً: روى عن أبي عبداللّه عليه السلام، وروى عنه القاسم بن بريد.

٤. التوبة (٩): ٧٢.

فظهر بذلك كون هذا الحديث دليلاً على عدم قبول حقيقة الإيمان للزيادة والنقصان، لا دليلاً على قبولهما. وهذا استخراج لم نسبق إليه، وبيان لم يعثر غيرنا عليه.

على أنّ هذا الحديث لو قطعنا النظر عمّا ذكرناه وحملناه على ظاهره، لكان معارضاً بما سبق من حديث جبرئيل عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله حيث سأله عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله ورسله واليوم الآخر»[1]، أي تصدّق بذلك.

ولو بقي من حقيقته شيء سوى ما ذكره له لبيّنه له، فدلّ على أنّ حقيقته تتمّ بما أجابه بالقياس إلى كلّ مكلّف. أمّا للنبيّ صلى الله عليه وآله فلأنّه المجاب به حين سأله، وأمّا لغيره فللتأسيّ به.

وطريق الجمع بينهما حينئذٍ حمل ما في حديث الجوارح من الزيادة عن ذلك على مرتبة الكمال كما بيّناه سابقاً.

[التوسعة في حقيقة الإيمان]

وهاهنا بحث، وهو: أنّ حقيقة الإيمان لمّا كانت من الأُمور الاعتباريّة للشارع، كان تحديدها إنّما هو بجعل الشارع وتقريره لها، فلا يعلم حينئذٍ مقداره وحقيقته إلّا منه.

وحيث رأينا ما وصل إلينا من خطاباته تعالى غير قاطع في الدلالة على تعيين قدر مخصوص من أنواع الاعتقاد أو الأعمال، بحيث يشترك الكلّ في التكليف به من غير تفاوت بين قوي الإدراك وضعيفه، بل رأيناها متفاوتة في الدلالة على ذلك، يُعلم ذلك من تتبّع آيات الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة، وقد سبق نبذة من ذلك.

ولا يجوز الاختلاف في خطاباته، ولا أن يكلّف عباده بأمر لا يبيّن لهم مراده تعالى منه؛ لاستحالة تكليف ما لا يطاق وإخلاله باللطف، ورأينا الأكثر وروداً في كتابه بذلك الأمر بالاعتقاد القلبي من غير تعيين مقدار مخصوص منه بقاطع يوقفنا على اعتباره.

أمكن حينئذٍ أن يكون مراده منه مطلق الاعتقاد العلمي، سواء كان علم الطمأنينة، أو علم اليقين، أو حقّ اليقين، أو عين اليقين، فتكون حقيقة واحدة، وهو الإذعان القلبي والاعتقاد

---

١. تقدّم في الصفحة: ٣٤٠.

العلمي، والتفاوت بالزيادة والنقصان إنّما هو في أفراد تلك الحقيقة ومن مشخّصاتها، فلا يكون داخلاً في الحقيقة المذكورة.

وما ورد ممّا ظاهره الاختلاف في الدلالة على مراد الشارع منه، يمكن تنزيله على تفاوت الأفراد المذكورة، كعلم الطمأنينة و علم اليقين وغيرهما، فيكون كلّ واحد منهما مراداً وكافياً في امتثال أمر الشارع، وهذا هو المناسب لسهولة التكليف واختلاف طبقات المكلّفين في الإدراك كما لا يخفى.

وبذلك يسهل الخطب في الحكم بإيمان أكثر العوام الذين لا يتيسّر لأنفسهم الاتّصاف بالعلم الذي لا يقبل تشكيك المشكّك، فإنّ علم الطمأنينة متيسّر لكلّ واحد.

وعلى هذا فيكون ما تشعر النفس به من الازدياد في التصديق والاطمئنان عندما تُشاهده من برهان أو عيان إنّما هو انتقال في أفراد تلك الحقيقة وتبدّل واحد بآخر والحقيقة واحدة.

لا يقال: أفراد الحقيقة الواحدة لا تنافي الاجتماع في القوّة العاقلة، فإنّ أفراد الحيوان والإنسان يصلح اجتماعهما في القوّة العاقلة. وما نحن فيه ليس كذلك، إذ لا يمكن اتّصاف النفس بحصول علم الطمأنينة وعلم اليقين في حالة واحدة؛ لتضادّهما، ولهذا يزول الأوّل بحصول الثاني، فلا يكون ما ذكرت أفراد حقيقة واحدةبل حقائق.

قلت: لا نُسلّم أنّ أفراد كلّ حقيقة يصحّ اجتماعها في الحصول عند القوّة العاقلة، بل قد لا يصحّ ذلك؛ لِما بينها من التضادّ، كما في البياض والسواد، فإنّهما فردان لحقيقة واحدة هي اللّون، مع عدم صحّة اجتماعهما في محلّ واحدٍ لا خارجاً ولا ذهناً.

بقي هاهنا شيء، وهو: أنّه لا ريب في تحقّق الإيمان الشرعي بالتصديق الجازم الثابت وإن أخلّ المتّصف به ببعض الطاعات وقارف بعض المنهيّات، عند مَن يكتفي في حصول الإيمان بإذعان الجنان.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا معنى للنزاع عند هؤلاء في أنّ حقيقة الإيمان هل تقبل الزيادة والنقصان؟ إذ لو قبلت شيئاً منهما لم تكن واحدة بل متعدّدة؛ لأنّ القابل غير المقبول، والعارض غير المعروض.

فإن دخل الزائد في مفهوم الحقيقة، بحيث صار ذاتيّاً لها، تعدّدت وتبدّلت وكذا الناقص إذا خرج عنها، فلا تكون واحدة وقد فرضناها كذلك، هذا خلف.

وإن لم يدخل ولم يخرج شيء منهما، كانت واحدة من غير نقصان وزيادة فيها، بل هما راجعان إلى الكمال وعدمه. وحينئذٍ فيبقى محلّ النزاع هل يقبل كمالها الزيادة والنقصان؟ وأنتَ خبير بأنّ هذا ممّا لا يختلف في صحّته اثنان.

وقدذكر بعض العلماء أنّ هذا النزاع إنّما يتمشّى على قول مَن جعل الطاعات من الإيمان.

وأقول: الذي يقتضيه النظر أنّه لا يتمشّى على قولهم أيضاً، وذلك أنّ ما اعتبروه في الإيمان من الطاعات: إمّا أن يُريدوا به توقّف حصول الإيمان على جميع ما اعتبروه، أو عليه في الجملة.

وعلى الأوّل يلزم كون حقيقته واحدة، فإذا ترك فرضاً من تلك الطاعات يخرج عن الإيمان.

وعلى الثاني يلزم كون ما يتحقّق به الإيمان من تلك الطاعات داخلاً في حقيقته، وما زاد عليه خارجاً، فتكون واحدة على التقديرين، فليس الزيادة والنقصان إلّا في الكمال على جميع الأقوال.

البحث الثاني في بيان حقيقة الكفر نعوذ باللّه منه

عرّفه جماعة بأنّه عدم الإيمان عمّا من شأنه أن يكون مؤمناً، سواء كان ذلك العدم بضدّ أو بلا ضدّ[1].

فبالضدّ كأن يعتقد عدم الأُصول التي بمعرفتها يتحقّق الإيمان، أو عدم شيء منها.

وبغير الضدّ كالخالي من الاعتقادين، أي اعتقاد ما به يتحقّق الإيمان، واعتقاد عدمه. وذلك كالشاكّ، أو الخالي بالكليّة كالذي لم يقرع سمعه شيء من الأُمور التي يتحقّق الإيمان بها.

---

١. منهم التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٢٤.

ويمكن إدخال الشاكّ في القسم الأوّل، إذ الضدّ يخطر بباله، وإلّا لما صار شاكّاً.

واعتُرض[١] بأنّ الكفر قد يتحقّق مع التصديق بالأُصول المعتبرة في الإيمان، كما إذا ألقى إنسان المصحف في القاذورات عامداً، أو وطِئَه كذلك، أو ترك الإقرار باللسان جحداً، وحينئذٍ فينتقض حدّ الإيمان منعاً وحدّ الكفر جمعاً.

وأُجيب تارةً: بأنّا لا نسلّم بقاء التصديق لفاعل ذلك ولو سلّمنا بقاءه حالة وقوع ذلك، لكن يجوز أن يكون الشارع جعل وقوع شيء من ذلك علامة وأمارة على تكذيب فاعل ذلك وعدم تصديقه، فيحكم بكفره عند صدور ذلك منه. وهذا كما جعلَ الإقرار باللسان علامة على الحكم بالإيمان مع أنّه قد يكون كافراً في نفس الأمر.

وتارةً: بأنّه يجوز أن يكون الشارع حكمَ بكفره ظاهراً عند صدور شيء من ذلك، حسماً لمادّة جرأة المكلّفين على انتهاك حرماته وتعدّي حدوده، وإن كان التصديق في نفس الأمر حاصلاً.

وغاية ما يلزم من ذلك جواز الحكم بكون شخص واحدٍ مؤمناً وكافراً، وهذا لا محذور فيه؛ لأنّا نحكم بكفره ظاهراً وإمكان إيمانه باطناً، فالموضوع مختلف، فلم يتحقّق اجتماع المتقابلين ليكون محالاً.

ونظير ذلك ما ذكرناه من دلالة الإقرار على الإيمان، فيحكم به مع جواز كونه كافراً في نفس الأمر.

وأقول أيضاً: أنّ النقض المذكور لا يرد على جامعيّة تعريف الكفر؛ وذلك لأنّه قد بيّن أنّ العدم المأخوذ فيه أعمّ من أن يكون بالضدّ أو غيره، وما ذكره من موارد النقض داخل في غير الضدّ كما لا يخفى، وحينئذٍ فجامعيّته سالمة؛ لصدقه على الموارد المذكورة، والناقض والمجيب غفلا عن ذلك.

ويمكن الجواب عن مانعيّة تعريف الإيمان أيضاً بأن نقول: مَن عرّف الإيمان بالتصديق المذكور، جعل عدم الإتيان بشيء من موارد النقض شرطاً في اعتبار ذلك التصديق شرعاً

١. هذا الاعتراض والجواب عليه، حكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٢٥ بعنوان فإن قيل، قلنا.

وتحقّق حقيقة الإيمان.

والحاصل أنّا لمّا وجدنا الشارع حكم بإيمان المصدّق وحكم بكفر مَن ارتكب شيئاً من الأُمور المذكورة مطلقاً، علمنا أنّ ذلك التصديق إنّما يعتبر في نظر الشارع إذا كان مجرّداً عن ارتكاب شيء من موارد النقض وأمثالها الموجبة للكفر، فكان عدم الأُمور المذكورة شرطاً في حصول الإيمان.

ولا ريب أنّ المشروط عدم عند عدم شرطه، وشروط المعرّف التي يتوقّف عليها وجود ماهيّته ملحوظة في التعريف وإن لم يصرّح بها فيه، للعلم باعتبارها عقلاً؛ لِما تقرّر في بداهة العقول أنّه بدون العلّة لا يوجب المعلول، والشرط من أجزاء العلّة كما صرّحوا به في بحثها، والكلّ لا يوجد بدون جزئه.

وهذا الجواب واللذان قبله لم نجدها لغيرنا، بل هي من هبات الواهب تعالى وتـقدّس، ولم نَعْدَم لذلك مثلاً وإن لم نكن له أهلاً.

وقال الغزالي: الكفر هو التكذيب بما التصديق به إيمان[١].

وقال بعض أصحاب الأشعري: إنّ الكفر هو الجحد، وربّما فسّر الجحد بالجهل[٢].

ويرد على تعريف الغزالي ما سبق وروده على غيره، والجواب الجواب[٣].

ويرد عليه زيادة: أنّ عدم التصديق أعمّ من التكذيب، وهو موجب للكفر أيضاً كما تقدّم في الشاكّ وخالي الذهن، فلم يكن التعريف جامعاً.

واعتذر الفخر الرازي عنه بأنّ من جملة ما جاء به النبيّ ﷺ أنّ تصديقه واجب في كلّ ما جاء به، فَمن لم يصدّقه فقد كذّبه[٤].

وهذا ليس بشيء؛ إذ لا ريب في تحقّق الواسطة بين التصديق والتكذيب، وإن لم يتحقّق بين الصدق والكذب على المذهب الحقّ، فإنّ الشاكّ لا يقال له: مكذِّب.

---

١. حكاه عنه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٢٥.
٢. حكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٢٦ عن القاضي.
٣. أورده التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٢٦.
٤. حكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٢٥.

ولئن سلّم إطلاقه عليه، فالخالي لا يطلق عليه أصلاً، فإن التزم صحّة الإطلاق مجازاً لزم ارتكاب المجاز في التعريف، وقد مُنع منه خصوصاً مع عدم القرينة كما هنا.

ويرد على أُولئك البعض كلّ ما ورد على الغزالي.

ثمّ إن فسّر الجحد بأنّه الإنكار باللسان مع الاعتراف بالقلب، كما هو المتعارف في معناه، كان أخصّ من تعريف الغزالي؛ لأنّ التكذيب قد يكون بالقلب، كما قد يكون باللسان. فيرد عليه زيادة النقض بمَن صدّق بلسانه وأنكر بقلبه، فإنّه كافر مع عدم صدق التعريف عليه، فلا يكون التعريف جامعاً، وبالزيادة المذكورة قد يكون أقلّ جامعيّة.

وإن فُسّر بمطلق الإنكار كان قريباً من تعريف الغزالي، فيرد عليه ما يرد عليه فقط.

وإن فُسّر بالجهل، فمع كونه لا يخلو عن جهل، يرد عليه الحكم بإيمان من كذّب بلسانه دون قلبه مع أنّه محكوم بكفره، لكن لا ترد عليه جميع النقوض السابقة.

البحث الثالث

في أنّ المؤمن بعد اتّصافه بالإيمان الحقيقي في نفس الأمر هل يُمكن أن يكفر أم لا؟

ولا خلاف أنّه لا يمكن ما دام الوصف، وإنّما النزاع في إمكان زواله بضدّ أو غيره، فذهب أكثر الأُصوليّين إلى جواز ذلك، بل إلى وقوعه؛ وذلك لأنّ زوال الضدّ بطريان ضدّه، أو مثله على القول بعدم اجتماع الأمثال، أمر ممكن، لأنّه لا يلزم من فرض وقوعه محال.

لا يقال: نمنع عدم لزوم المحال من فرض وقوعه؛ وذلك لأنّ زوال الضدّ بطريان الآخر يلزم منه الترجيح من غير مرجّح، بل ترجيح المرجوح؛ لأنّ الضدّ الموجود راجح الوجود لوجوده والمعدم مرجوح، فكيف يترجّح على الراجح، وكلاهما محال، وكذا الحكم في الأمثال.

لأنّا نقول: المرجّح موجود، وهو الفاعل المختار القادر على الإيجاد والإعدام حتّى في الحقائق الوجوديّة، فكيف بالحقائق الاعتباريّة. ولا ريب أنّ الإيمان والكفر حقيقتان اعتباريّتان للشارع، فاعتبر الاتّصاف بالإيمان عند حصول عقائد مخصوصة، وانتفائه عند انتفائها، وكلاهما مقدوران للمعتقد.

وظاهر كثير من الآيات الكريمة دالّ عليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمانِكُم كَافِرِينَ﴾[٢].

وذهب بعضهم إلى عدم جواز زوال الإيمان الحقيقي بضدّ أو غيره، ونُسب ذلك إلى السيّد الشريف المرتضى ﷺ، مستدلاً بأنّ ثواب الإيمان دائم وعقاب الكفر دائم، والإحباط والموافاة عنده باطلان[٣].

أمّا الإحباط فلاستلزام أن يكون الجامع بين الإحسان والإساءة بمنزلة مَن لم يفعلهما مع تساويهما، أو بمنزلة مَن لم يحسن إن زادت الإساءة وبمنزلة مَن لم يسيء مع العكس، واللازم بقسميه باطل قطعاً، فالملزوم مثله.

وأمّا الموافاة فليست عندنا شرطاً في استحقاق الثواب بالإيمان؛ لأنّ وجوه الأفعال وشروطها التي تستحقّ بها ما تستحقّ لا يجوز أن تكون منفصلة عنها ولا متأخّرة عن وقت حدوثها، والموافاة منفصلة عن وقت حدوث الإيمان، فلا يكون وجهاً ولا شرطاً في استحقاق الثواب.

لا يقال: الثواب إنّما يستحقّه العبد على الفعل، كما هو مذهب العدليّة، والإيمان ليس فعلاً للعبد، وإلّا لما صحّ الشكر عليه، لكن التالي باطل، إذ الأُمّة مجتمعة على وجوب شكر اللّه تعالى على نعمة الإيمان، فيكون الإيمان من فعل اللّه تعالى، إذ لا يُشكر على فعل غيره، وإذا لم يكن من فعل العبد، فلا يستحقّ عليه ثواباً، فلا يتمّ دليله. على أنّه لا يتعقّبه كفر؛ لأنّ مبناه على استحقاق الثواب على الإيمان.

لأنّا نقول: بل هو من فعل العبد، ونلتزم عدم صحّة الشكر عليه، ونمنع بطلانه.

قولك في إثباته: «الأُمّة مجتمعة» إلى آخره.

قلنا: الشكر إنّما هو على مقدّمات الإيمان، وهي تمكين العبد من فعله وإقداره عليه،

---

١. النساء (٤): ١٣٧.

٢. آل عمران (٣): ١٠٠.

٣. الذخيرة في علم الكلام: ٣٠٢ و ٣٠٣.

وتوفيقه على تحصيل أسبابه.

وتوفيق ذلك له لا على نفس الإيمان الذي هو فعل العبد، فإن ادّعى الإجماع على ذلك سلّمناه ولا يضرّنا، وإن ادّعى الإجماع على غيره منعناه فلا ينفعهم.

والاعتراض عليه ﷺ من وجوه.

أحدها: توجّه المنع إلى المقدّمة القائلة بأنّ الموافاة ليست شرطاً في استحقاق الثواب، وما ذكره في إثباتها من أنّ وجوه الأفعال وشروطها التي يستحقّ بها ما يستحقّ لا يجوز أن تكون منفصلة عنها، والموافاة منفصلة عن وقت الحدوث فلا يكون وجهاً، لا دلالة له على ذلك.

بل إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ الموافاة ليست من وجوه الأفعال، لكن لا يلزم من ذلك أن لا يكون شرطاً لاستحقاق الثواب، فلِمَ لا يجوز أن يكون استحقاق الثواب مشروطاً بوجوه الأفعال مع الموافاة أيضاً؟ لابدّ لنفي ذلك من دليل.

ثانيها: الآيات الكريمة التي مرّ بعضها، فإنّها تدلّ على إمكان عروض الكفر بعد الإيمان، بل بعضها على وقوعه.

وأجاب السيّد عن ذلك بأنّ المراد ـ والله أعلم ـ من وصفهم بالإيمان الإيمان اللساني دون القلبي، وقد وقع مثله كثيراً في القرآن العزيز، كقوله تعالى: ﴿آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِم وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُم﴾[1]، وحيث أمكن صحّة هذا الإطلاق ولو مجازاً سقط الاستدلال بها.

ثالثها: أنّ الشارع جعل للمرتدّ أحكاماً خاصّة به لا يشاركه فيها الكافر الأصلي، كما هو مذكور في كتب الفروع. وهذا أمر لا يمكن دفعه، ولا مدخل للطعن فيه، فإنّ الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة ناطقان بذلك، والإجماع واقع عليه كذلك، ولا ريب أنّ الارتداد هو الكفر المتعقّب للإيمان، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾[2] الآية، فقد دلّ ما ذكرناه على أنّ المؤمن يمكن أن يكفر.

أقول: وللسيّد ﷺ أن يُجيب عن ذلك، بأنّ ما ذكر إنّما يدلّ على أنّ من اتّصف في ظاهر

---

١. المائدة (٥): ٤١.

٢. البقرة (٢): ٢١٧.

الشرع بالارتداد، فحكمه كذا وكذا، ولا يدلّ على أنّه صار مرتدّاً بذلك في نفس الأمر، فلعلّه كان كافراً في الأصل، وحكمنا بإيمانه ظاهراً للإقرار بما يوجب الإيمان مع بقائه على كفره عند اللّه تعالى، وبفعله ما يوجب الارتداد ظاهراً حكمنا بارتداده.

أو كان مؤمناً في الأصل، وهو باقٍ على إيمانه عند اللّه تعالى، لكن لاقتحامه حرمات الشارع وتعدّيه هذه الحدود العظيمة جعل الشارع الحكم بالارتداد عليه عقوبة له؛ لتنحسم بذلك مادّة الاقتحام والتعدّي من المكلّفين، فيتمّ نظام النواميس الإلهيّة.

وأقول: الحقّ أنّ المعلومات التي يتحقّق الإيمان بالعلم بها أُمور متحقّقة ثابتة لا تقبل التغيّر والتبدّل، إذ لا يخفى أنّ وحدة الصانع تعالى ووجوده وأزليّته وأبديّته وعلمه وقدرته وحياته، إلى غير ذلك من الصفات، أُمور يستحيل تغيّرها، وكذا كونه تعالى عدلاً لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب.

وكذا النبوّة والمعاد، فإذا علمها الشخص على وجه اليقين والثبات، بحيث صار علمه بها كعلمه بوجود نفسه، غير أنّ الأوّل نظريّ والثاني بديهيّ، لكن لمّا كان النظريّ إنّما يصير يقينيّاً بانتهائه إلى البديهيّ ولم يبق فرق بين العلمين، امتنع تغيّر ذلك العلم وتبدّله، كما يمتنع تغيّر علمه بوجود نفسه.

والحاصل أنّ العلم إذا انطبق على المعلوم الحقيقي الذي لا يتغيّر أصلاً فمحال تغيّره، وإلّا لما كان منطبقاً، فعلم أنّ ما يحصل لبعض الناس من تغيير عقيدة الإيمان لم يكن بعد اتّصاف أنفسهم بما ذكرناه من العلم، بل كان الحاصل لهم ظنّاً غالباً بتلك المعلومات، لا العلم بها، والظنّ يمكن تبدّله وتغيّره وإن كان المظنون لا يمكن تبدّله؛ لأنّ الانطباق غير حاصل، وإلّا لصار علماً.

إن قلت: يتصوّر زوال الإيمان بصدور بعض الأفعال الموجبة للكفر كما تقدّم وإن بقي التصديق اليقيني بالمعارف المذكورة، فقد صحّ أنّ المؤمن قد يكفر بعد اتّصافه بالإيمان.

قلت: لا نسلّم إمكان صدور فعل يوجب الكفر ممّن اتّصف بالعلم المذكور، بل صار ذلك الفعل ممتنعاً بالغير الذي هو العلم اليقيني وإن أمكن بالذات، وحينئذٍ فصدور بعض الأفعال المذكورة إنّما كان لعدم حصول العلم المذكور.

وبالجملة، فكلام علم الهدى ومذهبه هنا ﷺ في غاية القوّة والمتانة بعد تدقيق النظر.

وقد ظهر ممّا حرّرناه أنّ القائلين بإمكان زوال الإيمان بعروض الكفر، إن أرادوا به إمكان زوال العلم بالأُمور المذكورة، فظاهر أنّه ممتنع بالذات، كانقلاب الحقائق.

وإن أرادوا به إمكان انتفاء الإيمان بعروض شيء من الأفعال وإن بقي العلم، فقد بيّنا أنّه ممتنع بالغير.

فإن أرادوا بالإمكان على هذا التقدير الإمكان الذاتي، فلا نزاع لأحدٍ فيه.

وإن أرادوا به عدم الامتناع ولو بالغير، فقد بيّنا منعه وامتناعه.

وبالجملة، فظواهر كثير من الآيات الكريمة والسنّة المطهّرة تدلّ على إمكان طروء الكفر على الإيمان، وعلى هذا بناء أحكام المرتدّين، وهو مذهب أكثر المسلمين.

نعم في الاعتبار ما يدلّ على عدم جواز طروئه عليه كما أشرنا إليه إن جعلنا الإيمان عبارة عن التصديق مع الإقرار أو حكمه، لكنّ الأوّل هو الأرجح في النفس.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المقالة الثالثة
في تحقيق أُمور أُخر

وفيها مباحث:

[المبحث] الأوّل في بيان حقيقة الإسلام

فقيل: هو والإيمان واحد[1].

وقيل: بتغايرهما[2].

والظاهر أنّهم أرادوا الوحدة بحسب الصدق لا في المفهوم.

ويظهر من كلام جماعة من الأُصوليّين أنّهما متّحدان بحسب المفهوم أيضاً، حيث قالوا: إنّ الإسلام هو الانقياد والخضوع لأُلوهيّة الباري تعالى، والإذعان بأوامره ونواهيه، وذلك حقيقة التصديق الذي هو الإيمان على ما تقدّم.

وأمّا القائلون بالتغاير صِدقاً ومفهوماً، فإنّهم أرادوا أنّ الإسلام أعمّ من الإيمان مطلقاً.

وقد أشرنا فيما تقدّم في أوائل المقدّمة الأُولى أنّ المحقّق نصيرالدين الطوسي﵀ نقل في قواعد العقائد أنّ الإسلام أعمّ في الحكم من الإيمان، لكنّه في الحقيقة هو الإيمان، وهذه

---

١. حكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٠٧ عن الجمهور.

٢. حكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٠٩ عن الحشويّة وبعض المعتزلة.

عبارته رحمه الله تعالى:

قالوا: الإسلام أعمّ في الحكم من الإيمان؛ لأنّ[١] مَن أقرّ بالشهادتين كان حكمه حكم المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأعرابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[٢].

وأمّا كون الإسلام في الحقيقة هو الإيمان؛ فلقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[٣].

ثمّ قال: واختلفوا في معناه ـ يعني الإيمان ـ فقال بعض السلف كذا[٤].

وقالت المعتزلة: أُصول الإيمان خمسة، وعدّها[٥].

وقالت الشيعة: أُصول الإيمان ثلاثة، وعدّها أيضاً[٦].

وقال أهل السنّة: هو التصديق بالله تعالى... إلى آخره[٧] على ما تقدّم تفصيله فليراجع[٨].

أقول: ظاهر قوله﵀: «قالوا» أي هؤلاء المختلفون في معنى الإيمان، كما يدلّ عليه قوله: «واختلفوا».

وظاهر هذا النقل يعطي أنّه لا نزاع في أنّ حقيقتهما واحدة، والمغايرة إنّما هي في الحكم فقط، بمعنى أنّا قد نحكم على شخص في ظاهر الشرع بكونه مسلماً لإقراره بالشهادتين، ولا نحكم عليه بالإيمان حتّى نعلم من حاله التصديق.

وما نقلناه من المذهبين الأوّلين يقتضي وقوع النزاع في الحقيقة والحكم.

أمّا أهل المذهب الأوّل، وهم القائلون باتّحادهما مطلقاً صِدقاً ومفهوماً أو صِدقاً فقط، فإنّهم صرّحوا باتّحادهما في الحكم أيضاً، حيث قالوا: لا يصحّ في الشرع أن يحكم على

---

١. في المصدر: من الإيمان، وهما في الحقيقة واحد، وأمّا كونه أعمّ فلأنّ من.
٢. الحجرات (٤٩): ١٤.
٣. آل عمران (٣): ١٩.
٤. والعبارة بتمامها هي: الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل صالح بالجوارح.
٥. وهي التوحيد، والعدل، والإقرار بالنبوّة، والوعد والوعيد، والقيام بالأمر بامعروف والنهي عن المنكر.
٦. وهي: التصديق بوحدانيّة الله تعالى في ذاته والعدل في أفعاله، والتصديق بنبوّة الأنبياء، والتصديق بإمامة الأئمّة المعصومين من بدء الأنبياء.
٧. والعبارة بتمامها هي: التصديق بالله تعالى، وبكون النبي صادقاً، والتصديق بالأحكام التي يعلم يقيناً أنّه﵀ حكم بها دون ما فيه الخلاف والاشتباه.
٨. قواعد العقائد: ٤٦٦.

أحدٍ بأنّه مؤمن وليس بمسلم، أو مسلم وليس بمؤمن، ولا نعني بوحدتهما سوى هذا.

وأمّا أهل المذهب الثاني، وهم القائلون بالتغاير، فإنّهم صرّحوا بتغايرهما صدقاً ومفهوماً وحكماً، حيث قالوا: إنّ حقيقة الإسلام هي الانقياد والإذعان بإظهار الشهادتين، سواء اعترف مع ذلك بباقي المعارف أم لا، فيكون أعمّ مفهوماً من الإيمان.

فتبيّن ممّا حرّرناه أنّ المذاهب في بيان حقيقة الإسلام ثلاثة.

احتجّ أهل المذهب الأوّل بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وجه الاستدلال أنّ ﴿غير﴾ هنا للاستثناء بمعنى «إلّا»، وهذا استثناء مفرّغ متّصل، فيكون من الجنس.

إذ المعنى ـ والله أعلم ـ: فما وجدنا فيها بيتاً من بيوت المؤمنين إلّا بيتاً من المسلمين، وبيت المسلم إنّما يكون بيت المؤمن إذا صدقَ المؤمن على المسلم، كما هو مقتضى الاتّحاد في الجنس.

إذ من المعلوم أنّ المراد من البيت هنا أهله لا الجدران، على حدّ قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[2]، وصدق المؤمن على المسلم يقتضي كون الإيمان أعمّ من الإسلام أو مساوياً له، لكن لا قائل بالأوّل فتعيّن الثاني.

واعتُرض[3] بأنّ المصحّح للاستثناء هو تصادق المستثنى والمستثنى منه في الفرد المخرج[4]، لا في كلّ فردٍ، وهو يتحقّق بكون الإسلام أعمّ، كما يتحقّق بكونه مساوياً.

والأمر هنا كذلك، فإنّه على تقدير كون الإيمان أخصّ يتصادق المؤمن والمسلم في البيت المخرج الموجود، فإنّه بيت لوط عليه وعلى نبيّنا السلام.

على أنّ دلالة هذه الآية معارضة بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[5]، فوصفهم تعالى بالإسلام، حيث جوّز لهم الإخبار عن أنفسهم به، ونفى عنهم

---

١. الذاريات (٥١): ٣٥ ـ ٣٦.
٢. يوسف (١٢): ٨٢.
٣. حكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٠٩.
٤. في «م»: الممتزج.
٥. الحجرات (٤٩): ١٤.

الإيمان، فدلّ على تغايرهما.

واحتجّ أهل المذهب الثاني على المغايرة بهذه الآية[١]، والتقريب ما تقدّم في بيان المعارضة، وبما تواتر عن النبيّ ﷺ والصحابة ـ رضي اللّه عن المرضيّين منهم ـ أنّهم كانوا يكتفون في الإسلام بإظهار الشهادتين، ثمّ بعد ذلك يُنبّهون المسلم على بعض المعارف الدينيّة التي يتحقّق بها الإيمان.

أقول: إنّ الآية الكريمة إنّما تدلّ على المغايرة في الجملة، وكما يجوز أن يكون بحسب الحقيقة، يجوز أن يكون في الحكم دون الحقيقة، كما اختاره أهل المذهب الثالث.

ويؤيّد ذلك أنّ اللّه سبحانه لم يُثبت لهم الإسلام صريحاً، ولا وصفهم به حيث لم يقل: ولكن أسلمتم، كما قال: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ بل أحال الإخبار به على مقالتهم، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.

وحينئذٍ فيجوز أن يكون المراد ـ واللّه أعلم ـ أنكم لم تُؤمنوا حتّى تدخل المعارف قلوبَكم ولمّا تدخل، لكن ما زعمتموه من الإيمان فإنّما هو إسلام ظاهري يُمكن الحكم عليكم به في ظاهر الشرع، حيث أقررتم بألسنتكم دون قلوبكم، فلكم أن تُخبروا عن أنفسكم به.

وأمّا الإسلام الحقيقي فلم يثبت لكم عند اللّه تعالى كالإيمان، فلذا لم يخبر عنكم به.

وقد ظهر من ذلك الجواب عن الثاني أيضاً.

إن قلت: إنّ الإسلام من الحقائق الاعتباريّة للشارع كالإيمان، فلا يُعلم إلّا منه، وحيث أذن لهم في أن يُخبروا عن أنفسهم بأنّهم أسلموا مع أنّ الإيمان لم يكن دخل قلوبَهم، كما دلّ عليه آخر الآية، فدلّ على أنّه لم يكن له حقيقة وراء ذلك عند الشارع، وإلّا لما جوّز لهم ذلك الإخبار.

واحتمال المجاز يدفعه أنّ الأصل في الإطلاق الحقيقة، ولزوم الاشتراك على تقدير الحقيقة يدفعه أنّه متواطئ أو مشكّك، حيث بيّنا أنّ مفهومه هو الانقياد والإذعان

---

١. حكاه عنهم وعن الحشوية وبعض المعتزلة التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٠٩.

بالشهادتين، سواء اقترن[١] بالمعارف أم لا، فيكون إسلام الأعراب فرداً منه.

قلت: لا ريب أنّه لو علم عدم تصديق مَن أقرّ بالشهادتين، لم يعتبر ذلك الإقرار شرعاً، ولم نحكم بإسلام فاعله؛ لأنّه حينئذٍ يكون مستهزئاً أو مشكّكاً. وإنّما حكم الشارع بإسلامه ظاهراً في صورة عدم علمنا بموافقة قلبه للسانه بالنسة إلينا، تسهيلاً ودفعاً للحرج عنّا، حيث لا يعلم السرائر إلّا هو.

وأمّا عنده تعالى فالمسلم: مَن طابق قلبه لسانه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[٢]، مع أنّ الدين لا يكون إلّا مع الإخلاص؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٣].

فالإسلام لا يكون إلّا مع الإخلاص أيضاً، بقرينة أنّه ذكرَ الإسلام معرّفاً، وذلك يُفيد حصر الإسلام في الدِّين المخلص.

فكأنّ المعنى ـ والله أعلم ـ لا إسلام إلّا ما هو دين عند الله تعالى، كما يقال: زيد العالم، أي لا غيره.

والفرق ظاهر بين أن يقال: الدِّين المخلص إسلام، أو هو الإسلام كما قرّرناه، فعلم أنّ الإسلام اللسانيّ ليس داخلاً في حقيقة الإسلام عند الله.

والكلام إنّما هو فيما يُعَدُّ إسلاماً وإيماناً عند الشارع لا عندنا، بحيث لا يجتمع مع ضدّه الذي هو الكفر في موضع واحد في زمان واحد، والإقرار باللسان دون القلب يجامع الكفر، فلا يكون إسلاماً حقيقة، ولعلّ هذا هو السرّ في إحالة الإخبار بالإسلام على قول الأعراب دون قوله تعالى، كما أشرنا إليه سابقاً.

إن قلت: إذا لم يكن إسلام الأعراب إسلاماً عند الله تعالى، كان مغرياً لهم بالكذب، حيث أمرهم أن يُخبروا عن أنفسهم بالإسلام، فقال: ﴿قُولُوا أَسْلَمْنا﴾ وهو محال عليه تعالى.

---

١. في «م»: اعترف.
٢. آل عمران (٣): ١٩.
٣. البيّنة (٩٨): ٥.

قلت: إنّما أمرهم أمراً إرشاديّاً، بأن يُخبروا بالإسلام الظاهري، وهو [حقّ][1] في الظاهر، فلم يكن مغرياً لهم بالكذب، حيث لم يأمرهم بأن يُخبروا بأنّهم مسلمون عند اللّه بالإسلام مطلقاً، وقد تقدّم ما يصلح دليلاً لِما ادّعيناه من التخصيص.

على أنّه يمكن أن يُقال: إنّ اللّه سبحانه وتعالى لم يأمرهم بالإخبار أصلاً لا ظاهراً ولا غيره، بل أمر نبيّه ﷺ أن يأمرهم حيث قال تعالى له: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[2]، أي ولكن قُل لهم: قولوا أسلمنا.

فالأمر لهم بقول: ﴿أَسْلَمْنَا﴾ إنّما هو من النبيّ ﷺ لا من اللّه تعالى، لما تقرّر في الأُصول من أنّ الأمر بالأمر بالشيء ليس أمراً بذلك الشيء.

واحتجّ أهل المذهب الثالث على كلّ من جزئي مدّعاهم:

أمّا على أنّ الإسلام أعمّ في الحكم فبآية الأعراب المتقدّمة، والتقريب ما تقدّم.

لكن لا يرد عليهم شيء ممّا أوردناه على استدلال أهل المذهب الثاني بها؛ لأنّهم يدّعون دلالتها على مغايرة الإسلام للإيمان حقيقةً، وهؤلاء يدّعون المغايرة في الحكم ظاهراً دون الحقيقة.

بل ما ذكرناه من الإيرادات مُحقّق لاستدلالهم بها، إذا لا يتمّ لهم بدونه، كما لا يخفى على مَن أحاط بما ذكرناه في بيان معنى هذه الآية ممّا مَنَّ به الواهب الكريم.

إن قلتَ: إنّ الشارع حكمَ بإيمان مَن أقرَّ بالمعارف الأُصوليّة ظاهراً وإن كان في نفس الأمر غير معتقد لذلك، إذا لم يطّلع عليه على حدّ ما ذكرتم في الإسلام، فكما أنّ الإيمان والإسلام الاعتقاديين متّحدان، فكذا الظاهريّان، فما وجه عموم الإسلام في الحكم وما معناه؟

قلت: الإسلام يكفي في الحكم به ظاهراً الإقرار بالشهادتين مع عدم علم الاستهزاء والشكّ من المعتبر، بخلاف الإيمان فإنّه لابدّ في الحكم به ظاهراً مع ذلك من الاعتراف بأنّه

---

١. في النسختين الخطيّتين وردت هذه الكلمة غير مقروءة ورسمها هكذا «ساس» وفي هامش «ش» استظهر الناسخ أنّها «يأمن» وما أثبتناه فهو من البحار.

٢. الحجرات (٤٩): ١٤.

يعتقد الأُصول الخمسة مع إقراره بها، أو يقتصر على الإقرار بها مع عدم علمنا منه بما ينافي ذلك من استهزاء أو شكّ، فهو أخصّ حكماً من الإسلام.

وهذا الذي ذكرناه يشهد به كثير من الأحاديث، وحكم علماء الإماميّة أيضاً بإسلام أهل الخلاف وعدم إيمانهم يؤيّد ما قلناه.

وأمّا على أنّ الإسلام في الحقيقة هو الإيمان، فبقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] الآية، والتقريب ما تقدّم في بيان استدلال أهل المذهب الأوّل بها.

والاعتراض الاعتراض، لكن ما ذكر هناك من المعارضة بآية الأعراب لا يرد هنا؛ لأنّا بيّنّا أنّها إنّما تدلّ على المغايرة في الحكم، وهو لا ينافي الاتّحاد في الحقيقة. وأمّا هناك فلمّا كان المدّعى الاتّحاد مطلقاً حكماً وحقيقة، أمكن المعارضة بها في الجملة.

وقد تقدّم في كلام المحقّق الطوسي أنّهم استدلّوا على كون حقيقتهما واحدة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[2] ويمكن تقريره بوجهين:

أحدهما: أنّ الإيمان هو الدين، والدين هو الإسلام، فالإيمان هو الإسلام.

أمّا الكبرى فللآية، وأمّا الصغرى فلقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[3] ولا ريب أنّ الإيمان مقبول ممّن يبتغيه ديناً بالإجماع، فيكون الإيمان ديناً، فيكون هو الإسلام.

وفيه أنّه لا يلزم من صحّة حمل الإسلام عليه كونهما واحداً في الحقيقة؛ لجواز كون المحمول أعمّ.

ويُمكن الجواب بما ذكرناه سابقاً من إفادة مثل ذلك حصر الإسلام في الدين، لكن يرد على دليل الصغرى أنّ اللازم منه كون الإيمان ديناً، أمّا كونه نفس الدين ليكون هو الإسلام فلا؛ لجواز أن يكون جزءاً منه، أو جزئيّاً له، أو شرطاً كذلك. ولا ريب أنّ جزء الشيء أو

---

١. الذاريات (٥١): ٣٥.
٢. آل عمران (٣): ١٩.
٣. آل عمران (٣): ٨٥.

جزئيّته أو شرطه يقبل معه وإن كان مغايراً له، فعلم أنّ المراد من الغير في الآية الكريمة غير ذلك.

وأيضاً يرد عليه أنّ هذا الدليل إنّما يستقيم على مذهب من يقول: إنّ الطاعات جزء من الإيمان؛ وذلك لأنّ الظاهر أنّ الدين المحمول عليه الإسلام هو دين القيّمة في قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1]، والمشار إليه بـ﴿ذَلِكَ﴾ ما تقدّم من الإخلاص في الدين مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ثانيهما: أنّ العبادات المعتبرة شرعاً هي الدين، والدين هو الإسلام، والإسلام هو الإيمان.

أمّا الأُولى فلقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدين﴾[2].

وأمّا الثانية فلقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[3].

وأمّا الثالثة فلقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً﴾[4] الآية، وقد تقدّم بيان ذلك.

ويرد عليه جميع ما يرد على الوجه الأوّل، ويزيد عليه أنّ النتيجة كون العبادات هي الإيمان، والمدّعى كون الإسلام هو الإيمان أو عكسه، فلا ينطبق على المدّعى.

ولو سلّم استلزامه للمدّعى لاقتضاء المقدّمة الثالثة ذلك قلنا: فبقيّة المقدّمات مستدركة، إذ يكفي أن يقال: الإسلام هو الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ﴾ الآية.

أقول: قد عرفتَ أنّ هذا الاستدلال بوجهيه إنّما يستقيم على مذهب مَن يجعل الطاعات الإيمان أو جزءاً منه، فإن كان المستدلّ به هؤلاء، فذلك قد عُلم مع ما يرد عليه وإن كان غيرهم، فهو ساقط الدلالة أصلاً ورأساً.

ثمّ نقول ـ على تقدير تسليم دلالة هذه الآيات على اتّحادهما ـ: إنّ الحكم بعموم الإسلام في الحكم على مذهب مَن يجعل الطاعات الإيمان ظاهراً، أنّ الآيات دلّت على

---

١. البيّنة (٩٨): ٥.
٢. البيّنة (٩٨): ٥.
٣. آل عمران (٣): ١٩.
٤. آل عمران (٣): ٨٥.

اتّحادهما في الحقيقة عند اللّه تعالى، فعلى هذا مَن لم يأتِ بالطاعات أو بعضها، فلا دين له، فلا إسلام، فلا إيمان له عند اللّه تعالى لا في الظاهر إذا لم يعرف منه ذلك.

وأمّا مَن اكتفى بالتصديق في تحقّق حقيقة الإيمان، وجعل الإتيان بالطاعات من المكمّلات، فيلزم عليه بمقتضى هذه الآيات إن سلّمه بأن يكون بين الإسلام والإيمان عموم من وجه؛ لتحقّقهما في مَن صدّق بالمسائل الأُصوليّة وأتى بالطاعات مخلصاً، وانفراد الإسلام في مَن أقرّ بالشهادتين ظاهراً مع كونه غير مصدّق بقلبه، وانفراد الإيمان في مَن صدّق بقلبه بالمعارف وترك الطاعات غير مستحلّ، فإنّه لا دين له حيث لم يقم الصلاة ولا آتى الزكاة كما هو المفروض، فلا إسلام له؛ لأنّ الدين عند اللّه الإسلام.

وهو في غاية البعد والاستهجان، ولم يذهب أحد إلى أنّه قد يكون المكلّف مؤمناً ولا يكون مسلماً.

هذا إن اعتبرنا النسبة بين مُطلق الإسلام والإيمان حقيقيّاً أو ظاهريّاً.

وإن اعتبرنا النسبة بين الحقيقتين فقط، أي ما هو إسلام وإيمان عند اللّه تعالى، كانا متّحدين عند مَن جعلهما الطاعات، وعند مَن اكتفى بالتصديق يكون الإيمان أعمّ مطلقاً.

وهو أيضاً غريب، إذ لم يذهب إليه أحد ولا مخلص له عن هذا الإلزام إلّا بالتزامه، إذ يدّعي أنّ تارك الطاعات غير مستحلّ مسلم أيضاً، ويتأوّل الدين في قوله تعالى ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1] بالدين الكامل، ويكون المراد بالدين في قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[2] الدين الأصلي الذي لا يتحقّق أصل الإيمان إلّا به، وحينئذٍ فيكون الإسلام والإيمان الحقيقيّان متّحدين أيضاً عنده.

ويؤيّد ذلك ما ذكره بعضهم من أنّ الاستدلال بآية الإخلاص إنّما يتمّ بإضمار لفظ «المذكور» ونحوه، فإنّ الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ يرجع إلى متعدّد، وهو العبادة مع الإخلاص في الدين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

بل مع جميع الطاعات؛ بناءً على أنّه اكتفى عن ذكرها بذكر الأعظم منها، وأنّها قد ذكرت

---

١. البيّنة (٩٨): ٥.

٢. آل عمران (٣): ١٩.

إجمالاً في قوله تعالى ﴿لِيَعْبُدوا﴾، وذكرَ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لشدّة الاعتناء بهما، فكان حقّ الإشارة أن يكون «أولئك» ونحوه، تطابقاً بين الإشارة والمشار إليه، ولمّا كانت الإشارة مُفردة ارتكب الإضمار المذكور.

وحيث لابُدّ من الإضمار، فللخصم أن يضمر «الإخلاص» أو «التديّن» المدلول عليهما بقوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين﴾، والترجيح لهذه لقربه من المعنى اللغوي للإيمان.

وبعد ذلك فلم يكن في الآية دلالة على أنّ الطاعات هي الإيمان، فلم يتكرّر الأوسط في قولنا: عبادة الله تعالى مع الإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هي الدين، والدين هو الإسلام، والإسلام هو الإيمان؛ لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ الآية.

فالطاعات هي الإسلام والإيمان؛ لأنّه يقال: لا نسلّم أنّ المراد من الدين في المقدّمة الأُولى ما يراد منه في المقدّمة الثانية.

وقد ظهر من هذا تزييف الاستدلال بهذه الآيات على كون الطاعات معتبرة في حقيقة الإيمان، وأنّه لم ينافِ ما نحن فيه من اتّحاد الإسلام والإيمان، لكن لا يخفى أنّه منافٍ لما قد بيّناه من أنّ البحث كلّه ـ على تقدير تسليم دلالة هذه الآيات وما ذكر من التأويل ـ منافٍ للتسليم المذكور. ويمكن الجواب عنه، فتأمّل.

[هل الطاعات معتبرة في حقيقة الإيمان؟]

وها هنا بحث يصلح لتزييف الاستدلال بهذه الآيات على المطلبين: مطلب كون الطاعات معتبرة في حقيقة الإيمان، ومطلب اتّحادهما في الحقيقة.

فنقول: لو سلّمنا أنّ المراد من الدين في الآيات الثلاث واحد، وأنّ الطاعات معتبرة في أصل حقيقة الإسلام، فلا يلزم أن تكون معتبرة في أصل حقيقة الإيمان، ولا أن يكون الإسلام والإيمان متّحدين حقيقةً.

وذلك لأنّ الآية الكريمة إنّما دلّت على أنّ من ابتغى: أي طلب غير دين الإسلام ديناً له، فلن يُقبل منه ذلك المطلوب، ولم تدلّ على أنّ مَن صدّق بما أوجبه الشارع عليه، لكنّه ترك فعل بعض الطاعات غير مستحلّ، أنّه طالب لغير دين الإسلام.

إذ ترك الفعل يجتمع مع طلبه؛ لعدم المنافاة بينهما، فإنّ الشخص قد يكون طالباً للطاعة مُريداً لها، لكنّه تركها إهمالاً وتقصيراً، ولا يخرج بذلك عن ابتغائها، وقد تقدّم هذا الاعتراض في المقالة الأُولى على دليل القائلين بالاتّحاد.

إن قلتَ: على تقدير تسليم اتّحاد معنى الدين في الآيات، فما يصنع مَن اكتفى في الإيمان بالتصديق فيما إذا صدّق شخص بجميع ما أمره الله تعالى به ولو إجمالاً، لكنّه لم يفعل بعدُ شيئاً من الطاعات؛ لعدم وجوبها عليه، كما لو توقّفت على سبب أو شرط ولم يحصل، أو وجد مانع من ذلك، فإنّه يُسمّى مؤمناً ولا يُسمّى مسلماً؛ لعدم الإتيان بالطاعات التي هي مُعتبرة في حقيقة الإسلام.

وكذا الحكم على مَن وجبت عليه وتركها تقصيراً غير مستحلّ مع كونه مصدّقاً بجميع ما أمر به ومُريداً للطاعات، فإنّه يُسمّى حينئذٍ مؤمناً لا مسلماً، ويلزم الاستهجان المذكور سابقاً.

قلتُ: الأمر على ما ذكرتَ، ولا مخلص من هذا إلّا بالتزام ارتكاب عدم تسليم اتّحاد معنى الدين في الآيات، أو التزامه ونمنع من استهجانه، فإنّه لمّا كان حصول التصديق مع ترك الطاعات فرداً نادرَ الوقوع لم تلتفت النفس إليه، فلذا لم يتوجّهوا إلى بيان النسبة بين الإسلام والإيمان على تقديره.

وبالجملة فظواهر الآيات تُعطي قوّة القول بأنّ الإيمان والإسلام الحقيقيّان يُعتبر فيهما الطاعات، وتحقّق حصول الإيمان في صورة حصول التصديق قبل وجوب الطاعات يفيد قوّة القول بأنّ الإيمان هو التصديق فقط والطاعات مكمّلات.

[شرح كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في معنى الإسلام]

وها هنا كلام في بيان معنى الإسلام صدرَ عن سيّد الأوصياء وأبلغ البلغاء أميرالمؤمنين عليه وعلى محمّد وآله صلوات ربّ العالمين، نقله السيّد الرضيّ المرضيّ رحمه الله في نهج البلاغة، فلنوشّح المبحث بذكره تبييناً واستظهاراً بمعانيه.

قال عليه السلام: «لأَنْسُبَنَّ الإسلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبها أَحَدٌ قَبْلي: الإسْلامُ هُوَ التَّسْليمُ، والتَّسْليمُ هُوَ اليَقينُ،

واليَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، والتَّصْدِيقُ هُوَ الإقرارُ، والإقرارُ هُوَ الأَداءُ، والأَداءُ هُوَ العَمَل»[1].

أقول: البحث عن هذا الكلام يتعلّق بأمرين:

الأوّل: ما المراد من هذه النسبة؟

الثاني: ما المراد من هذا المنسوب؟

أمّا الأوّل: فقد ذكر بعض الشارحين أنّ هذه النسبة بالتعريف أشبه منها بالقياس، فعرّف الإسلامَ بأنّه التسليم للّه والدخول في طاعته، وهو تفسير لفظ بلفظ أعرف منه، والتسليمَ بأنّه اليقين، وهو تعريف بلازم مساوٍ.

إذ التسليم الحقّ إنّما يكون عن تيقّن صدق مَن سلّم له، واستحقاق التسليم واليقين بأنّه التصديق، أي التصديق الجازم المطابق البرهاني، فذكرَ جنسه ونبّه بذلك على حدّه أو رسمه.

والتصديق بأنّه الإقرار باللّه ورسله وما جاء من البيّنات، وهو تعريف لفظ بلفظ أعرف.

والإقرار بأنّه الأداء، أي أداء ما أقرّ به من الطاعات، وهو تعريف بخاصّة له.

والأداء بأنّه العمل، وهو تعريف له ببعض خواصّه، انتهى.

أقول: هذا بناء على أنّ المراد من الإسلام المعرّف في كلامه عليه السلام ما هو الإسلام حقيقةً عند اللّه تعالى في نفس الأمر، أو الإسلام الكامل عند اللّه تعالى أيضاً، وإلّا فلا يخفى أنّ الإسلام يكفي في تحقّقه في ظاهر الشرع الإقرار بالشهادتين، سواء علم من المقرّ التصديق باللّه تعالى والدخول في طاعته أم لا، كما صرّحوا به في تعريف الإسلام في كتب الفروع وغيرها.

فعُلم أنّ الحكم بكون تعريف الإسلام بالتسليم باللّه إلى آخره تعريفاً لفظيّاً إنّما يتم على المعنى الأوّل، وهو الإسلام في نفس الأمر أو الكامل.

ويمكن أن يقال: إنّ التعريفَ حقيقيّ، وذلك لأنّ الإسلام لغةً هو مطلق الانقياد والتسليم،

---

١. نهج البلاغة: ١٢٥/٤٩١.

فإذا قيّد التسليم بكونه للّه تعالى والدخول في طاعته، كان بياناً للماهيّة التي اعتبرها الشارع إسلاماً، فهو من قبيل ما ذكر جنسه ونبّه على حدّه أو رسمه.

وأقول أيضاً: في جعله الإقرار باللّه تعالى إلى آخره تعريف لفظ بلفظ أعرف للتصديق بحيث لا يخفى؛ لأنّ المراد من التصديق المذكور هنا القلبي لا اللساني، حيث فسّره بأنّه الجازم المطابق إلى آخره.

والإقرار المراد منه الاعتراف باللسان، إذ هو المتبادر منه.

ولذا جعله بعضهم قسيماً للتصديق في تعريف الإيمان، حيث قال: هو التصديق مع الإقرار.

وحينئذٍ فيكون بين معنى اللفظين غاية المباينة، فكيف يكون تعريف لفظ بلفظ أعرف؟!

اللهمّ إلّا أن يُراد من الإقرار باللّه ورسله مطلق الانقياد والتسليم بالقلب واللسان على طريق عموم المجاز، ولا يخفى ما فيه.

والذي يظهر لي أنّه تعريف بلازم عرفي؛ وذلك لأنّ مَن أذعن باللّه ورسله وبيّناتهم لايكاد ينفكّ عن إظهار ذلك بلسانه، فإنّ الطبيعة جُبلت على إظهار مضمرات القلوب، كما دلّ عليه قوله عليه السلام: «ما أضمر أحدكم شيئاً إلّا وأظهره اللّه على صفحات وجهه وفلتات لسانه»[1].

ولمّا كان هذا الإقرار هنا مطلوباً للشارع، مع كونه في حكم ما هو من مقتضيات الطبيعة، نبّه عليه السلام على أنّ التصديق هو الإقرار مع تأكيد طلبه، حتّى كان التصديق غير مقبول إلّا به، أو غير معلوم للناس إلّا به.

وكذا أقول في جعله الأداء خاصّة للإقرار، فإنّ خاصّة الشيء لا تنفكّ عنه، والأداء قد ينفكّ عن الإقرار، فإنّ المراد من الأداء هنا عمل الطاعات، والإقرار لا يستلزمه.

ويُمكن الجواب بأنّه عليه السلام أراد من الإقرار الكامل، فكأنّه لا يصير كاملاً حتّى يردفه بالأداء الذي هو العمل.

وأمّا الثاني: فقد عُلم من هذه النسبة الشارحة أنّ المنسوب ـ أي المشروح ـ هو الإسلام الكامل، أو ما هو إسلام عند اللّه تعالى، بحيث لا يتحقّق بدون الإسلام في الظاهر.

---

١. نهج البلاغة: ٢٦/٤٧٢.

وعُلم أيضاً أنّ هذا الإسلام هو الإيمان: إمّا الكامل، أو ما لا تتحقّق حقيقته المطلوبة للشارع في نفس الأمر إلّا به، لكن الثاني لا ينطبق إلّا على مذهب مَن قال بأنّ حقيقة الإيمان هو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وقد عرفتَ تزييف ذلك فيما تقدّم، وأنّ الحقّ عدم اعتبار جميع ذلك في أصل حقيقة الإيمان، نعم هو معتبر في كماله.

وعلى هذا فالمنسوب إن كان هو الإسلام الكامل، كان الإيمان والإسلام الكاملان واحداً. وأمّا الأصليّان، فالظاهر اتّحادهما أيضاً، مع احتمال التفاوت بينهما.

وإن كان هذا المنسوب بما اعتبره الشارع في نفس الأمر إسلاماً لا غيره، لزم كون الإيمان أعمّ من الإسلام، ولزم ما تقدّم من الاستهجان.

فتحصَّلَ من ذلك أنّ الإسلام إمّا مساوٍ للإيمان، أو أخصّ، وأمّا عمومه فلم يظهر له من ذلك احتمال إلّا على وجه بعيد، فليتأمّل.

المبحث الثاني

في جواب إلزام يرد على القائلين من الإماميّة بعموم الإسلام مع القول بأنّ الكفر هو عدم الإيمان عمّا من شأنه أن يكون مؤمناً

أمّا الإلزام فإنّهم حكموا بإسلام مَن أقرَّ بالشهادتين فقط غير عابث دون إيمانه، سواء عُلم منه عدم التصديق بإمامة الأئمّة عليهم السلام أم لا، إلّا مَن خرج بدليل خارج كالنواصب والخوارج، فالظاهر أنّ هذا الحكم منافٍ للحكم بأنّ الكفر عدم الإيمان عمّا من شأنه ... إلى آخره.

وأيضاً قد عرفتَ ممّا تقدّم أنّ التصديق بإمامة الأئمّة عليهم السلام من أُصول الإيمان عند الطائفة الإماميّة، كما هو معلوم من مذهبهم ضرورة، وصرّح بنقله المحقّق الطوسي رحمه الله عنهم فيما تقدّم[1].

---

١. تلخيص المحصّل: ٤٠٤.

ولا ريب أنّ الشيء يُعدم بعدم أصله الذي هو جزؤه كما نحن فيه، فيلزم الحكم بكفر مَن لم يتحقّق له التصديق المذكور وإن أقرّ بالشهادتين، وأنّه منافٍ أيضاً للحكم بإسلام مَن لم يُصدّق بإمامة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام.

وهذا الأخير لا خصوصيّة له؛ لوروده على القول بعموم الإسلام، بل هو وارد على القائلين بإسلام مَن لم يتحقّق له التصديق المذكور، مع قطع النظر عن كونهم قائلين بعموم الإسلام أو مساواته للإيمان.

وأمّا الجواب فبالمنع من المنافاة بين الحكمين؛ وذلك لأنّا نحكم بأنّ مَن لم يتحقّق له التصديق المذكور كافر في نفس الأمر، والحكم بإسلامه إنّما هو في الظاهر، فموضوع الحكمين مختلف، فلا منافاة.

إن قلتَ: ما ذكرتَ لا يدفع المنافاة؛ لأنّ الحكم بكفر أحد في نفس الأمر ينافيه الحكم بإسلامه في نفس الأمر وفي الظاهر أيضاً، وهو ظاهر.

وحاصله أنّ الموجب لحكمنا بكفره هو علمنا بأنّه لم يعتقد ما يتوقّف حصول الإيمان على اعتقاده، وهذا العلم باقٍ ما دام لم يعتقد، فالحكم بكفره باقٍ باطناً وظاهراً، فلم يتحقّق اختلاف الموضوع في الحكم بإسلامه في الظاهر.

قلتُ: المراد بالحكم بإسلامه ظاهراً صحّة ترتّب كثير من الأحكام الشرعيّة على ذلك، والحاصل أنّ الشارع جعل الإقرار بالشهادتين علامة على صحّة إجراء أكثر الأحكام الشرعيّة على المقرّ، كحلّ مناكحته، والحكم بطهارته، وحقن دمه وماله، وغير ذلك من الأحكام المذكورة في كُتب الفروع.

وكأنّ الحكمة في ذلك هو التخفيف عن المؤمنين؛ لمسيس الحاجة إلى مخالطتهم في أكثر الأزمنة والأمكنة، واستمالة الكافر إلى الإسلام، فإنّه إذا اكتفى في إجراء أحكام المسلمين عليه ظاهراً بمجرّد إقراره الظاهري ازداد ثباته ورغبته في الإسلام، ثمّ يترقّى في ذلك إلى أن يتحقّق له الإسلام باطناً أيضاً.

وأنتَ خبيرٌ بأنّ هذا الجواب إنّما يستقيم على مذهب القائلين بعمومه صدقاً، وهذا وجه آخر لترجيح القول بالعموم في الحكم.

وقد ظهر ممّا حرّرناه أنّ المراد من كون الكفر عدم الإيمان عمّا من شأنه ... إلى آخره: أنّ الكفر في نفس الأمر عدم الإيمان والإسلام فيه، والكفر في الظاهر عدم الإيمان والإسلام فيه.

وحينئذٍ فلا يلزم من الحكم بأنّ الكفر عدم الإيمان ... إلى آخره، عدم صحّة الحكم بالإسلام ظاهراً على مَن حكم بكفره على بعض التقارير، وهو ما إذا كان محكوماً بكفره ظاهراً.

واعلم أنّ جمعاً من علماء الإماميّة حكموا بكفر أهل الخلاف، والأكثر على الحكم بإسلامهم.

فإن أرادوا بذلك كونهم كافرين في نفس الأمر لا في الظاهر، فالظاهر أنّ النزاع لفظي، إذ القائلون بإسلامهم يُريدون ما ذكرناه من الحكم بصحّة جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر، لا أنّهم مسلمون في نفس الأمر، ولذا نقلوا الإجماع على دخولهم النار.

وإن أرادوا بذلك كونهم كافرين باطناً وظاهراً، فهو ممنوع ولا دليل عليه، بل الدليل قائم على إسلامهم ظاهراً، كقوله ﷺ: «أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا اللّه»[1]، وقد تقدّم نبذة من ذلك.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المبحث الثالث

في أنّ الإنسان في زمان مُهلة النظر إذا أراد أن يعرف اللّه تعالى به، فإنّ المعارف الخمسة نظريّة، هل هو كافر أو مؤمن؟

جزم السيّد الشريف المرتضى ﷺ بكفره، واستشكل بعضهم.

والظاهر أنّ محلّ النزاع في مَن لم يسبق منه اعتقاد ما يوجب الكفر، فإنّه في زمان طلب الحقّ بالنظر فيه مع بقاء ذلك الاعتقاد لا ريب في كفره.

بل النزاع في مَن هو في أوّل مراتب التكليف إذا وجّه نفسه للنظر في تحقيق الحقّ ليعتقده، ولم يكن معتقداً لما يوجب الكفر، بل هو متردّد حتّى يترجّح عنده شيء فيعتقده.

وكذا مَن سبق له اعتقاد ما يوجب الكفر، لكنّه رجع عنه إلى الشكّ بسبب نظره في تحقيق

---

١. تقدّمت مصادره في الصفحة: ٣٤٦.

الحقّ ولمّا يترجّح عنده الحقّ، فهذان هل هما كافران في مدّة النظر أم لا؟

أقول: ما تقدّم من تعريف الكفر بأنّه عدم الإيمان عمّا من شأنه أن يكون مؤمناً، يقتضي الحكم بكفرهما حالة النظر؛ لصدق عدم الإيمان عليهما في تلك الحالة.

وهذا مشكل جدّاً؛ لأنّه يقتضي الحكم بكفر كلّ أحد أوّل كمال عقله الذي هو أوّل وقت التكليف بالمعرفة، لأنّه أوّل وقت إمكان النظر، إذ النظر قبله لا عبرة به، ويقتضي أن يكون مَن أدركه الموت في تلك الحالة مخلّداً في جهنّم.

ولا يخفى بُعد ذلك عن حكمة اللّه تعالى وعدله، ولزوم إمّا تكليف ما لا يطاق إن عذّبه على ترك الإيمان، حيث لم يمضِ له وقت يُمكن تحصيله فيه قبل الموت كما هوالمفروض، أو الظلم الصرف إن لم يكن يقدر على ذلك ـ تعالى اللّه عن ذلك ـ إذا لم يسبق له اعتقاد ما يوجب الكفر، كما هو المفروض أيضاً، ليكون التعذيب عليه، ويلزم من ذلك القدح في صحّة تعريف الكفر بذلك.

اللّهمّ إلّا أن يقال: إنّ مثل هذا النوع من الكفر لا يُعذّب صاحبه، لكن لا يلزم منه القدح في الإجماع على أنّ كلّ كافر مخلّد في النار، وليس بعيداً التزام ذلك. وأن يكون المراد من الكافر المخلّد: مَن كان كفره عن اعتقاد، فيكون الإجماع مخصوصاً بمن عدا الأوّل.

إن قلتَ: إن لم يكن هذا الشخص من أهل النار، يلزم أن يكون من أهل الجنّة، إذ لا واسطة بينهما في الآخرة على المذهب الحقّ، فيلزم أن يخلّد في الجنّة مَن لا إيمان له أصلاً كما هو المفروض، وهو مخالف لِما انعقد عليه الإجماع من أنّ غير المؤمن لا يدخل الجنّة.

قلتُ: يجوز أن يكون إدخاله الجنّة تفضّلاً من اللّه تعالى كالأطفال، ويكون الإجماع مخصوصاً بمَن كُلّف بالإيمان ومضت عليه مدّة كان يمكنه تحصيله فيها فقصّر.

وأقول أيضاً: الذي يقتضيه النظر أنّ هذاالشخص لا يُحكم عليه بكفرٍ ولا بإيمانٍ في زمان النظر حقيقةً، بل تبعاً كالأطفال، فإنّه لم يتحقّق له التكليف التامّ ليخرج عن حكم الأطفال، فهو باقٍ على ذلك إلى أن يمضي عليه زمان يُمكن فيه النظر الموصل إلى الإيمان.

لكن هذا لا يتمّ في مَن لم يسبق له كُفر، كمَن هو في أوّل بلوغه، أمّا مَن سبق له اعتقاد الكفر ثمّ رجع عنه إلى الشكّ فيتمّ فيه.

أمّا الخاتمة

ففيها مباحث مهمّة:

[المبحث] الأوّل في تعيين زمان التكليف بالمعارف الإلهيّة

اعلم أنّ المتكلّمين حدّدوا وقت التكليف بالمعرفة بالتمكّن من العلم بالمسائل الأُصوليّة، حيث قالوا في باب التكليف: إنّ المكلّف يشترط كونه قادراً على ما كُلّف به، مميّزاً بينه وبين غيره ممّا لم يكلّف به، متمكّناً من العلم بما كُلّف به، إذ التكليف بدون ذلك محال.

وظاهرٌ أنّ هذا لا يتوقّف على تحقّق البلوغ الشرعيّ بإحدى العلامات المذكورة في كُتب الفروع، بل قد يكون قبل ذلك بسنين أو بعده كذلك، بحسب مراتب الإدراك قوّة وضعفاً.

وذكرَ بعضُ فقهائنا أنّ وقت التكليف بالمعارف الإلهيّة هو وقت التكليف بالأعمال الشرعيّة، إلّا أنّه يجب أوّلاً ـ بعد تحقّق البلوغ والعقل ـ المسارعة إلى تحصيل المعارف قبل الإتيان بالأعمال.

أقول: هذا غير جيّد؛ لأنّه يلزم منه أن تكون الإناث أكمل من الذكور؛ لأنّ الانثى تُخاطب بالعبادات عند كمال التسع إذا كانت عاقلة، فتُخاطب بالمعرفة أيضاً عند ذلك، والصبيّ لا يبلغ عند كمال التسع بالاحتلام ولا بالإنبات على ما جرت به العادة، فلا يُخاطب

بالمعرفة وإن كان مميّزاً عاقلاً؛ لعدم خطابه بالعبادات، فتكون أكمل منه استعداداً للمعارف، وهو بعيد عن مدارك العقل والنقل.

ومن ثمّ ذهب بعض العلماء إلى وجوب المعرفة على مَن بلغ عشراً عاقلاً، ونُسب ذلك إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي قدّس اللّه روحه.

وأيضاً هذا لا يوافق ما هو الحقّ من أنّ معرفة اللّه تعالى واجبة عقلاً لاسمعاً؛ لأنّا لو قُلنا: إنّ المعرفة لا تجب إلّا بعد تحقّق البلوغ الشرعيّ، الذي هو مناط وجوب العبادات الشرعيّة، لَكُنّا قد أوجبنا المعرفة بالشرع لا بالعقل؛ لأنّ البلوغ المذكور إنّما عُلم من الشرع، وليس في العقل ما يدلّ على أنّ وجوب المعرفة إنّما يكون عند البلوغ المذكور. فلو وجبت عنده لكان الوجوب معلوماً من الشرع لا من العقل.

لا يقال: العقل إنّما دلّ على وجوب المعرفة في الجملة دون تحديد وقته، والشرع إنّما دلّ على تحديد وقت الوجوب[1]، وهو غير الوجوب، فلا يلزم كون الوجوب شرعيّاً.

لأنّا نقول: لا نُسلّم أنّ في الشرع ما يدلّ على تحديد وقت وجوب المعرفة أيضاً، بل إنّما دلّ على تحديد وقت العبادات فقط، نعم دلّ الشرع على تقدّم المعرفة على العبادات في الجملة، وهو أعمّ من تعيين وقت التقدّم، فلا يدلّ عليه.

وأيضاً لا معنى لكون العقل يدلّ على وجوب المعرفة في الجملة من دون اطّلاعه على وقت الوجوب، إذ لا ريب أنّه يلزم من الحكم بوجوبها كونها واجبة في وقت الحكم.

والحاصل أنّه لا يمكن العلم بوجوبها إلّا بعد العلم بوقت وجوبها، فالوقت كما أنّه ظرف لها فهو ظرف للوجوب أيضاً.

وتوضيحه: أنّ العبد متى لاحظ هذه النِعم عليه، وعلمَ أنّ هناك مُنعماً أنعم بها عليه، أوجب على نفسه شكره عليها في ذلك الوقت؛ خوفاً من أن يسلبه إيّاها لو لم يشكره.

---

١. أي وجوب المعرفة.

وحيث إنّه لم يعرفه بعد، يوجب على نفسه النظر في معرفته في ذلك الوقت ليمكنه شكره، فقد علم أنّه يلزم من وجوب المعرفة بالعقل معرفة وقتها أيضاً.

نعم، ما ذكروه إنّما يتمّ على مذهب الأشاعرة، حيث إنّ وجوب المعرفة عندهم سمعي.

فإن قلتَ: قوله ﷺ «رفع القلم عن الصبيّ حتّى يبلغ»[1] فيه دلالة على تحديد وقت وجوب المعرفة بالبلوغ الشرعي؛ لأنّ رفع القلم كناية عن رفع التكليف وعدم جريانه عليه إلى الغاية المذكورة، فقبلها لا يكون مكلّفاً بشيء، سواء كان قد عقل أم لا.

قلتُ: لا نسلّم دلالته على ذلك، بل إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ البلوغ الشرعي غاية لرفع التكليف مطلقاً وإن كان عقليّاً، فيبقى الدليل الدالّ على كون التكليف بالمعرفة عقليّاً سالماً عن المعارض، فإنّه يستلزم تحديد وقت وجوب المعرفة بكمال العقل، كما تقدّمت الإشارة إليه.

والحاصل أنّ عموم رفع القلم مخصّص بالدليل العقلي، وقد عُرّف العقل ـ الذي هو مناط التكاليف الشرعيّة ـ بأنّه قوّة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات، وهو المعنى بقولهم: غريزة يتبعها العلم بالضروريّات عند سلامة الآلات، وهذا التفسير اختاره المحقّق الطوسي رحمه الله وجماعة.

والغريزة: هي الطبيعة التي جُبل عليها الإنسان.

والآلات: هي الحواسّ الظاهرة والباطنة.

وإنّما اعتبر سلامتها؛ لأنّ العلم إنّما يتبع العقل عند سلامتها، ألا ترى أنّ النائم عاقل ولا علم له؛ لتعطّل حواسه.

وقيل: إنّه ما يعرف به حسن الحسن وقبح القبيح، وهذا التفسير اختاره القائلون بأنّ الحسن والقبح ذاتيّان للفعل.

وقيل: إنّه العلم ببعض الضروريّات المسمّى بالعقل بالملكة، واختاره العلّامة التفتازاني.

---

١. مسند أحمد بن حنبل ٦: ١٠٠؛ سنن أبي داود ٤: ١٤١، ح ٤٤٠٣؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ٥٩؛ سنن النسائي ٦: ١٥٦؛ السنن الكبرى ـ للبيهقي ـ ١: ٥٦ و ٣: ٨٣؛ سنن سعيد بن منصور ٢: ٦٨، ح ٢٠٨٠ ـ ٢٠٨٢؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦: ٢٥١؛ كنز العمال ٤: ٢٣٣، ح ١٠٣٠٨.

وقريب من هذا التفسير ما قيل: إنّه العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات في مجاري العادات.

تحقيق حول مراتب الإدراك

ولنذكر هنا ما حقّقه العلماء في مراتب الإدراك؛ ليتّضح معنى العقل بالملكة.

اعلم أنّ العقل كما يُطلق على ما هو مناط التكليف كما ذكرناه يُطلق أيضاً بالاشتراك اللفظي على ما ليس مناطاً، فيُطلق على الجوهر المقابل للنفس، والمراد به المجرّد الممكن المفارق للمادّة في ذاته وفعله.

ويُطلق على النفس، وهي الجوهر المجرّد الممكن المفارق للمادّة في ذاته دون فعله، باعتبار مراتبها في استكمالها علماً وعملاً.

ويُطلق على نفس مراتبها أيضاً، وعلى قواها في تلك المراتب كذلك.

وبيان ذلك: أنّ النفس باعتبار تأثّرها عمّا فوقها من المبادي باستفاضتها عنها ما تتكمّل به من التعقّلات، قوّة تسمّى عقلاً نظريّاً، وله أربع مراتب، ولها باعتبار تأثيرها في البدن لتفيد جوهره كمالاً تأثيراً اختيارياً قوّة أُخرى تسمّى عقلاً عمليّاً، وله أيضاً أربع مراتب.

على أنّ هذا الكمال الذي يحصل للبدن بسببها في الحقيقة يعود إليها؛ لأنّ البدن آلة لها في تحصيل العلم والعمل.

أمّا مراتب النظري فهي: إمّا كمال، وإمّا استعداد نحو الكمال: قريب، أو متوسّط، أو بعيد.

فالبعيد ـ وهو محض قابليّة النفس للإدراكات ـ يسمّى عقلاً هيولانيّاً، تشبيهاً لها بالهيولى الأُولى الخالية عن جميع الصور المستعدّة لقبولها، وتسمّى النفس وقوّة النفس في هذه المرتبة بهذا الاسم أيضاً، ولا شيء منها مناط للتكليف.

والمتوسّط ـ وهو استعدادها لتحصيل النظريات بعد حصول الضروريّات لها ـ يسمّى عقلاً بالملكة، والمراد بالملكة ما يقابل الحال؛ لأنّ استعداد الانتقال إلى المعقولات النظريّة راسخ في هذه المرتبة، أو ما يقابل العدم، كأنّه قد حصل للنفس فيها وجود الانتقال إليها بناء على قربه.

كما يسمّى العقل بالفعل عقلاً بالفعل مع كونه بالقوّة؛ لأنّ قوّته قريبة من الفعل جدّاً، وهذه المرتبة ـ أعني العقل بالملكة ـ هي المشار إليها سابقاً في كلام بعضهم أنّها العقل الذي هو مناط التكليف.

أقول: هذا القول مطبوع والتفاسير السابقة ترجع إليه، فإنّ الإنسان إنّما يعرف حسن الحسن وقبح القبيح، وكذلك استعداده للعلوم إنّما هو في هذه المرتبة.

والقريب ـ وهو الاقتدار على استحضارها النظريّات متى شاء من غير افتقار إلى كسب جديد، لكونها مكتسبة مخزونة تحضر بمجرّد الالتفات ـ يسمّى عقلاً بالفعل؛ لشدّة قربه من الفعل.

وأمّا الكمال ـ وهو أن تحصل النظريّات مشاهدة ـ فيسمّى عقلاً مستفاداً؛ لأنّه استُفيد من خارج، أعني العقل الفعّال الذي يخرج النفوس من القوّة إلى الفعل بما يُفيدها من الكمالات على زعم الحكماء وعلى ما هو الحقّ، لأنّه استُفيد من المبدأ الأوّل واهب العقول والنفوس بقدرته واختياره.

فعلى هذا يكون العقل الهيولاني والعقل بالملكة استعدادات لتحصيل الكمال ابتداءً، أعني العقل المستفاد، وللعقل بالفعل استعداد استرجاعه واسترداده، فهو متأخّر في الحدوث عن العقل المستفاد؛ لأنّ المُدرك ما لم يُشاهد مراتب كثيرة لا تصير ملكة يقتدر بها على الاستحضار متى شاء، فيتقدّم عليه في البقاء؛ لأنّ المشاهدة تزول بسرعة، وتبقى ملكة الاستحضار مستمرّة، فتوصّل بها إلى مشاهدة المدرك مرّة أُخرى، وهكذا.

فمن نظر إلى التأخّر في الحدوث جعل العقل بالفعل مرتبة رابعة، ومَن نظر إلى التقدّم في البقاء جعله مرتبة ثالثة.

واعلم أنّ العقل المُستفاد يتصوّر بالقياس إلى كلّ مدرك، وقد يتصوّر بالقياس إلى جميع المدركات دفعة بأن تصير جميعها حاضرة مشاهدة، بحيث لا يغيب شيء منها أصلاً.

وهذا إنّما يتصوّر في دار القرار، ومنهم من جوّزه في هذه الدار لأهل النفوس القويّة القدسيّة، فكأنّهم لشدّة انقطاعهم عن الشواغل الدنيويّة، ونزوعهم عن العلائق البدنيّة،

وتعلّقهم بأسباب الوصول إلى مشاهدة جمال كبرياء خالق البريّة، تجرّدت أنفسهم عن جلابيب أبدانهم، فشاهدت معقولاتها جميعاً دائماً.

وأمّا مراتب العقل العملي:

فأوّلها: تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع النبويّة.

وثانيها: تهذيب الباطن من الملكات الرديئة بقطع آثار شواغله عن التوجّه إلى عالم الغيب.

وثالثها: ما يحصل بعد الاتّصال بعالم الغيب، وهو تجلّي النفس بالصور القدسيّة.

ورابعها: ما يتجلّى له عقيب اكتساب ملكة الاتّصال والانفصال عن نفسه بالكليّة من ملاحظة جلال اللّه تعالى وجماله، وقصر النظر على كماله حتّى لا يرى لأحدٍ قدرةً في جنب قدرته الكاملة، ولا علماً في جنب علمه الشامل، بل كلّ وجود وكمال إنّما هو فائض عن جناب قدسه ووجوده.

ولا يشتبه عليك أنّ المرتبة الرابعة من العملي هي الرابعة من النظري، أعني العقل المُستفاد المشاهد لجميع المعقولات، فإنّه ليس كذلك، بل الرابعة من العملي إذا حصلت حصل بسببها مشاهدة جميع المعقولات، فهي متقدّمة في الحدوث على هذا الفرد من العقل المستفاد.

واعلم أنّ هذه المراتب كمّا اتّضح بيانها حدّ التكليف، اتّضح به الطريق إلى تكميل الإيمان أيضاً، وخصوصاً ذكر مراتب العمل.

[المبحث] الثاني
في بيان معنى الدليل الذي يكفي في حصول المعرفة المحقّقة للإيمان عند مَن لا يكتفي بالتقليد في المعرفة

اعلم أنّ الدليل بمعنى الدالّ، وهو لغةً يقال للمرشد، وهو الناصب للدليل، كالصانع فإنّه نصب العالم دليلاً عليه، والذاكر له كالعالم، فإنّه دالّ بمعنى أنّه يذكر كون العالم دليلاً على الصانع، ويقال لما به الإرشاد كالعالم؛ لأنّه بالنظر فيه يحصل الإرشاد، أي الاطّلاع على الصانع تعالى.

واصطلاحاً: هو ما يمكن التوصّل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبريّ وهذا يشمل الأمارة؛ لأنّها توصل بالنظر فيها إلى الظنّ بمطلوب خبريّ، كالنظر في الغيم الرطب في فصل الشتاء، فإنّ التأمّل فيه يوجب الظنّ بنزول المطر فيه.

وقيل: إنّه ما يمكن التوصّل به إلى العلم بمطلوب خبريّ، فلا يشمل الأمارة.

وهذان التعريفان للأُصوليّين.

وقوله: «ما يمكن» يشمل ما نظر فيه بالفعل وأوجب المطلوب، وما لم ينظر فيه بعد. فالعالم قبل النظر فيه دليل على وجوب الصانع عند الأُصوليّين، دون المنطقيّين حيث عرّفوه بأنّه قولان فصاعداً يكون عنهما قول آخر، وهذا يشمل الأمارة.

وقيل: قولان فصاعداً يلزم عنه لذاته قول آخر، وهذا لا يشمل الأمارة.

فالدليل عندهم إنّما يصدق على القضايا المصدّق بها حالة النظر فيها، أي ترتيبها؛ لأنّها الحالة التي تكون فيه أو يلزم منها قول آخر.

ويُمكن أن يقال: على اعتبار اللزوم لا يصدق الدليل على المقدّمات حال ترتيبها؛ لأنّ اللزوم لا يحصل عنده بل بعده. اللّهمّ إلّا أن يُراد باللزوم اللغوي أي الاستتباع.

ثمّ إنّ الذي يكفي اعتباره في تحقّق الإيمان من هذه التعاريف هو التعريف الثاني للأُصوليّين، لكن بعد النظر فيما يمكن التوصّل به لا الأوّل؛ لأنّ ما يفيد الظنّ بالمعارف الأُصوليّة غير كافٍ في تحقّق الإيمان على المذهب الحقّ.

ولا يُعتبر في تحقّقه شيء من تعريف المنطقيّين؛ لأنّ العلم بترتيب المقدّمات وتفصيلها على الوجه المعتبر عندهم غير لازم في حصول الإيمان.

بل اللازم من الدليل فيه ما تطمئن به النفس بحسب استعدادها ويسكن إليه القلب، بحيث يكون ذلك ثابتاً مانعاً من تطرّق الشكّ والشبهة إلى عقيدة المكلّف، وهذا يتّفق كثيراً بملاحظة الدليل إجمالاً، كما هو الواقع لأكثر الناس.

أقول: يُمكن أن يقال: إنّ حصول العلم عن الدليل لا يكون إلّا بعد ترتيب المقدّمات على الوجه التفصيلي المعتبر في شرائط الاستدلال، وحصوله في النفس وإن لم يحصل الشعور بذلك الترتيب، إذ ليس كلّ ما اتّصفت به النفس تشعر به، إذ العلم بالعلم غير لازم.

والحاصل أنّ الترتيب المذكور طبيعي لكلّ نفس ناطقة مركوز فيها، وهذا معنى ما قالوه: من أنّ الشكل الأوّل بديهي الإنتاج؛ لقربه من الطبع، فدلّ على أنّ في الطبيعة ترتيباً مطبوعاً متى أشرقت عليه النفس حصل به العلم، وحينئذٍ فالمعتبر في حصول العلم بالدليل ليس إلّا ما ذكره المنطقيّون.

والخلاف بينهم وبين الأُصوليّين ليس إلّا في التسمية؛ لأنّهم يُطلقون الدليل على نفس المحسوس كالعالم، وأهل المعقول لا يطلقونه إلّا على نفس المعقول كالقضايا المرتّبة، مع أنّ حصول العلم بالفعل على الاصطلاحين يتوقّف على ترتيب القضايا المعقولة، وما نحن فيه من هذاالقبيل، فإنّ حصول الإيمان بالفعل ـ أعني التصديق بالمعارف الإلهيّة ـ إنّما يكون بعد الترتيب المذكور.

فقولهم: «إنّ الدليل الإجمالي كافٍ في الإيمان» لا يخلو عن مسامحة؛ لِما بيّنّا من أنّ الترتيب لابُدَّ منه في النظريّات. وكأنّهم أرادوا بالإجمال عدم الشعور بذلك الترتيب، وعدم العلم بشرائط الاستدلال، لا عدم حصول ذلك في النفس.

والثاني هو المعتبر في حصول العلم دون الأوّل، نعم الأوّل إنّما يُعتبر في المناظرات ودفع المغالطات وردّ الشبهة وإلزام الخصوم.

ويؤيّد ما ذكرناه إنّك لا تجد في مباحث الدليل وتعريفه إشارة إلى أنّه قد يكون تفصيليّاً وقد يكون إجماليّاً، وما يوجد في مباحث الإيمان من أنّه يكفي فيه الدليل الجملي، فقد بيّنّا المراد منه.

[المبحث] الثالث في بيان المعارف التي يحصل بها الإيمان

وهي خمسة أُصول:

[الأصل] الأوّل: معرفة الله تعالى وتقدّس

المراد بها التصديق الجازم الثابت بأنّه تعالى موجود أزلاً وأبداً، واجب الوجود لذاته، بمعنى أنّ وجوده تعالى مقتضى ذاته القديم من غير افتقار إلى علّة في ذاته

ووجوده، فيكون وجوده القديم عين ذاته القديم، إذ لو فرض عدم قدِم ذاته ووجوده، خرج عن كونه واجب الوجود إلى ممكن الوجود، وقد فرضناه واجب الوجود، هذا خلف.

والتصديق بصفات جلاله ونعوت كماله التي هي صفاته الثبوتيّة، وتنزيهه عمّا لا يليق بكبرياء ذاته من صفات مخلوقاته التي يجب اعتقاد سلبها عنه.

وقد اتّفقت عبارات أهل الكلام في مقدار عددها، واختلفت عباراتهم في اعتبار معدودها، فجعلها المحقّق الطوسيﷺ في تجريده ثمانية: القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، والإدراك، والكلام، والصدق، والسرمديّة[1].

وجعلها بعضهم هذه، ولكن اعتبر موضع «الإدراك» السمع والبصر، ولم يعتبر الصدق، واعتبر «البقاء» موضع السرمديّة.

ولا يخفى أولويّة اعتبار الإدراك؛ فإنّه أعمّ من السمع والبصر، وكأنّه لمّا رأى أنّ معنى كونه مدركاً أنّه عالم بالمدركات اكتفى عنه بالعلم، وآثر ذكر السميع والبصير؛ لورودهما في القرآن العزيز.

والإدراك وإن ورد كذلك، إلّا أنّه ورد خاصّاً بالإبصار، والغرض جعله صفة عامّة.

وأمّا عدم اعتباره الصدق، فلعلّه للاكتفاء عنه بذكر العدل، فإنّه يرجع إليه بنوعٍ من الاعتبار.

وجعلها العلّامةﷺ في كثير من كتبه الكلاميّة ثمانية أيضاً: القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، والكراهة، والإدراك، وأنّه قديم أزليّ باقٍ أبديّ، وأنّه متكلّم، وأنّه صادق، فزاد اعتبار الكراهة.

ومَن اكتفى بذكر الإرادة، رأى أنّ الكراهة هي إرادة الترك، ولذا عدّهما العلّامة واحدة، وزاد اعتبار القِدم والأزليّة والأبديّة؛ لأنّها تفصيل معنى السرمديّة. والتفصيل أولى من الإجمال، وخصوصاً في مقام تعداد صفات الكمال، فإنّ تعداد الثناء بأربع صفات أبلغ منه

---

١. تجريد الاعتقاد: ١٩١.

بصفة تجمع معنى الأربع.

وأمّا عدّها واحدة؛ فلرجوعها إلى معنى واحد وهو السرمديّة.

وبالجملة فوجه الاقتصار على هذه الثمانية ـ مع أنّ صفاته تعالى كثيرة جدّاً ـ أنّ الغرض بيان الصفات الذاتيّة الحقيقيّة. وما عدا المذكورات إمّا إضافيّة محضة، كالخالق والرازق والحفيظ إلى غير ذلك، أو يرجع إلى المذكورات كما لا يخفى.

على أنّه يمكن أيضاً ردّ جميع الصفات إلى القدرة والعلم، فإنّ الإرادة والكلام يرجعان إلى القدرة، وما سواهما إلى العلم، بل يمكن ردّ الجميع إلى وجوب الوجود.

وعلى هذا فيمكن أن يقال: يكفي في معرفة اللّه تعالى اعتقاد وجوب وجوده وقدرته وعلمه، بل اعتقاد وجوب وجوده.

وبالجملة، فالحقّ أنّ صفاته تعالى اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسة ذاته تعالى إلى غيرها، ونظراً إلى الآثار الصادرة عنه تعالى، فإنّه لمّا وجد مقدوراً صادراً عنه تعالى اعتبر له قدرة كما في الشاهد.

وهكذا حين وجد هناك معلوماً اعتبر له علم، إلى غير ذلك، وإلّا فذاته المقدّسة لا صفة لها زائدة عليها، وإلّا لزم كونه محلّاً لغيره إن قامت به، وقيام صفته بغيره إن لم تقم به، وكلاهما بديهي البطلان، وعدم قيامها بشيء بل بنفسها أظهر بطلاناً.

فالكلّ راجع إلى كمال الذات المقدّسة وغنائها، لكن لمّا كانت عقول الخلق متفاوتة في الاستعداد، حتّى أنّها تدرك كثرة عظيمة متى اطّلعت على كثرة صفاته الجميلة، كما هو الواقع في المشاهد، لوحظت هذه الصفات والاعتبارات، ليتوصّل بها الخلق إلى معرفة خالقهم على حسب استعدادهم.

ثمّ إنّه قد ينكشف عليهم بسببها أنوار كبريائه عند الإحاطة بحقائقها، وأنّها ليست إلّا اعتبارات، فلا يجدون في الوجود إلّا ذاتاً واحدة واجبة مقدّسة، كما أشار إليه عليّ عليه السلام بقوله: «وتَمَامُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصِّفاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّها غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ»[1].

---

١. نهج البلاغة: ١/٣٩. وفيه: «وَكَمَالُ الإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ».

وحينئذٍ فلا حرج في اختلاف الاعتبارات في تعداد هذه الصفات، فإنّ الغرض منها تقريب معرفة الواحد تعالى إلى أفهام أهل التوحيد.

الأصل الثاني: التصديق بعدله

أي بأنّه عادل، والتصديق بحكمته، أي بأنّه حكيم.

والمراد بالعدل المنسوب إليه تعالى، بحيث صار باعتباره عادلاً: ما قابل الظلم والجور.

وبكونه عدلاً: أنّه لا يفعل القبيح، ولا يخلّ بالواجب الذي أوجبه على نفسه تعالى من الألطاف الخفيّة الراجعة إلى بريّته.

ويترتّب على اعتقاد كونه تعالى عدلاً لا يفعل القبيح، اعتقاد أنّه لا يرضى به. فما يصدر عنّا من القبائح مستند إلى قدرتنا واختيارنا وإيجادنا الفعل بهما مع إرادتنا وإن كانت القدرة من فعل اللّه تعالى فإنّها آلة، وفاعل الآلة ليس فاعلاً لما يصدر بواسطتها.

ويتفرّع على عدم إخلاله بالواجب تكليف المكلّفين، وإثابة المطيعين، وإرسال الرسل، وإنزال الكُتب مبشّرين ومنذرين.

وأمّا الحكمة فتُطلق على ترك القبيح الذي هو الإخلال بالواجب، وعلى العلم بحقائق الأُمور، وعلى معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

وأفضل العلوم العلم باللّه تعالى، وأجلّ الأشياء هو اللّه تعالى، والله سبحانه لا يعرفه كنه معرفته غيره، وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، فهو الحكيم حقّاً؛ لعلمه أجلّ الأشياء بأجلّ علم.

والمراد بالحكمة في باب العدل المعنى الأوّل، فهي داخلة فيه. وذكرها في مقابلة العدل حيث يقال: عدله وحكمته: إمّا لتجريد العدل عن معنى ترك القبيح، أو لترادفهما أو لتلازمهما.

أو بالمعنى الثاني، فهي داخلة في العلم، وبالمعنى الثالث علم خاصّ قوي.

الأصل الثالث: التصديق بنبوّة محمّد صلّى اللّه عليه وآله

وبجميع ما جاء به تفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً.

وليس بعيداً أن يكون التصديق الإجمالي بجميع ما جاء به ﷺ كافياً في تحقّق الإيمان، وإن كان المكلّف قادراً على العلم بذلك تفصيلاً. نعم يجب العلم بتفاصيل ما جاء به من الشرائع للعمل به.

وأمّا تفصيل ما أخبر به من أحوال المبدأ والمعاد، كالتكليف بالعبادات، والسؤال في القبر وعذابه، والمعاد الجسماني، والحساب والصراط، والجنّة، والنار، والميزان وتطاير الكتب، ممّا ثبت مجيؤه به تواتراً، فهل التصديق بتفاصيله معتبرة في تحقّق الإيمان؟ صرّح باعتباره جمع من العلماء.

والظاهر أنّ التصديق به إجمالاً كافٍ، بمعنى أنّ المكلّف لو اعتقد حقيّة كلّ ما أخبر به ﷺ، بحيث كلّما ثبت عنده جزئي منها صدّق به تفصيلاً كان مؤمناً وإن لم يطّلع على تفصيل تلك الجزئيات بعد.

ويؤيّد ذلك أنّ أكثر الناس في الصدر الأوّل لم يكونوا عالمين بهذه التفاصيل في الأوّل، بل كانوا يطّلعون عليها وقتاً فوقتاً، مع الحكم بإيمانهم في كلّ وقت من حين التصديق بالوحدانيّة والرسالة، بل هذا حال أكثر الناس في جميع الأعصار كما هو المشاهد، فلو اعتبرناه لزم خروج أكثر أهل الإيمان عنه، وهو بعيد عن حكمة العزيز الحكيم.

نعم العلم بذلك لا ريب أنّه من مكمّلات الإيمان، وقد يجب العلم به محافظةً على صيانة الشريعة عن النسيان، وتباعداً عن شُبه المضلّين، وإدخال ما ليس من الدين فيه، فهذا سبب آخر لوجوبه، لا لتوقّف الإيمان عليه، وهو ظاهر.

وهل يعتبر في تحقّق الإيمان التصديق بعصمته وطهارته وختمه الأنبياء بمعنى لا نبيّ بعده، وغير ذلك من أحكام النبوّات وشرائطها؟ يظهر من كلام بعض العلماء ذلك، حيث ذكر أنّ مَن جهل شيئاً من ذلك خرج عن الإيمان، ويحتمل الاكتفاء بما ذكرناه من التصديق بها اجمالاً.

الأصل الرابع: التصديق بإمامة الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين

وهذا الأصل اعتبره في تحقّق الإيمان الطائفة المحقّة الإماميّة، حتّى أنّه من ضروريّات

مذهبهم[١]، دون غيرهم من المخالفين، فإنّه عندهم من الفروع.

ثمّ أنّه لا ريب أنّه يشترط التصديق بكونهم أئمّة يهدون بالحقّ، وبوجوب الانقياد إليهم في أوامرهم ونواهيهم، إذا الغرض من الحكم بإمامتهم ذلك، فلو لم يتحقّق التصديق بذلك لم يتحقّق التصديق بكونهم أئمّة.

أمّا التصديق بكونهم معصومين مطهّرين عن الرجس، كما دلّت عليه الأدلّة العقليّة والنقليّة.

والتصديق بكونهم منصوصاً عليهم من اللّه تعالى ورسوله، وأنّهم حافظون للشرع، عالمون بما فيه صلاح أهل الشريعة من أُمور معاشهم ومعادهم.

وأنّ علمهم ليس عن رأي واجتهاد، بل عن يقين تلقّوه عمّن لا ينطق عن الهوى خلفاً عن سلف بأنفس قويّة قدسيّة، أو بعضه لدنّي من لدن حكيم خبير.

أو غير ذلك ممّا يفيد اليقين، كما ورد في الحديث أنّهم عليهم السلام محدَّثون، أي معهم ملك يحدّثهم بجميع ما يحتاجون أو يرجع إليهم فيه، أو أنّهم يحصل لهم نَكتٌ في القلوب بذلك على أحد التفسيرين للتحديث[٢].

وأنّه لا يصح خلوّ العصر عن إمام منهم، وإلّا لساخت الأرض بأهلها. وأنّ الدنيا تتمّ بتمامهم، ولا تصحّ الزيادة عليهم.

وأنّ خاتمهم المهدي صاحب الزمان (صلوات اللّه عليه)، وأنّه حيّ إلى أن يأذن اللّه تعالى له ولغيره، وأدعية الفِرقة المحقّة الناجية بالفرج بظهوره عليه السلام كثيرة.

فهل يعتبر في تحقّق الإيمان، أم يكفي اعتقاد إمامتهم ووجوب طاعتهم في الجملة؟

فيه الوجهان السابقان في النبوّة، ويمكن ترجيح الأوّل بأنّ الذي دلّ على ثبوت إمامتهم دلّ على جميع ما ذكرناه خصوصاً العصمة؛ لثبوتها بالعقل والنقل.

وليس بعيداً الاكتفاء بالأخير، على ما يظهر من جلّ[٣] رواتهم ومعاصريهم من شيعتهم في

---

١. تلخيص المحصّل: ٤٠٧.

٢. الكافي ١: ٢٤٣، ح ١ و ٢٤٧، ح ١، و ٢٧٠ ـ ٢٧١ باب أنّ الأئمّة عليهم السلام محدّثون مفهّمون، و ٥٣٣، ح ١١، و ٥٣٤، ح ١٨.

٣. في «م»: كلّ.

أحاديثهم عليهم السلام فإنّ كثيراً منهم ما كانوا يعتقدون عصمتهم؛ لخفائها عليهم، بل كانوا يعتقدون أنّهم علماء أبرار، يُعرف ذلك مَن تتبّع سيرهم وأحاديثهم.

وفي كتاب أبي عمرو الكشّي رحمه الله جملة مُطْلِعة على ذلك، مع أنّ المعلوم من سيرتهم عليهم السلام مع هؤلاء أنّهم كانوا حاكمين بإيمانهم بل عدالتهم.

وهل يكفي في كلّ شخصٍ اعتقاد إمامة مَن مضى منهم عليهم السلام إلى إمام زمانه وإن لم يعتقد إمامة الأئمّة الباقين الذين وُجدوا وانتهت الإمامة إليهم بعد انقراضه؟ الظاهر ذلك، وفي كثير من كتب الأحاديث والرجال ما يُشعر بذلك، فليطلب منها.

والدليل إنّما يدلّ على وجوب اعتقاد إمامة الاثني عشر بالنظر إلى مَن تأخّر زمانه عن تمام عددهم عليهم السلام، فليتأمّل.

كيف، وقد كانوا في كلّ زمان مخفيّين مشرّدين منزوين، ملتزمين للتقيّة في أكثر أوقاتهم، لا يستطيعون إخبار خواصّهم بإمامتهم فضلاً عن غيرهم، تشهد بذلك كتب الرجال والأحاديث أيضاً. وحينئذٍ فلا بُدَّ من الاكتفاء بما ذكرناه، وإلّا لزم خروج أكثر شيعتهم عليهم السلام عن الإيمان، وهو باطل.

واعلم أنّ من مشاهير الأحاديث بين العامّة والخاصّة، وقد أورده العامّة في كتب أُصولهم وفروعهم أنّ «مَن مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهليّة»[1].

فنحنُ الحمدُ للّه نعرف إمام زماننا في كلّ وقت، فلم يمت أحدٌ من الإماميّة ميتة جاهليّة، بخلاف غيرنا من أهل الخلاف، فإنّهم لو سُئلوا عن إمام زمانهم لسكتوا، ولم يجدوا إلى الجواب سبيلا، وتشتّت كلمتهم في ذلك:

فقائل بأنّ إمامهم القرآن العزيز، وهؤلاء يحتجّ عليهم بأنّ القرآن العزيز قد نطق بأنّ الإمام والمُطاع غيره، حيث قال اللّه تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2].

على أنّه لو سلّم لهم ذلك للزمهم اجتماع إمامين في زمان واحد، وهو باطل بالإجماع منّا ومنهم، كما صرّحوا به في كتب أُصولهم؛ وذلك لأنّ القرآن العزيز في كلّ زمان منذ رحلة

١. موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨: ٥٦٢ نقلاً عن السلسلة الضعيفة للألباني: ٣٥٠.
٢. النساء (٤): ٥٩.

النبيّ ﷺ من الدنيا، وقد حكموا بإمامة الأربعة الخلفاء في وقت وجود القرآن العزيز، فيلزم ماذكرناه.

وقائل: إنّ الأمويّين والعباسيّين كانوا أئمّة بعد الخلفاء الأربعة الماضين، ثمّ استشكل هذا القائل الأمر بعد هؤلاء المذكورين، فهو أيضاً ممّن لا يعرف إمام زمانه.

فإن قالوا: إنّ الآية الكريمة دلّت على أنّ كلّ ذي أمرٍ تجب طاعته، وأُولوا الأمر من الملوك موجودون في كلّ زمان، فيكون الإمام أو مَن يقوم مقامه متحقّقاً.

قلنا لهم: أوّلاً: إنّكم أجمعتم على عدم جواز تعدّد الإمام في عصر واحد، فمَن يكون منهم إماماً؟ ولا يمكنهم الجواب باختيار واحدٍ، لأنّا نجد الأُمّة مختلفة باختلافهم، فإن أهل كلّ مملكة يُطيعون مليكهم مع اختلاف أُولئك الملوك، فيلزم اجتماع الأُمّة على الخطأ، وهو عدم نصب إمام مطاع في الكلّ، وهو باطل؛ لأنّ الأُمّة معصومة بالإجماع منهم ومنّا بدخول المعصوم عندنا.

ولا يرد مثل ذلك علينا؛ لأنّ الإمامة عندنا بنصّ الله تعالى ورسوله ﷺ ـ وقد وقعا ـ لا بنصب الرعيّة، والإمام عندنا موجود في كلّ زمان، وإنّما غاب عنّا خوفاً أو لحكمةٍ مخفيّة، وبركاته وآثاره لم تنقطع عن شيعته في وقت من الأوقات وإن لم يشاهده أكثرهم، فإنّ الغرض من الإمامة الأوّل لاالثاني.

وثانياً: بأنّ ما ذكرتم من الملوك ظلمة جائرون، لا يقومون بصلاح الرعيّة في الدنيا فضلاً عن الدين، وقد قال تعالى عزَّ من قائل: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] أي لاتنال الظالمين ولايتي، والإمامة من أعظم الولايات.

وبالجملة فقد شهد هؤلاء الجماعة على أنفسهم بأنّ ميتتهم جاهليّة، وكفى به ضلالة وسوء عُقبى، نعوذ بالله من الردى واتّباع الهوى.

[الاستدلال على وجوب الإمامة]

وحيث انجرَّ البحث إلى هنا، فلنبسط بعض القول في الإمامة:

---

١. البقرة (٢): ١٢٤.

اعلم أنّ أهل السنّة أوجبوا الإمامة كالإماميّة، لكنّهم حكموا بأنّ وجوبها على الأُمّة سمعي لا عقلي[١]، وحكمَ المعتزلة والزيديّة بأن وجوبها على الأُمّة عقلي لا سمعي[٢]، وحكمَ الإماميّة بأنّ تعيين الإمام واجب على اللّه تعالى؛ لأنّها لطف، واللطف واجب على اللّه تعالى[٣].

أمّا أنّها لطف؛ فلأنّ الناس إن كان لهم رئيس عامّ يمنعهم عن المعاصي ويحثّهم على الطاعات، كانوا معه إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد، ولا نعني باللطف سوى ذلك.

وأمّا أنّ اللطف واجب على اللّه تعالى؛ فلأنّ غرضه الذي هو إطاعة العباد لا يحصل إلّا به، فلو لم يخلق اللطف فيهم ولهم لكان ناقضاً لغرضه، ونقض الغرض عبث، تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً.

وانحصار هذا اللطف في الرئيس العامّ معلوم للعقلاء، وينبّه عليه الوقوع، فإنّا نجد أنّه متى تكثّرت الرؤساء في عصر كثر الفساد، وإذا خلا الناس في قطر من الأقطار عن رئيس، ظلمَ بعضهم بعضاً، وانتشر الفساد والفتن بينهم.

ويؤيّد ذلك أيضاً ما رُوي عن علي عليه السلام قال: «لا تَخْلُو الأَرْضَ مِنْ قائِمٍ بحُجّةٍ: إمّا ظاهِراً مَشْهوراً، أو خائِفاً مغموراً؛ لئلّا تَبْطل حُجَجُ اللّهِ وبيّناته»[٤] انتهى.

فوجود الإمام لطف من اللّه تعالى وقد فعله سبحانه، وإنّما كان هذا اللطف واجباً على اللّه تعالى؛ لأنّ إيجاد إمام يكون عامَّ الرئاسة والشريعة أقرب إلى الصلاح في أُمور معاشهم

---

١. حكاه عنهم التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٣٥.

٢. حكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٣٥ عن الجاحظ والخيّاط والكعبي وأبي الحسين البصري.

٣. قاله الخواجة نصير الدين الطوسي في تلخيص المحصّل: ٤٠٧.

وحكاه التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٣٥ ـ ٢٣٦ عن الشيعة والسبعيّة.

وحكي عن النجدات ـ وهم قوم من الخوارج أصحاب نجدة بن عويمر (ت ٦٩ هـ) ـ أنّهم قالوا: بأنّه ليس بواجب أصلاً.

وعن أبي بكر الأصم أنّه قال: لا يجب عند ظهور العدل والإنصاف؛ لعدم الاحتياج، ويجب عند ظهور الظلم.

وعن هشام القوطي بالعكس، أي يجب عند ظهور العدل، لإظهار شرائع الشرع، لا عند ظهور الظلم؛ لأنّ الظَلَمة ربّما لم يطيعوه وصار سبباً لزيادة الفتن.

٤. نهج البلاغة: ٤٩٧/١٤٧. وفيه: «من قائم للّه».

ومعادهم، وأبعد عن الفساد فيهما بسبب وجوده وعصمته، وليس مقدوراً للعباد؛ لخفائها عنهم وخصوصاً العصمة، فلابُدَّ أن يكون المعيّن له هو اللّه سبحانه.

وظهوره وتصرّفه لطف آخر، وهو واجب على العباد؛ لأنّه موقوف على تمكينهم له، وقد أخلّوا به حيث أخافوه بسوء اختيارهم لغيره، ورفع يده عن التصرّف الذي كان ينبغي له.

وأمّا أهل السنّة فقد استدلّوا على وجوب الإمام سمعاً على العباد بوجوه:[1]

منها: حديث «مَن مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهليّة»[2].

ومنها: أنّ الشارع أمر بإقامة الحدود، وسدّ الثغور، وتجهيز الجيوش للجهاد، وكثير من الأُمور المتعلّقة بحفظ النظام وحماية بيضة الإسلام. ومن المعلوم أنّ كلّ ذلك لا يتمّ إلّا بوجود رئيس عامّ، وما لا يتمّ الواجب المطلق إلّا به فهو واجب.

ومنها: أنّ في نصب الإمام استجلاب منافع لا تُحصى، واستدفاع مضارّ لا تخفى، وكلّ ما هو كذلك فهو واجب. أمّا الصغرى فتكاد أن تكون من الضروريّات، بل المشاهدات، وأمّا الكبرى فضروريّة أيضاً.

ومنها: ـ ما عدّوه عمدة في هذا المطلب ـ إجماع الصحابة، حتّى جعلوا ذلك من أهمّ الواجبات، واشتغلوا به عن دفن الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد روي أنّه لمّا توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله خطبَ أبو بكر فقال: أيّها الناس مَن كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قد مات، ومن كان يعبد ربّ محمّدٍ فإنّه حيّ لا يموت، لابُدَّ لهذا الأمر ممّن يقوم به، فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم اللّه، فتبادروا من كلّ جانب وقالوا: صدقتَ لكنّا ننظر في هذا الأمر[3]، ولم يقل أحد منهم: إنّه لا حاجة إلى الإمام.

أقول: أمّا الدليل الأوّل فإنّا نقول بموجبه، لكنّه لا يدلّ على ما ادّعوه من كون وجوب نصب الإمام سمعيّاً، بل إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ مَن مات ولم يعرف إمام زمانه، أي الذي ثبتت إمامته في زمانه، والثبوت أعمّ من كونه سمعيّاً، فلا يدلّ على مدّعاهم.

---

١. هذه الوجوه ذكرها التفتازاني في شرح المقاصد ٥: ٢٣٥ ـ ٢٣٩.

٢. موسوعة أطراف الحديث النبوي ٨: ٥٦٢ نقلاً عن السلسلة الضعيفة للألباني: ٣٠٥.

٣. انظر تاريخ الطبري ٣: ٢٠١؛ الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٤.

بل فيه دلالة على أنّ ميتة هؤلاء ميتة جاهليّة من حيث لا إمام لهم معروف عندهم بعد الأربعة السابقين، كما تقدّمت الإشارة إليه، هذا شأن مَن ضلّ عنه ما كان يفتريه، ينطق لسانه بالحقّ مع ضلال قلبه عن الهدى.

وأمّا الثاني فلا يتمّ الاستدلال به على مذهبهم؛ لأنّه مبنيّ على أنّ مقدّمة الواجب واجبة، المبنيّ على عدم جواز تكليف ما لا يطاق، المبنيّ على الحسن والقبح العقليّين، وهم لا يقولون به.

إن قلتَ: لعلّ غرضهم بذلك إلزام الخصم، فيكون دليلاً جدليّاً لا برهانيّاً.

قلتُ: هذا مع كونه خلاف الظاهر من مقام استدلالهم على هذا المطلب، فهو منقلب عليهم، إذ جميع ما ذكروه من إقامة الحدود وسدّ الثغور وتجهيز الجيوش وغيرها، لا ريب في كونها ألطافاً في حفظ بيضة الإسلام وتقوية شوكته.

وحيث علمَ الشارع قصورنا عن القيام بها ـ لاختلاف آرائنا، وطلب كلّ منّا الرئاسة على ذلك لنفسه مع قصور كلّ منّا عن ذلك علماً وعملاً ـ وجبَ عليه تعالى أن ينصب لذلك شخصاً يقوم بعبء جميع ذلك كاملاً في العلم والعمل دنياً وأُخرى؛ ليجتمع الناس عليه وينقادوا في جميع ذلك إليه، إذ لا يعلم الناس مَن يصلح لذلك منهم إلّا بتوفيق من اللّه سبحانه على لسان نبيّه، أو معجز يظهره على يد مَن يعلم صلاحيّته لذلك.

وهذان الأمران لم يتّفقا لغير عليّ عليه السلام وأولاده الأحد عشر عليهم السلام فإنّ النصّ بالإمامة عليهم قد نقله شيعتهم رحمهم اللّه تعالى تواتراً معنويّاً، بل لفظيّاً جليّاً وغيره، وجملة منه جليلة في كتب المنكرين لذلك على وجه لا يمكنهم إنكاره ولا إخفاؤه، وإنّما تأوّلوا بعضه بما يضحك الثكلى عجزاً منهم وكلّاً.

وأمّا كراماتهم ومعاجزهم الدالّة على استحقاقهم لذلك وأنّهم أهله دون غيرهم، فقد ملأت الخافقين من الفريقين، وخصوصاً كتاب الصفوة لابن الجوزي، ومسند أحمد بن حنبل، وصحاحهم الستّ.

فإنّ زواياها قد اشتملت على هذه الخبايا، وقد عثر عليها نقّاد الحقّ فأظهروها ناطقة

بالصدق، يتناقلونها ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾[١] ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[٢].

فمنها: كتاب الطرائف للسيّد الجليل النبيل، فريد العصر وأعجوبة الدهر، الزاهد النقيب السيّد عليّ بن طاووس الحسيني.

ومنها: عمدة الفاضل المتبحّر ابن البطريق.

ومنها: كتاب الخرائج للقطب المحقّق ابن هبة اللّه الراوندي.

ومنها: كتاب ابن طلحة، وهو من علمائهم.

وأمثال ذلك كثيرة، فعلمَ من ذلك أنّ دليلهم كان عليهم لا لهم.

. . . . . والفضل ما شهدتْ به الأعداء[٣]

وقد ظهر من ذلك الجواب عن الثالث، على أنّا لو قطعنا النظر عن ذلك ـ يعني الكبرى ـ قلنا: إن أردتَ الوجوب الشرعي منعناه، وإن أردت العقلي سلّمناه، وهو المطلوب، وبالجملة فهذان الدليلان لا دلالة للأشعريّة فيهما.

نعم، ربّما أمكن كونهما دليلين للمعتزلة في بادئ الرأي، وإلّا فعند التأمّل لا دلالة لأحد الفريقين فيهما، بل هما دليلان للإماميّة، كما حرّرناه.

وأمّا الرابع الذي يعتمدونه ويصولون به، فلا يخفى وهنه بل وهيه، كيف وأجلّاء الصحابة وأشرافهم كعليّ والحسنين عليهم السلام كانوا غائبين عن ذلك، مشتغلين بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله، مع خروج كثير من الصحابة عنهم وعدم موافقتهم لهم، كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفّاري وعمّار بن ياسر والمقداد رضي اللّه عنهم، والزبير أيضاً كان من المخالفين على بيعتهم.

وهذا أمر معلوم متواتر، نقله من المخالف والمؤالف، فلم تتحقّق لهم دعوى الإجماع والاتّفاق بالاتّفاق، بل إنّما تحقّق بذلك حرمانهم الفوز بسعادة تغسيل الرسول صلى الله عليه وآله وتجهيزه حيث لم يكونوا لذلك أهلاً.

---

١. عبس (٨٠): ١٣.

٢. عبس (٨٠): ١٥ ـ ١٦.

٣. شطر البيت هكذا: شهدَ الأنامُ بفضله حتّى العدا. انظر الصراط المستقيم ١: ١٥٤.

فإن زعموا أنّا نريد انعقاد الإجماع في ثاني الحال، حيث اتّفق الكلّ بعد ذلك على خلافة أبي بكر.

قلنا: إن أردتم الاتّفاق عن رغبة واختيار منعناه، كيف ومن المعلوم أنّ عليّاً عليه السلام كان لا يزال يتظلّم من صنع القوم به وخلافهم عليه، وكتاب نهج البلاغة مشحون بذلك.

وانقطاع أبي عبدالله سلمان الفارسي إليه في جميع أحواله وأوقاته، وكذلك أبو ذر والمقداد، وخلافهم على أبي بكر وصاحبيه، من المعلوم أيضاً، كما تشهد به السّيَر والآثار والنقلة الأخيار، فلا يغترّ عاقل بما زيّنه حبّ الدنيا وزخارفها الفانية لهؤلاء الغفلة الذين اتّبعوا أهواءهم وآراء أسلافهم، فضلّوا وأضلّوا عن سواء السبيل.

وحيث رأى كثير من علمائهم أنّ الاستدلال بالإجماع لم يتمّ؛ نظراً إلى ما ذكرناه وتحقّقه عندهم، عدلوا إلى القول بأنّ الإمامة تثبت باختيار واحد من المسلمين وإن كان فاسقاً، ويجب على الباقين اتّباعه في ذلك ولو جبراً.

وممّن صرّح بذلك من علمائهم المتعصّبين محمّد بن أبي بكر الأصفهاني، ذكر ذلك في كتاب ألّفه في ردّ اعتراضات الإماميّة عليهم في الإمامة وغيرها.

وأنتَ خبير بأنّ مثل هذا العدول لمّا كان من غير عدلٍ، بل من الفاسد إلى الأفسد، اتّسعت به دائرة الاعتراض وضاقت على هؤلاء مسالك الانقباض، إذ يقال لهم: كما قيّض لأبي بكركم مَن اختاره، فقد وفق اللّه العليّ لعليّ من اختاره قبل اختيار صاحبكم، كالحسنين عليهما السلام وسلمان وأبي ذر والمقداد وغيرهم، فالترجيح معنا، فماذا يقولون؟ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1].

وأمّا حديث أبي بكر، فعلى تقدير تسليمه، لا يدلّ على مدّعاهم أيضاً؛ لأنّ قول الحاضرين: «لكنّا ننظر» كما يحتمل النظر في السمعيّات يحتمله في العقليّات، فلم يدلّ على وجوبها سمعاً.

وقد عُلم من هذه الجملة: أنّ هؤلاء القوم بعد خلوّ الأربعة لم يعرفوا لهم إماماً، من أنّهم

---

١. الفرقان (٢٥): ٤٤.

يوجبون الإمامة في كلّ زمان، كما اقتضته أدلّتهم، وخصوصاً حديث «مَن مات».

فالأُمّة مشتركة في الاجتماع على الخطأ، حيث لم تنصب لها إماماً في كلّ زمان بعد الخلفاء، فإنّه ينافي ما نقلوه عن النبيّ ﷺ «لا تجتمع أُمّتي على الخطأ»[1] وجعلوه من أمتن أدلّة الإجماع.

ويمكن الجواب عن هذا: بأنّ الإخلال بنصب إمام ليس من الكلّ، بل بعضهم يريد نصبه، لكن الباقون لا يوافقون، فلم يتحقّق الاجتماع على الخطأ.

وأمّا لزوم كون ميتتهم جاهليّة، فلا مخلص عنه إلّا بالاعتراف بإمامة المهدي عليه السلام، وأنّه موجود إلى آخر زمان التكليف.

الأصل الخامس: المعاد الجسماني

اتّفق المسلمون قاطبةً على إثباته، وذهب الفلاسفة إلى نفيه وقالوا بالروحاني.

والمراد من الأوّل: إعادة البدن بعد فنائه إلى ما كان عليه قبله لنفع دائم أو ضرر دائم، أو منقطع يتعلّقان به.

وذهب جمع من الأشاعرة إلى أنّ المراد منه هو إعادة مثل البدن لا هو نفسه، وهو ضعيف لما سيأتي.

واعلم أنّ العقل لا يستقلّ بإثبات المعاد البدني كاستقلاله بإثبات الصانع تعالى ووحدته، بل إنّما ثبت على وجه يقطع العقل بوقوعه بمعونة السمع، وقد ذكر المحقّق الطوسي رحمه الله لذلك أدلّة:

الأوّل: أنّ اللّه تعالى وعد المكلّفين بإيصال الثواب على الطاعة بعد الموت، وتوعّد بالعقاب على المعصية كذلك، ولا يمكن ذلك إلّا بعد الموت، فيجب الإيفاء بالوعد والوعيد،

---

١. انظر سنن أبي داود ٤: ٤٥٢، ح ٤٢٥٣؛ المعجم الكبير ـ للطبراني ـ ٣: ٢٩٢، ح ٣٤٤٠؛ مستدرك الصحيحين ١: ١١٥؛ المطالب العالية لابن حجر ٣: ١٠٤، ح ٣٠٠٣؛ جامع الأحاديث ـ للسيوطي ـ ٢: ٤٢٥، ح ٥٢١٧؛ الفقيه والمتفقّه ـ للخطيب البغدادي ـ ١: ١٦٠؛ كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـ للعجلوني ـ ٢: ٤٧٠، ح ٢٩٩٩؛ كنز العمّال ١٢: ١٥٥، ح ٣٤٤٥٥ و ٤: ٤٩، ح ٣٧٩٠٤. وفيها جميعاً «على ضلالة».

وإلّا لزم الكذب على الصادق، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

الثاني: أنّ اللّه تعالى كلّف بالأوامر والنواهي، فيجب عليه تعالى البعث بمقتضى حكمته؛ لإيصال الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، وإلّا لكان ظالماً، تعالى عن ذلك وتقدّس.

والفرق بين الدليلين ظاهر، حيث إنّ اللازم من الأوّل الكذب، ومن الثاني الظلم.

وهذان الدليلان لا يقول بهما الأشاعرة؛ لابتنائهما على الحسن والقبح العقليّين، وأنّ العدل واجب على اللّه تعالى، وقد نفوه.

الثالث: أنّ المعاد الجسماني من ضروريات دين محمّدﷺ مع كونه أمراً ممكناً، وقد أخبر الصادق بوقوعه، فلا بُدَّ من ذلك.

أمّا أنّه ممكن فلأنّ المراد به جمع الأجزاء المتفرّقة التي لم تُعدم بالكليّة، بحيث يعود البدن إلى ما كان، وهو ممكن بالضرورة.

ولأنّا نعلم بالضرورة أيضاً أنّ الإعادة مثل الإيجاد ابتداءً؛ لأنّها إيجاد ثانٍ، فلزم أن تصحّ الإعادة. وإلّا لاختلف حكم المثلين في اللوازم، فلا يكونان مثلين، وهو باطل بالضرورة المثليّة.

ولأنّ الإعادة لو امتنعت لكان امتناعها: إمّا لنفس ماهيّة البدن، أو للازمه، أو لأمر خارج غير لازم، والأربعة المتقدّمة تشترك في امتناع الإيجاد ابتداء أيضاً، وهو ظاهر.

وأمّا الأمر الخارج، فإمّا أن يختصّ به حال الإعادة، أو لا يختصّ.

فإن لم يختصّ وجب استحالة وجوده ابتداءً؛ لأنّ النسبة إليه في الحالتين واحدة، ولأنّ الأمر الخارج ممكن الزوال، فيزول الامتناع الذي كان بسببه فتصحّ الإعادة.

وإن اختصّ به فاختصاصه به إمّا لنفسه أو لغيره، ويعود الكلام السابق، فيلزم التسلسل.

وأمّا أنّ الصادق أخبر بوقوعه؛ فلِما ورد في القرآن العزيز من الآيات الدالّة على ذلك على وجه لا يقبل التأويل، كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1].

---

١. يس (٣٦): ٧٨ ـ ٧٩.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِم يَنْسِلُون﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُورِ﴾[٥].

وهذه الآيات الكريمة كما تدلّ على المعاد البدني، تدلّ أيضاً على نفس البدن لامثله، على ما ذهب إليه بعض الأشاعرة.

وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْناهُم جُلُوداً غَيْرَهَا﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدْتُم عَلَيْنَا﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِم أَلْسِنَتُهُم وَأَيْدِيهِم وَأَرْجُلُهُم﴾[٨]. وأيضاً هذه تدلّ على أنّ المعاد نفس البدن.

وقوله تعالى: ﴿وَانظُرُوا إِلى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً﴾[٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَ يَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسوَدَّةٌ﴾[١١].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِي كِتابَهُ بِيَمِينِهِ﴾[١٢].

---

١. القيامة (٧٥): ٣ ـ ٤.
٢. يس (٣٦): ٥١.
٣. الإسراء (١٧): ٥١.
٤. ق (٥٠): ٤٤.
٥. العاديات (١٠٠): ٩.
٦. النساء (٤): ٥٦.
٧. فصّلت (٤١): ٢١.
٨. النور (٢٤): ٢٤.
٩. البقرة (٢): ٢٥٩.
١٠. الأنعام (٦): ٣٨.
١١. الزمر (٣٩): ٦٠.
١٢. الإسراء (١٧): ٧١.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إلى الرَّحْمنِ وَفْداً﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلّا بِإِذْنِهِ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إلّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلى شَيْئاً﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحابُ الجَنَّةِ﴾[٩].

إلى غير ذلك من الآيات البيّنات.

وحيث تبيّن بما ذكرنا أنّ المعاد البدني من ضروريات الدين، وجب على كلّ مكلّف التصديق والإيمان به، وإلّا لخرج عن ربقة الإيمان وضلّ في تيه الكفر والطغيان، نعوذ باللّه منه.

[شبهة الآكل والمأكول]

واعلم أنّ منكري المعاد البدني ذكروا شُبهاً على عدم إمكانه، فمن أعظمها أنّه لو أكل

---

١. المطفّفين (٨٣): ٦.
٢. مريم (١٩): ٨٥.
٣. الحجّ (٢٢): ٢.
٤. عبس (٨٠): ٣٤.
٥. هود (١١): ١٠٥.
٦. الأنبياء (٢١): ٢٨.
٧. الدخان (٤٤): ٤١.
٨. آل عمران (٣): ١٠٦.
٩. الأعراف (٧): ٤٤.

الإنسان إنساناً حتّى أنّه صار جزء بدن المأكول جزء بدن الآكل، أو أكله حيوان كذلك.

وكذلك الإنسان في مدّة حياته قد تختلف حاله من الهزال والسمن وعكسه، ويطيع في أحدهما ويعصي في الآخر، فلو أُعيد البدن في هذه المواضع، لزم أن يُعاقب المطيع ويُثاب العاصي، وهو محال، فالمعاد البدني محال.

وأُجيب عن ذلك: بأنّ المعاد إنّما هو الأجزاء الأصليّة، وهي الباقية من أوّل العمر إلى آخره، لا جميع الأجزاء على الإطلاق. وحينئذٍ فلا يُعاد الجزء المأكول مع الآكل؛ لأنّه كان زائداً على أجزائه الأصليّة، بل إنّما يُعاد مع بدن المأكول إن كان ممّا يُعاد.

وكذا يقال في الجزء السمين إن كان قد أطاع به لا يعاد حتّى يعذّب الهزيل بقدر استحقاقه، ثمّ يُعاد السمين بعد ذلك ليثاب مع الهزيل. على أنّه يمكن أن يقال: بل يعادان معاً، لكن يعذّب الجزء العاصي، وتجعل برداً وسلاماً على الطائع كما جعلت على إبراهيم عليه وعلى نبيّنا السلام.

وأمّا عذاب القبر ـ نعوذ باللّه منه ـ وما يتبع المعاد ممّا دلّ عليه السمع أيضاً كالحساب، والصراط، والميزان، وتطاير الكتب، ودوام عقاب الكافرين في النار، ودوام نعيم المؤمن في الجنّة، فلا ريب أنّه يجب التصديق بها إجمالاً؛ لاتّفاق الأُمّة عليها، وتواتر السمع المتواتر، فمنكرها يخرج عن الإيمان.

أمّا التصديق بتفاصيلها ككون الحساب على صفة كذا والصراط على صفة كذا[1]، والميزان هل هو ميزان حقيقة أم كناية عن العدل؟ إلى غير ذلك من التفاصيل التي طريقها الآحاد، فالظاهر أنّ الجهل بها غير مخلّ بالإيمان، وكذا كون جهنم ـ نعوذ باللّه منها ـ تحت الأرض، وكون الجنّة فوق السماء.

نسأل اللّه تعالى أن يجعلنا وآباءنا وذريّاتنا وأهالينا وأهل حُزاناتنا[2] وإخواننا المؤمنين والمؤمنات من أهلها وسكّانها من غير أن يسبق لنا على ذلك عذاب، بعفو اللّه سبحانه ولطفه ومنّه ويمنه مع محمّد وآله الطاهرين، ومع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيّين بحقّ محمّد وآله

---

١. والصراط على صفة كذا: لم ترد في «ش».

٢. الحُزانة: عيال الرجل الذي يتحزّن بأمرهم. الصحاح ٦: ٢٠٩٨، «ح ز ن».

الطاهرين المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

ورحم اللّه مَن نظر إلى ما مَنَّ اللّه سبحانه علينا بجمعه في هذا الكتاب بعين الحقيقة والإنصاف، وتنكّب بحقيقة عينه عن طريق الاعتساف، وزاده اللّه تعالى وإيّانا به وبما جاء به رسول اللّه ﷺ تصديقاً وإيماناً.

وقد اتّفق الفراغ من تأليفه ـ جعله اللّه مألوفاً ـ سحر ليلة الإثنين الثامن شهر ذي القعدة الحرام سنة أربع وخمسين وتسعمائة للهجرة النبويّة، على يد العبد الذليل الجاني المقصّر المفتقر إلى رحمة ربّه العليّ زين الدين بن عليّ بن أحمد بن محمّد العاملي، تجاوز اللّه عنهم وعن جميع المؤمنين وعمّن دعا لهم بالمغفرة بالنبيّ وآله الطاهرين آمين ربّ العالمين.

* * *

ورد في آخر نسخة «م»: ووافق الفراغ من تعليقها يوم السبت ثاني عشر من شهر صفر سنة أربع وثمانين وتسعمائة، على يد أضعف العباد وأحوجهم إلى رحمة ربّه الغنيّ علي بن أحمد بن إبراهيم الجباعي، في المشهد المقدّس المشرّف الرضويّ، على مشرّفه أفضل الصلاة والسلام، والحمدُ للّه ربّ العالمين.

وورد في آخر نسخة «ش»: وقد اتّفق الفراغ من كتابته يوم الخميس الرابع عشر من شهر جمادى الثانية سنة ١١٠٢ هـ بيد أفقر المحتاجين محمّد بن لاچين عفى اللّه عنهما بمحمّد وآله الطاهرين، حامداً للّه تعالى، مصلّياً على رسوله، مسلّماً على آله.

وفي هامشها كُتِبَ: قد قُوبل وصُحّح من نسخةٍ صحّحها الشيخ السند والسيّد المعتمد، السيّد الجليل النبيل، عبدالحسين الحسيني الخاتون آبادي سلّمه اللّه تعالى، من نسخةٍ صحّحها الشيخ الفاضل الزاهد علي بن محمّد بن الحسن ابن مؤلّف الكتاب؛ نمّقه ابن لاچين محمّد عفي عنه.

الفهارس الفَنّيّة

١. فهرس الآيات الكريمة
٢. فهرس الأحاديث الشريفة
٣. فهرس الأشعار
٤. فهرس أسماء المعصومين عليهم السلام
٥. فهرس الأعلام الواردة في المتن
٦. فهرس الكتب الواردة في المتن
٧. فهرس مصادر التحقيق

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ فهرس الآيات الكريمة

سورة البقرة (٢)

وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا باللّهِ وبِاليَوْمِ الآخِرِ...(٨) ..... ٣١٧، ٣٥٤، ٣٥٧

وَيَقطعونَ ما أمر اللّه به أن يوصَلَ ويفسدونَ في الأرضِ (٢٧) ٦٠

وَاسْتَعينوا بِالصَبْرِ والصَّلاةِ وإنّها لكبيرةٌ إلّا على الخاشعين (٤٥) ١٤٥

فَلَمّا جاءهم ما عَرَفُوا كَفَروا به (٨٩) ٣٥٥

لا يَنالُ عَهْدِي الظالِمينَ (١٢٤) ٤٠٧

وَما كانَ اللّهُ لِيُضيعَ إيمانَكُمْ (١٤٣) ٣٤٩

إنّ اللّه مع الصابرين (١٥٣) ١٤٨

ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الثمرات (١٥٥) ٢٠٣

وَبَشِّر الصابرينَ الذين إذا أصابَتْهُم... وَرَحْمَة وأُولئك هُمُ المهتدونَ (١٥٥ ـ ١٥٧) ..... ١٣٥، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٥، ١٨٨، ٢٠٣

والّذين آمنوا أشدّ حبّاً للّه (١٦٥) ..... ١١٨، ١٦٧

وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِه فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ (٢١٧) ٣٧٣

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ... (٢٣١) ٢٦٧

وَانْظُر إلى العِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها... (٢٥٩) ٤١٥

أَوَلَمْ تُؤمِن قالَ بَلىٰ ولٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي (٢٦٠) ٣٣٥

إنّ الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصالِحاتِ (٢٧٧) ٣٣٦

واتّقوا اللّهَ وَيُعَلِّمُكُم اللّهُ (٢٨٢) ٢٢٤

سورة آل عمران (٣)

إنّ الدِينَ عِنْدَ اللهِ الإسلامُ (١٩) ..... ٣٤٨، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤
آمَنّا بِما أَنْزَلْت (٥٣) ٣١٦
ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّوكم (٦٩) ٧٤
وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه (٨٥) ..... ٣٤٨، ٣٨٢، ٣٨٣
يا أَيّها الذين آمَنُوا إنْ تُطيعُوا فَريقاً... (١٠٠) ٣٧٢
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ (١٠٦) ٤١٦
ودّوا ما عنتّم قد بَدَتِ البغضاء من أفواههم (١١٨) ٧٠
بلى إن تصبروا وتتّقوا ويأتوكم من فورهم (١٢٥) ١٣٧
وَما كان لنفس أنْ تموتَ إلّا بإذن اللّه كتاباً مؤجّلاً (١٤٥) ١١٠
قُلْ لو كنتم في بيوتكم لَبَرَزَ الذين كُتِبَ... (١٥٤) ١١٠
ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنّما نملي لهم خير (١٧٨) ١٩٩
كلّ نفس ذائقة الموت وإنّما توفّون أُجوركم يوم القيامة (١٨٥) ..... ١٩٥، ١٩٦
وَيَتَفَكَّرونَ في خَلْقِ السماواتِ وَالأَرْضِ (١٩١) ٣٣١

سورة النساء (٤)

فَكَيْفَ إذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمّةٍ بِشَهيدٍ... (٤١) ٢٦٩
كُلَّما نُضِجَتْ جُلُودُهم بَدَّلْناهُم جُلُوداً غَيْرَها (٥٦) ٤١٥
أَطيعوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَسُولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ (٥٩) ٤٠٦
أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة (٧٨) ١١٠
أَفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ... (٨٢) ٢٦٥
مَنْ كانَ يُريدُ ثَوابَ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللهِ ثوابُ الدُّنْيا والآخِرَةِ (١٣٤) ٢٨٩
يا أَيُّها الذينَ آمَنوا آمِنوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ (١٣٦) ٣١٨
إنّ الذين آمَنوا ثُمَّ كَفَروا ثُمَّ آمَنُوا... (١٣٧) ..... ٣٤١، ٣٧٢

سورة المائدة (٥)

إنّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِن المُتَّقينَ (٢٧) ٣٤٩
مِن الذين قالوا آمَنّا بِأفْواهِهِم وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُم (٤١) ..... ٣١٧، ٣٧٣
وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرون (٤٤) ٣٥٠
وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ (٤٧) ٣٥٠
يحبّهم ويحبّونه (٥٤) ١١٨
رَبَّنا آمَنّا فاكْتُبْنا مَعَ الشاهدين (٨٣) ٣١٥
لَيْسَ على الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصالحاتِ جُناحٌ... (٩٣) ٣٦١
واتّقوا اللّهَ واسْمَعُوا (١٠٨) ٢٢٤
إنْ تُعَذِّبْهُم فَإنَّهُم عِبادُكَ وَإن تَغْفِرْ لَهُمْ... (١١٨) ٢٦٦
رضى الله عَنْهم وَرَضُوا عنه (١١٩) ..... ١١٤، ١٦٧، ١٦٨

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة الأنعام (٦)

فَإنَّهُمْ لا يُكَذِّبونَكَ ولٰكنّ الظالمينَ...يَجْحَدون (٣٣) ٣٥٦
وَما مِنْ دابَّةٍ في الأرضِ وَلا طائِرٍ يَطيرُ بِجَناحَيه... (٣٨) ٤١٥
وَلا تَسُبُّوا الذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ... (١٠٧) ٢٩٨
إنْ يَتَّبِعُونَ إلّا الظَنَّ (١١٦) ٣٢٤

سورة الأعراف (٧)

وَلِباسُ التَّقْوىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ (٢٦) ٢٤١
وَنادى أصحابُ الجَنَّةِ (٤٤) ٤١٦
إنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَريبٌ مِنَ المُحْسِنينَ (٥٦) ٢٦٨
أنْ لَوْ نشاءُ أَصبناهم بذُنُوبِهِم ونَطْبع على قلوبِهِم... (١٠٠) ٢٢٤
أوَعجبتم أن جاءكم ذكر من ربّكم على رجل منكم (٦٣) ٧١

قال موسى لقومه استعينوا باللّه واصبروا إنّ الأرض (١٢٨) ٢٠٣
وَتمّت كلمت ربّك الحسنى على بني إسرائيل بِما صبروا (١٣٧) ١٣٦
خُذ العَفو (١٩٩) ٧٩
إنّ الذين اتّقوا إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِن الشيطانِ ... (٢٠١) ..... ٢٢٥، ٢٢٦
وَهُوَ الذى يُرْسِلُ الرياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ (٥٧) ٢٣٨

سورة الأنفال (٨)

الّذين إذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... (٢) ٢٦٩
وَإذا تُلِيَتْ عَلَيهِم آياتُه زادَتْهُم إيماناً (٢) ٣٦١
يا أيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم الّذين كفروا زحفاً... (١٥) ١٦٢
واصبِروا إنّ اللّه مع الصابرين (٤٦) ..... ١٣٧، ١٤٨

سورة التوبة (٩)

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُم (٢٥) ٢٧٥
وَالّذين يكنزون الذَهَب وَالفضّة ولا ينفقونها... (٣٤) ٨٩
ذلِكُم خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون (٤١) ٣٠٠
وَعَدَ اللّه المُؤْمِنينَ والمؤمِناتِ جَنّاتٍ (٧٢) ٣٦٥
وَرِضْوانٌ مِن اللّه أَكْبَرُ (٧٢) ١٦٨
رضى الله عَنْهُم وَرَضُوا عنه (١٠٠) ..... ١١٤، ١٦٧، ١٦٨
خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيّئاً (١٠٢) ٢٣٥
يا أيّها الذين آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وكُونُوا مَعَ الصادِقين (١١٩) ٣٣٨
وَإذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَنْ يقولُ... (١٢٤) ٣٦٤

سورة يونس (١٠)

واصبر حتّى يحكم اللّه وهو خير الحاكمين (١٩) ٢٠٣

إنّ الظنَّ لا يُغْني مِنَ الحَقِّ شَيْئاً (٣٦) ٣٢٤

سورة هود (١١)

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) ٢٣٠
يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلّا بِإِذْنِهِ (١٠٥) ٤١٦

سورة يوسف (١٢)

وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا (١٧) ٣١٦
وَاسْأَلِ القَرْيَةَ (٨٢) ٣٧٨
ابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم (٨٤) ١٨٠
وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) ٣٣٦

سورة الرعد (١٣)

إنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّروا... (١١) ٢٩١
ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ (٢٨) ٢٢٦

سورة إبراهيم (١٤)

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها (٣٤) ..... ٢٩٣، ٢٩٤

سورة الحجر (١٥)

ونَزَعْنا ما في صدورهم مِنْ غِلّ إخواناً... (٤٧) ..... ٧٢، ٧٣

سورة النحل (١٦)

ولنجزينّ الّذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (٩٦) ..... ١٣٦، ١٣٧
فَإذا قَرَأْتَ القرآنَ فاسْتَعِذْ بِاللّه مِنَ الشيطان الرَّجيم (٩٨) ٢٥٧

وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ (١٠٦) ٣٣٩
أُولئك الذينَ طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِم (١٠٨) ..... ٢٦٦، ٣٣٩
وَجادِلْهُمْ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ (١٢٥) ٣٣١
وإن عَاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به... (١٢٦) ٢٠٢

سورة الإسراء (١٧)

وَيَدْعُ الإنسانُ بالشرِّ دُعاءَه بالخَيْرِ... (١١) ٢٦٤
قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِه (٨٤) ٢٣٠
فَسَيَقولونَ مَنْ يُعيدُنا قُلْ الذي فَطَرَكُم... (٥١) ٤١٥
فَمَنْ أُوتي كِتابَهُ بِيَمِينِهِ (٧١) ٤١٥
أبعث اللّه بشراً رسولاً (٩٣) ٧١
لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤلاء إلّا رَبُّ السّماوات... (١٠٢) ..... ٣٥٦، ٣٥٨

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

سورة الكهف (١٨)

آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهيِّئْ لَنا مِنْ أمْرِنا رَشَداً (١٠) ٢٤٧
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالحقِّ إنّهم فِتْيَةٌ... (١٣) ٣٦٤
وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبرا (٦٨) ١٤٨
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بالأخْسَرينَ أعمالاً * الذين ضَلَّ سَعْيُهُم... (١٠٣ ـ ١٠٤) ٢٣١
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (١٠٤) ..... ٢٧٥، ٢٧٩
قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلماتِ رَبّي لَنَفِدَ البَحْرُ... (١٠٩) ٢٦٦
فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالحاً... (١١٠) ..... ٢٥٣، ٢٧٤

سورة مريم (١٩)

يا يَحيىٰ خُذِ الكتابَ بِقُوَّةٍ (١٢) ٢٦٥
وَإذا تُتلى عليهم آياتنا بيّنات...قل من كان في الضلالة... (٧٣ ـ ٧٥) ١٩٩

يَوْم نَحْشُرُ المتّقينَ إلى الرحمٰنِ وَفْداً (٨٥) ٤١٦
إنّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُم... (٩٦) ٢٨٨

سورة طه (٢٠)

فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ... (٤٤) ٣٥٨
مِنْها خَلَقْناكم وَفيها نُعيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ... (٥٥) ٢٥٩
وَإنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى (٨٢) ٢٦٨
وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصالحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ (١١٢) ٣٣٧
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْري فَإنَّ له مَعيشَةً ضَنْكاً... (١٢٤) ٢٦٩
وأْمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً (١٣٢) ..... ١٤٤، ٢٠٣

سورة الأنبياء (٢١)

ولا يَشْفَعُونَ إلّا لِمَن ارْتَضى (٢٨) ٤١٦
وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠) ٢٣٨

سورة الحجّ (٢٢)

يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ... (٢) ٤١٦
فإنّها لا تَعْمى الأبصارُ ولكِن تَعْمى القُلُوبُ... (٤٦) ٢٢٢

سورة المؤمنون (٢٣)

الذين هُمْ في صلاتِهِمْ خاشِعونَ (٢) ..... ٢٢٦، ٢٢٩
الّذينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ (٩) ٢٦٣
ولئن أطعتم بشراً مثلكم انّكم إذاً لخاسرون (٣٤) ٧١
أنؤمن لبشرين مثلنا (٤٧) ٧١
أيحسبون أنّما نمدّهم به...نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٥٥ ـ ٥٦) ٢٠٤
والذينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وقُلوبُهُم وَجِلَةٌ (٦٠) ٢٢٧

سورة النور (٢٤)

إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة... (١٩) ..... ٣٤، ٩١
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِم أَلْسِنَتُهُم وَأَيْدِيهِم وَأَرْجُلُهُم (٢٤) ٤١٥

سورة الفرقان (٢٥)

إِنْ هُمْ إِلّا كالأنعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً (٤٤) ٤١٢
وَأَنْزَلْنا مِن السمآء ماءً طَهُوراً (٤٨) ٢٣٨

سورة الشعراء (٢٦)

يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إلّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ (٨٨ ـ ٨٩) ٢٥١
إلّا مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ (٨٩) ٢٣٠
الّذي يَراكَ حينَ تَقُومُ * وتَقَلُّبَكَ في الساجدينَ (٢١٨ ـ ٢١٩) ٢٥٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة النمل (٢٧)

فلمّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالوا هذا... (١٣) ٣٥٦
وَجَحَدوا بِها واستَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُم (١٤) ..... ٣٤٣، ٣٥٤
أَمَّنْ يُجيبُ المُضْطَرَّ إذا دعاه وَيَكْشِفُ السُّوءَ (٦٢) ٢٤٢

سورة القصص (٢٨)

أُولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا (٥٤) ١٣٦
وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يشاءُ ويَخْتارُ ما كانَ لَهُم الخِيَرَةُ... (٦٨) ٢٦١

سورة العنكبوت (٢٩)

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ (٢٦) ٣١٦
إنّ الصَّلوٰةَ تَنْهى عن الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ (٤٥) ٢٩٧

والّذين جاهَدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا (٦٩) ٢٩١

سورة الروم (٣٠)

يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (٧) ١٣٥
أَوَلَمْ يَتَفَكَّروا في أَنْفُسِهِم ما خَلَقَ الله (٨) ٣٣١
وَهُوَ الذى يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُه (٢٧) ٢٤٧

سورة لقمان (٣١)

وأْمُرْ بالمعْروفِ وَانْهَ عن المنكَرِ (١٧) ٥٩
واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأُمور (١٧) ٢٠٣

سورة السجدة (٣٢)

فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ... (١٧) ٢٩٢
وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا (٢٤) ١٣٦

سورة الأحزاب (٣٣)

ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ في جَوْفِه (٤) ٢٦٠
والصابرين والصابرات (٣٥) ٢٠٣

سورة فاطر (٣٥)

وَلا يحيق المكر السيء إلّا بأهله (٤٣) ٧٧

سورة يس (٣٦)

قالوا ما أنتم إلّا بشر مثلنا (١٥) ٧١
فإذا هُمْ مِنَ الأجْداث إلى رَبِّهم يَنْسِلُونَ (٥١) ٤١٥
قالَ مَنْ يُحيي العِظامَ وَهِيَ رَميمٌ... (٧٨) ٤١٤

سورة الزمر (٣٩)

إنَّما يُوَفَّى الصابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حسابٍ (١٠) ..... ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ٢٠٣، ٢٩١

اللّه يتوفّى الأنفس حين موتها (٤٢) ١١٠

وَيَوْمَ القيامَةِ ترى الذينَ كَذَبُوا على الله... (٦٠) ٤١٥

سورة غافر (٤٠)

ما يُجادِلُ في آياتِ إلّا الذين كَفَروا (٤) ٣٣٠

وجادَلُوا بالباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ (٥) ٣٣١

وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثى وهُوَ مؤمِنٌ... (٤٠) ٢٩٢

سورة فُصّلت (٤١)

وَقالوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدْتُم عَلَيْنا (٢١) ٤١٥

سورة الشورى (٤٢)

إنّما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون... (٤٢) ..... ٦٠، ٦٨

سورة الزخرف (٤٣)

لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (٣١) ٧٠

ولولا أن يكون الناس أُمّة واحدة لجعلنا... (٣٣) ..... ١٩٩، ٢٠٤

سورة الدخان (٤٤)

يَوْمَ لا يُغْني مَوْلىً عَنْ مَوْلى شَيْئاً (٤١) ٤١٦

سورة الجاثية (٤٥)

وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشاوَةً (٢٣) ٣٣٩

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إنْ هُمْ إلّا يَظُنُّونَ (٢٤) ٣٢٤

سورة محمد صلى الله عليه وآله (٤٧)

فَاعْلَمْ أنّه لا إله إلاّ الله (١٩) ٣٢٥
أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ أمْ عَلى قُلُوبٍ أقفالُها (٢٤) ..... ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٦٦

سورة الفتح (٤٨)

لِيَزْدادوا إيماناً مَعَ إيمانِهم (٤) ٣٦١

سورة الحجرات (٤٩)

يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا... (٦) ..... ٤١، ٥٨، ٥٩
وَإنْ طائِفتانِ مِنَ المؤمِنينَ اقْتَتَلوا (٩) ٣٣٨
اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم (١٢) ..... ٤٠، ٣٢٤
ولا تجسّسوا (١٢) ..... ٤٢، ٥٩
لا يغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم... (١٢) ٣٠
قالَتِ الأعرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا (١٤) ..... ٣١٧، ٣٣٥، ٣٤٥، ٣٥٧، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨١
ولمّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُمْ (١٤) ..... ٣٣٨، ٣٥٩
إنّما المؤمِنُونَ الذينَ آمَنوا باللهِ وَرَسُولِهِ... (١٥) ٣٢٤

سورة ق (٥٠)

يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرضُ عَنْهُمْ سِراعاً ذلك حَشْرٌ... (٤٤) ٤١٥

سورة الذاريات (٥١)

فَأَخْرَجْنا مَنْ كان فيها مِنَ المُؤمنينَ فَما وَجَدْنا فيها... (٣٥ ـ ٣٦) ..... ٣٧٨، ٣٨٢
ما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون (٥٦) ١١٦

سورة الطور (٥٢)

واصبر لحكم ربّك فإنّك بأعيننا (٤٨) ٢٠٢

سورة النجم (٥٣)

وأنْ ليس الإنسان إلّا ما سعى * وأنّ سعيه سوف يُرى (٣٩ ـ ٤٠) ١١٧

سورة الحديد (٥٧)

سابقوا إلى مغفرة من ربّكم (٢١) ٦٩
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم (٢٣) ..... ١١٤، ١٦٧

سورة المجادلة (٥٨)

أُولئِكَ كَتَبَ في قُلُوبهم الإيمانَ (٢٢) ..... ٣٣٨، ٣٥٩
رضى الله عَنْهُم وَرَضُوا عنه (٢٢) ..... ١١٤، ١٦٧، ١٦٨

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة الجمعة (٦٢)

يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا إذا نُودِيَ للصَّلوٰةِ... (٩) ٢٩٦

سورة المنافقون (٦٣)

نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ... (١) ٣٥٦
يا أيُّها الّذين آمَنوا لا تُلْهِكُمْ أمْوالُكُم وَلا أوْلادُكُمْ... (٩) ٣٠٠

سورة التغابن (٦٤)

هو الذي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤمِنٌ (٢) ..... ٣٣٢، ٣٤٦

سورة التحريم (٦٦)

فخانتاهما فلم يغْنيا عنهما من اللّه شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين (١٠) ٥٦

سورة الملك (٦٧)

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عملاً (٢) ٢٣٠

سورة القلم (٦٨)

همّاز مشّاءٍ بنميم (١١) ..... ٥٥، ٥٩
عتلّ بعد ذلك زنيم (١٣) ٥٥
فاصبر لحكم ربّك ولا تكن كصاحب الحوت (٤٨) ٢٠٢

سورة المعارج (٧٠)

وصاحبته وأخيه * وفصيلته الّتي تؤيه ... تدعوا من أدبر وتولّى وجمع فأوعى (١١ ـ ١٨) ١١١
الّذين هُمْ على صَلاتِهِمْ دائِمُونَ (٢٣) ٢٦٣

سورة المزّمّل (٧٣)

وَرَتِّلِ القرآنَ تَرْتيلاً (٤) ٢٦٥

سورة القيامة (٧٥)

أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظامَه... (٣ ـ ٤) ٤١٥

سورة عبس (٨٠)

في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) ٤١١
بأيْدي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ (١٥ ـ ١٦) ٤١١
يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخيه (٣٤) ٤١٦

سورة المطفّفين (٨٣)

يَوْمَ يَقُومُ الناسُ لِرَبِّ العالَمينَ (٦) ٤١٦

كَلّا بَلْ رانَ على قُلُوبِهِم ما كانوا يَكْسِبُونَ (١٤) ..... ٢٢٤، ٢٢٥
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦) ٦٨

سورة البيّنة (٩٨)

وَما أُمِروا إلّا لِيَعْبُدوا اللّهَ مُخْلِصينَ لَه الدينَ...وذلك دينُ القَيِّمَةِ (٥) ..... ٣٤٨، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٤
رضى الله عَنْهُم وَرَضُوا عَنْه (٨) ..... ١١٤، ١٦٧، ١٦٨

سورة الزلزلة (٩٩)

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ... (٧) ٢٦٩

سورة العاديات (١٠٠)

أَفَلا يَعْلَمُ إذا بُعْثِرَ ما في القُبُورِ (٩) ٤١٥

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة العصر (١٠٣)

وَالعَصْرِ إنّ الإنْسانَ لَفي خُسْرٍ (١) ٢٦٨
الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر (٣) ٢٠٣

سورة الهمزة (١٠٤)

وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزة لُمَزة (١) ..... ٣٤، ٥٦

سورة الماعون (١٠٧)

فَوَيْلٌ للمُصَلّينَ الذين هُم عَنْ صلاتِهِم ساهُونَ (٤ ـ ٥) ..... ٢٢٦، ٢٧٣

سورة الفلق (١١٣)

مِنْ شرّ حاسدٍ إذا حَسَد (٥) ٦٤

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

«أ»

آجرك الله وأعظم لك الأجر [عزّى رجلاً على ابنه فقال:] ١٢٧
ائتوني بهما [... كادتا أن تموتا فقال ﷺ:] ٣٢
أبغض خليقة الله يوم القيامة الكذّابون ٦٢
الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل ٢٣٠
أتدرون ما حقّ الجار؟ إن استغاثك أغثه ١٩٢
أترعونَ عن ذكرِ الفاجرِ حتّى يعرفَهُ الناسُ ٥٠
أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتاً أخرجه الله منه ١٨٧
أتى عالمٌ عابداً فقال: كيف صلاتُك؟ ٢٧٥
أحبُّكم إلى الله تعالى أَحسنُكم أخلاقاً ٥٦
احفظ أدبَ الدعاء وانظرْ من تدعو؟ وكيف تدعو؟ ٢٦٤
أخرجي إليّ ولد جعفر ١٨٤
الإخلاص بجميع فواضل الأعمال ٢٥١
إخواني لمثل هذا فأعدّوا ١٨٥
إذا اتّهمَ المؤمنُ أخاه انماثَ الإيمانُ في قلبه ٤١
إذا أحبّ الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه ١٦٨
إذا أرادَ اللّه بعبدٍ خيراً جعلَ له واعظاً من قلبِهِ ٢٢٣

إذا أردتَ الطهارةَ والوضوءَ فتقدّمْ إلى الماء ٢٣٨
إذا استقبلتَ القِبلَةَ فآيسْ من الدنيا وما فيها ٢٤٦
إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي ١٩٦
إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء ١١٧
إذا بلغتَ بابَ المسجدِ فاعلمْ أنّكَ قصدتَ بابَ ملكٍ ٢٤٢
إذا جثى الأُمم بين يدي الله تعالى يوم القيامة نودوا ٧٩
إذا جمع الله الأوّلين والآخرين ينادي مناد: أين الصابرون ١٣٩
إذا دخل الرجل القبر قامت الصلاة عن يمينه ١٤٠
إذا قام العبد المؤمنُ في صلاته نظر الله إليه ٢٢٨
إذا قامَ العبدُ إلى صلاتِه ... انصرفَ كيومِ ولدته أُمّهُ ٢٤٦
إذا قُمتَ في الصلاة فعليكَ بالإقبال في صلاتك ٢٢٩
إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أُمّتي أجنحة ١٦٨
إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المؤمنين ١٢٥
إذا كبّرتَ فاستصغِرْ ما بين السماوات العُلى والثرى دون كبريائه ٢٥٢
إذا كنتَ في صلاتكَ فعليك بالخشوع والإقبال على صلاتك ٢٢٩
إذا مات ولدُ العبد قال الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ ..... ١٢٧، ١٨٩
إذا مشى الرجل في حاجةِ أخيه تكتب له عشر درجات ٨٦
اذكر لأُمّك [فقال عليعليه السلام للزبير:] ١٥٩
أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم ١٨٨
أربعة يؤذون أهلَ النارِ على ما بهم من الأذى ٣٣
أرِحْنا يا بلال ٢٤٣
أزينُ اللباسِ للمؤمنينَ لباسُ التقوى ٢٤١
أشدّ الجزع الصراخُ بالويل والعويل ..... ١٤٥، ١٨٧
أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثمّ الأولياءُ ثمّ الأمثلُ فالأمثل ١١٥
أصل الغيبة يتنوّع بعشرة أنواع ٤٣

اعبدِ اللهَ كأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لم تكنْ تراهُ فانّه يراكَ ٢٢٧
اغتبتيها [فلمّا ولّت أومأت بيدي... فقال ﷺ:] ٣٧
أعْدَدْتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ ٢٩١
أعرستم الليلة؟ فقال نعم فقال: اللهم بارك لهما ١٥٦
أُعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب الله تعالى ١٦٩
أعلم الناس بالله تعالى أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ ١٧١
اعلموا عبادَ اللهِ أنّ المؤمنَ لا يُصبحُ...إلاّ ونفسُه ظنونٌ عنده ٢٨٤
اغْتَبْتُمْ صاحبَكم [وذكره عنده ﷺ رجل فقالوا ما أعجزه! فقال ﷺ:] ٣٠
أفضلُ الأعمال ما أُكرهتْ عليه النفوسُ ١٣٧
اقرأ عليّ [قال رسول الله لابن مسعود:] ٢٦٩
اقرؤوا القرآنَ ما ائتلفتْ عليه قلوبُكم ٢٦٩
ألا أُخبركم بشراركم؟ ٥٦
ألا أعجبكم؟! إنّ المؤمن إذا أصاب خيراً حمد الله ١٤١
ألا إنّ الله يعطي الدنيا لمن يحبّ ويبغض ١١٨
ألا يرقأ دمعك ويذهب حزنك ١٨٥
إلقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها ١٥٩
اللهم أصلحِ الراعيَ والرعيّةَ ٢٥٠
اللهمّ إنّ جعفراً قد قدم إلى أحسن الثواب ١٨٤
اللهمّ أنت الملكُ الحقُّ ٢٤٦
أمؤمنون أنتم؟ فسكتوا [لما دخل... فقال:] ١٣٨
أمّا أنّا يا جابر فإن جعلني الله شيخاً أُحبّ الشيخوخة ١٧١
أما إنّك إن تصبرْ تؤجرْ ..... ١٤٦، ١٩٧
أما إنّه لو خشعَ قلبُه لخشعتْ جوارحُهُ ٢٥٠
أما بعد فلئن كنت قد تفرّدت... فما انفردت بالحزن ٢٠٢
أما تحبّين أن تَرينّه على باب الجنّة وهو يدعوك إلينا ١٢٨

أما ما ذكرتِ من السنّ فقد أصابني مثل الذي أصابكِ ١٤٤
أمّا معاوية فرجل صُعلوك ٥١
أما يخافُ الذي يحوِّلُ وجهَهُ ... أن يُحوِّلَ اللهُ وجهَهُ وجهَ حمارٍ ..... ٢٢٧، ٢٤٥
أُمرتُ أن أُقاتل الناسَ حتّى يقولوا: لا إلهَ إلّا اللهُ ..... ٣٩١، ٣٤٦
أنّ إبراهيم خليل الرحمن سأل ربّه أن يرزقه ابنة ١٨٦
إنّ أشدّ ما أخافُ عليكم خصلتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل ١١٧
أنِ اشكرني حقّ شكري فقال: يا ربّ كيف أشكرُك ٢٩٣
إنّ اللّه تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً ٢٠٠
إنّ الله تعالى بحكمته وجلاله جعل الروح والفرج في الرضى واليقين ١٧٠
إنّ الله تعالى حرّم من المسلم دمه ٤١
إنّ الله تعالى لمّا خلق الجنّة قال لها: تكلّمي ٥٧
إنّ الله تعالى يقول: أنا أغنى الأغنياءِ عن الشركِ ٢٧٣
إنّ الله عزّ وجلّ ليتعاهد المؤمن بالبلاء ٢٠١
إنّ الله لا يستجيبُ الدعاءَ من قلبٍ لاهٍ ٢٦٤
إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ٢٣٢
إنّ اللّهَ مُقبلٌ على عبده ما لَمْ يلتفتْ ٢٤٩
إنّ الله يُعطي الدنيا بعمل الآخرة ٢٩٠
إنّ أهلَ الجنّة ثلاثة: المحسنُ، والمحبّ له، والكافّ عنه ٧٦
إنّ أهل الحقّ لم يزالوا في شدّة ٢٠١
إنّ أوّلَ ما يحاسَبُ به العبدُ الصلاةُ ٢٢٩
إنّ أوّلَ من يُدعى يومَ القيامةَ رجلٌ جمعَ القرآنَ ٢٧٣
أنّ بعضَ الخلفاء قال لرجل: بلغني أنّك قلت فيّ كذا وكذا ٦٠
إنّ تحت كلّ شعرةٍ جنابةً ٢٣٧
أن تعبد الله كأنّك تراه ٣٦٢
أنْ تؤمنَ بالله ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ ٣٤٠

أنّ الجنان لتزخرف وتزيّن وأنّ الناس يتسابقون إليها ٢٩٨
إنّ الجنّةَ تكلّمت وقالت: إنّي حرامٌ على كلّ بخيلٍ ومراءٍ ٢٧٣
إنّ الحرَّ حرٌّ على جميع أحواله ١٤١
إنّ الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ ٦٦
إنّ الحفظةَ تصعدُ بعمل العبدِ وله نورٌ كشعاع الشمس ٣٠
إنّ الحفظةَ تصعدُ بعملِ العبدِ يزفّ كما تزفّ العروس إلى أهلها ٦٥
إنّ الدرهمَ يصيبُه الرجلُ من الربا أعظمُ عند اللّه من ستٍ وثلاثين زنيةً ٣١
أنّ رجلاً أتاهُ يسعى إليه برجل ٥٩
أنّ رجلاً اتّبع حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات ٥٧
إنّ رجلاً زار أخاً له في قرية ٨٤
إنّ الرجلين من أُمّتي يقومان في الصلاة وركوعُها وسجودُهما واحدٌ... ..... ٢٢٧
إنّ زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة ١٨٠
إن صبرت جرى عليك القضاء وأنت مأجور ١١٧
إن صبرتَ جرتْ عليك المقاديرُ وأنتَ مأجورٌ ١٣٩
إنّ الصبرَ والبلاءَ يتسبقان إلى المؤمن ١٤٦
أنّ الصلاةَ إذا رُدَّتْ رُدّ سائرُ عملِه ٢٣١
إنّ العبدَ إذا اشتغلَ بالصلاةِ جاءَهُ الشيطانُ... ..... ٢٢٥
إنّ العبد إذا سبقت له من الله تعالى منزلة... ابتلاه الله في جسده ١٢٢
إن عظيم الأجر مع عظيم البلاء ٢٠٠
إنّ عيسى عليه السلام مرَّ والحواريّون على جيفة كلبٍ ٣٤
إنّ العين تذرف وإنّ الدمع يغلب... ولا نعصي الله عزّ وجلّ ١٨٣
إنّ فضلَ عملِ السرِّ على الجهرِ سبعونَ ضعفاً ٢٨٠
إنّ في الجنّة شجرة يقال لها شجرة البلوى ١٣٩
إنّ القلوبَ ثلاثةٌ: قلبٌ منكوسٌ لا يعي شيئاً من الخير... ..... ٢٢٤
إنّ كان غافلاً عن مؤمن آل ياسين إنّه كان مكنّعاً ٢٠١

إنّ لجهنّم باباً لا يدخلها إلّا من شفى غيظه بمعصية الله ٤٦
إنّ لزوج المرأة منها لمكان ١٨٦
إنّ لله عزّ وجلّ عباداً في الأرض من خالص عباده ٢٠٠
إنّ لله ما أخذ ولله ما أعطى ١٨٤
إنّ للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء ١٥٩
إنّ للموت فزعاً، فإذا أتى أحدكم وفاة أخيه فليقل: إنّا لله وإنّا إله راجعون ١٤٤
إنّ له أجرين، لأنّ أهل الكتاب قتلوه ١٦٠
أنّ المؤمن لو يعلم ما أعدّ الله له على البلاء ١٢٠
إنّ مرض عدته [ما حقّ جاري عليّ؟ قال:] ١٩٣
إنّ المغتابَ إذا تابَ فهو آخرُ من يدخلُ الجنّةَ ٣٤
إنّ الملائكةَ المقرّبين تقفُ على أبوابِ المساجد ٢٩٨
أنّ موسى عليه السلام استسقى لبني إسرائيل حين أصابهم قحط ٥٧
إنّ مَنْ سَنّ سُنّةً حسنةً فله أجرُها ٢٧٧
إنّ من شرار الناس من اتّقاه الناس لشرّه ٦٠
إنّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها... إلى العُشر ٢٢٨
أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من أصابته مصيبة فقال إذا ذكرها: ١٤٤
أنا بريء ممن حلق وسلق ١٩٠
أنت حرّ لوجه الله تعالى أما إنك لم تتعمّده ١٥٠
انصرف الرجلُ وهو فقيهٌ ٢٦٩
أنّك إنْ لم تكنْ عالماً ولا متعلّماً فكنْ محبّاً ٧٦
إنّما أُمِرَ بالوضوء؛ ليكونَ العبدُ طاهراً ٢٣٩
إنّما لكَ من صلاتك ما أقبلتَ عليه بقلبكَ ٢٧٢
إنّما لكَ مِنْ صلاتِك ما أقبلتَ عليه فيها ٢٢٨
إنّما هلك من كان قبلكم بخوضهم في هذا ٣٣٠
إنّما يبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه ٢٠٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أنّها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصفوفُ... ٢٩٩
انهشا من هذه الجيفة ٣٩
انهشا منها [فمرّ النبيّ ﷺ معهما بجيفة فقال:] ٣٢
إنّهما لا يعذّبان في كبيرة [أتى على قبرين... فقال:] ٣١
إنّي رأيت البارحة عجباً ١٢٢
أو قد مات؟ فقالوا: لا يا رسول الله، فبكى رسول الله ﷺ ١٨٣
إيّاك والرياءَ... ٢٧٤
إيّاكم والغيبةَ فإنّ الغيبةَ أشدُّ من الزنا ٣٠
أيعجز أحدُكم أن يكونَ كأبي ضمم ٨٠
أيّما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار ١٢٨
أيّما رجلٍ أشاع على رجل كلمة... كان حقّاً على الله عزّوجلّ أن يذيبه بها ٥٧
أيّما رجل قدّم ثلاثة أولاد لم يبلغوا... فهم حجاب ١٢٠
[الإيمان...] أن تؤمنَ بالله ورسله واليوم الآخر ٣٦٦
الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ٣٦٤
أيّها الناس إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله عزّ وجلّ ١٨٢
أيّها الناس أيّما عبد من أُمّتي أُصيب بمصيبة... فليتعزّ بمصيبته بي ١٩٧

«ب»

بئس رجلُ العشيرة ٦٤
بئس العبدُ عبدٌ هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ يُقبل بوجهٍ ويُدبرُ بوجهٍ ٦٣
بئس العبدُ عبدٌ يكون ذا وجهين وذا لسانين ٦٢
بارك الله لكما في ليلتكما ١٥٧
بالتسليم لله [بأيّ شيء يعلم المؤمن بأنّه مؤمن قال:] ١٧٢
بحرٌ عميقٌ فلا تلجْه [أشار إليه علي عليه السلام بقوله:] ٣٣١
بخٍ بخٍ خمس ما أثقلَهُنّ في الميزان ١٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم إلى الخلف الصالح والذرّيّة الطيّبة ٢٠٢
بسم الله الرحمن الرحيم حاطك الله بصنعه ٨٧
بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله إلى معاذ ١٩٥
البلاء زين المؤمن وكرامة لمن عقل ١٤٦
بلغني أنّك جزعت جزعاً شديداً ١٣١
بُني الإيمانُ على أربع دعائمَ اليقين، والصبر، والجهاد، والعدل ١٣٨

«ت»

تجدون شرَّ عبادِ الله يومَ القيامةِ من يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء ... ٥٥
تجدون من شرّ عباد الله ... ذا الوجهين ٦٢
تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الربّ ١٨١
تدمعُ العينُ ويوجعُ القلبُ ولا نقولُ ما يسخطُ الربَّ ١٨٣
تزوّجوا فإنّي مكاثرٌ بكم الأُممَ يوم القيامة ١٢٣
تستحيي منه كما تستحيي من رجل صالح من قومك ٢٤٩
التشهّدُ ثناءٌ على الله تعالى فكنْ عبداً له في السرّ ٢٦١
تصفيق الرجل بيمينه على شماله [ما يحبط الأجر...؟ فقال:] ١٤٣
تصفيق الرجل بيمينه على شماله [ما يحبط الأجر...؟ قال:] ١٨٧
تمضي على الرجل ستّونَ سنةً... ما قَبِلَ اللهُ منه صلاةً ٢٨٦

«ث»

ثلاث رزقهن رزق خير الدارين ١٤٠
ثلاثٌ مُهلِكاتٌ: شحٌّ مطاعٌ، وهوىً متّبعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسهِ ٢٧٥
ثلاثةٌ في المؤمنِ ولهُ منهنّ مخرجٌ ٤٢
ثوابُ المؤمنِ من ولده إذا مات الجنة ١٢١

«ج»

جاء وقتُ أمانةٍ عرضَها اللهُ على السماواتِ والأرضِ فأبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها... ٢٤٤
الجلوسُ في المسجد انتظاراً للصلاة عبادةٌ ما لَمْ يُحدث ٣٤
الجنّة محرّمةٌ على القتّاتين المشّائين بالنميمة ٥٧
الجنّة محفوفةٌ بالمكاره والصبر ١٤١

«ح»

الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود ٦٥
الحاسدُ مغتاظٌ على من لا ذنبَ له ٦٧، ٧٥
حبّ الجاهِ والمالِ يُنبتان النفاق في القلب ٦٤
حبُّ الدنيا رأسُ كلّ خطيئةٍ ٢٣٤
حتّى اللقمة يرفعها إلى فم امرأته ١٤١
الحجّ عرفة ١٣٧
حسبك الآن [فقال لي:] ٢٦٩
الحسدُ يأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطبَ ٦٥
الحمد للّه الذي جعل في أُمّتي مثل صابرة بني إسرائيل ١٥٧

«خ»

خذي ما يكفيكِ وولدَكِ بالمعروفِ ٥٠

«د»

دبّ إليكم داءُ الأُمَمِ قبلكم ٦٥
دخل المسجد رجلان: أحدهما عابدٌ والآخرُ فاسقٌ... ٢٧٥
دعي النبيﷺ إلى طعام ٢٠١
الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافرِ ١١٥

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدنيا والآخرة ضرّتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد عن الأُخرى ٢٦٧

«ر»

رأس طاعة الله الصبر والرضى عن الله فيما أحبّ العبد أو كره ١٧١
رُفِعَ القلمُ عنِ الصبيّ حتّى يبلغَ ٣٩٥
الرقوب التي يبقى لها ولدها ١٢٨
ريحانة وهبها الله لي وكنت أشمّها ١٨٢

«ز»

الزهد عشرة أجزاء: أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع ١٧٠

«س»

سئل رسول اللهﷺ من أشدّ الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيّون ١٩٩
سألت رحمكَ اللهُ عن الإيمان ٣٥٢
السامع للغيبة أحد المغتابين ٣٩
سبع حقوق واجبات ما منها حق إلّا وهو واجب ٨٦
ستّةٌ يدخلونَ النارَ قبلَ الحسابِ بستّةٍ ٦٥
ستدرك ولداً اسمه اسمي يبقر العلم بقراً ١٧١
السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحدٌ سواه ٢٣٠
سُمّي المستراحُ مستراحاً؛ لاستراحةِ النفوسِ من أثقالِ النجاساتِ ٢٤٠
سوداءُ ولودٌ أحبّ إليّ من عاقر حسناء ١٢٣
سوداءُ ولودٌ خيرٌ من حسناءَ لا تلدُ ١٢٣

«ش»

شهادة أنْ لا إله إلّا الله... [الإيمان] ٣٥٢

شهادةُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ... [حدود الإيمان ...] ٣٥٢

«ص»

صاحبُ النيّة الصادقة صاحبُ القلبِ السليم ٢٥١
الصبر خير مركب ١٤١
الصبرُ عند الصدمة الأولى أعظم ١٤٢
الصبر كنز من كنوز الجنّة ١٣٧
الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ١٣٨
الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ١٤٧
الصبر نصفُ الإيمانِ ١٣٧
الصبر [وسئل مرّة ما الإيمان؟ فقال:] ١٣٧
الصبرُ يظهرُ ما في بواطن العباد من النور والصفاء ١٤٧
صفة الرضا أن ترضى المحبوب والمكروه ١٧٠
صلّ صلاةَ مودّعٍ ٢٦٣
الصلاة ميزان، من وفّى استوفى ٢٢٧

«ض»

ضربُ الرجل على فخذه عند المصيبة إحباطُ أجرهِ ١٤٦
ضربُ الرجل يدَه على فخذه إحباطٌ لأجره ١٨٧
الضربُ على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ١٤٢
ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يغلبك منه ٤١

«ط»

طوبى لمن أخلصَ لله العبادةَ والدعاءَ ٢٣٠
طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس ٤٥

طوباك يا عثمان لم تلبسْك الدنيا ولم تلبسْها ١٨٣

«ع»

عبدك وابنُ عبديك منك وبك ولك وإليك ٢٤٦
العَبرةُ لا يملكها أحدٌ صبابة المرء على أخيه ١٨٥
عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه له خير ١٤٠
عظمُ الأجر على قدر المصيبة ١٤٣
عليك بالجدّ ولا تُخرجَنَّ نفسَك من حدِّ التقصيرِ في عبادةِ اللهِ ٢٨٣
عليكم بدين العجائز ٣٣١
عليكم بالصبر فإنّه به يأخذُ الحازمُ وإليه يعود الجازع ١٣٨
عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي ٢٤٦

«غ»

الغيبة أسرع في دين المسلم من الآكلة في جوفه ٣٤
الغيبةُ حرامٌ على كلّ مسلمٍ ٣٣

«ف»

فبارك الله لكما في وقعتكما ١٥٧
فماذا إن كانت الرحمة ذهبت منك ١٨٢
في الصبر على ما يكره خير كثير ١٣٨
فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام ... أحبّ إليّ من عبدي المؤمن ١٧١

«ق»

قال الله تعالى: حقّت محبّتي للذين يتصادقون من أجلي ١٣٠
قال الله تعالى: عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلّا جعلته خيراً له ١٧١

قال الله تعالى: لا أطّلع على قلب عبد فأعلم فيه حبّ الإخلاص... إلّا تولّيت ٢٦٠
قال اللهُ تعالى لداود: يا داود، بَشّرِ المذنبينَ وأنذرِ الصدّيقينَ ٢٧٦
قال الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى ليكن لسانك... لساناً واحداً ٦٣
قال الله تعالى: من شغَلهُ ذكري عن مسألتي أعطيتُهُ أفضلَ ما أُعطي السائلين ٢٦٤
قال الله عزّ وجلّ: إذا وجّهتُ إلى عبد من عبيدي مصيبة... استحييتُ منه يوم القيامة ١٣٩
قال أمير المؤمنين: شرارُكم المشّاؤون بالنميمة المفرّقون بين الأحبّةِ ٥٧
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء ٢٠٠
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة... ..... ١٤١
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضرب المسلم يده على فخذه... ..... ١٤٦
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله عزّ وجلّ: إنّي جعلت الدنيا بين عبادي ١٤٢
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للمؤمن على أخيه ثلاثون حقّاً ٨٢
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يجيء يوم القيامة ذوالوجهين داعماً لسانه ٦٢
قال لي جبرئيل عليه السلام: يا محمّد عش ما شئت فإنّك ميّت ١٩٧
قسمت الفاتحةَ بيني وبين عبدي قسمين ٢٥٦
قف من مالي كذا وكذا لنوادب يندبنني عشر سنين بمنى ١٩٠
قلبُ المؤمنِ أجردُ فيه سراجٌ يزهرُ... ..... ٢٢٤

«ك»

كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظّموا أصحابكم ووقّروهم ٩٢
كان عليه السلام إذا قام في الصلاةِ كأنّه ساقُ شجرةٍ ٢٢٩
كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا عزّى قال: آجركم الله ورحمكم ١٩٥
كان عليُّ بنُ الحسين عليه السلام إذا قام في الصلاة تغيّر لونُهُ ٢٢٩
كانا يحدّثاني ويؤنساني فجاء الموت فذهب بهما ١٨٥
كلُّ اسمٍ من أسماءِ الله أعظم ٢٦٤
كلّ رحيم صبور ١٤١

كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ٣٠
كلّا إنّ الله يتمّ ذلك بالنوافل ٢٢٨
كم من صائمٍ ليس لَهُ من صيامهِ إلّا الجوعُ والعطشُ ٢٨٦
كم من قارئٍ للقرآن والقرآنُ يلعنهُ ٢٨٦

«ل»

لئن أُقدّمَ سقطاً أحبّ إلي من أن أُخَلِّف مائة فارس ١٢٤
لئن يولد لي في الإسلام ولد ويموت... أحبّ إليّ ١٢٣
لأنسبَنّ الإسلامَ نسبةً لم يَنْسُبْها أحدٌ قبلي ٣٨٦
لا إله إلّا الله حصني ٢٥٤
لا إيمانَ لمن لا أمانة له ٣٤٩
لا بأس أن تُحدِّثَ أخاكَ إذا رجوتَ أن تنفعَهُ ٢٨٠
لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا ٨٤
لا تجتمع أُمّتي على الخطأ ٤١٣
لا تجتمع الرغبةُ والرهبةُ في قلب إلّا وجبت له الجنّةُ ٢٨٨
لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ٣٠
لا تحقّرن من المعروف شيئاً ٣١
لا تخلُو الأرضُ من قائم بحجّة... ..... ٤٠٨
لا تدعين بويل ولا ثكل ولا حَرَب ١٩٠
لا تزالُ الملائكةُ يكتبون الداخلَ إلى أن يخرجَ الإمامُ ٢٩٨
لا حسدَ إلّا في اثنتين ٦٨
لا خيرَ في عبادةٍ لا فقهَ فيها... ..... ٢٦٦
لا راحة للحسود ..... ٦٧، ٧٥
لا غيبةَ لفاسقٍ ٥١
لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما ١١٨

لا يدخل الجنّة قاطع ٦٠
لا يدخلُ الجنّةَ قتّاتٌ ٥٦
لا يدخلُ الجنّةَ نمّامٌ ٥٦
لا يركع عبدٌ لله ركوعاً على الحقيقة إلّا زيّنهُ اللهُ بنورِ بهائه ٢٥٨
لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبةٌ فيسترجع عند مصيبته... ..... ١٤٣
لا يفطرنّ أحدٌ حتّى آذنَ له ٣١
لا يكملُ إيمانُ العبدِ حتّى يكونَ الناسُ عندَه بمنزلةِ الأباعِر ٢٧٨
لا يموت لأحدٍ من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فيحتسبهم ١٢٩
لا ينظرُ إلى صوركم ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم ٢٣٦
لبّيك وسعديك والخير في يديك ٢٤٦
لصاحبِ الحقّ مقال ٤٩
لعن الله الخامشة وجهها ١٨٦
لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنّهم لا يبصرون ٢٧٠
لقد دعوتُ اللهَ تعالى مرّةً واحدةً فاستجابَ لي ونسيتُ الحاجةَ ٢٦٥
لقد وصفه الله بخُلق عظيم في المداعبة ٨٥
للعجبِ درجاتٌ منها أَنْ يُزَيَّنَ للعبدِ سُوءُ عملِه ٢٧٥
للّه ما أخذ ولله ما أعطى وكلٌّ إلى أجل مسمّى ١٨٤
لمّا توفّي رسول الله ﷺ جاء جبرئيل عليه السلام ١٩٥
لما توفي رسول الله ﷺ عزّتهم الملائكة ١٩٦
لو ترك أحد لأحد لترك ابن المقعدين ١٩٧
لو شئتُ لأوقرتُ سبعينَ بعيراً من تفسير الفاتحة ٢٦٦
لو كان الصبرُ رجلاً لكان كريماً ١٣٨
لولا أنّ الشياطينَ يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت ٢٦٧
ليس منّا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب ..... ١٨٦، ١٩١
ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً ٢٣٠

«م»

المؤمن يغبطُ والمنافقُ يحسدُ ٦٨
ما أضمرَ أحدُكم شيئاً إلّا وأظهرَهُ اللهُ على صفحاتِ وجهِهِ ٣٨٨
ما أقبح بالرجل منكم تمضي عليه ستّون سنةً... ..... ٢٨٦
ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون ١٦٨
ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ٣٨
ما تدرونَ بين يدَي مَنْ أقومُ ٢٤٤
ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ٢٦٠
ما زلت أُردّدُ هذه الآيةَ على قلبي حتّى سمعتُها من المتكلّم بها ٢٧٠
ما صمتَ ولا أفطرت [صمت الدهر... فقال له] ٢٧٩
ما كان من حزن في القلب أو في العين فإنّما هو رحمة ١٨٣
مالي لا أرى فلاناً ١٢٦
ما من جرعة أحبّ إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل... ..... ١٣٩
ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتةٌ بيضاءُ... ..... ٢٢٤
ما من مؤمن يصاب بمصيبة... إلّا غفر الله له ١٨٨
ما من مسلم تُصيبه مصيبةٌ فيقول... إنّا لله... إلاّ أخلف الله له خيراً ..... ١٤٣، ١٨٩
ما من مسلِمَين يقدّمان ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلّا أدخلهما الله الجنّة ١٣٠
ما من مسلمين يقدّمان عليهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا...إلاّ أدخلهما الله الجنّة ١٢١
ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة أولاد... إلّا غفر الله لهما ١٣٠
ما النارُ في اليبسِ بأسرعِ من الغيبة في حسنات العبدِ ٤٥
ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله... حطيئة ١٢٢
مثَلُ المؤمنِ الخالصِ مَثَلُ الماء ٢٣٩
المرءُ مع مَنْ أحَبَّ ٧٦
المرائي يوم القيامةِ يُنادى بأربعة أسماء ٢٧٣

مررتُ ليلةَ أُسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم ٣١
المستمع أحد المغتابين ٣٩
المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ٨٣
المصابيح مفاتيح الأجر ١٣٩
مَطلُ الواجد يُحلُّ عِرضَه وعقوبتَه ٤٩
معنى السلام في دبر كلّ صلاةٍ الأمانُ ٢٦٢
من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل ألف شهيد ١٤٢
من اتّقى ربّه كلّ لسانه ولم يشف غيظه ٤٦
من اتّهم أخاهُ في دينه فلا حرمة بينهما ٤١
من أحبّ أن يعلم ماله عند الله عزّ وجلّ فلينظر ما لله عزّ وجلّ عنده ١٦٩
من أُذلَّ عنده مؤمن... أذلّه الله يوم القيامة ٤٠
من أشاد على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حقّ شانه الله تعالى في النار ٥٦
من أصلحَ سريرتَه أصلحَ اللهُ علانيتَهُ ٢٨٢
من أُصيب بمصيبة... كان ثوابه من الله الجنّة ١٢١
من اغتاب مسلماً بطل صومُه ٣٣
من اغتيب عنده أخوه المؤمنُ فنصره وأعانه نصره الله... ..... ٤٠
مِنْ أقلّ ما أُوتيتم اليقينُ وعزيمةُ الصبر ١٣٧
من أكل لحم أخيه في الدنيا قرّب إليه لحمه في الآخرة ٣٢
من ألطف مؤمناً... كان حقّاً على الله أن يخدمه خادماً ٨٥
من ألقى جلبابَ الحياءِ عن وجهه فلا غيبة له ٥١
من أنظر معسراً أظلّه الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه ١٩٣
من تُطُوِّلَ على أخيه في غيبة... فردّها عنه رَدّ الله عنه ألف باب من الشر ٤٠
من حبس نفسه في صلاة فريضة فأتمّ ركوعها... كتب الله له كأجر الحاجّ... ..... ٢٢٧
من حرّ النار التي يعذّبون بها [وكيف تعجّ النار؟ قال:] ٢٧٣
من حفر قبراً لمسلم بنى الله عزّ وجلّ له بيتاً في الجنّة ١٩٣

مَنْ دخَلَهُ العجبُ هلَكَ ٢٧٥
من دفن ثلاثة أولاد... وجبت له الجنّة ١٢٧
من دفن ثلاثة من الولد حرّم الله عليه النار ١٣٠
من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله أن يعتقَهُ من النار ٤٠
من ذكر مصيبته ولو بعد حين فقال: إنّا لله... كان له من الأجر ١٨٨
من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله تعالى أن يردّ عن عرضه ٤٠
من روى على مؤمنٍ روايةً يريدُ بها شَينَهُ... أخرجه الله من ولايته ٣٤
مَنْ سرّتْهُ حسنَتُهُ وساءَتْهُ سيّئتُهُ فهو مؤمنٌ ٢٨٤
من صلّى ركعتين لم يحدّث فيها نفسه... غفر الله ذنوبه ٢٧٧
من عاد مريضاً فلا يزال في الرحمة ١٩٣
من عزّى أخاه المؤمن من مصيبته كساه الله عزّ وجلّ حلّة خضراء ١٩٤
من عزّى ثكلى كسي برداً في الجنّة ١٩٤
من عزّى حزيناً ألبسه الله عزّ وجلّ من لباس التقوى ١٩٣
من عزّى مصاباً فله مثل أجره ١٩٣
من عظمت مصيبتُهُ فليذكر مصيبته بي ١٩٦
مَنْ عملَ حسنةً سرّاً كُتِبتْ له سِرّاً... ..... ٢٨٠
من قال في مؤمن ما رأته عيناه... فهو من الذين... ..... ٣٤
من قدّم أولاداً يحتسبُهم عند الله تعالى حجبوه من النار ١٢١
من قدّم ثلاثة لم يبلغوا الحنث كانوا له حصناً حصيناً ١٢٨
مَنْ قدّم شيئاً من ولده صابراً محتسباً حجبوه ١٢٩
من قدّم من صلبه ولداً لم يبلغ الحنث كان أفضل... ..... ١٢٤
من قدّم من ولده ثلاثاً صابراً محتسباً كان محجوباً من النار ١٢٩
من قرأ القرآنَ ولم يخضعْ له... فقد استهانَ بعظمِ شأنِ الله ٢٥٧
من كان له ابن وكان عليه عزيزاً وبه ضنيناً ومات فصبر ١٤٩
مَنْ كان له من قلبِهِ واعظٌ كان عليه مِنَ اللهِ حافظٌ ٢٢٣

من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ٦١
من كظم غيضاً... دعاه الله... ..... ٤٦
مَنْ كفّنَ مسلماً كساهُ الله من سندس واستبرق وحرير ١٩٣
من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث كانوا له حجاباً من النار ١٢٩
من ماتَ ولم يعرفْ إمامَ زمانِه فقد ماتَ ميتةً جاهليةً ..... ٤٠٦، ٤٠٩
من مشى في غيبةِ أخيهِ كانت أولُ خطوة خطاها ووضعها في جهنّم ٣٣
من مَقَتَ نَفْسَهُ دونَ مَقْتِ الناسِ أمَّنَهُ اللهُ مِنْ فزعِ يومِ القيامةِ ٢٩٣
من نفّس عن مؤمن كربةً نفّس الله عنه كُرَب الآخرة ٨٧
من نمّ لك نمّ عليك ٦٠

«ن»

النائحة إذا لم تتب تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ١٩٠
نحن معاشر الأنبياء أشدّ بلاء، والمؤمن الأمثل فالأمثل ١٤٧
نِعْمَ العونُ على تقوى الله الغنى ٢٣٤
نعم، هذا أخو رسول الله ﷺ الخضر عليه السلام [أتعرفون الرجل؟ فقال علي:] ١٩٦
النُفَساء يجرّها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنّة ١٢٤

«هـ»

هاها. فقيل يا رسول الله، ما هذا [فبكى رسول الله ﷺ وقال:] ١٨٥
هذا لمن أُخذ منه شيئاً قسراً ١٤٢
هل تدرون ما الغيبة؟ ٥٣
هل تدرون ما الغيبة؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم ٢٩
هل شَقَقْتَ قلبَهُ ٣٤٧
هل لك فرط؟ قالت: ثلاثة قال: جُنّة حصينة ١٣٠
هل لك فرط؟ قالت نعم يا رسول الله ١٢٧

هلّا آذنتموني؟ فقوموا إلى أخينا نعزّيه ١٢٥
هو سكن للمؤمن [عن التصافح في التعزية فقال:] ١٩٣

«و»

واللهِ إنّه ليأتي على الرجل خمسون سنةٌ وما قبل اللهُ منه صلاة واحدةً ٢٢٩
والله الغيبةُ أسرعُ في دين المرء من الآكلة في جسده ٣٥
وإنّما لك من صلاتك ما أقبلتَ عليه بقلبكَ ٢٢٨
وتمامُ توحيدهِ نفيُ الصفاتِ عنه لشهادةِ كلِّ صفةٍ أنّها غيرُ الموصوفِ ٤٠٢
وجوه الغيبة تقع بذكر عيب في الخلق والفعل والمعاملة ٣٦
وكم مات لك؟ [يا رسول الله ادع الله لي... قال:] ١٢٩
ولد واحد يقدّمه الرجلُ أفضلُ من سبعين ولداً ١٢٢
ولد واحد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين ولداً ١١٣
ولد واحد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين يخلفونه من بعده ١٢١
والمهديّ من هديتَ ٢٤٦
وهو أقرب إليك من حبل الوريد ٢٥٠
ويحكَ أتدري بين يدي من كنتُ؟ ٢٢٨
ويحك إنّ يعقوب بن إسحاق كان نبيّاً ١٨١
ويل لمن لاكها بين لحييه ثمّ لا يتدبّرها ٢٥٥

«ى»

يؤتى الرجل في قبره بالعذاب ١٤٠
يأتي عليكم زمان يغبط الرجل بخفّة الحال ١٤٩
يا أبان، هذه الصلواتُ الخمسُ المفروضاتُ من أقام حدودَهنّ... لقي الله ٢٣٠
يا أبتاه من ربّه ما أدناه! .....
يا إسحاق، لا تعدنّ مصيبة أُعطيت عليها الصبر ..... ١٤٦، ١٩٧

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

يابن عوف إنّها رحمة [وأنت يا رسول الله تبكي! فقال:] ١٨١
يابن مظعون، إنّ للجنّة ثمانيةَ أبواب ١١٧
يا بنيّ إنّي لا أملك لك من الله تعالى شيئاً ١٨٢
يا بني سلمة ما الرقوب فيكم؟ قالوا: الذي لا يولد له ١٣١
يا جبرئيل ما هذا العفو؟ ٧٩
يا خيثمة أبلغ من ترى من موالينا السلام ٩٢
يا ربّي دلّني على أمر فيه رضاك عنّي أعمله ١٦٩
يا زبير إنّك إنْ تقدّم سقطاً خيرٌ من أن تدع من ولدك مائة ١٢٤
يا عبدالله لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنّى أن يقرّض بالمقاريض ٢٠١
يا عثمان إنّ الله عزّ وجلّ لم يكتب علينا الرهبانيّة ١٢٥
يا غلام ـ أو يا غليم ـ ألا أُعلّمك كلمات ينفعك الله بهنّ؟ ١٤٠
يا فلان تحبّه؟ قال نعم يا رسول الله ١٢٦
يا لها من مصيبة ما أعظمها ١٩٧
يا معشرَ مَنْ آمنَ بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ٣١
يا مقلّبَ القلوبِ والأبصار ثبّتْ قلبي على دينكَ ..... ٣٢٥، ٣٣٩
يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتّل... ..... ٢٥٧
يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنّة ١٢٤

٣ ـ فهرس الأشعار

أنعم الله بالحبيبة عيناً		وبمسراك يا أُميمَ إلينا	١٣٤
أنعى الوليد بن الوليد		أبا الوليد، فتى العشيرة	١٩٠
صَبَرْتُ وكانَ الصَبْرُ خَيْرَ مَغِبَّةٍ		وَهَلْ جَزَعٌ مِنّي ليُجدي فأَجْزَعُ	١٦٦
طُبِعتْ على كَدَرٍ وأَنْتَ تريدها		صفواً من الأقذاءِ والأكدار	١١٦
عطيته إذا أعطى سروراً		وإن سلب الذي أعطى أثابا	١٣٤
لا ماتَ أعداؤك بل خلّدوا		حتّى يروا منك الذي يُكمِد	٧٥
لقد خاب من غرّته دنياً دنيّةً		وما هي إن غرّت قروناً بطائل	٨٩
ماذا على من شمّ تربة أحمد		أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا	١٨٩
هلّا سعوا سعي الكرام فأدركوا		أو سَلّموا لمواقع الأقدار	٧٤
وإذا أراد الله نشر فضيلة		طُوِيت أتاح لها لسان حسود	٤٨
.....		والفضل ما شهدتْ به الأعداء	٤١١

٤ ـ فهرس أسماء المعصومين عليهم السلام

آدم عليه السلام ٦٤، ٦٥، ١٤٧، ١٨٠

إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ١٨٦، ١٩٤، ٣٣٥، ٤١٧

لوط عليه السلام ٣٧٨

يعقوب عليه السلام ١٨٠، ١٨١

يوسف الصدّيق الأمين عليه السلام ١٤١، ١٨٠

الخضر عليه السلام ١٤٨، ١٩٦

موسى بن عمران عليه السلام ٣٤، ٥٧، ١١٤، ١٤٨، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٩، ١٧١، ١٩٤، ٢٠٣، ٣٥٦، ٣٥٨

يونس عليه السلام ١٧٦

أيّوب عليه السلام ١٤٧، ١٥٤، ١٧٦

داود عليه السلام ١١٤، ١١٨، ١١٩، ١٣١، ١٣٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٤

سليمان بن داود عليهما السلام ١٩٨

زكريّا عليه السلام ٢٠٣

يحيى بن زكريّا عليهما السلام ٢٠٣

عيسى عليه السلام = المسيح ٣٤، ٦٣، ١٣٨، ١٧٦، ٢٨٣

محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله موارده كثيرة

الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام ٣٣، ٣٩، ٤١، ٥٧، ٥٩، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٥، ٨٢، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١١٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٧، ١٥٩، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٣١، ٣٨٦، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢

فاطمة الزهراء عليها السلام ٨٩، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥

الإمام الحسن عليه السلام ١٣٩، ١٩٥، ١٩٧

الإمام الحسين عليه السلام ٨٥، ٨٩، ١٤٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٤

الحسنين عليهما السلام ٤١١، ٤١٢

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ٨٥، ٨٩، ١٣٩، ١٥٠، ١٧٠، ١٨٠، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٤

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الإمام الباقر عليه السلام = أبوجعفر، محمّد بن علي ٤٠، ٥٧، ٦٢، ٨٥، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ١٢١، ١٤١، ١٤٥، ١٧١، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٨٠

الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام = أبو عبدالله ٣٢،٣٣، ٣٤، ٣٦، ٤١، ٤٣، ٥٧، ٦٥، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٢، ١١٣، ١٢١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٥٢، ٣٦٤

الإمام الكاظم عليه السلام ١٤٦

الإمام أبوالحسن الرضا عليه السلام ٢٢٩، ٢٣٩

الإمام المهدي صاحب الزمان (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) = القائم ١١٣، ١٢٢، ٤٠٥، ٤١٣

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٥ ـ فهرس الأعلام الواردة في المتن

«أ»

أبان بن تغلب ١٦٣، ٢٣٠

إبراهيم بن رسول الله ﷺ ١٨١، ١٨٢، ١٨٣

إبراهيم الحربي ١٣٢

إبليس ٤١، ٤٨، ٦٤، ٦٥، ٧٥، ٧٦، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٦٣، ٢٨١

ابن أبي الدنيا ١٦٥، ١٩٨، ١٩٩

ابن أبي عمير ٣٤، ٢٠٢

ابن بابويه ١٩٠

ابن البطريق ٤١١

ابن الجوزي ٤١٠

ابن شاذان ٢٣٩

ابن طلحة ٤١١

ابن عبّاس ٨٩، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٩، ١٧٠، ١٩٦

ابن مجاهد ٣٢٢

ابن مسكان ٩٢

ابن المغيرة ١٩٠

أبو الأحوص ١٤٨

أبو إسحاق ١٣٢

أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي ٨٤

أبو أمامة ١٨٢، ١٨٦

أبو برزة ١٩٤

أبو بصير ١٤١، ٢٠٠

أبو بكر ١٨٣، ٤١٢

أبو جعفر محمّد بن عليّ بن المحسن الحلبي ٨٢

أبو جهم ٥١

أبو حامد أحمد بن الحسن الأزهري ٨٣

أبوالحسن أحمد بن محمّد بن موسى بن الصلت القريني ٨٤

أبوالحسن أحمد بن وهب بن سليمان ٨٣

أبو حمزة الثمالي ١٤٢، ١٩٠، ٢٢٨

أبو حنيفة ٣٢٢

أبوالدرداء ٤٠، ٥٧، ٦٤، ١٧٠، ١٩٨

أبوذر الغفاري ٥٦، ١٢١، ١٣٠، ١٤٩، ١٥١، ٤١١، ٤١٢
أبو رافع ٨٤
أبو سعيد الخدري ٣٠، ١٢٨، ١٩١
أبو سعيد محمّد بن عبدالعزيز الصفّار ٨٥
أبو سفيان ٥٠
أبو سلمة ١٤٣، ١٤٤، ١٨٧، ١٨٨
أبو سيف القين ١٨١
أبو شهاب ٨٤
أبو شوذب ١٣٢
أبوالصقر الموصلي ١٣٣
أبو طاهر محمّد بن عبدالعزيز البغوي ٨٤
أبي طلحة ١٥٦
أبوالعبّاس ١٥٣
أبوالعبّاس السراج ١٦٣
أبوالعبّاس محمّد بن إسحاق بن إبراهيم الثقفي السراج ٨٣
أبو عبدالله بن النعمان ١٣٣
أبو عبدالله الحسين بن محمّد/الصيرفي البغدادي ٨٢
أبو عبدالرحمن ١٥٠
أبو عبدالرحمن محمّد بن الحسين السلمي ٨٥
أبو علي الأشعري ٣٥٢
أبو علي الجبّائي ٣٢٢
أبو عليّ الرازي ١٥٢
أبو عمرو الزُبيري ٣٦٤
أبو عمرو الكشّي ٤٠٦
أبوالفتح محمّد بن عبدالرحمن الخطيب الكشميهني ٨٣
أبوالفتح محمّد بن عليّ الكراجكي ٨٢
أبوالقاسم جعفر بن محمّد بن قولويه ٨٦، ٨٧
أبوالقاسم زاهر بن طاهر بن محمّد الشحامي ٨٤، ٨٥
أبوالقاسم عبدالعزيز بن عليّ بن أحمد السكريّ ٨٤
أبوالقاسم نصر بن أحمد بن محمّد الفقيه ٨٤
أبوالقاسم هبةالله بن عبدالوارث بن عليّ بن أحمد الشيرازي ٨٣، ٨٤
أبو قدامة الشامي ١٦٢، ١٦٣
أبو مالك الأشعري ١٩٠
أبوالمحاسن يوسف بن رافع بن تميم ٨٣
أبو محمّد الحسن بن أحمد محمّد بن الحسن بن عليّ بن مخلّد المخلّدي ٨٣
أبو محمّد القاسم بن محمّد بن جعفر ٨٢
أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري ٨٤
أبو ميسرة ١٤٦، ١٩٧
أبو نصر أحمد بن عبدالباقي بن الحسن بن الطوق المعدّل ٨٤
أبو نصر عبدالرحمن بن عليّ بن موسى ٨٤
أبوالنضر السلمي ١٢٩
أبو هاشم ٣٢٢
أبو هريرة ٨٤

أبوالوليد ١٩٠
أبو يعلى أحمد بن عليّ بن المثنّى الموصلي التميمي ٨٤
أُبيّ بن كعب ١٢٨، ١٢٩
أحمد بن حنبل ٤١٠
أحمد بن محمّد بن عيسى ٨٦، ٨٧، ٩٢
أحمد بن محمّد بن يحيى ٨٥
الأحنف بن قيس ١٥٠
أُسامة ٣٤٧
أُسامة بن زيد ١٨٤
إسحاق بن عمّار ١٤٦، ١٩٧، ٢٠٢
أسماء ابنة يزيد ١٨١
أسماء بنت عميس ١٥٩، ١٨٤
أُسيد بن خضير ١٨٦
الأعرابي ٣٢٩
أُم أيمن ١٢٧
أُمّ خلّاد ١٦٠
أُمّ سعد بن معاذ ١٨٥
أُمّ سلمة ١٤٣، ١٤٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠
أُمّ سليم ١٥٦، ١٥٧
أُمّ عقيل ١٦٥
أُمّ مبشّر الأنصاريّة ١٢٩
أمامة بنت زينب ١٨٤
امرأة لوط ٥٦
امرأة نوح ٥٦
أُميمة ١٣٤
أنس بن مالك ٣١، ٨٤، ٨٥، ١٢٥، ١٣١، ١٣٩، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٨١، ١٩٤
الأوزاعي ١٥٣
أيّوب بن موسى ١٢٤

«ب»

البراء بن عازب ١٨٥
برخ الأسود ١٥٨، ١٥٩
بكر بن صالح الرازي ٣٦٤، ٣٦٥
بلال ٢٤٣
بهز بن حكيم بن معاوية بن جيدة القشيري ١٩٣
البيهقي ١٢٦، ١٣٢، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٦، ١٩٦

«ت»

الترمذي ١٢٢، ١٨٩

«ث»

ثابت ٨٤
ثوبان ١٢٢

«ج»

جابر بن عبد الله الأنصاري ٣٠، ٣١، ١٢١، ١٣٧، ١٤٥، ١٧١، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٧
جابر بن سمرة ١٢٧

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

جبرئيل عليه السلام ٣١، ٧٩، ٩١، ١٧٦، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٧، ٣٤٠، ٣٦١، ٣٦٦
جعفر بن أبي طالب ١٨٤، ١٨٥، ١٩٠
جويريّة بن أسماء ١٦٢

«ح»

حاطب بن أبي بلتعة ١٤٣
الحافظ أبو بكر وجيه طاهر الشحّامي ٨٣
حريز ٢٨٦
الحسن ٣٥، ٦٠، ١٢٤
الحسن بن الحسين ٨٥
الحسين بن زيد ٨٥
حسين بن عبيدالله الغضائري ٢٠٢
حسين بن علوان ٢٠٠
حسين بن نعيم ٨٧
الحلبي ٢٢٩
حمّاد بن سَلَمة ٨٤
حمّاد بن عثمان ٣٥٢
حمّاد بن عيسى ٢٨٦
حمران ٢٠١
حمزة بن عبد المطلب ١٥٩، ١٨٦، ١٨٩، ٢٠٢
حمنة بن جحش ١٥٩، ١٨٦

«خ»

خالد بن سلمة ١٨٥
خلّاد ١٦٠
الخليل ١٢١
خيثمة ٩٢

«د»

داود بن أبي هند ١٣١
داود بن زربي ١٨٨
الدينوري ١٥١

«ذ»

ذرّ بن أبي ذر ١٥١
ذرّ بن عمر بن ذرّ ١٥١
ذوالنون المصري ١٦٦

«ر»

ربعي بن عبدالله ١٤٦
ربيع بين خيثم ٢٥٨

«ز»

الزبير ١٢٤، ١٥٩، ٤١١
الزبير بن بكار ١٨٣
زرارة ٢٢٤، ٢٢٩
زرارة بن أوفى ١٢٧
الزهري ٦٠، ٨٣
زيد بن أسلم ١٣١
زيد بن حارثة ١٨٥
زيد الشحّام ٢٠٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

«س»

سارة ١١٢
سالم ٨٣
السائب بن يزيد ١٨٣
سديدالدين شاذان بن جبرئيل القمي ٨٥
سعد بن أبي خلف ٢٨٣
سعد بن عبادة ١٨٣
سعد بن عبدالله ٨٧
سعد بن معاذ ١٨٥، ١٨٦
سفيان بن عيينه ٢٣٠
سفيان الثوري ٣٢٢
سلمان الفارسي ٤١١، ٤١٢
سليم بن جابر ٣١
السمراء بنت قيس (أُخت أبي حزام) ١٦١
سهل بن الحنظليّة ١٢٣
سهل بن حنيف ١٢٣
سهل بن عبدالعزيز ١٥٥
سويد بن شعبة ١٧٨
السيّد الرضي ٣٨٦
السيّد الشريف المرتضى ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٩١
السيّد عليّ بن طاووس الحسيني ٤١١
السيّد عميدالدين عبدالمطلب ٨٢
السيّد محيي‌الدين أبي حامد محمّد بن عبدالله بن عليّ بن زهرة الحلبي ٨٢، ٨٣

«ش»

الشعبي ١٥٥
الشهيد الأوّل = محمّد بن مكّي ٨٢
الشهيد الثاني = زين‌الدين بن عليّ ٩٣، ٢٠٥، ٣٠٣، ٤١٨
شمس‌الدين محمّد بن المؤذّن الجزّيني ٨٢
الشيخ الصدوق ٣٣، ٤٠، ٦٢، ٨٢، ٨٦، ١١٣، ١٢٠، ١٥١، ١٨٨، ٢٠٢
الشيخ الطوسي = الشيخ أبوجعفر الطوسي ٨٥، ٢٠٢، ٣٩٤
الشيخ فخرالدين (ولد العلّامة الحلّي) ٨٢
الشيخ الكليني = أبو عبدالله محمّد بن يعقوب الكليني ٨٦، ٨٧، ٩٢، ١٧١، ١٨٨، ١٨٩
الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان ٨٥، ٨٦، ٩٢، ٢٠٢

«ص»

صعصعة بن معاوية ١٣٠
صفوان ٣٥٢
صفيّة بنت عبدالمطّلب ١٥٩
صلة بن أشيم ١٦١

«ض»

ضياءالدين عليّ ٨٢

«ط»

الطاهر ابن رسول الله ﷺ ١٨٣
الطبراني ١٩٩

«ع»

عايشة ٣٧
عبادة بن الصامت ١٢٤
عبادة بن محمّد بن عبادة بن الصامت ١٤٥
العباس بن معروف ٣٥١
عبدالأعلى بن حمّاد التونسي ٨٤
عبدالله بن أبي‌بكر محمّد بن عمر بن حزم ١٩٣
عبدالله بن أبي يعفور ٢٠١
عبدالله بن بكير ٨٦
عبدالله بن جحش ١٨٦
عبدالله بن جعفر ١٨٤
عبدالله بن الحسن ٢٠٢
عبدالله بن الحسن العنبري ٣٢٦
عبدالله بن سليمان النوفلي ٨٧، ٩٢
عبدالله بن سنان ١٤٢
عبدالله بن عامر المازني ١٤٩
عبدالله بن قيس ١٢٧
عبدالله بن مسعود ١٢٨، ١٣١، ١٤٠، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٠، ١٨٦، ١٩٣، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٩
عبدالله بن مطرف ١٥٣
عبدالله بن الوليد ١٩٧
عبدالله النجاشي ٨٧، ٩١، ١٥٦، ١٥٧
عبدالرحمن بن أبي نجران ٣٥١
عبدالرحمن بن الحجّاج ١٩٩
عبدالرحمن بن سمرة ١٢٢
عبدالرحمن بن عثمان ١٤٩
عبدالرحمن بن عوف ١٨١، ١٨٢
عبدالرحمن بن محمّد بن محبوب ٨٥
عبدالرحيم القصير ٣٥٢
عبدالعزيز بن جعفر بن محمّد الحزاقي ٨٥
عبدالملك بن أعين ٣٥٢
عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز ١٥٥
عبدالملك بن عمير ١٢٣
عبيد بن عمير الليثي ١٢٤
عثمان بن مظعون ١١١، ١٢٥، ١٢٦، ١٨٣
عجلان أبو صالح ٣٥٢
عزّالدين أبي الحرث محمّد بن الحسن الحسيني البغدادي ٨٢
عقيل ٨٣
العلاء بن الفضيل ٩٢، ٣٥٢، ٣٥٣
العلّاف ٣٢١، ٣٢٢
العلّامة التفتازاني ٣٩٥
العلّامة الحلّي = جمال‌الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر ٨٢، ٨٥
عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمي ٨٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٦٤
عليّ بن الحسين بن جعفر ١٣٣

عليّ بن الحكم ٨٦
عليّ بن ميسّر ١٢١
عمادالدين الطبري ٨٥
عمّار بن ياسر ٦١، ٤١١
عمر بن عبدالله المعتزلي ٣٣٢
عمر بن عبدالعزيز ٥٩، ١٥٩
عمران بن الحصين ١٧٧
عمرو بن عنبسة السلمي ١٢٠
عمرو بن شعيب ١٢٤، ١٨٧، ١٩٢
عمرو بن عليّ ٨٢
عمرو بن كعب الهندي ١٥٢
عياض بن عقبة الفهري ١٥٢
عيسى بن مهران ٨٥
العيص بن القاسم ٢٢٩

«غ»

الغزالي ١٣٢، ٣٧٠، ٣٧١

«ف»

فاطمة بنت قيس ٥١
فخار بن معدّ الموسوي ٨٥
الفخر الرازي ٣٧٠
فرعون ٣٥٦
الفضل بن العباس ٦٨
الفضيل بن عياض ١٥٢
الفضيل بن يسار ٢٢٨

«ق»

قاسم بن يزيد ٣٦٤
القاضي أبو بكر محمّد بن عمر الجعابي ٨٢
القاضي الامام فخرالدين أبوالرضا سعيد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري ٨٣، ٨٤
القاضي عبدالجبّار ٣٢١
قبيصة بن برمه ١٢٩
قتيبة بن سعيد ٨٣
قثم بن العباس ٦٨
قرّة بن إياس ١٢٦
قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي ٨٢، ٤١١
قيس بن عاصم ١٥٠

«ل»

لقمان الحكيم ٦١، ٢٠٣
الليث ٨٣

«م»

مالك بن أنس ٨٤
المبرّد ١٥١، ١٦٤
المحقّق الطوسي = المحقّق نصيرالدين الطوسي ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٧٦، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٠١، ٤١٣
محمّد بن أبي بكر ١٥٩
محمّد بن أبي بكر الأصفهاني ٤١٢
محمّد بن أبي عمير ٨٧

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

محمّد بن الأزهر ٨٥
محمّد بن الحسن الصفّار ٢٠٢
محمّد بن الحسن الوليد ٢٠٢
محمّد بن الحسين أبي الخطّاب ٢٠٢
محمّد بن خالد السلمي ١٢٢
محمّد بن خلف ١٣٢
محمّد بن سنان ٩٢
محمّد بن عبدالله البصري ٨٥
محمّد بن عبدالجبّار ٣٥٢
محمّد بن عيسى ٣٥٢
محمّد بن عيسى الأشعري ٨٧
محمّد بن مروان ٨٦
محمّد بن مسلم ٢٨٠، ٣٥٢
محمّد بن هارون بن بريه ٨٥
محمّد بن يحيى ٨٦، ٩٢
محمود بن لبيد ١٨٢
مزاحم ١٥٥
مسروق ١٥٣
مسلم ١٨٣، ١٨٨
مسلم بن يسار ١٦٤
مسمع بن أبي سيّار ٨٧
مصعب بن عمير ١٨٦
معاذ ٣٠، ٦٥، ١٤٩، ١٩٥
معاذة العدويّة ١٦١
معاوية ٥١
معاوية بن حيدة القشيري ١٢٣
معاوية بن قرّة ١٥٧
معروف بن خرّبوذ ١٨٨
معلّى بن خنيس ٨٦
المفضّل بن عمر ٣٤
المقداد ٤١١، ٤١٢
موسى بن بكر ١٤٦

«ن»

ناجية ٢٠١
نجم‌الدين جعفر بن الحسن بن سعيد ٨٢
نورالدين عليّ بن عبدالعالي الميسي ٨٢

«هـ»

هابيل ١٨٠
هند ٥٠

«و»

الوليد بن الوليد ١٩٠
وهب ١٤٧

«ى»

يحيى بن خالد ١٨٧
يزيد الرقاشي ٨٥
يعلى بن ميمون ٨٥
يوسف بن عبدالله بن سلام ١٤٤
يوسف بن عليّ بن المطهّر ٨٢، ٨٥
يونس بن عبدالرحمن ٣٥٢
يونس بن يعقوب ١٩٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٦ ـ فهرس الكتب الواردة في المتن

القرآن الكريم ..... ٢٢٠، ٢٢٤، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٧٣، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٤
التوراة ٦٢

«أ»

الإحياء (إحياء علوم الدين) للغزالي ١٣٢
الألفيّة، للشهيد الأوّل ٢٢١

«ت»

التتمّات والمهمّات، للسيّد ابن طاووس ٢٠٥
تجريد الاعتقاد، للمحقّق الطوسي ..... ٣٢٢، ٣٥٣، ٤٠١
التنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبيّة، للشهيد الثاني ٢٢١
تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسي ١٨٦

«خ»

الخرائج والجرائح، لقطب‌الدين الراوندي ٤١١

«د»

دلائل النبوّة، للبيهقي ..... ١٥٨، ١٩٦

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

«ش»

الشرح الجديد للتجريد (شرح تجريد العقائد)، للقوشجي ..... ٣٢٢، ٣٢٣
الشعب (شعب الإيمان)، للبيهقي ١٣٢

«ص»

صحيح مسلم ١٨٣
الصفوة، لابن الجوزي ٤١٠

«ط»

الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، للسيّد ابن طاووس ٤١١

«ع»

علل ابن شاذان ٢٣٩
عمدة عيون صحاح الأخبار، لابن البطريق ٤١١
عيون المجالس ١٥٧

«ف»

الفصول النصيرية = فصول العقائد، للمحقّق الطوسي ..... ٣١٩، ٣٥٩
الفقيه (كتاب من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق ١٥١

«ق»

قواعد العقائد، للمحقّق الطوسي ..... ٣٢٣، ٣٧٦

«ك»

الكافي، للشيخ الكليني ..... ٨٢، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٦٤

كتاب ابن طلحة ٤١١
كتاب أبي عمرو الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ٤٠٦
كتاب حريز ٢٨٦
كشف الريبة عن أحكام الغيبة، للشهيد الثاني ٢٨

«م»

مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، للشهيد الثاني ١٠٨
مسند، لأحمد بن حنبل ٤١٠
مصباح الظلام، لأبي عبدالله بن النعمان ١٣٣

«ن»

النفليّة، للشهيد الأوّل ٢٢١
نهج البلاغة ..... ٣٨٦، ٤١٢
النوم والرؤيا، لأبي الصقر الموصلي ١٣٣

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٧ ـ فهرس مصادر التحقيق

«أ»

١ . **إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين.** للسيّد محمّد بن محمّد الحسيني الزبيدي، الشهير بمرتضى (١١٤٥ ـ ١٢٠٥). ١٠ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

٢ . **الاحتجاج على أهل اللجاج.** لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ق ٦). إعداد السيّد محمّدباقر الموسوي الخرسان. الطبعة الثانية، جزءان في مجلّد واحد، بيروت مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣ . **الإحكام في أُصول الأحكام.** لسيف‌الدين الآمِدي علي بن سالم (٥٥١ ـ ٦٣١). إعداد سيّد الجميلي. الطبعة الثانية، ٤ أجزاء في مجلّدين، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٤ . **إحياء علوم‌الدين.** لأبي حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزّالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥). ٤ مجلّدات + الملحق، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٥ . **الاختصاص.** لأبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان، المعروف بالشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣). تصحيح علي أكبر الغفّاري. قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

٦ . **الأدلّة الجليّة في شرح الفصول النصيريّة.** للشيخ عبد الله نعمة. الطبعة الأُولى، بيروت، دارالفكر، ١٩٨٦م.

٧ . **الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان.** للسيّد محيي‌الدين محمّد بن عبدالله الحسيني ابن زهرة الحلبي (٥٦٥ ـ ٦٣٩). تحقيق نبيل رضا علوان. بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٨. **إرشاد القلوب.** لحسن بن أبي الحسن محمّد الديلمي (ق ٨). تحقيق السيّد هاشم الميلاني. الطبعة الأُولى، مجلّدان، طهران، دار الأُسوة للطباعة والنشر، ١٣٧٥ش / ١٤١٧هـ.

٩. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة.** لأبي الحسن عزّالدين عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري (٥٥٥ ـ ٦٣٠). ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٠. **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة.** لنورالدين عليّ بن محمّد بن سلطان المشهور بالملّا علي القارئ (م ١٠١٤). تحقيق أبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول. الطبعة الأُولى. بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١١. **الإصابة في تمييز الصحابة.** لأبي الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢). ٩ أجزاء في ٥ مجلّدات، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٨٥٣م.

١٢. **الأعلام.** لخيرالدين بن محمود الزِرِكْلي (١٣١٠ ـ ١٣٩٦). الطبعة العاشرة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.

١٣. **أعلام الدين في صفات المؤمنين.** لحسن بن أبي الحسن محمّد الديلمي (ق ٨). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ.

١٤. **إعلام الورى بأعلام الهدى.** لأمين الإسلام أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (م ٥٤٨). طهران، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، ١٣٣٨هـ.

١٥. **أعيان الشيعة.** للسيّد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١). إعداد السيّد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٦. **الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة.** لرضي الدين أبي القاسم السيّد علي بن موسى بن طاوس الحسني الحلّي (٥٨٩ ـ ٦٦٤). الطبعة الثانية، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧ش.

١٧. **أمالي الصدوق.** لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). تقديم الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠هـ.

١٨ . **أمالي الطوسي.** لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة ـ مؤسّسة البعثة. الطبعة الأُولى، قم، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.

١٩ . **الإيمان.** لابن تيميّة. تصحيح محمّد خليل هراش. دار الفكر.

«ب»

٢٠ . **بحار الأنوار الجامعة لِدُرَر أخبار الأئمّة الأطهار**عليهم السلام. للعلّامة محمّدباقر بن محمّدتقي المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد عدّةٍ من العلماء. الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّد (إلّا ٦ مجلّدات من المجلّد ٢٩ ـ ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. [بالأُوفست عن طبعة إيران].

«ت»

٢١ . **تاج العروس من جواهر القاموس.** للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥). تحقيق عدّةٍ من الفضلاء. صدر منه حتّى الآن ٢٥ مجلّداً، بيروت، دار الهداية.

٢٢ . **تاريخ الطبري** (تاريخ الأُمم والملوك). لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠). تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم. ١١ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢٣ . **التبيان في تفسير القرآن.** لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد أحمد حبيب قصير العاملي. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢٤ . **تجريد الاعتقاد.** لأبي جعفر محمّد بن محمّد الحسن نصيرالدين الطوسي (٥٩٧ ـ ٦٧٢). تحقيق محمّد جواد الحسيني الجلالي. الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٧هـ.

٢٥ . **تحف العقول عن آل الرسول**عليهم السلام. لأبي محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (ق ٤). تقديم الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة السادسة، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٢٦. **الترغيب والترهيب.** لعبد العظيم بن عبدالقوى المنذري (م ٦٥٦). تحقيق مصطفى محمّد عماره. الطبعة الثالثة، ٤ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

٢٧. **تسلية أهل المصائب.** لأبي عبدالله محمّد بن محمّد بن محمّد المنجي الحنبلي. بيروت، مؤسّسة دار الكتب العلميّة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٢٨. **التعازي والمراثي.** لأبي العبّاس محمّد بن يزيد بن عبدالأكبر، المعروف بالمبرّد (٢١٠ ـ ٢٨٥). دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٢٩. **تفسير الإمام العسكري**عليه السلام. المنسوب إلى الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام (٢٣٢ ـ ٢٦٠). تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام. الطبعة الأُولى، قم، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٩هـ.

٣٠. **تفسير البيضاوي** (أنوار التنزيل وأسرار التأويل). لناصرالدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمّد البيضاوي (م ٦٨٥). الطبعة الأُولى، ٤ مجلّدات، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٣١. **تفسير علي بن إبراهيم** (تفسير القمّي). لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي (ق ٣ ـ ٤). تصحيح السيّد طيّب الموسوي الجزائري. الطبعة الثالثة، مجلّدان، قم، مؤسّسة دار الكتاب، ١٤٠٤هـ.

٣٢. **تفسير العيّاشي.** لمحمّد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي (أواخر ق ٣). تحقيق السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي. طهران، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، ١٣٨٠هـ.

٣٣. **التفسير الكبير** (تفسير الرازي). لمحمّد بن عمر الخطيب فخرالدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦). ١٦ مجلّداً + الفهرس، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٣٤. **تلخيص المحصّل.** للخواجه نصيرالدين محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي (٥٩٧ ـ ٦٧٢). الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣٥. **التمهيد.** لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ النمري القرطبي (٣٦٨ ـ ٤٦٣). ٢٤ جزءاً في ١٢ مجلّداً، الرباط، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٣٦. **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** (مجموعة ورّام). للأمير الزاهد أبي الحسين ورّام بن أبي فراس الأشتري (م ٦٠٥). جزءان في مجلّد واحد، بيروت، دار صعب ودار التعارف.

٣٧. **التنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبية.** للشهيد الثاني زين‌الدين علي بن أحمد العاملي (٩١١ـ ٩٦٥). تحقيق صفاءالدين البصري. الطبعة الأُولى، مشهد، مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤١٣هـ / ١٣٧١ش.

٣٨. **تنقيح المقال في علم الرجال.** للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني (١٢٩٠ ـ ١٣٥١). الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]. [بالأُوفست عن طبعة النجف الأشرف، المطبعة المرتضويّة، ١٣٥٢].

٣٩. **تهذيب الأحكام.** لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٤ش.

٤٠. **تهذيب الفروق** (المطبوع ضمن الفروق) ← **الفروق**

٤١. **التوحيد.** لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١) تحقيق السيّد هاشم الحسيني الطهراني. قم، مؤسّسة النشر الإسلامي. ١٣٩٨هـ.

«ث»

٤٢. **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال.** لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). تصحيح عليّ أكبر الغفّاري، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩١هـ.

«ج»

٤٣. **جامع الأحاديث.** لجلال‌الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). ٢١ مجلّداً، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٤٤. **جامع الأخبار.** للشيخ تاج‌الدين محمّد بن محمّد الشعيري (ق ٦). الطبعة الثانية، قم، منشورات الرضي، ١٣٦٣ ش.

٤٥. **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير.** لجلال‌الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). الطبعة الأُولى، جزءان في مجلّد واحد، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٤٦. **جامع المسانيد.** لأبي المؤيد محمّد بن محمود الخوارزمي (٥٩٣ ـ ٦٦٥). مجلّدان، بيروت، دار الكتب العلميّة.

٤٧. **الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة.** لمحمّد بن الحسن بن علي بن الحسين الحرّ العاملي (م ١١٠٤). الطبعة الأُولى، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

«ح»

٤٨. **حقائق الإيمان** (المطبوع مع رسالتي الاقتصاد والعدالة). للشهيد الثاني زين‌الدين بن علي بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق السيّد مهدي الرجائي. الطبعة الأُولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٩هـ.

٤٩. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.** لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (م ٤٣٠). الطبعة الأُولى، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

«خ»

٥٠. **الخصال.** لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق علي أكبر الغفّاري. الطبعة الخامسة، جزءان في مجلّد واحد، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٦هـ.

٥١. **خصائص الأئمّة.** للشريف الرضي أبي الحسن محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (٣٥٩ ـ ٤٠٦). تحقيق محمّد هادي الأميني. مشهد، مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤٠٦هـ.

٥٢. **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.** للعلّامة الحلّي جمال‌الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ ـ ٧٢٦). إعداد السيّد محمّد صادق بحرالعلوم. قم، الرضي، ١٤٠٢هـ.

«د»

٥٣. **الدرّ المنثور في التفسير المأثور.** لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

٥٤. **الدرّ المنثور من المأثور وغير المأثور.** لعليّ بن محمّد بن الحسن بن زين الدين الجبعي العاملي (١٠١٤ ـ ١١٠٣). إعداد السيّد أحمد الحسيني. الطبعة الأُولى، مجلّدان، قم، ١٣٩٨هـ.

٥٥ . **دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة.** للدكتور عرفان عبدالحميد. بغداد، دار التربية.

٥٦ . **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة.** لجلال الدين عبدالرحمن ابن أبـي بكـر السـيوطي (٨٤٩ـ ٩١١). تحقيق محمّد عبدالرحيم. بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥٧ . **دعائم الإسلام وذكر الحلال و الحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت رسول الله عليه و عليهم أفضل السلام.** لأبي حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حَيّون التـميمي المغربي (م٣٦٣). تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي. مجلّدان، مصر، دارالمـعارف، ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م.

٥٨ . **الدعوات.** لأبي الحسين سعيد بـن هـبة اللـه، المشـهور بـقطب الديـن الراونـدي (م ٥٧٣). تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عجّ). الطـبعة الأُولى، قـم، مـدرسة الإمـام المـهدي (عـجّ)، ١٤٠٧هـ.

٥٩ . **دلائـل النبوّة ومـعرفة أحـوال صاحب الشـريعة.** لأبـي بكر أحـمد بـن الحسـين البـيهقي (٣٨٤ـ ٤٥٨). ٧ مجلّدات، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٦٠ . **ديوان ابن الفارض.** لأبي حفص عمر بن أبي الحسن الحموي (٥٧٦ ـ ٦٣٢). بيروت، دار صادر.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

«ذ»

٦١ . **الذخيرة في علم الكلام.** لأبي القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى وعلم الهدى (٣٥٥ ـ ٤٣٦). تحقيق السيّد أحمد الحسيني. قم، مـؤسّسة النشـر الإسـلامي، ١٤١١هـ.

٦٢ . **الذريعة إلى تصانيف الشيعة.** للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهرانـي (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). الطبعة الثانية، ٢٥ جزءاً في ٢٨ مجلّداً (الجزء ٩ في ٤ مجلّدات) بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٦٣ . **ذكر أخبار إصـفهان.** لأبي نعيم أحمد بن عبداللّـه الأصـبهاني (م ٤٣٠). مـجلّدان، طـهران، انتشارات جهان.

٦٤ . **ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة.** للشهيد الأوّل شمس‌الديـن مـحمّد بـن مكّـي العـاملي (م ٧٨٦). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التـراث. الطـبعة الأُولى، ٤ مـجلّدات، قـم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٩هـ.

«ر»

٦٥. **رجال الطوسي.** لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). الطبعة الأُولى، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.

٦٦. **رجال النجاشي** (فهرس أسماء مصنّفي الشيعة). لأبي العبّاس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (٣٧٢ـ ٤٥٠). تحقيق السيّد موسى الشبيري الزنجاني. الطبعة الرابعة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٣هـ.

٦٧. **روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات.** للسيّد محمّدباقر الخوانساري الإصفهاني (١٢٢٦ـ ١٣١٣). إعداد أسدالله إسماعيليان. ٨ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٩٠هـ.

«س»

٦٨. **سلّم الوصول لشرح نهاية السُّوْل.** (المطبوع في هامش نهاية السُّوْل) ← **نهاية السُّوْل في شرح منهاج الأُصول.**

٦٩. **سُنَنُ ابن ماجة.** لأبي عبدالله محمّد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٧/٢٠٩ـ ٢٧٣/٢٧٥). تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي. مجلّدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٧٠. **سنن أبي داوُد.** لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥). تحقيق محمّد محيي‌الدين عبدالحميد. ٤ أجزاء في مجلّدين، دار الفكر.

٧١. **سنن التِرْمذي.** لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة التِرمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩). تحقيق أحمد محمّد شاكر. ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٧٢. **سنن سعيد بن منصور.** لسعيد بن منصور بن شعبة الخرساني (م ٢٢٧). تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي. بيروت، دارالكتب العلميّة.

٧٣. **السنن الكبرى** (سنن البيهقي). لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٣٨٤ـ ٤٥٨). تحقيق محمّد عبدالقادر عطا. الطبعة الأُولى، ١٠ مجلّدات، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٧٤. **سنن النسائي.** لأبي عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي (٢١٥ـ ٣٠٣). الطبعة الأُولى، ٨ أجزاء في ٤ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار الفكر، ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م.

٧٥. **السيرة النبويّة.** لابن هشام. ٤ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«ش»

٧٦. **شارع النجاة** (المطبوع ضمن اثنى عشر رسالة). لمحمّدباقر الحسيني المرعشي المشتهر بالداماد (م ١٠٤١). طهران، عنى بطبعه ونشره السيّد جمال‌الدين الميرداماد.

٧٧. **شرح تجريد العقائد** (المعروف بالشرح الجديد). لعلاء الدين عليّ بن محمّد القوشجي (م ٨٧٩). قم، منشورات رضي و بيدار و عزيزي.

٧٨. **شرح غرر الحِكَم ودُرَر الكلم.** لجمال الدين محمّد الخوانساري (م ١١٢٥). تصحيح مير جلال الدين الحسيني الأُرموي. ٦ مجلّدات، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٦ش.

٧٩. **شرح المقاصد.** لسعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٢٢ـ ٧٩٣). إعداد الدكتور عبدالرحمان عميرة. الطبعة الأُولى، ٥ أجزاء في ٤ مجلّدات، قم، الرضي، ١٣٧٠ـ ١٣٧١هـ.

٨٠. **شرح المواقف.** للسيّد الشريف عليّ بن محمّد الجرجاني (٧٤٠ـ ٨١٦). تصحيح السيّد محمّد بدر الدين النعساني. الطبعة الأُولى، ٨ أجزاء في ٤ مجلّدات، قم، الرضي، ١٤١٢هـ / ١٣٧٠ ش.

٨١. **شعب الإيمان.** لأبي بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ـ ٤٥٨). الطبعة الأُولى، ٧ مجلّدات + الفهارس، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٨٢. **الشفاء.** للشيخ الرئيس أبي عليّ حسين بن عبدالله بن سينا (٣٧٠ـ ٤٢٨). إعداد عدّة من الأساتذة. ١٠ مجلّدات، قم، مكتبة آيةالله المرعشي، ١٤٠٤ـ ١٤٠٦هـ.

«ص»

٨٣. **صحيح البخاري.** لأبي عبدالله بن إسماعيل البخاري (١٩٤ـ ٢٥٦). تحقيق مصطفى ديب البُغا. الطبعة الخامسة، ٦ مجلّدات + الفهرس، بيروت ـ دمشق، دار ابن كثير ـ اليمامة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٨٤. **صحيح مسلم.** لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١). تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي. الطبعة الثانية، ٥ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

٨٥. **الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم.** للشيخ زين‌الدين أبي محمّد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (٧٩١ ـ ٨٧٧). تحقيق محمّد الباقر البهبودي. ٣ مجلّدات، المكتبة المرتضويّة.

«ع»

٨٦. **عدّة الداعي ونجاح الساعي.** لأحمد بن فهد الحلّي (م ٨٤١). تصحيح أحمد الموحّدي القمّي. قم، مكتبة الوجداني.

٨٧. **العقد الفريد.** لأحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (م ٣٢٨). الطبعة الأُولى، ٨ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

٨٨. **علل الشرائع.** لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). الطبعة الأُولى، جزءان في مجلّد واحد، مؤسّسة دار الحجّة للثقافة، ١٤١٦هـ.

٨٩. **العين.** لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ ـ ١٧٥). تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. الطبعة الأُولى، ٨ مجلّدات + الفهرس، قم، مؤسّسة دار الهجرة، ١٤٠٥هـ.

٩٠. **عيون الأخبار.** لأبي محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦). ٤ مجلّدات، مصر، المؤسّسة المصريّة العامّة.

٩١. **عيون أخبار الرضا عليه السلام.** لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). تصحيح الشيخ حسن الأعلمي. الطبعة الأُولى، مجلّدان، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

«غ»

٩٢. **غاية المراد في شرح نكت الإرشاد.** للشهيد الأوّل شمس‌الدين محمّد بن مكّي العاملي (٧٣٤ ـ ٧٨٦). تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأُولى، ٤ مجلّدات، قم، مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة، ١٤١٤ ـ ١٤٢١هـ.

«ف»

٩٣ . **الفروق.** لشهاب الدين أبي العبّاس الصنهاجي المشهور بالقرافي (م ٦٨٤). ٤ أجزاء في ٣ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

٩٤ . **الفصل في الملل والأهواء والنحل.** لأبي محمّد علي بن أحمد، ابن حزم الظاهري (م ٤٥٦). ٥ أجزاء في ٣ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

٩٥ . **فقه الرضا** (الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، مشهد المقدّسة، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ١٤٠٦هـ.

٩٦ . **الفقيه** (كتاب من لا يحضره الفقيه). لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة السادسة، ٤ مجلّدات، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٩٧ . **الفقيه والمتفقّه.** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٢). تحقيق إسماعيل الأنصاري. جزءان في مجلّد واحد، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٩٨ . **فلاح السائل.** لرضي الدين أبي القاسم السيّد علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي (٥٨٩ ـ ٦٦٤). قم، مكتب الإعلام الإسلامي.

٩٩ . **الفهرست.** لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). مشهد المقدّسة، جامعة مشهد، ١٣٥١ش.

١٠٠ . **فهرست ألفبائی کتب خطی کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی (الفهرس الألفبائي لمخطوطات مكتبة الروضة الرضويّة المقدّسة).** لمحمّد آصف فكرت ومحمّد وفادار مرادي. الطبعة الأُولى، مشهد، مكتبة الروضة الرضويّة المقدّسة، ١٣٦٩ ش.

١٠١ . **فهرست كتابهای چاپی عربی (فهرس كتب العربية المطبوعة).** لِخان بابامُشار. الطبعة الأُولى، طهران، أنجمن كتاب، ١٣٤٤ ش.

١٠٢ . **فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ آیة الله گلپایگانی (فهرس مخطوطات مكتبة آية الله الگلپايگاني).** الطبعة الأُولى، صدر منه ٤ مجلّدات حتّى الآن، قم المقدّسة، ١٣٥٧ ـ ١٣٧٨ ش.

١٠٣. **فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ عمومی آیة الله مرعشی (فهرس مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي العامّة)**. للسيّد أحمد الحسيني، الطبعة الأُولى، قم المقدّسة، مكتبة آية الله المرعشي، ١٣٩٥ ـ ١٤١٤ هـ / ١٣٥٤ ـ ١٣٧٢ ش.

١٠٤. **فهرست نسخه‌های خطی کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی (فهرس مخطوطات مكتبة مجلس الشورى الإسلامي)**. لعدّةٍ من الفضلاء. [الطبعة الأُولى]، طهران، مكتبة المجلس، ١٣٠٥ ـ ١٣٥٧ ش.

«ق»

١٠٥. **القاموس المحيط**. لأبي طاهر مجدالدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (٧٢٩ ـ ٨١٧) ٤ مجلّدات، بيروت، دار الجيل.

١٠٦. **القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسيّة**. للعلّامة الحلّي جمال‌الدين حسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي (٦٤٨ ـ ٧٢٦). تحقيق فارس حسّون تبريزيان. الطبعة الأُولى، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ.

١٠٧. **قواعد العقائد** (المطبوع ضمن تلخيص المحصّل) ← **تلخيص المحصّل**.

١٠٨. **قواعد المرام في علم الكلام**. لميثم بن علي بن ميثم البحراني (٦٣٦ ـ ٦٩٩). الطبعة الأُولى، قم، مطبعة مهر، ١٣٩٨هـ.

١٠٩. **القواعد والفوائد**. للشهيد الأوّل شمس‌الدين محمّد بن مكّي العاملي (٧٨٦). تحقيق عبدالهادي الحكيم. الطبعة الثانية، مجلّدان، قم، مكتبة المفيد.

«ك»

١١٠. **الكافي**. لأبي جعفر ثقةالإسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق علي أكبر الغفّاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب ودار التعارف، ١٤٠١هـ.

١١١. **الكامل**. لأبي العبّاس محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر، المعروف بالمبرّد النحوي (٢١٠ ـ ٢٨٥). ٣ أجزاء في مجلّد واحد، بيروت، دار الفكر.

١١٢. **الكامل في التاريخ**. لأبي الحسن عزّ الدين عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم

الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (٥٥٥ ـ ٦٣٠). ١٢ مجلّداً + الفهرس، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٥ ـ ١٣٨٦هـ.

١١٣ . **كشف الخفاء ومزيل الإلباس.** للشيخ إسماعيل بن محمّد العجلوني الجرّاحي (١٠٨٧ ـ ١١٦٢). تحقيق أحمد القلاش. الطبعة الخامسة، مجلّدان، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١١٤ . **كشف الريبة عن أحكام الغيبة.** للشهيد الثاني زين الدين علي بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق السيّد علي الخراساني الكاظمي. الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

١١٥ . **كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال.** لعلاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي (٨٨٨ ـ ٩٧٥). إعداد بكري حياني وصفوة السقا. الطبعة الخامسة، ١٨ مجلّداً، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١١٦ . **كنز الفوائد.** لأبي الفتح الشيخ محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكي الطرابلسي (م ٤٤٩). تحقيق الشيخ عبدالله نعمة. الطبعة الأولى، مجلّدان، قم، انتشارات دار الذخائر، ١٤١٠هـ.

١١٧ . **الكُنى والألقاب.** للشيخ عبّاس بن محمّدرضا القمّي (١٢٩٤ ـ ١٣٥٩). الطبعة الخامسة، ٣ مجلّدات، طهران، مكتبة الصدر، ١٣٦٨ش.

«ل»

١١٨ . **لسان العرب.** لجمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور المصري (٦٣٠ ـ ٧١١). ١٥ مجلّداً، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

١١٩ . **لسان الميزان.** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حَجَر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢). الطبعة الثالثة، ٧ مجلّدات، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٢٠ . **لؤلؤة البحرين.** للشيخ يوسف بن أحمد البحراني (١١٠٧ ـ ١١٨٦). تحقيق السيّد محمد صادق بحر العلوم. الطبعة الثانية، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

١٢١ . **اللهوف في قتلى الطفوف.** لرضي الدين أبي القاسم السيّد عليّ بن موسى بن طاوس الحسني الحلّي (٥٨٩ ـ ٦٦٤). النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.

«م»

١٢٢ . **مبادئ الوصول إلى علم الأُصول.** للعلّامة الحلّي جمال‌الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ـ٧٢٦). إعداد عبدالحسين محمّد عليّ البقّال. الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٢٣ . **مجمع البيان لعلوم القرآن.** لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرسي (حوالي ٤٧٠ـ٥٤٨). تحقيق الميرزا أبوالحسن الشعراني. الطبعة الخامسة، ١٠ أجزاء في ٥ مجلّدات، طهران، المكتبة الإسلاميّة، ١٣٩٥هـ.

١٢٤ . **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.** لنورالدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي (م ٨٠٧). الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.

١٢٥ . **المحاسن.** لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (م ٢٧٤ أو ٢٨٠). تحقيق السيّد مهدي الرجائي. الطبعة الثانية، مجلّدان، قم، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤١٦هـ.

١٢٦ . **المحصّل** (محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخرين). لفخرالدين محمّد بن عمر الرازي (٥٤٤ـ٦٠٦). تحقيق الدكتور حسين آتاي. الطبعة الأُولى، القاهرة، مكتبة دار التراث، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

١٢٧ . **المحصول في علم أُصول الفقه.** لمحمّد بن عمر الخطيب فخرالدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦). الطبعة الأُولى، مجلّدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٢٨ . **المحيط في اللغة.** للصاحب، إسماعيل بن عبّاد (٣٢٦ـ ٣٨٥). تحقيق محمّد حسن آل ياسين. الطبعة الأُولى، ١١ مجلّداً، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٢٩ . **المستدرك على الصحيحين.** لأبي عبدالله محمّد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري (م ٤٠٥). ٤ مجلّدات، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٣٠ . **مستدرك الوسائل.** للحاج الميرزا حسين المحدّث النوري (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، ١٨ مجلّداً، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٧هـ.

١٣١ . **المستصفى من علم الأُصول.** لأبي حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥). الطبعة الأُولى، مجلّدان، بيروت، دار صادر. [بالأُوفست عن طبعة مصر ١٣٢٤هـ].

١٣٢. **مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد.** للشهيد الثاني زين‌الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). قم، منشورات مكتبة بصيرتي.

١٣٣. **مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد.** للشهيد الثاني زين‌الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٧هـ.

١٣٤. **مسلم الثبوت في أُصول الفقه.** (المطبوع ضمن المستصفى من علم الأُصول) ← **المستصفى من علم الأُصول.**

١٣٥. **مسند أحمد.** لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ ـ ٢٤١). ٦ مجلّدات، بيروت، دارالفكر.

١٣٦. **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار.** لأبي الفضل عليّ بن الحسن بن الفضل الطَبْرِسي (ق ٦ ـ ٧). تقديم صالح الجعفري. الطبعة الثانية، قم، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٨٥هـ.

١٣٧. **مصابيح السنّة.** لأبي محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد الفرّاء البغوي (٤٣٣ ـ ٥١٦). الطبعة الأُولى، ٤ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

١٣٨. **مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة.** (المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام). لعبدالرزّاق بن محمّد هاشم گيلاني (ق ١١). تصحيح رضا المرندي. الطبعة الأُولى، قم، پيام حق، ١٣٧٧ش.

١٣٩. **المصباح المُنير في غريب الشرح الكبير.** لأحمد بن محمّد بن علي الفيّومي (م حوالى ٧٧٠). الطبعة الأُولى، جزءان في مجلّدٍ واحد، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥هـ.

١٤٠. **مصنّف ابن أبي شيبة.** لعبدالله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي (م ٢٣٩). تحقيق سعيد محمّد اللحّام. الطبعة الأُولى، ٧ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

١٤١. **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية.** لابن حجر أحمد بن عليّ العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢). تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي. ٤ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

١٤٢. **معاني الأخبار.** لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق علي أكبر الغفّاري. قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦١ش.

١٤٣. **المعتبر في شرح المختصر.** للمحقّق الحلّي نجم‌الدين جعفر بن حسن بن يحيى بن سعيد الهُذَلي (٦٠٢ ـ ٦٧٦). إعداد عدّة من الطلّاب. الطبعة الأُولى، مجلّدان، قم، مؤسّسة سيّد الشهداء عليه السلام، ١٣٦٤ش.

١٤٤. **المعتمد في أُصول الفقه.** لأبي الحسين محمّد بن علي بن الطيّب البصري (م ٤٣٦). تقديم الشيخ خليل الميس. مجلّدان، بيروت، دار الكتب العلميّة.

١٤٥. **المعجم الأوسط.** لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ـ ٣٦٠). تحقيق محمود الطحّان. الطبعة الأُولى، ١١ مجلّداً، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٤٦. **معجم البلدان.** لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحَمَوي الرومي البغدادي (٥٧٤ـ ٦٢٦). ٥ مجلّدات، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

١٤٧. **معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة.** للسيّد أبي القاسم ابن السيّد علي أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ـ ١٤١٣). الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلّداً + الفهرس، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٤٨. **معجم الفرق الإسلاميّة.** لشريف يحيى الأمين. الطبعة الأُولى، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٤٩. **المعجم الكبير.** لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠). تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي. الطبعة الثانية، ٢٥ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٥٠. **المعجم الوسيط.** لعدّة من الأفاضل. الطبعة الخامسة، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة، ١٤١٦هـ / ١٣٧٤ش.

١٥١. **المغازي.** لمحمّد بن عمر بن واقد، الواقدي (م ٢٠٧). تحقيق مارسدن جونس. مجلّدان، نشر دانش إسلامي، ١٤٠٥هـ.

١٥٢. **المفردات في غريب القرآن.** لأبي القاسم الحسين بن محمّد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (م ٥٠٢). تحقيق محمّد سيّد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.

١٥٣. **مكارم الأخلاق.** لرضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (ق ٦). الطبعة السادسة، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١٥٤. **الملل والنحل.** لأبي الفتح محمّد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩ـ ٥٤٨). تحقيق محمّد سيّد كيلاني. مجلّدان، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

١٥٥. **المناقب.** للمؤفّق بن أحمد بن محمّد المكّي الخوارزمي (م ٥٦٨). تحقيق الشيخ مالك المحمودي. الطبعة الثانية، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٤هـ.

١٥٦. **منتهى المطلب في تحقيق المذهب.** للعلّامة الحلّي جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ـ٧٢٦). تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة. الطبعة الأُولى، صدر حتّى الآن ٥ مجلّدات، مشهد المقدّسة، مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤١٢ـ١٤١٩هـ.

١٥٧. **المنهاج في شعب الإيمان.** لأبي عبدالله الحسين بن الحسن الحليمي (م ٤٠٣). الطبعة الأُولى، مجلّدان، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

١٥٨. **منية المريد في أدب المفيد والمستفيد.** للشهيد الثاني زين‌الدين بن عليّ بن أحمد العاملي (٩١١ـ٩٦٥). تحقيق رضا المختاري. الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ / ١٣٦٨ش.

١٥٩. **المواقف** ← **شرح المواقف**

١٦٠. **موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف.** إعداد أبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول. الطبعة الأُولى، ١١ مجلّداً، بيروت، عالم التراث، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

١٦١. **الموطّأ.** لمالك بن أنس (٩٣ـ١٧٩). تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي. مجلّدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

«ن»

١٦٢. **نهاية الأرب في فنون الأدب.** لشهاب‌الدين أحمد بن عبدالوهّاب النُّوَيْري (٦٧٧ ـ ٧٣٣). ٣١ مجلّداً، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

١٦٣. **نهاية السُّؤل في شرح منهاج الأُصول.** لجمال الدين أبومحمّد عبدالرحيم بن الحسن بن علي إبراهيم الأسنوي (٧٠٤ـ ٧٧٢). ٤ مجلّدات، القاهرة، عالم الكتب ١٣٤٣هـ.

١٦٤. **النهاية في غريب الحديث والأثر.** لأبي السعادات مجدالدين المبارك بن محمّد بن محمّد المعروف بابن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي. ٥ مجلّدات، بيروت، المكتبة العلميّة.

١٦٥. **نهج البلاغة.** (ما اختاره المؤلّف من كلام أميرالمؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين) لأبي الحسن الشريف الرضيّ محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩ـ٤٠٦). تحقيق صبحي الصالح. الطبعة الأُولى، طهران، دار الأُسوة، ١٤١٥هـ.

«هـ»

١٦٦. **هداية المحدّثين.** لمحمّد أمين بن محمّد علي الكاظمي (ق ١١). تحقيق السيّد مهدي الرجائي. قم، مكتبة آية‌الله المرعشي، ١٤٠٥هـ.

«و»

١٦٧. **وسائل الشيعة.** للشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، ٣٠ مجلّداً، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٩ ـ ١٤١٢هـ.

١٦٨. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ممّا ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان.** لأبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان (٦٠٨ ـ ٦٨١). إعداد إحسان عبّاس. قم، منشورات الرضي، ١٣٦٤ش. [بالأُوفست عن طبعته السابقة].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

سلسلة مؤلّفات الشهيد الثاني قدس سره

المجلّد	الاسم	الطبعة	الطباعة
١	منية المريد في أدب المفيد والمستفيد	٥	١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش
٢	تمهيد القواعد الأُصولية والعربية لتفريع قواعد الأحكام الشرعيّة	١	١٤١٦هـ / ١٣٧٤ش
٣	الفوائد المليّة لشرح الرسالة النفليّة	١	١٤٢٠هـ / ١٣٧٨ش
٤	فوائد القواعد	١	١٤٢٠هـ / ١٣٧٨ش
٥	المقاصد العليّة وحاشيتا الألفيّة	١	١٤٢٠هـ / ١٣٧٨ش
٦	رسائل الشهيد الثاني / ج١	١	١٤٢١هـ / ١٣٧٩ش
٧	حاشية المختصر النافع	١	١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش
٨	روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان / ج١	١	١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش
٩	روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان / ج٢	١	١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش
١٠	رسائل الشهيد الثاني / ج٢	١	١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش
١١	المصنّفات الأربعة وهي كشف الريبة ومسكّن الفؤاد والتنبيهات العليّة وحقيقة الإيمان	١	١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش
١٢	حاشية شرائع الإسلام	١	١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش
١٣	الرعاية لحال البداية في علم الدراية، والبداية في علم الدراية	١	١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وحقّقنا حاشية الإرشاد للشهيد الثاني ونشرناها مع غاية المراد في أربعة مجلّدات كبار.

وسننشر مجلّداً مستقلاً في حياته وآثاره باسم «الشهيد الثاني حياته وآثاره».